الجزء الثاني

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ
وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ
ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا
تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ

تجارب العلماء

في عصور الغيبة

ترجمة و اعداد : كمال السيد


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

تجارب العلماء

في عصور الغيبة

(ج ٢)

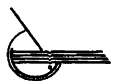
ترجمة واعداد: كمال السيّد

سيد، كمال، ١٣٣٦ -
تجارب العلماء في عصور الغيبة/ترجمه واعداد كمال السيد.- قم: انصاريان، ١٣٨٥ - ٢٠٠٦.
٢ج.
ISBN: 964-438-815-1 (Vol. 2)
١.مهدويت — انتظار. ٢. محمد بن حسن (عج)، امام دوازدهم، ٢٥٥ -
الف. عنوان.
٣ت٩س٤/BP٢٢٤ ٢٩٧/٤٦٢

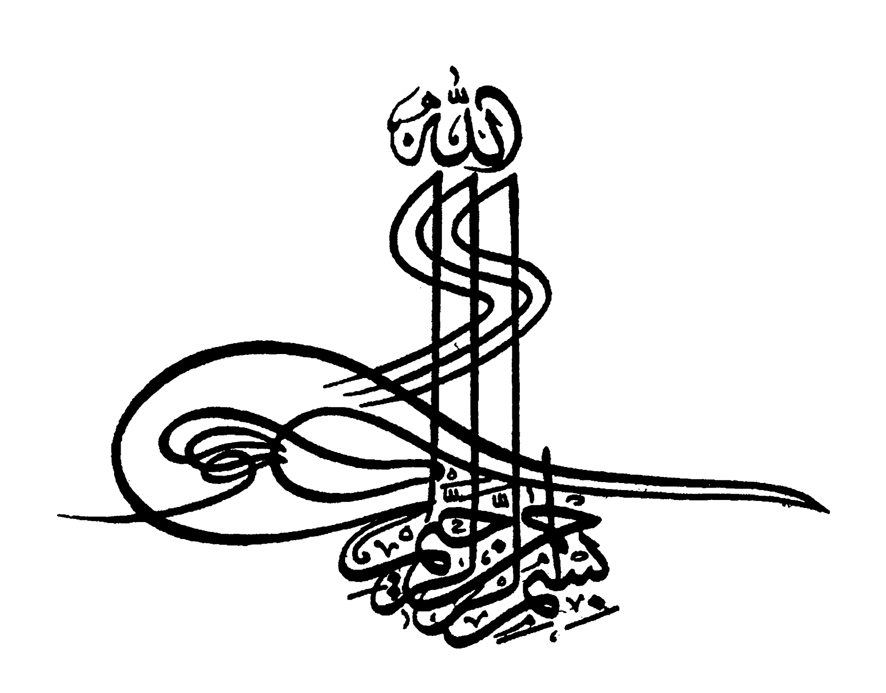
تجارب العلماء

في عصور الغيبة - ج٢

ترجمه واعداد: كمال السيد
الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر
الطبعة الاولى: ١٣٨٥ - ١٤٢٦ - ٢٠٠٦
المطبعة: ثامن الأئمة(ع)
الكمية: ٢٠٠٠ نسخة
عدد الصفحات ج٢: ٥٦٨ ص.
حجم الغلاف: كبير
رقم الإيداع الدولي(ISBN): ١-٨١٥-٤٣٨-٩٦٤ (ج٢)
رقم الإيداع الدولي: X-٨١٦-٤٣٨-٩٦٤ (دورة ١-٢)



مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر
جمهورية ايران الإسلامية
قم - شارع الشهداء - فرع ٢٢
ص.ب ١٨٧
هاتف :٧٧٤١٧٤٤ (٢٥١) (٩٨) فاكس: ٧٧٤٢٦٤٧
البريد الالكتروني: ansarian@noornet.net
www.ansariyan.org & www.ansariyan.net



محمد تقي المجلسي /المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ

مع قيام الدولة الصفوية في القرن العاشر الهجري أصبح التشيع المذهب الرسمي في ايران، وقد أصبح من الضروري تقديم المعارف الاسلامية وأحاديث أهل البيت عليهم السلام وهي أغنى المصادر الاسلامية الى المجتمع الذي يتحدث باللغة الفارسية وكانت هذه المهمة أكثر ضرورة من ذي قبل. ويعد العلّامة محمد تقي المجلسي رحمه الله من السبّاقين في هذا المضمار وفيما يلي نبذة عن حياته وسيرته.

الميلاد

ولد محمد تقي في عام (١٠٠٣ هـ) في المدينة الكبرىٰ اصفهان احدىٰ أجمل مدن ايران وحواضرها وكانت يومئذ عاصمة الدولة الصفوية[1] وقد سمّي بهذا الاسم (محمد تقي) تيمناً باسم الامام التاسع محمد الجواد عليه السلام حيث «التقي» أحد ألقابه المباركة، وكانت كلمات الاقامة والأذان هي أول ما سمعه الوليد المبارك وهكذا بدأ حياته مع ألحان السماء في التوحيد والرسالة المحمدية.

نشأ محمد تقي في بيئة مفعمة بالصفاء والمحبة والايمان وكان من الطبيعي أن يترعرع الصبي ويشب على حب الدين وعشق أهل البيت عليهم السلام أبوه هو الملّا علي المجلسي كان فاضلاً محباً للعلم والعلماء ومن رواة الحديث الشريف وعرف

(١) أصبحت اصفهان عاصمة للبلاد سنة ١٠٠٦ هـ

بنظمه للشعر «المجلسي» هو الاسم الذي انتخبه لنفسه كعادة الشعراء في ايران في انتخاب اسماء لهم في أشعارهم[١].

طفولته

ربىٰ الوالد ابنه محمد تقي منذ نعومة أظفاره على العقائد الاسلامية وأصول الدين الحنيف ومن توحيد ونبوّة ومعاد فكان يحدثه عن الجنة والجحيم عن سيرة سيدنا محمد خاتم المرسلين، وعلّمه الصلاة وكان يصطحبه الى المجالس الدينية فنشأ الصبي على حب المعارف الدينية في أجواء تربوية كانت تدعو الأطفال واليافعين الى عمل الخير وترك الأعمال القبيحة.

وقد نم عنه سلوك أقرب للكبار منه للأطفال، وهذا أسهم في بلورة شخصيته الروحية الدينية فيما بعد؛ فقد أصبح البعد الروحي أكثر أبعاد شخصيته بروزاً وتجلّياً ودفعه الى تحصيل المزيد من المعارف الاسلامية اضافة الى وجود عالم روحي كبير هو جدّه لأمه الأمر الذي شجّعه ومهد له السبيل في اثراء الجانب الروحي في حياته، وكذا وجود الحافظ أبو نعيم الاصفهاني (المتوفى سنة ٤٠٣ هـ) في سلسلة أجداده وآبائه الهمم في الاقتداء ووضع أولى خطاه في ذلك الطريق اللاحب.

من هنا يمكن القول أن ذلك البيت المفعم بالفضيلة والتقوىٰ والايمان كان الفصل الأول من فصول دراسته الدينية والعلمية.

---

(١) مرآة الأحوال، نقلاً عن بحار الأنوار ١٠٢ / ١٠٥.

دراسته

وقد تلت فترة نشأته أن خطا الصبي في طريق دراسته تلميذاً تحت اشراف والده ثم ليتعرف فيما بعد على اساتذة كبار في حوزة اصفهان الدينية فانتظم في حلقة العلّامة عبد الله الشوشتري بارشاد من والده وكان الشوشتري في عصره من أبرز علماء اصفهان يومئذ وهو من خريجي حوزة النجف العلمية، هاجر الى اصفهان وأقام فيها.

وقد تلقىٰ التلميذ من استاذه علوماً عديدة كالفقه، الحديث، الأصول، الكلام والتفسير ومحمد تقي مدين لاستاذه خاصّة في الرواية والحديث، وهذا ما أشار اليه فيما بعد فكتاب «روضة المتقين» هو خلاصة لجهود الاستاذ وهو كتاب روائي كما ان حركة الحديث وانتشار التيار الفقهي في اصفهان يعود لجهود الشوشتري[١].

وبعد وفاة استاذه الشوشتري سنة (١٠٢١ هـ) انتقل الى حلقة نجله حسن علي الشوشتري وهو أيضاً في طليعة علماء اصفهان وكان يدرس أيضاً في حلقة عالم كبير آخر هو الشيخ البهائي وقد تأثر بشخصيته الروحية أيما تأثر.

وفي فترة مبكرة من حياته وجد نفسه منجذباً الى العرفان وشعر أن الفقه والأصول والعلوم الرائجة يومئذ لن تروي عطشه أو تبلّ غليله، وقد تبلور هذا الأساس في سن بلوغه وكان هذا الاحساس مبهماً بسبب حساسية هذا المقطع من العمر فهو لم يعرف ماذا وكيف تكون البداية لكنه وجد نفسه في النهاية في ظلال الشيخ البهائي وارشاداته. ولقد كان البهائي يومئذ من أساطين العلم في اصفهان وايران وقد أصبح ملهماً لتلميذه محمد تقي وسيذكره بكل اجلال واحترام ويشيد

(١) روضة المتقين، محمد تقي المجلسي ١٤ / ٣٨٢.

بقدراته الموسوعية وعلوّ شأنه ومنزلته[١].

ولقد حب التلميذ استاذه الكبير لتواضعه الشديد فقد عرف البهائي بتواضعه لتلامذته بما فيهم الشباب واليافعين ويورد محمد تقي شاهداً على تواضع استاذه الذي تنازل عن رأيه لصالح تلميذه اليافع محمد تقي بمجرد أن أدرك صوابيته[٢].

وكان تأثره باستاذه أكثر في البعد الروحي من شخصيته وقد كان البهائي زاهداً عابداً وعارفاً روحانياً ولهذا ظل محمد تقي في طليعة المريدين لاستاذه الى وفاته رضوان الله عليه.

واضافة الى تتلمذه على الشيخ البهائي فقد كان محمد تقي يدرس أيضاً لدىٰ علماء آخرين من قبيل «المير فندرسكي»، «القاضي أبو السرور» «الأمير اسحاق» «الشيخ عبد الله بن جابر العاملي (ابن عمته) الملّا محمد قاسم العاملي (خاله) أيضاً.

الهجرة الى النجف الأشرف

في عام (١٠٣٤ هـ) هاجر محمد تقي الى مدينة النجف الأشرف وكان قد بلغ الحادية والثلاثين من عمره.. لقد اشتدّ عوده علمياً وأن له أن يقطف ثمار جهوده وجهاده ولقد كانت رحلته الى النجف لا تنحصر بالتحرك الجغرافي من مكان الى مكان وانما رافق رحلته هذه سير روحي ليجمع بين السير في الآفاق والأعماق.. في مدينة النجف الأشرف مدينة علي عليه السلام باب مدينة علم النبي وجد محمد تقي نفسه في حالة من الطمأنينة والصفاء الروحي هي من اشعاعات الضريح الطاهر لسيد العابدين والزاهدين أمير المؤمنين عليه السلام، ومحمد تقي هو الآن ينعم

(١) بحار الأنوار ١٠٢ / ١١١.

(٢) وقد حصل ذلك أمام جمع من التلاميذ كما يذكر ذلك في كتابه «روضة المتقين» ١٤ / ٤٠٤.

بجوار سيد الأوصياء وأبي الأئمة الأطهار لتنفتح روحه على نوافذ المكاشفات الروحية التي لا تحتملها العقول الضعيفة أما هو فكان ينعم بهذه المكاشفات والبركات[١].

وفي تلك الفترة فقد كانت المادّيات تشكل هماً أساسياً كان المجلسي يسجل أحاديث أهل البيت تلميذاً ورؤيا عن استاذه في النجف السيد شرف الدين علي الشولستاني حيث منحه الأخير اجازة في الرواية وكان المجلسي يومها قد بلغ الثالثة والثلاثين[٢].

العودة الى اصفهان

تعد اقامة المجلسي في النجف الأشرف حداً فاصلاً بين مرحلتين في حياته فلقد أعقب ذلك أن شحذت همته في أداء رسالة في المجتمع فعزم على هدايته وارشاده الى سواء السبيل وقد هزّته رؤيا شاهد في عالم المنام حيث بعض الرؤىٰ تعدّ من الالهام.. لقد رأىٰ سيدنا علي عليه السلام يأمره بالعودة الى اصفهان لكنه كان يتوق الى البقاء في جوار الامام ولكن الامام كان يشير عليه بالتوجه الى اصفهان لهداية الناس.. من أجل هذا عاد المجلسي الى عاصمة الدولة الصفوية منصرفاً الى التأليف والتدريس.

وفي تلك الفترة أكمل شرحه على الصحيفة السجادية ومن ذلك الحين انتبه الناس الى وجوده وانتشر كتابه في الأوساط الدينية[٣].

---

(١) بحار الأنوار ١٠٢ / ١١٣.
(٢) وهذه الاجازة موجودة في بحار الأنوار ١٠٧ / ٣٢ - ٣٧.
(٣) روضات الجنات ٢ / ١١٩.

صوب الحديث

تمثل أحاديث أهل البيت عليهم السلام لدىٰ المجلسي قيمة كبرىٰ لا حدود لها ولهذا فقد وضع لنفسه برنامج من أجل تزكية روحه وتنميتها في ضوء تعاليم أهل البيت عليهم السلام معتقداً أبان طريق التصوف لن يوصل المرء الى الله عز وجل مالم يكن ذلك في ضوء تعليم وارشاد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وكان يعتقد ان السعادة الأبدية والكمال المنشود يتحققان بفقه أهل البيت عليهم السلام[1].

ولهذا وضع نصب عينيه شرح وتفسير الروايات والنصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام لكنه كان يتهيب هذه المهمة ولم يجرؤ على ذلك[2] ان أصيب بعلّة شديدة جعلته من الموت قاب قوسين أو أدنىٰ ومرّة أخرىٰ جاءته الروىٰ تبشر بحياة جديدة وعمر جديد وكانت رؤاه الصادقة تلهمه سلوك الطريق الصحيح وكان يرىٰ ان أحاديث أهل البيت عليهم السلام تعد امتداداً طبيعياً لسنة النبي صلى الله عليه وآله[3]

وكان المجلسي قد رأىٰ نفسه قد شفي على يد الأئمة عليهم السلام وفي رؤيا أخرىٰ رأىٰ نفسه يتناول من ثمار الجنّة وقد اهداها له النبي صلى الله عليه وآله، ولما استيقض من النوم الهم أن تفسير رؤياها هي أن ينبري الى شرح وتفسير أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وآله الأطهار[4].

ومن ذلك الوقت بدأ المجلسي جهده التأليفي حول الحديث والكتب الروائية وقد ظل اهتمامه هذا شاخصاً ميز حياته العلمية ومن مؤلفاته: «أربعون حديثاً عن

(١) قصص العلماء، التنكابني، ٢١٤، اجازة محمد تقي المجلسي، نجله محمد باقر المجلسي.
(٢) روضة المتقين ١٤ / ٤٣٤.
(٣) للمزيد حول هذه الرؤيا راجع كتاب الف نقطة ونقطة لآية الله الشيخ حسن زاده الآملي ١٩ - ٢٣.
(٤) روضة المتقين ١٤ / ٤٣٤ - ٤٣٥.

المعصومين»، «شرح الزيارة الجامعة»، «شرح حديث همّام» باللغة الفارسية، و «احياء الأحاديث» وهو شرح لم يتمه على كتاب «تهذيب الاحكام» للشيخ الطوسي وآخر مؤلفات هذا المحدث الجليل القدر هو «لوامع الصاحبقراني» وهو شرح بالفارسية لكتاب «من لا يحضره الفقيه» للشيخ الصدوق ولم يتم هذا الشرح حيث وافاه الأجل قبل اتمامه كما وللمجلسي شرح آخر هو روضة المتقين، وهو شرح للكتاب نفسه[١].

ويعدّ كتاب «روضة المتقين» للمجلسي في طليعة الشروح لكتاب «من لا يحضره الفقيه» وقد طبع أكثر من مرّة وتقع طبعته الأخيرة في أربعة عشر مجلداً وقد أشار المجلسي في آخر الكتاب وعبر عن جهده هذا بأنه عصارة علومه الفقهية والأصولية والكلامية التي اكتسبها خلال نصف قرن من البحث والتحقيق[٢].

وقد قام المحدث الجليل القدر في كتابه «روضة المتقين» بتصحيح وتنقيح كتاب «من لا يحضره الفقيه» حيث كانت نسخه المتوفرة آنذاك مليئة بالأخطاء والأغلاط كما وطابق الكتاب مع سائر الكتب الأربعة وحيثما وجد رواية بسند ضعيف عززها بما ورد في تلك الكتب الثلاثة من سند قوي، وقد قام المجلسي بشرح الروايات واثراء ما ورد فيها من دلالات في المجالات الفقهية والأحكام العملية، والبحوث الرجالية، والحقل الأدبي والكلامي والعرفاني أيضاً، وهذا الجهد يتطلب احاطة باللغة وعلم الرجال والفقه والأصول والتفسير والكلام ما يدلّ على قابليات المجلسي العلمية.

---

(١) انظر الذريعة ٦ / ٢٢٣، ٢٢٤ و ١٤ / ٩٤.

(٢) روضة المتقين ١٤ / ٥٠٥.

على كرسي التدريس

ظهر منذ عام (١٠٤٠ هـ) جيل جديد من العلماء في حوزة اصفهان في مستويات رفيعة من قبيل الشيخ البهائي المتوفى سنة (١٠٣٠ هـ) ومير داماد المتوفى سنة (١٠٤١ هـ) ليحمل محلّهم جيل آخر من الفقهاء كان الملّا محمد تقي المجلسي في الطليعة منهم.

كان المجلسي في عصره من أبرز الأساتذة في اصفهان فقد كان استاذاً في الفقه والحديث وكان مبرزاً في تدريس الأصول والتفسير والكلام وعلم الرجال[1].

وكان يجلس للتدريس يومياً في المسجد الجامع باصفهان حيث يحضر درسه جموع كبيرة من الطلاب وفيما يلي طائفة من أسماء تلامذته ممن حصلوا على اجازة منه في نقل الحديث:

العلّامة محمد باقر المجلسي (نجله)، السيد عبد الحسين خاتون آبادي، المحقق الخوانساري، السيد نعمة الله الجزائري، الملّا ميرزاي الشيرواني، الملّا محمد صالح المازندراني، الملّا محمد صادق الكرباسي، السيد شرف الدين علي گلستانه، الملّا عزيز الله والملّا عبد الله المجلسي (نجلاه)، الميرزا ابراهيم الأردكاني اليزدي، المولا ابو القاسم بن محمد الگلبايكاني، بدر الدين بن أحمد العاملي والميرزا تاج الدين گلستانه[2].

---

(١) وهذا ما يظهر من خلال الاجازات التي منحها المجلسي لتلامذته. انظر بحار الأنوار ١٠٧ «اجازات محمد تقي المجلسي وانظر كذلك روضات الجنات ٢ / ١٢٣.

(٢) راجع حياة العلّامة المجلسي، مصلح الدين المهدوي ٢ / ٣٨٨.

المقام المتألق

ترك العلّامة محمد تقي المجلسي أثراً كبيراً في مجتمعه وقد بدأ تأثيره في أسرته حيث نشأ برعايته أولاده فكانوا جميعاً من العلماء وحتى أصهاره كانوا من العلماء فمن أصهاره: الملّا محمد صالح المازندراني، والملّا محمد علي الاسترابادي، والملّا ميرازي الشيرواني، والميرزا كمال الدين الفسائي وكانوا جميعاً من علماء عصرهم وزمانهم، وحتى أحفاده من بناته وأولاده أصبحوا علماء.

ويبقىٰ في الطليعة نجله العلّامة محمد باقر المجلسي مؤلف الموسوعة الحديثية الكبرىٰ «بحار الأنوار».

المجلسي في المجتمع

كان للعلامة المجلسي دوراً اجتماعياً كبيراً من خلال ارتباطه الوثيق بمجتمعه فقد كان حريصاً على ارشادهم وهدايتهم وكان متحمساً على نشر المعارف الدينية بينهم واشاعة ثقافة أهل البيتعليهم السلام في حياتهم ولهذا تصدّىٰ للتأليف بالفارسية من أجل تحقيق ما يرنو اليه في ذلك.

وأصبح بيته الذي يقع في جوار المسجد الجامع مقصد الجميع من كل طبقات المجتمع وكان يفصل في المنازعات التي تحصل بين الناس وممن يترافعون اليه(١)، وفي اقامته صلاة الجمعة في مدينة اصفهان كان يعظ الناس ويرشدهم وأصبح حلقته الدراسية في المسجد الجامع مركزاً ثقافياً وأصبح المسجد منارة للعلم والعبادة، وقد ألف رسالته العملية «حديقة المتقين» باللغة الفارسية لتيسير معرفة الأحكام الشرعية وقد أصبحت محل اهتمام العلماء.

---

(١) روضات الجنات ٢ / ١٢٣.

نحو الأبدية

عرجت روح العلّامة والمحدث الكبير محمد تقي المجلسي في الحادي عشر من شهر شعبان المعظم سنة (١٠٧٠ هـ) حيث وافاه الأجل في مدينة اصفهان ودفن فيها(١).

وقد أحدثت وفاته ثلمة كبيرة في الحوزة العلمية في اصفهان والحوزات العلمية في ايران اذ فقدت حلقات الدرس واحداً من كبار اساتذة الفقه الحديث ولكن تلامذته حاولوا سدّ الفراغ الذي نشأ عن رحيله فواصلوا خطاه وكان في الطليعة منهج نجله العلّامة محمد باقر المجلسي حيث شهد علم الحديث ازدهاراً في عصره.

وصاياه

جاء في اجازته التي منحها الى نجله العلّامة محمد باقر المجلسي وصايا قيّمة تحثه على الاستمرار في ذات الطريق التي سار عليها.. اذ أوصىٰ ابنه بتقوىٰ الله تبارك وتعالىٰ والاخلاص في العلم والعمل لأن الناس هلكىٰ الّا الصالحون، والعالمون هلكىٰ الّا العاملون، والعاملون هلكىٰ الّا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم.. كما أوصاه بأن يتلو في كل يوم جزءاً من القرآن الكريم والتأمل في آياته وتدبّر معانيها، وأن يمعن التفكر في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لأبنيه الحسن والحسين عليهما السلام في نهج البلاغة مؤكداً على ترويض النفس وتهذيبها وقد قال تعالى:

---

(١) جامع الرواة، محمد بن علي الأردبيلي ٢ / ٨٢ نقلاً عن العلّامة محمد باقر المجلسي.

﴿والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وانّ الله لمع المحسنين﴾[١] والتدبر في الأحاديث التي تتضمن الوصايا الأخلاقية كما أوصاه بعدم الغفلة عن الدعاء لأنه مخ العبادة وأن يسأله سبحانه أن يجعله من أوليائه لأن أولياءه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون[٢].

(١) العنكبوت، الآية ٦٩.

(٢) قصص العلماء، ٢٢٨ وهي اشارة الى قوله تعالى: **﴿ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**.

محمد محسن الفيض الكاشاني / المتوفى سنة ١٠٩١ هـ

ولادته ونسبه

ولد محمد المشهور بـ«الملّا محسن» والملقب بـ«الفيض» في الرابع عشر من شهر صفر سنة (١٠٠٧ هـ) في واحدة من أعرق الأسر العلمية التي عرفت بالأدب والعرفان حيث تألقت تلك الأسرة أربعة قرون متوالية.

أبوه هو رضي الدين شاه مرتضىٰ (٩٥٠ - ١٠٠٩ هـ) كان فقيهاً متكلماً، ومفسراً أديباً اشتغل في التدريس في مدينة كاشان وكان من تلامذة الملّا فتح الله الكاشاني (المتوفىٰ سنة ٩٨٨ هـ) وضياء الدين محمد الرازي (المتوفىٰ سنة ١٠٩١ هـ).

وأمه هي السيدة زهراء خاتون (المتوفاة سنة ١٠٧١ هـ) وكانت سيدة فاضلة عالمة وأديبة وهي ابنة ضياء العرفاء الرازي (من كبار علماء مدينة الري). وجدّه الفيض هو تاج الدين شاه محمود نجل الملّا علي الكاشاني من العلماء العرفاء والشعراء النابهين في كاشان وقد دفن فيها[1].

---

(١) مخازن الحكمة، محمد علم الهدىٰ ١ / ٩ - ١٢ ط جامعة المدرسين قم.

طفولته ودراسته

الملّا محسن الفيض هو الابن الرابع لشاه مرتضىٰ والذي وافاه الأجل فيما كان ابنه الفيض في الثانية من عمره ولهذا نشأ في أحضان خاله وعمه[١] وتلقىٰ أولى مبادىء الحياة والعلوم في كنفهما وفي ظلال اخوته ممن يكبرونه سنّاً وبسبب ذكائه وفطنته التي ميزته عن اخوانه فقد طوىٰ مرحلة المقدمات وأساسيات العلوم الدينية وهو لم يبلغ الحلم بعد.

وكان عمه وخاله نور الدين محمد المشهور بـ«الحكيم» والآخوند نور (المتوفى سنة ١٠٤٧ هـ) قد اشرف على تعليمه.

وفي العشرين من عمره هاجر مع أخيه الأكبر عبد الغفور الى عاصمة الدولة الصفوية اصفهان حيث ازدهرت الحوزة العلمية وحيث كبار العلماء في مركز البلاد، وكانت اصفهان أكبر مركز ثقافي وعلمي آنذاك وفيها تتوفر أفضل الفرص في تلقي العلوم والمعارف في شتىٰ الحقول[٢].

وكان محمد تقي المجلسي (المتوفىٰ سنة ١٠٧٠ هـ) أحد أكبر أساتذة الفيض يومذاك وقد منح تلميذه الفيض اجازة في الرواية ثم الشيخ البهائي (المتوفىٰ سنة ١٠٣١ هـ) وقد درس على يديه علوم الفقه والحديث والتفسير، وكما تتلمذ الفيض لدى «مير داماد» (المتوفىٰ سنة ١٠٤٠ هـ) و «مير فندرسكى» (المتوفىٰ ١٠٥٠ هـ) و «ملّا صدرا» (المتوفىٰ سنة ١٠٥٠ هـ) حيث درس عندهم الفلسفة والعرفان والكلام ولدىٰ سماعه نبأ وصول السيد ماجد البحراني (المتوفىٰ سنة ١٠٢٨ هـ) الى شيراز غادر اصفهان متوجهاً الى هناك وتتلمذ لديه مدّة عامين مستكملاً ما درسه من علم الحديث والرواية وقد أجاز الاستاذ تلميذه الفيض في نقل الرواية ليعود

---

(١) لم نتوفر على معلومات عنهما ولم يرد له اسم في المصادر ذات الصلة.

(٢) رسالة شرح الصدر ضمن عشرة ملاحق للفيض الكاشاني، ٥٨ ط مركز التحقيقات العلمية والدينية.

الى اصفهان ولينتظم مرّة أخرىٰ في حلقة الشيخ البهائي.

وفي تلك السنوات كان الفيض قد استغنىٰ عن التقليد كما وقد أصبح مستطيعاً للحج فعزم على زيارة بيت الله الحرام وهناك في ربوع الوحي التقىٰ الشيخ محمد بن حسن نجل زين الدين العاملي (المتوفىٰ سنة ١٠٣٠ هـ) وقد تتلمذ لديه مدّة ليحصل على اجازته في الرواية ونقل الحديث[١].

وبعد عودته من مكة المكرمة بدأ أسفاره متنقلاً بين المدن الايرانية ومنتهلاً من فيض علوم اساتذتها في وقت كان ملّا صدرا ما يزال في عزلته في قرية كهك من ضواحي مدينة قم وفي تلك الفترة وفيما كان ملّا صدرا يطوي مراحل الرياضة الروحية وعلوم الباطن قصده الملّا محسن والملّا عبد الرزاق اللاهيجي ليبدوا وحدته مدّة ثمانية أعوام كانا خلاله مؤنسين له وهما يتلقيان عنده المعارف والعلوم في ليالي مليئة بالأحاديث والحوار وفي تلك الفترة التي تمتد بين (١٠٢٩ - ١٠٤٠ هـ) اقترن تلميذاه بابنتيه بعد منحهما لقبي «الفيض» و «الفياض» وفي تلك الفترة أيضاً تلقىٰ ملّا صدرا دعوة من حاكم شيراز للعودة الى مدينته ومسقط رأسه وقد لبّىٰ الفيلسوف الدعوة ليعود الى شيراز ومعه تلميذه وصهره الفيض ويمكث فيها عامين وما لبث الفيض أن غادرها متوجهاً الى مدينة كاشان حين انصرف فيها الى التدريس والتبليغ وربما أقام مع بعض أصحابه صلاة الجمعة في «قمصر» و «كاشان»[٢].

تلامذة الفيض

كان للفيض تلامذة كثيرون حصل بعضهم على اجازة منه في الرواية ونقل

---

(١) المصدر السابق ٥٩ - ٦٠.

(٢) المصدر نفسه ٦١ - ٦٢؛ ديوان الفيض (ثلاث مجلدات) مقدمة المجلد الأول.

الحديث وفي طليعة تلامذته المشهورين:

١ - محمد المشهور بـ«علم الهدىٰ» (١٠٢٩ - ١١١٥ هـ) وهو نجل الفيض وقد نشأ وترعرع ودرس وتقدم في دراسته في ظلال والده ليصبح عالماً معروفاً ومؤلفاً كتب عدداً من الرسائل والكتب[١].

٢ - أحمد المشهور بـ«معين الدين» (١٠٥٦ - ١١٠٧ هـ) وهو نجله الآخر كان عالماً في الحديث وله مؤلفات.

٣ - محمد المؤمن ابن عبد الغفور (شقيق الفيض) وكان فقهاء زمانه استغل في التدريس في مدن الشمال الايراني وبالتحديد اقليم مازندران.

٤ - شاه مرتضىٰ الثاني: وهو ابن أخ الفيض، وكان مع والديه من الفضلاء ولهم مؤلفات وآثار[٢].

٥ - ضياء الدين محمد وهو نجل الحكيم نور الدين خال الفيض (المتوفىٰ سنة ١٠٤٧ هـ). كان عالماً وشاعراً[٣].

٦ - الملّا شاه فضل الله والملّا علامي وهما ابنا أخت الفيض وللأول مؤلفات تناهز الأربعين في الفقه والتفسير والكلام.

٧ - الملّا محمد باقر المجلسي (١٠٣٧ - ١١١١ هـ) مؤلف موسوعة البحار.

٨ - السيد نعمة الله الجزائري (المتوفىٰ سنة ١١١٢ هـ).

٩ - القاضي سعيد القمي (المتوفىٰ سنة ١١٠٣ هـ).

١٠ - الملّا محمد صادق الخفري - شمس الدين محمد القمي - الشيخ محمد محسن عرفان الشيرازي[٤].

---

(١) معادن الحكمة ١ / ٩ و ١٦.

(٢) المصدر نفسه / ٢٦ - ٣٠.

(٣) ديوان الفيض ١ / ٩٥ و ١٥٨.

(٤) الوافي ١ / ٢٣ ط اصفهان.

مؤلفاته ومصنفاته

أوقف الفيض الكاشاني عمره الحافل بالعطاء على التدريس والتعليم والتأليف وقد بدأ انتاجه المعرفي والتأليف منذ الثامنة عشرة من عمره وعلى مدىٰ خمسة وستين سنة ألف ما يناهز المئتي كتاب في مختلف الحقول العلمية، وكان له دور كبير في انتشار المذهب الامامي وترسيخ العقائد الاسلامية الحقة. ان ما أشار اليه من كتاباته يناهز الثمانين وما ذكره نجله علم الهدىٰ يبلغ المئة والثلاثين مؤلفاً غير ان الأديب والشاعر المعاصر مصطفىٰ الفيضي أوصل العدد الى مئة وأربعين كتاب[1] ولقد طبع العديد من كتبه وآثار طبعات أنيقة وفيما يلي بعض العناوين:

أ - في تفسير القرآن الكريم

١ - التفسير الصافي: وهو من الكتب المعتبرة في تفسير القرآن الكريم قام به الفيض في سنة (١٠٧٥ هـ) بعد اطلاعه على العديد من التفاسير الشيعية والسنية وقد ضمن تفسير العديد من الروايات الامامية المعتبرة.

٢ - التفسير الأصفىٰ: وهو تلخيص للصافي فرغ الفيض منه سنة ١٠٧٧ هـ

٣ - التفسير المصفىٰ: وهو مختارات من التفسير الأصفى.

ب - الحديث والرواية

١ - الوافي: قام المحدث الكاشاني في كتابه الوافي بتنقيح الكتب الأربعة المشهورة في الحديث وهي: (الكافي، التهذيب، الاستبصار، من لا يحضره الفقيه) وقد قام بذلك سنة (١٠٦٨ هـ) اذ قام بحذف التكرار وجمع هذه الكتب في عدة

---

(١) ديوان الفيض ١ / ٧٥؛ مقدمة الوافي ج ١؛ مقدمة الرسائل العشر للفيض.

أجزاء ليقوم ابنه علم الهدى باضافة جزء يتضمن تعريفاً للرجال وكشف الرموز.

٢ - الشافي: وهو منتخب من أحاديث «الوافي» فرغ من اعداده سنة ١٠٨٢هـ

٣ - المحجة البيضاء: في عام (١٠٤٦ هـ) قام الفيض الكاشاني بتنقيح كتاب علوم الأحياء للغزالي كما أضاف اليه الأحاديث والروايات المعتبرة عن طريق الامامية ثم قام في سنة (١٠٩٠ هـ) بتلخيص كتابه وأسماه: «الحقائق».

٤ - النوادر: ويتضمن مجموعة من الأحاديث التي لم ترد في كتب الحديث المعتبرة.

٥ - مفاتيح الشرائع: وهو من الكتب الروائية الفقهية والاستدلالية، ألفه الفيض في سنة (١٠٤٢ هـ) ويشتمل الكتاب على جميع أبواب الفقه وقد اقتصر الكتاب على الكتاب والسنّة الشريفة فقط بعيداً عن اعمال الدليل العقلي والاجتهاد الذاتي ليفتح أفقاً جديداً أمام الباحثين في علم الفقه. وقد حظي الكتاب منذ تأليفه وصدوره باهتمام المجتهدين والمحدثين حتى اليوم وقد شرح أربعة عشر شرحاً والعديد من الحواشي ومنها شرح الوحيد البهبهاني الزعيم الأصولي والمجتهد الكبير في القرن الثاني عشر الهجري[١].

ج - الكلام والعرفان

وللفيض الكاشاني العارف والحكيم والمتكلم كتاب «اصول المعارف» في عدة أجزاء ألفه سنة (١٠٤٦ هـ) وكتاب «اصول العقائد» ويعود تاريخ تأليفه الى سنة (١٠٣٦ هـ) ورسالة «علم اليقين» «الحق اليقين»، «عين اليقين» «الحق المبين» و «الجبر والاختيار» وكتب أخرىٰ.

---

(١) مقالات ودراسات، كتاب رقم ٤٥ و ٤٦ كلية الالهيات والمعارف الاسلامية طهران، ٥٨.

د - الأخلاق والأدب

وفي موضوعه الأخلاق والأدب للفيض كتب ورسائل عديدة باللغتين الفارسية والعربية منها «ضياء القلب»، ألفه سنة (١٠٥٧ ه) «أُلفت نامه» و «زاد السالك» ويعود تاريخ تأليفهما الى السنوات بين (١٠٣٠ ه) - (١٠٤٠ ه) و «شرح الصدر» وتاريخ تأليفه في سنة (١٠٦٥ ه) و «راه صواب» (طريق الصواب) و «گلزار قدس» (روضة القدس)، «آب زلال» (الماء الزلال)، «دهر آشوب» (زمن الحوادث)، «شوق الجهل»، «شوق المهدي»، «شوق العشق» وديوان يضم مجموعة من قصائده الغزلية ومثنوايته.

الفيض المعنوي

تكشف آثار الفيض والدراسات التي ألفت عنه عقلية موسوعية اشتملت على الابداع في كثير من العلوم والفنون ولقد كان فيضاً على غيره كما لقبه استاذه[1].

لقد امتاز بمنهج رفيع ورؤىً بعيدة وانتهج طريق استاذه من كتب المجد الأخلاقي بعيداً عن الشهرة والجاه وكانت حياته المعنوية والروحية والعلمية ثرية جداً ما جعله بعيداً عن صخب الحياة وبريق الشهوات مرجحاً ذلك على كل مغريات الحياة المادية[2].

لقد ابتعد الفيض عن المحافل الرسمية والمجالس الحكومية وسلك طريق التكامل الانساني وقام - من أجل تكامله العلمي - بأسفار عديدة وكان الفيض في طرح آرائه ونظرياته صريحاً جداً بعيداً كل البعد عن الرياء والتظاهر والتملق وأعرب بشكل واضح عن استيائه عن التسيب والمظاهر الصوفية، القداسات

---

(١) مقدمة الرسائل العشر للفيض.

(٢) رسالة شرح الصدر ورسالة المشواق.

المتحجرة ووعاظ السلاطين، وكان الفيض شجاعاً لا تأخذه في الله لومة لائم فكان يطرح آرائه في اعلاء كلمة الحق والعقيدة الحق وكان يتطلع الى أن يتوحد المسلمون تحت راية واحدة هي راية الحق وكان يعتبر نفسه تلميذا وفياً في مدرسة القرآن والحديث الشريف وأهل البيت عاشقاً للحق والحقيقة يقول في أحد أشعاره:

من هر چه خواندأم از يـاد مـن رفت الا حديث دوست كه تكرار مى‌كنم[١].

ومعناه:

لقد نسيت كل ما قرأت الّا حديث الحبيب الذي أردده دوماً

ولقد أثبت مقدرة في نظم الأشعار بالفارسية والعربية ويعد نفسه ذات الطريق الذي سار عليه البهائي وملّا صدرا في نظم الشعر من رباعيات وغزل ومثنويات[٢].

وتتسم أشعاره بجزالة اللفظ وجمال التعبير[٣] وهو في شعره قوي التعبير كما هو في النثر[٤].

آراؤه وأفكاره

ان كثيراً من آرائه الفقهية والفلسفية والكلامية يمكن ملاحظته بين ما سطره من كتابات وما قاله من كلمات وهي تعبر عن شخصيته الحقيقية وترسم منحنيات التطور في أفكاره وما كان يدور في عصره من اتجاهات ثقافية وعلمية فهناك

---

(١) الرسالة الانصافية ورسالة المشواق ط سنة ١٩٦٨ م، ٩ وما بعدها تنقيح مصطفىٰ الفيض.

(٢) ديوان الفيض ط جديدة تحقيق مصطفىٰ الفيض.

(٣) انظر ديوان الأشعار ط سنائي، ٢٦٢.

(٤) انظر ديباجة گلزار قدس النسخة المخطوطة وكذا ديوان الفيض ١ / ١٩٣.

وفي كل أبواب الفقه وكما هو واضح في كتابه الفقهي «مفاتيح الشرائع» آراء خاصّة[١] فهناك على سبيل المثال فتاواه المشهورة في موضوع الغناء حيث استند الى جواز الغناء في الأعراس ومجالسها وذلك في رسالته المشواق عندما يكون الغناء والقاء الأشعار الدينية والأخلاقية بأداء حسن من أجل تعزيز الروح الايمانية لدىٰ المسلم ان الفيض يرىٰ جواز ذلك ولكنه يشدّد في نفس الوقت على اجتناب الباطل في الغناء واللهو واللعب، كما أشار الى ظاهرة الغناء في العصر الأموي والعصر العباسي وكيف كانت المغنيات والمطربات يغنين في مجالس الخلفاء وهو مجالس طرب ولهو ولعب وكان ذلك لا ينسجم مع آراء وثقافة أهل البيت عليهم السلام، ان مثل هذا الغناء لا يحظىٰ بالرضا من قبل الأئمة[٢].

الفيض في آراء الآخرين

وكان لكثير من العلماء آراؤهم في الفيض الكاشاني فقد عده محمد اردبيلي (المتوفىٰ في القرن الحادي عشر الهجري) علامة جليل القدر عظيم الشأن فاضلاً كاملاً وأديباً متبحراً في كل العلوم[٣].

وهو في رأي الحر العاملي المتوفىٰ سنة ١١٠٤ هـ) فاضل، عالم، ماهر، حكيم، متكلم، محدث، فقيه، محقق، شاعر، وأديب وهو في طليعة المؤلفين البارعين في عصره وله كتب كثيرة[٤].

وذكر السيد نعمة الله الجزائري (المتوفى سنة ١١١٢ هـ) بأن للفيض ما يناهز

---

(١) مقالات ودراسات كلية الالهيات طهران مقالات الدكتور علي رضا الفيض.
(٢) مقدمة ديوان الأشعار ١ / ٦٥ نقلاً عن الوافي.
(٣) جامع الرواة ٢ / ٤٢.
(٤) أمل الآمل ٤ / ٣٠٥.

المئتي كتاب ومؤلف وفي طليعتها «الوافي»[١].

ويقول السيد محمد باقر الخوانساري (المتوفىٰ سنة ١١١٣ ه) عنه ان فضله لا يخفىٰ على أحد كما امتدح اسلوبه الرفيع في التأليف ليكون بذلك في طليعة العلماء[٢].

وقال المحدّث القمي (المتوفىٰ سنة ١٣١٩ ه) بموسوعيته واستخدامه لعبارات والفاظ غاية في الحسن والجمال اضافة الى احاطته بالعلوم العقلية والنقلية[٣].

ووصفه المحدث النوري (المتوفىٰ سنة ١٣٢٠ ه) بالمتبحر والعارف الحكيم[٤].

ونعته العلّامة الأميني (المتوفىٰ سنة ١٣٤٩ ه) بحامل لواء الفقاهة وراية الحديث القدوة في الأخلاق وأسوة العلماء الذي لا يجود بمثله الزمان[٥].

ووصفه الاستاذ الشهيد مرتضىٰ مطهري (المستشهد سنة ١٣٩٩ ه) بالعالم المحدث والفقيه والحكيم والفيلسوف الكبير[٦].

فيما وصفه الطباطبائي العلّامة والمفسر الكبير (المتوفىٰ سنة ١٤٠١ ه) بالرجل الذي جمع العلوم وهو في جمعه للعلوم لا يخلط بينها اذا ولج في حقل علمي حيث يبحث كل شيء في حقله دون أن يخلطه مع حقل آخر فهو في تفسير الصافي والأصفىٰ والمصطفىٰ لم يطرح مسائل فلسفية أو عرفانية شهودية وهو في الحديث يكون اخباراً صرفاً كما لو انه لم يطالع الفلسفة قط بينما وهو في طليعة

---

(١) زهر الربيع، ١٦٤.

(٢) روضات الجنات ٦ / ٧٩.

(٣) الكنىٰ والألقاب ٣ / ٣٩.

(٤) خاتمة مستدرك الوسائل، ٤٢.

(٥) الغدير ١١ / ٣٦٢.

(٦) مجموعة الآثار ٤ / ٦٦١.

تلامذة الفيلسوف صدر الدين الشيرازي (ملّا صدرا)[١].

وقال فيه الاستاذ محمد مشكاة ان أسرته هي اسرة العلماء والفضلاء لا تضاهيها في ذلك اسرة أخرىٰ وان كتابه الوافي يعد في طليعة كتب الحديث ما يجعله من مصادر الدرجة الأولى في الحديث الامامي وهو الى جانب ذلك من أكثر المؤلفين في الفلسفة انتاجاً الى جانب مؤلفاته في الأخلاق والفقه[٢].

أولاده ووفاته

كان له من زوجه وابنة استاذه وابنة خالته العالمة الفاضلة (المتوفاة سنة ١٠٩٧ هـ) ستة أولاد أناث وذكور:

١ - عليّة بانو (١٠٣١ - ١٠٧٩ هـ) عالمة فاضلة وشاعرة أديبة.

٢ - العلّامة علم الهدىٰ (١٠٣٩ - ١١١٥ هـ) ولد في قم ونشأ فيها وتوفي في كاشان ودفن فيها كان عالماً فقيهاً ومحدثاً ومتكلماً وكان من زينة علماء وأدباء وفقهاء في كاشان وقم وطهران وكرمنشاه وشيراز.

٣ - سكينة بانو وكنيتها أم البر ولدت سنة ١٠٤٢ هـ

٤ - أبو حامد محمد الملقب بنور الهدىٰ ولد سنة (١٠٤٧ هـ) كان عالماً وشاعراً توفي في كاشان ودفن فيها.

٥ - أم سلمة ولدت سنة (١٠٥٣ هـ) كانت زاهدة حافظة للقرآن.

٦ - ابو علي معين الدين أحمد (١٠٥٦ - ١١٠٧ هـ) فقيه ومحدث توفي في كاشان ودفن فيها[٣].

---

(١) (مهر تابان) الشمس الساطعة محمد حسين الحسيني الطهراني، ٢٦.

(٢) مقدمة الوافي ١ / ٣١.

(٣) المصدر السابق، ١٨ و ٢٩.

توفي الملّا محسن الفيض الكاشاني عن عمر ناهز الرابعة والثمانين في مدينة كاشان ودفن في أرض كان قد اشتراها وأورثها وقد أوصىٰ بعدم بناء سقف وأصبح قبره مزاراً للمؤمنين يزورونه في صباح الجمعات لقراءة فاتحة الكتاب ويدعون الله تبركاً بهذه البقعة الطاهرة[١].

(١) هناك اقتباسات من رسائل الفيض «شرح الصدر» «الاعتذارية» «الانصاف» وما كتبه الآخرون وبخاصة «ديوان الفيض» «مصطفى الفيض».

الشيخ محمد الحرّ العاملي /المتوفىٰ سنة ١١٠٤ هـ

رواية الحرّية

ولد الشيخ محمد بن حسن الحر العاملي في قرية «مشغرة» التابعة لـ«جبع» جنوب لبنان عام (١٠٣٣ هـ) قال صاحب أعيان الشيعة عن جبع: من المراكز المهمة في جبل عامل وقد أنجبت للمجتمع الاسلامي شخصيات عديدة من قبيل الشيخ البهائي والشهيد الثاني[١].

لقد فتح الحر العاملي عينيه في أرض التشيع حيث بذرت أولىٰ بذوره منذ نفي الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري وقد ذكر الحر العاملي ذلك في كتابه أمل الآمل: قام عثمان بنفي أبي ذر الى الشام وقد مكث فيها الصحابي فترة من الزمن وبسبب تأثيره الاجتماعي فقد اعتنق التشيع مجموعة من أهل الشام[٢] فقام معاوية بابعاده الى منطقة جبل عامل في لبنان فتشيع أهلها على يديه[٣].

نسبه

ينتمي الشيخ الحر العاملي الى شهيد كربلاء وقد بدأت بهذه الفتنة وهي أخبار خدام البيت الحرام عن قيام البعض بتلطيخ جدران الكعبة بالنجاسة وانتشر النبأ

---

(١) أعيان الشيعة ١ / ١٩٩.

(٢) المصدر السابق ١ / ١٣.

(٣) مجالس المؤمنين ١ / ١٧٧.

في مكة بأن الشيعة انتهكوا حرمة البيت الحرام وكان التعصب المذهبي والأحقاد التي يضمرها السنّة نحو الشيعة هي وراء ذلك فتعاهد الأتراك والعرب على أن يقتلوا الشيعة في أي مكان وقد قتلوا في الحرم خمسة من الشيعة بينهم العالم الميرزا سيد محمد المؤمن الاسترابادي ولما علم الحرّ العاملي بذلك واستشهاد الاسترابادي لجأ مع بعض من كانوا معه الى منزل «السيد موسىٰ بن سليمان» وهو من أشراف مكّة الذي رتب له بمعونة رجاله الخروج سرّاً الى اليمن ونجا كثير من الشيعة من تلك المذبحة[١].

الغروب

بعد عمر ناهز الحادية والسبعين وفي الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة (١١٠٤ هـ) لبىٰ الشيخ الحرّ العاملي دعوة الحق وعرجت روحه الطاهرة من تحت ظلال القبة.

الحرّ بن يزيد الرياحي ذلك الشهيد العظيم الذي هزّ موقفه الشجاع ضمير الأحرار في عاشوراء سنة (٦١ هـ) وقد عرضت اسرته (الحر العاملي) «آل الحر» بالسخاء والجود والأخلاق الكريمة والشهامة والشجاعة كما عرفت هذه الأسرة الكريمة بالعلم والمعرفة[٢].

كما أشار بها العلّامة الأميني فمنها ظهر رجالات حملوا مشاعل الهداية والعلم والتقوىٰ[٣] وكان القدر شاء أن يولد هذا الرجل في هذه البقعة من أرض الله ومن هذه الأسرة الكريمة.

---

(١) أمل الآمل – المقدمة، ٥٠.
(٢) أمل الآمل ١ / ٩ نقلاً عن أعيان الشيعة.
(٣) شهداء الفضيلة / ٣٢٩.

في رحاب المعرفة

لا ينكر أحد عامل الوراثة في تبلور شخصية الطفل كما ان الأسرة هي الصف الأول في مدرسة الحياة ولقد رضع الحرّ العلم والتقوىٰ والشهامة والشجاعة من والدته العالمة الزاهدة والأديبة والفاضلة كما وصفها السيد شهاب الدين المرعشي رحمه الله في كتابه سجع البلابل.

وقد ذكر الشيخ الحر العاملي جدّه لأمه ووصفه بالعالم العظيم الشأن والزاهد العابد والتقي الفقيه الذي لا يضاهيه أحد في زهده وعبادته[١]. ولهذا فقد ورث الصبي عن أمه صفاتها الكريمة فقد غذته باللبن الطاهر الممزوج بزهدها وتقواها، كما وورث عن أبيه الشهامة والشجاعة وتمجيد الشهادة في سبيل الله وقد ورثها الآباء عن الأجداد عن فخر الأسرة وفخر الأبطال ورمز البطولة الحرّ بن يزيد الرياحي.

وقد أثار الحرّ العاملي الى جدّه العالم الفاضل والأديب الشاعر العظيم الشأن كان تلميذ الشيخ حسن (مؤلف كتاب المعالم) والسيد محمد (مؤلف كتاب المدارك) وآخرين غيرهما استشهد مسموماً كما تؤكد ذلك الكتب التي تحدثت عن تلك الفترة وفي طليعة تلك الكتب: «رياض العلماء»، «روضات الجنات»، «نجوم السماء» وكتب أخرىٰ غيرها وكلها أشارت الى دس السم اليه[٢] وللشهيد أربعة أولاد:

١ - الشيخ حسين وكان من الفضلاء والشعراء.

٢ - الشيخ محمد وكان فاضلاً وعالماً محققاً وحافظاً للقرآن وكان أديباً شاعراً كما أشار الى ذلك الحرّ العاملي نفسه.

---

(١) أمل الآمل ١ / ١٠٧.

(٢) شهداء الفضيلة، ٣٣٠.

٣ - الشيخ حسن (جدّ الشيخ الحر العاملي) وقد أشار الى خصاله الحرّ العاملي ووصفه بالعالم الفاضل والأديب الفقيه وكان حافظاً للقرآن وكان الناس يراجعونه في مسائلهم وبخاصة قضايا الارث[1].

دراسته

أشار آية الله المرعشي النجفي الى عدد من العلماء الذين تتلمذ لديهم الحرّ العاملي في مختلف الحقول العلمية وذلك في كتاب «اثبات الهداة» وهذه أسماء طائفة منهم:

١ - العلّامة الشيخ حسن الحرّ العاملي (والده الجليل) وقد درس لديه الرواية.

٢ - العلّامة الشيخ محمد الحرّ (عمه) أخذ عنه الرواية.

٣ - العلّامة الشيخ عبد السلام (جدّه لأمه).

٤ - العلّامة الشيخ علي نجل محمود المشغري العاملي.

٥ - العلّامة الشيخ زين الدين نجل محمد بن حسن نجل الشهيد الثاني.

٦ - العلّامة الشيخ حسين نجل حسن بن ظهير الدين العاملي الظهيري.

٧ - العلّامة السيد حسن الحسيني العاملي.

٨ - العلّامة الشيخ عبد الله الغوشي الحرّ.

٩ - العلّامة المجلسي وهو من أشهر أساتذة الحرّ العاملي حيث نقل عنه الرواية.

١٠ - الفيض الكاشاني قدوة السالكين زين الفقهاء والمحدّثين كما

---

(١) أمل الآمل ٥ / ٦٥.

نعته تلميذه.

١١ - العلّامة المولىٰ محمد طاهر نجل محمد حسن الشيرازي النجفي مولف الكتاب الشهير «حجة الاسلام في شرح تهذيب الأحكام» وكتاب «حكمة العارفين» وكتاب «الفرائد الدينية في حكماء الصوفية»؛ وغيرها من الكتب وقد أشار الحرّ الى تتلمذه لدىٰ الشيرازي في كتابه أمل الآمل.

١٢ - العلّامة الشيخ علي مؤلف كتاب «الدر المنثور» وهو من أحفاد الشهيد الثاني.

١٣ - العلّامة السيد علي نجل موسىٰ العاملي.

١٤ - العلّامة المحقق حسين الخوانساري شارح كتاب الدروس.

١٥ - العلّامة السيد هاشم البحراني صاحب تفسير البرهان.

١٦ - العلّامة المولىٰ محمد الكاشاني المقيم في مدينة قم.

أولىٰ اجازاته وكتاباته

أشار الحرّ العاملي الى ان أول اجازة حصل عليها يعود تاريخها الى سنة (١٠٥١ هـ)[١] وهذا التاريخ يعني انه كان في الثامنة عشرة من عمره عندما حصل على اجازة في الرواية من رجل كبير مثل أبي عبد الله الحسين بن حسن بن يونس ظهير الدين العاملي.

ومعروف ان اجازة الرواية ونقل الحديث تدلّ على فضيلة كبرىٰ وتقوىٰ من حصل عليها في عصر لم تتوفر فيه وسائل الاتصال وفي تلك الفترة كان الحرّ العاملي يخطو أولىٰ خطوات التأليف والتصنيف.

---

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي ٢ / ٤٩ الفائدة الخامسة.

مؤلفاته وآثاره

□ الجواهر السنّية

وهي أولى تجاربه في الكتابة والتأليف حيث قام بجمع وتسجيل الأحاديث القدسية حيث استغرق منه سنوات ليظهر كتاب مستقل فيها والأحاديث القدسية كما هو معروف هي كلام الله عز وجل من غير الوحي المنزل على سيدنا محمدﷺ. وقد قام الحرّ العاملي بتبويب الأحاديث بحسب تسلسلها التاريخي والموضوعي بدءاً بسيدنا آدمعليه السلام والى سيدنا محمد خاتم المرسلينﷺ ثم الأحاديث في الأئمة الأطهارعليهم السلام ثم يليها الأحاديث في الأخلاق (بتاريخ ١٠٥٦ هـ)[١] وقد قام الحرّ العاملي بهذه الخطوة لأنه وكما أشار لم يجد كتاباً مستقراً يعنىٰ بها فقام بجمعها ونشرها في كتاب مستقل له.

□ الصحيفة الثانية

وتضم مجموعة الأدعية المنسوبة لسيد علي بن الحسين السجاد التي لم ترد في الصحيفة السجادية المعروفة وقد قام الحرّ العاملي بجمعها من كتب عديدة في كتاب بعد شتات لتكون بذلك الصحيفة السجادية الثانية بعد الصحيفة الأولى. وما أحرىٰ بالمؤمن أن يقتني منها ليدعو بها الداعي حسب ما أشار[٢].

وقد علق الجزائري المحدث في شرحه ملحقات الصحيفة على هذا الجهد بقوله: يتوجب أن ندعو ما جمعه من أحاديث قدسية بـ«شقيق القرآن» وعلىٰ ما جمعه من أدعية في صحيفة ثانية نعتها بـ«شقيقة القرآن»[٣].

والشيخ الحرّ العاملي يفتتح تأليفاته بكلام الله عز وجل ودعاء السجادعليه السلام

---

(١) انظر كتاب الذريعة ١ / ٢٧١.

(٢) الصحيفة الثانية السجادية، ٥.

(٣) الذريعة ١ / ٢٧١.

ليقدم الى المجتمع الامامي انتاجه المعرفي الواسع وما يلفت النظر هو تقسيماته وتبويبه التي عادة ما تأتي على عدد الأئمة أو عدد المعصومين فهي إما اثني عشر أو أربعة عشر ما يشير الى حبّه لهذين الرقمين بدلالاتهما المعروفة.

□ الايقاظ من الهجعة برهان على الرجعة

وقد نقل صاحب الذريعة كتاب أمل الآمل ان كتاب «الايقاظ من الهجعة» يشتمل على ستمئة حديث وأربع وستين آية وأدلّة الأقدمين وأجوبة عن الشبهات في هذا الموضوع (الرجعة) وقد فرغ الحرّ العاملي من تأليف الكتاب (١٠٧٥ هـ)[١].

□ خلق الكافر

وقد قام المؤلف باستطراق الى كل ما يرد في الذهن في مسألة خلق الكافر.. كما وتطرق في كتابه الى قضية النهي عن البحث في مسائل القضاء والقدر والأمر بالتكلم في مسألة البداء[٢].

□ الفوائد الطوسية

وتطرق فيه الحرّ العاملي الى بعض الأحاديث المعقدة التي تتطلب تحقيقاً وبحثاً وكان الحر العاملي قد ألفه مدّة اقامته في مدينة طوس وهو في أصله أجوبة عن أسئلة بعض أهل العلم والكمال حسب تعبيره[٣].

---

(١) المصدر السابق ٢ / ٥٠٦.

(٢) المصدر نفسه ٧ / ٢٤٦.

(٣) الفوائد الطوسية.

□ بداية الهداية

وجاء تأليف الكتاب بناءً على رغبة بعض اخوانه المؤمنين في جمع الأحاديث ذات الصلة بالواجبات والمحرمات، وفي بعض الموارد الجزئية ما يتعلق بالمستحبات والمكروهات والمباحثات وقد استقىٰ ذلك كله من أحاديث الأئمة الأطهار عليهم السلام[١].

□ أمل الآمل

وكان الباحث من وراء الكتاب قد أشار اليه المؤلف في الجزء الثاني (ص ٣٧٠) وهي رؤيا كان قد رآها لدىٰ وصوله مشهد سنة (١٠٧٣ هـ) وبسبب مشاغله العديدة فقد أخر تأليف الكتاب ثلاثة وعشرين سنة اذ بدأ في التأليف سنة (١٠٩٦ هـ) وفرغ منه سنة (١٠٩٧ هـ) وهو يشتمل على ترجمة لحياة «٢٠٩» من علماء جبل عامل و «١١١٠» من عموم العلماء[٢].

□ اثبات الهداة

وهذا الكتاب هو في اثبات النبوّة والامامة وبيان معجزات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وكرامات الأئمة الأطهار عليهم السلام ويعد من أمتع الكتب وأحلاها يقع في سبعة مجلدات ترجم بعضها الى الفارسية وقد أشار الحر العاملي الى أن جمع في هذا الكتاب كل ما يهم الباحثين والعلماء وطلاب الحقيقة وهذا ما يوفر لهم الوقت الكثير.

---

(١) الفوائد الطوسية.

(٢) رياض العلماء ٥ / ٧٥.

□ هداية الأمة

وهو يشتمل كما ذكر مؤلفه على الأحكام الضرورية التي ينبغي للمسلم أن يطلع عليها وقد جاء استجابة لطلب جمع من الأخوة المؤمنين حسب تعبير المؤلف[١].

وللشيخ الحرّ العاملي كتب وآثار أخرىٰ منها:

- تعليقة على كتاب «المزار» للعلامة النسّابة المرحوم السيد شرف الدين علي الحسيني المرعشي الحائري.

- كتاب الفصول المهمة في أصول الأئمة ويشتمل على القواعد الكلية للأئمة في أصول الدين وفروعه والطب وأصول الفقه وغير ذلك.

- كتاب في الردّ على الصوفية، ويشتمل على ألف حديث عام وخاص في الردّ على الصوفية.

- كتاب الاجازات، ويشتمل على كم كبير من اجازات الأقدمين.

- كتاب «كشف التعمية في حكم التسمية» ويدور حول مسألة تسمية الامام المهدي عليه السلام باسمه الأصلي تسمي للنبي صلى الله عليه وآله.

- كتاب في اثبات ان صلاة الجمعة واجب عيني (وهو رد على رأي العلّامة محمد ابراهيم النيسابوري).

- كتاب نزهة الاسماع في الاجماع، وهو في أقسام الاجماع.

- كتاب في اثبات «تواتر القرآن».

- كتاب في الرجال.

- كتاب في أحوال أصحاب النبي وآله الأطهار.

---

(١) هداية الأمة، ٤.

-كتاب في تنزيه الأئمة المعصومين عن السهو والنسيان.

– وصيته الى نجله العلّامة الشيخ محمد رضا (بطريقة كشف المحجة للعلامة السيد ابن طاووس).

-كتاب في الزيارات والمزارات.

-كتاب في الأخلاق، شرح لكتاب «تطهير الأعراق» لمسكويه وأضاف الى ما ورد فيه من روايات.

-كتاب في ابطال مسألة عمومية «حديث المنزلة».

– ديوان الامام زين العابدين، وهو جمع لأشعار منسوبة للامام زين العابدين عليه السلام، جمعها ورتبها حسب الحروف (طبع في مدينة بومبي).

– حاشية على كتاب «الكافي» للمرحوم الكليني.

– حاشية على كتاب «من لا يحضره الفقيه» للشيخ الصدوق.

– حاشية على كتاب «الاستبصار» للشيخ الطوسي.

– حاشية على كتاب «التهذيب» للشيخ الطوسي.

– رسالة في مناظراته مع بعض علماء السنّة.

□ وسائل الشيعة

وهو الكتاب الذي اشتهر به الشيخ الحر العاملي وبه عرف ويعد في طليعة المراجع الحديثة وله منزلة كبيرة لدىٰ محدثي الامامية وقد اعتمد الشيخ الحرّ العاملي منهجاً خاصاً ميز عن سائر الكتب الحديثة الأخرىٰ، فقد فرز الأحاديث ذات الطابع الفقهي التي يعتمدون الفقهاء في استنباط الأحكام الشرعية فكانت عشرين ألف حديث وقد استخرجها الشيخ الحرّ العاملي من مصادر أساسية من قبيل «أصول الكافي»، «من لا يحضره الفقيه»، «الاستبصار»، «التهذيب» وكتب

أخرى ناهزت السبعين كتاباً ومصدراً وقد افتتح المؤلف كتاب «وسائل الشيعة» بأحاديث العبادات ثم الطهارات باعتبار التقسيم المعمول به في كتب الفقه الذي يبدأ من بحث الطهارة وحتى بحث الديات وتقسيمها، وكان الشيخ الحرّ العاملي قد أنجز ثلثي كتابه، هذا في مسقط رأسه «مشغر» وفرغ منه في سنة (١٠٨٨ ﻫ) في مدينة مشهد ويعد هذا العام الأكثر عطاءً في مسيرة الشيخ العلمية حيث تمكن فيه من تدوين «وسائل الشيعة» أيضاً وكان الشيخ قد قام بتطبيقه ثلاث مرات وهذا ما يدعو كل محقق أن يقوم به وما يدلّ على منزلة هذا الكتاب في المكتبة الامامية هو أنه أصبح في طليعة الكتب والمصادر المعتمدة لدىٰ المجتهدين للوصول الى مرحلة الاجتهاد، وقد كتبت على الكتاب عشرات التعليقات وكان أول من بدأها الشيخ الحرّ العاملي نفسه اذا انبرىٰ الى رفع نقاط الابهام في الكتاب فألف كتابه «تحرير وسائل الشيعة وتحجر مسائل الشريعة» فكان تعليقه على شرح وسائل الشيعة.

قال العلّامة الأميني صاحب الغدير عنه:

هذا صراط الهدىٰ ما ضل سالكه الى المقام بل تسمو به الرتب[1].

شاعر أهل البيت

ينبغي أن يعدّ الشيخ الحر العاملي في طليعة الشعراء غير أن شخصيته العلمية غطت على معروفيته كشاعر وهو أيضاً أشار الى ذلك بقوله:

علمي وشعري اقتتلا اصطلحا فخضع الشعر لعلمي راغما

والعلم يأبىٰ أن أعد شاعراً والشعر يرضىٰ أن أعد عالما

---

(١) شهداء الفضيلة، ٢١٠.

وتناهز أشعاره العشرين ألف بيت من الشعر وقد نظمت المنهج الألفبائي وافتتح مجموعته الشعرية بقوله:

«الحمد لله الذي جعل نجوم المعاني مصابيح سماء الأفكار»[1].

ويمكن تقسيم أشعاره الى قسمين:

الأول: أبيات قصيرة في ثلاثة محاور هي:

١ - تاريخ المعصومين الأربعة عشر.

٢ - في باب الزكاة.

٣ - في المعاني والبيان.

الثاني: أشعاره في مختلف العلوم حيث أوردها السيد أحمد الحسيني في أمل الآمل كالتالي:

١ - منظومة في مسائل الميراث (وهي طويلة جداً).

٢ - في مسائل الهندسة والرياضيات.

٣ - في تواريخ مواليد الأئمة والوفيات والمناقب.

٤ - في الأخلاق والمواعظ.

٥ - في مسائل أصول الفقه.

ومنظومات أخرىٰ في مسائل الكلام، النحو، الصرف، النجوم و.. ديوان الامام زين العابدين عليه السلام.

(١) الذريعة ١ / ٢٣٤.

تلامذته

كان الشيخ الحرّ العاملي من الذين يولون للتدريس والتعليم وتربية التلاميذ أهمية فائقة ولقد كان موفقاً في ذلك اتخذ من مدينة مشهد مكاناً ومركزاً للتدريس حيث صحن المرقد الطاهر للامام الرضاؑ مكاناً لمدرسته ولم تتوفر أرقام عن عدد تلامذته لكن حلقات التدريس التي تنعقد في الصحن الرضوي الشريف تعد من أكبر الحلقات الدراسية آنذاك.

وفيما يلي اشارة الى طائفة من أبرز تلامذته الذين حصلوا على اجازته في الرواية:

١ – الشيخ مصطفى الحويزي نجل عبد الواحد بن سيار الحويزي.

٢ – نجلاه الشيخ محمد رضا والشيخ حسن.

٣ – السيد محمد الحسيني الأعرجي نجل محمد باقر.

٤ – السيد محمد نجل محمد بديع الرضوي.

٥ – المولىٰ محمد فاضل المشهدي نجل محمد مهدي.

٦ – السيد محمد الموسوي العاملي نجل علي بن محيي الدين.

٧ – المولىٰ محمد صالح نجل محمد باقر القزويني المشهور بـ(الروغني).

٨ – المولىٰ محمد تقي عبد الوهاب الاسترابادي المشهدي (المتوفىٰ سنة ١٠٥٨ هـ).

٩ – المولى محمد تقي الدخوارقاني القزويني.

١٠ – السيد محمد بن أحمد الحسيني الگيلاني.

١١ – المولى حسن بن محمد طاهر القزويني الطالقاني.

١٢ – السيد نور الدين الجزائري (المتوفى سنة ١١٥٨ ها).

١٣ – المحدث المولى محمد صالح الهروي.

١٤ – الحاج محمود الميمندي.

١٥ – الشيخ محمود بن عبد السلام المعني[١].

١٦ – العلّامة المجلسي (صاحب بحار الأنوار).

١٧ – الشيخ ابو الحسن بن محمد النباطي العاملي.

١٨ – السيد محمد بن زين العابدين الموسوي العاملي.

أبناؤه

يشكل أولاده وأصهاره أسرة كبيرة في مدينة مشهد وعلى رأس هذه الأسرة نجله الشيخ حسن وكان عالماً ومحدثاً مبرزاً وكان الناس يراجعونه في مسائلهم وأمورهم[٢] وأولاده هم:

١ – الشيخ حسن العاملي.

٢ – العلّامة الشيخ أحمد العاملي.

٣ – العلّامة الشيخ محمد رضا وكان عالماً ومفسراً، وللحرّ العاملي ولداً آخر وبنت لم نتوفر على تفاصيل عنهما.

---

(١) معن: من حوافر البحرين.

(٢) هداية الأمة، الحرّ العاملي ج ١ المقدمة بقلم محمد كاظم مدير شامجي.

هجرته

كان الحرّ العاملي قد أمضىٰ في وطنه أربعين سنة وفي تلك السن قرر زيارة الامام الرضاعليه السلام الامام الثامن من أئمة أهل البيت فغادر «مشغر» صوب مدينة مشهد في أقصىٰ الشرق الايراني. ولدىٰ وصوله هناك اطلع عن كثب عن الواقع الشيعي الاجتماعي المزري وكان يتحسس من مفردة الشاه ويرجح على حياة الجاه والمناصب حياة بسيطة هادئة، الّا انه أخطر الى الالتحاق بركب العلماء الذين تسنموا مراكز حكومية بغية اصلاح ما يمكن اصلاحه في المجتمع الشيعي يومذاك. ولهذا انتخب ليكون مسؤولاً في مدينة مشهد وكانت تعيش يومذاك مرحلة حساسة من تاريخها بسبب التهديد الاوزبكي في الشرق وقد عرف الاوزبك آنذاك بالتعصّب الشديد وكانوا يخمدون أحقاداً ضد الشيعة بسبب الحروب المتعددة التي حدثت مع الصفويين. ويعود سبب سفره الى مشهد وقبوله منصب شيخ الاسلام فيها الى حادثة وقعت في اصفهان عندما قام الحرّ العاملي بزيارة قصر الشاه نيابة عن العلّامة المجلسي.

وعندما دخل على الشاه سليمان جلس دون اذنه الى جانبه بحيث لم يكن بينه وبين الشاه سليمان سوىٰ وسادة فقط ويبدو ان الشاه لم يتحمل هذا السلوك فالتفت اليه قائلاً: سمعت انك من علماء العرب الكبار فهل تخبرني عن الفاصلة بين حرّ وخر؟[1] فأجاب الشيخ على الفور: الوسادة! وقد فوجىء الشاه بشجاعة الحرّ ولم ينبس ببنت شفه[2].

---

(١) خر: حمار.

(٢) أعيان الشيعة ٩ / ١٦٧.

وبعد حوار دار داخل البلاط أراد الشاه أن يستميله فعرض عليه الاقامة في اصفهان ولكن الحرّ العاملي أعرب عن رغبته في الاقامة الى جوار ثامن الأئمة الأطهار علي الرضا عليه السلام وهكذا صدر مرسوم يقضي بتعيينه قاضياً للقضاة في مشهد[١].

الكعبة المدمّاة

كان الحرّ العاملي سواء كان في لبنان أو في ايران يحج بيت الله الحرام وكذا زيارة العتبات المقدسة في ايران، وفي سنة (١٠٨٨ هـ) كان الشيخ في مكة المكرمة ووقع حادث اليم وقد أشار اليها في كتابه أمل الآمل، الرضوية الشريفة وقد صلّىٰ على الجثمان المسجىٰ الى جانب المنبر في المرقد الطاهر أخوه الشيخ أحمد صاحب «الدر المسلوك» وصلت على روحه الألوف ليواريٰ الثرى في ايوان من ايوانات الصحن الطاهر الى جانب مدرسة الميرزا جعفر[٢] حيث مرقده جوار الحرم الرضوي الشريف، فسلام عليه يوم فتح عينيه في مشغر وسلام عليه يوم أغمض عينيه في مشهد وسلام عليه يوم يبعث حيّا.

(١) كنجينه آثار قم، فياض الفيض، ٢٤٨.

(٢) سجع البلابل ١ / المقدمة.

العلّامة السيد هاشم الحسيني البحراني
المتوفىٰ سنة ١١٠٧هـ

ولادته

ينتمي نسب كوكب البحرين السيد هاشم البحراني الى دوحة أهل البيت عليهم السلام بينه وبين جدّه الامام موسىٰ بن جعفر الكاظم عليه السلام خمسة وعشرون ظهراً[١] ولم تتوفر المصادر التي ترجمت للسيد البحراني على تاريخ دقيق لولادته لكنها ذكرت أن ولادته كانت في قرية «كتكستان» من ضواحي مدينة «توبلي» وكانت آنذاك من مراكز العلم والسياسة وأن تاريخ ولادة السيد هاشم بن السيد سليمان الحسيني البحراني[٢] كان في السنوات بين (١٠٣٠ - ١٠٤٠ هـ)[٣].

لؤلؤة الخليج

تقع البحرين في سواحل الخليج الفارسي الجنوبية وكانت تعرف منذ القدم بـ «لؤلؤة الخليج» وكانت من قلاع الاسلام القوية منذ صدر الاسلام وقد اعتصم بها أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام واتخذوها قاعدة لهم وفي فترة مبكرة كانت البحرين

---

(١) العلّامة السيد هاشم البحراني، تبريزيان، ١٩.
(٢) جامع الأنساب، محمد علي الروضاتي، ٢٣.
(٣) العلّامة السيد هاشم البحراني، ٢١ - ٢٢.

تقدم أفذاذ الرجال من علماء وفقهاء وقدمت للاسلام خدمات كبرىٰ[١].

وقد تألقت البحرين في عصر العلّامة البحراني في وقت كانت الدولة الصفوية في ايران ترفع لواء التشيع وهذا جعل البحرين تقدم الدرر من أبنائها للخدمة في سبيل الدين، وفي تلك الفترة شغلت البحرين على صغرها المرتبة الثالثة من حيث النشاط العلمي والديني بعد ايران والعراق[٢] وكانت مدينة «توبلي» المركز الثقافي والعلمي والسياسي للبحرين وفي ذلك العصر كان الشيخ محمد بن ماجد بن مسعود البحراني يمثل الزعامة العلمية والروحية في تلك الأنحاء[٣].

هجرة السنونو

وبسبب الموقع الستراتيجي للبحرين ثقافياً وسياسياً وجغرافياً فقد أصبحت عرضة لغارات المغيرين وقد تسببت الحملات العسكرية في ازهاق أرواح الكثيرين ناهيك عن الخسائر الأولى في الممتلكات.

وبسبب الأجواء المتوترة اثر ذلك فقد شعر الكثيرين من العلماء بأن عليهم أن يهاجروا الى بلدان الجوار وبخاصة العراق وايران[٤] وكان أولاده ضمن الذين هاجروا الى اصفهان ابان احدىٰ الحملات العسكرية التي تعرضت لها البحرين[٥].

وقد ذكر الميرزا عبد الله افندي أنه رأىٰ أكثر كتب العلّامة البحراني في منزل ولده في اصفهان[٦]. ومن المؤكد أن العديد من آثاره قد ضاعت بسبب تلك الأوضاع الصاخبة مع ما ضاع من آثار علماء آخرين.

---

(١) للمزيد راجع سيماء البحرين، علي محمدي، مجموعة ديار الأبرار.
(٢) دائرة معارف التشيع ٣ / ١١٩.
(٣) حياة العلّامة البحراني، محمد البرهاني، ٧٣.
(٤) العلّامة السيد هاشم البحراني، ٣١.
(٥) حياة العلّامة البحريني، ٦٥.
(٦) رياض العلماء وحياض الفضلاء ٥ / ٢٩٩.

الحياة العلمية

كان العلّامة البحراني قد تلقىٰ تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه ثم هاجر الى مدينة النجف الأشرف وهناك تتلمذ على أيدي أبرز أساتذتها وبعد سنوات نال رتبة الاجتهاد ثم ليصبح مرجعها الكبير ولم تتوفر معلومات دقيقة عن تاريخ وصوله النجف الأشرف؛ غير ان المؤكد انه كان تلميذاً لدىٰ الاستاذ المبرز فخر الدين الطريحي في سنة ١٠٦٣ ه[١]. وقد عاد البحراني الى مسقط رأسه ليكون مرجعاً وزعيماً دينياً في بلاده بعد رحيل الشيخ محمد بن ماجد البحراني[٢].

وكان البحراني قد تتلمذ على أيدي أساتذة مرموقين من بينهم:

١ - الشيخ فخر الدين الطريحي النجفي (المتوفى سنة ١٠٧٨) مؤلف كتاب «مجمع البحرين ومطلع النيّرين».

والطريحي في طليعة الأسرة والبيوتات في النجف الأشرف ومن مؤلفاته أيضاً: «شرح مختصر النافع» و «تميز المتشابه من أسماء الرجال» والعلّامة البحراني والعلّامة المجلسي كلاهما كان تلميذاً لدىٰ فخر الدين الطريحي[٣].

تلامذته

تتلمذ على يدي العلّامة البحراني كثيرون وحصل بعضهم علىٰ اجازة في الرواية وفيما يلي طائفة منهم:

١ - الشيخ محمد بن حسن الحر العاملي مؤلف كتاب وسائل الشيعة[٤].

---

(١) مقدمة تفسير الهادي ومصباح النادي، العلّامة البحراني، ٨٣.

(٢) العلّامة السيد هاشم البحراني / ٤٢، حياة العلّامة البحريني، ٧٣.

(٣) لؤلؤة البحرين، الشيخ يوسف البحراني، ٦٦ - ٦٧.

(٤) أمل الآمل، الحر العاملي ٢ - ٣٤١.

٢ – الشيخ محمود بن عبد السلام المعنىٰ[(١)].

٣ – الشيخ عبد الله بن علي بن أحمد البحراني (المتوفىٰ سنة ١١٤٨ هـ)، مؤلف كتاب «الرسائل المتشتتة[(٢)]».

٤ – السيد محمد بن علي سيف الدين العطار البغدادي[(٣)].

٥ – الشيخ علي المقاي البحراني[(٤)].

٦ – الشيخ حسن البحراني[(٥)].

٧ – الشيخ هيكل بن عبد علي الأسدي الجزائري.

ربيع الحديث الثاني

شهد القرنان الرابع والخامس الهجريان حركة التأليف والتصنيف والحرّية لعلماء الامامية في نشاطهم الفكري والعلمي وفي هذه الفترة ظهرت الكتب الحديثة الأربعة المشهورة (الكافي، تهذيب الأحكام، من لا يحضره الفقيه، الاستبصار) وهي المصادر والمنابع الحديثة الكبرىٰ للتشيّع.

ولقد أعقب هذه الفترة انحساراً في الجهود العلمية امتد خمسة قرون فيما أن نسميه السبات الشتوي، لتبدأ الحياة العلمية بالانتعاش.

في القرن الحادي عشر الهجري مع ظهور عباقرة العالم الشيعي من خلال توفر الفرص المناسبة والأجواء المساعدة في العهد الصفوي ولتستأنف الحركة

(١) لؤلؤة البحرين، ٧٥.
(٢) المصدر السابق الأربعة ١٠ / ٢٥٨.
(٣) معارف الرجال محمد مرزا الدين ٢ / ٣٣٠.
(٤) الذريعة ٧ / ٧٩؛ ٨ رقم ٤٤٧.
(٥) العلّامة السيد هاشم البحراني، ٤٨.

العلمية من جديد[١].

وظهرت الموسوعة الحديثة الكبرىٰ «بحار الأنوار» التي قدمت خدمة جليلة للعالم الاسلامي فكان العلّامة المجلسي من الرواد الأوائل في هذا الميدان. وكان العلّامة السيد هاشم البحراني هو الآخر من شمر عن ساعديه ليخوض عباب البحر الكبير لعلوم آل البيت عليهم السلام مستمداً من ضوء الأحاديث الشريفة في استكشاف الطريق الى ساحل جميل مفعم بالحياة.

وقد أشار ذلك المحدث والمفسر الى مشروعه الكبير في كتابة مدينة المعاجز الى أنه رأىٰ اندثار الآثار فلم يبق منها سوىٰ معالم يهددها الزوال هي الأخرى فأراد بعث الحياة فيها وازالة الغبار عن صفحاتها[٢] من أجل ذلك نهض العلّامة بمشروعه الكبير لبعث الحياة والروح من جديد ولتتفتح الأزهار في حدائق العلم والايمان من أجل ذلك يمكن اعتبار عصر العلّامة البحراني عصر انبعاث الروح في علوم الحديث فانطلق في حركته من خلال تمسكه بالحديث النبوّي الشريف: **«ايّها الناس اني تارك فيكم الثقلين.. كتاب الله وعترتي أهل بيتي»** فانطلق مدافعاً عن حريم الاسلام والعقيدة مفسراً آيات الله البيّنات حيث القرآن الكريم هو الثقل الأكبر فظهرت من خلال ما سطّره يراعه تفاسير عديدة، كما لم يغفل عن الثقل الآخر وهو أهل البيت عليهم السلام فعمل على نشر أحاديث المعصومين فنتج عن قلمه آثار عديدة في الفقه والأصول والرجال في عصر شهد انصرافاً كلّياً الى الفقه ولكن العلّامة كان في سيره متوازناً فدوّه آثار أهل البيت في مختلف المجالات[٣].

---

(١) سير الحديث في الاسلام، سيد أحمد ميرخاني، ٣٣٢.
(٢) مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني ١ المقدمة، ٢٨.
(٣) العلّامة البحريني، ١١٣ - ١١٥.

لقد أوقف العلّامة البحراني عمره الشريف في جمع وتصحيح وتدوين الأحاديث ولم يغفل لحظة واحدة عن مهمته في البحث عن كتب الحديث ومخطوطاته ومن ثم تبويبها وتنظيمها من أجل الاستفادة الأفضل والأكثر[١].

ولهذا فقد كان حارساً لحريم الثقلين كما وصف بذلك.

منهجه العلمي والتحقيقي

انتهج العلّامة البحراني عدّة طرق في جهوده العلمية نشير الى بعضها:

١ - الافادة من روايات أهل السنة في اثبات امامة أمير المؤمنين علي عليه السلام وبنيه بحيث نجد أن يثبت حديث المنزلة أكثر من مئة سند من أهل السنة موثقاً ما يورده في ذلك[٢].

٢ - الافادة من النسخ المختلفة والعبارات المختلفة للحديث الواحد ومحاولة التوصل الى صيغة أكثر صحّة وأكثر دلالة.

٣ - التحقيق في سند الأحاديث والتوصل الى الروايات الصحيحة[٣].

وقد قام العلّامة البحراني في هذا المضمار بدراسة كتاب التهذيب وفرز الأخطاء والأغلاط في الرجال وسند الأخبار فجاء كتابه «تنبيهات الأريب في رجال التهذيب»[٤].

٤ - تنظيم وتبويب الأحاديث، وجاء أثره: «ترتيب التهذيب» وهو مرتبط بكتاب التهذيب للشيخ الطوسي حيث رتّب الكتاب وفق أفضل منهج[٥].

---

(١) العلّامة السيد هاشم البحراني، ٥٧.

(٢) غاية المرام، السيد هاشم البحراني، ١٠٩، ١٢٦، ١٩١، ٢٠٠.

(٣) البرهان، السيد هاشم البحراني ٤ / ٥٥١.

(٤) لولؤة البحرين، ٦٥.

(٥) المصدر السابق، ٦٥.

ولقد حاز قدم السبق في جهوده العلمية حتى قيل انه لم يكن له نظير في ذلك الّا العلّامة المجلسي[١].

في رؤىٰ الآخرين

تحدث عنه الكثيرون وأشادوا بشخصيته وأثنوا على جهوده قال عنه الشيخ يوسف البحراني وصفه بـ«الفاضل» المحدث ومن له باع طويل في تتبع الأحاديث والأخبار والذي لم يكن له نظير الّا المجلسي وكان عالماً تقياً وعرف عه شديداً مع ملوك عصره[٢].

ووصفه الحرّ العاملي بالرجل الطاهر والعارف المفسر والعالم بالرجال[٣].

وقال عنه الشيخ عباس القمي: السند والركن المعتمد والفقيه الماهر والمحدث الجامع وصاحب المؤلفات الكثيرة[٤].

ونعته السيد محسن الأمين العاملي في تتمة «أمل الآمل»: بالجبل الراسخ والبحر العميق والذي لا يجود الزمان بمثله في تتبعه الأحاديث ووفرة علومه[٥].

ووصفه الشيخ حسن الاستاني بالسيد الكبير والشجاع الثابت القدم والامام الرائد وصاحب الذاكرة القوية وحافظ الأحاديث والروايات والذي سبق غيره في هذا الميدان[٦].

---

(١) لؤلؤة البحرين، ٦٣؛ الكنىٰ والألقاب، الشيخ عباس القمي ٣ / ٩٣؛ قصص العلماء، ٦٣؛ أعيان الشيعة ٨ / ٥١؛ أنوار البدرين، علي البلادي، ١٣٦.

(٢) لؤلؤة البحرين / ٦٣ - ٦٤.

(٣) أمل الآمل / ٣٤١.

(٤) الفوائد الرضوية ٢ / ٧٠٥.

(٥) أعيان الشيعة ٨ / ٥١، ١٠ / ٢٤٩.

(٦) انتخاب الجيد من تنبيهات السيد، ٢.

وذكره الشيخ محمد حرز الدين واصفاً اياه بالمقدس العابد والتقي الورع ومن بلغ في تقواه الدرجة العالية[١].

وقال عنه آية الله المرعشي النجفي: لقد كان العلّامة البحراني علامة بالحق، اشتهر باطلاعه وسعة علمه بالحديث وكان نابغة في الرواية واماماً[٢].

وقال عنه الشهيد مطهري: السيد هاشم البحريني من المحدثين الشيعة المتتبعين المعروفين[٣].

في ذروة المجد

كان العلّامة البحراني اسطورة في تقواه وورعه وكان مضرب الأمثال في ذلك، عدّه الشيخ محمد حسن النجفي صاحب «جواهر الكلام» من الوجوه الممتازة في التقوىٰ كالأردبيلي والبحراني[٤].

وبالرغم من جهوده الجبارة في التحقيق والتأليف الّا انه لم يغفل عن جانب الارشاد والوعظ وهداية الناس وقد نهض بمسؤولية القضاء والفصل في المشكلات الاجتماعية والمنازعات وقطع أيادي الظالمين وأنشطة اجتماعية أخرىٰ[٥]. وكان في أخلاقه وسيرته وسلوكه مصباح الهداية يضيء الطريق للناس ويعلمهم شؤون دينهم ويعينهم في أمور دنياهم.

---

(١) مراقد المعارف ٢ / ٣٥٨.

(٢) ترتيب التهذيب المقدمة.

(٣) الاسلام وايران، ٤٠٩.

(٤) جواهر الكلام ٣ / ٢٩٥.

(٥) لؤلؤة البحرين.

كنوز البحراني

ترك العلّامة السيد هاشم البحراني وراءه آثار عديدة وقيّمة وتشكل بمجموعها وتنوعها موسوعة كبرىٰ في المعارف الاسلامية وفيما يلي طائفة من آثاره:

١ - علوم القرآن.

٢ - البرهان في تفسير القرآن.

٣ - اللوامع النوارنية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية.

٤ - الحجّة في ما نزل في القائم الحجّة.

٥ - نور الأنوار في تفسير القرآن.

٦ - الهادي ومصباح النادي.

٧ - الهداية القرآنية الى الولاية الامامية.

٨ - أصول الاعتقادات.

٩ - حقيقة الايمان المثبوت على الجوارح وأحاديث التوحيد والنبوّة والامامة.

١٠ - نهاية الاكمال فيما يتم به تقبل الأعمال.

١١ - مصباح الأنوار وأنوار الابصار في بيان معجزات النبي المختار.

١٢ - الامامة.

١٣ - اثبات الوصية.

١٤ - احتجاج المخالفين على امامة علي ابن أبي طالب عليه السلام.

١٥ - الانصاف في النص على الأئمة الأثني عشر من آل محمد الأشرف.

١٦ - ايضاح المسترشدين في بيان الراجعين الى ولاية علي ابن أبي طالب أمير المؤمنين.

١٧ - بهجة النظر في اثبات الوصاية والامامة للأئمة الأثني عشر.

١٨ - البهجة المرضية في اثبات الخلافة والوصيّة.

١٩ - تبصرة الولي فيمن رأىٰ القائم المهدي.

٢٠ - تبصرة الولي في النص الجلي على أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب.

٢١ - التحفة البهية في اثبات الوصية لعلي.

٢٢ - سلاسل الحديد وتقيّد أهل التوحيد.

٢٣ - عمدة النظر في بيان عصمة الأئمة الأثني عشر.

٢٤ - غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الامام عن طريق الخاص والعام.

٢٥ - الفصل المعتبر فيمن رأىٰ الامام الثاني عشر.

٢٦ - كشف المهم في طريق خبر غدير خم.

٢٧ - مدينة المعاجز.

٢٨ - تفضيل الأئمة صلوات الله عليهم على الأنبياء عدا نبيّنا محمد ﷺ.

٢٩ - تفضيل علي على الأنبياء أولي العزم من الرسل عدا نبيّنا محمد ﷺ.

٣٠ - تلخيص رسالتين.

٣١ - حلية النظر في فضل الأئمة الأثني عشر.

٣٢ - الدر النضيد في فضائل الحسين الشهيد.

٣٣ - فضائل علي والأئمة من ولده.

٣٤ - فضل الشيعة (مناقب الشيعة).

٣٥ - اللباب المستخرج من كتاب الشهاب.

٣٦ - مناقب أمير المؤمنين.

٣٧ - التيمية والدرّة الثمينة.

٣٨ - معالم الزلفىٰ في عارف النشأة الأولىٰ والأخرىٰ.

٣٩ - نزهة الأبرار ومنار الأفكار في خلق الجنة والنار..

٤٠ - تاريخ الاسلام.

٤١ - حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار.

٤٢ - المطاعن البكرية والمثالب العمرية من طريق العثمانية.

٤٣ - مولد القائم.

٤٤ - وفاة النبي صلى الله عليه وآله.

٤٥ - وفاة الزهراء عليها السلام.

٤٦ - سير الصحابة.

٤٧ - مقتل أبي عبد الله.

٤٨ - الفقه.

٤٩ - التنبيهات في الفقه.

٥٠ - الحديث.

٥١ - ترتيب التهذيب.

٥٢ - شرح ترتيب التهذيب.

٥٣ - روضة الواعظين في أحاديث الأئمة الطاهرين.

٥٤ - تعريف رجال من لا يحضره الفقيه.

٥٥ - الرجال.

٥٦ - تنبيهات الأريب في رجال التهذيب.

٥٧ - التيمية في بيان نسّاب التيمي.

٥٨ - روضة العارفين ونزهة الراغبين.

٥٩ - من روىٰ النص على الأئمة الأثني عشر من الصحابة والتابعين.

الأسرة الطاهرة

ينتمي السيد هاشم البحراني الى الدوحة الباسقة والشجرة العلوية السامقة وكان هو غصنها الرطيب الذي قدم للمجتمع الاسلامي ثماراً طيبة اذ خلف أولاداً صالحين.

وزوجته هي كريمة الشيخ علي نجل الشيخ عبد الله بن شيخ حسين بن علي كنيار وأولاده:

١ - السيد عيسىٰ وكان عالماً تقياً ومؤلفاً ومحققاً كتب شرحه على كتاب «زبدة الأصول» للشيخ البهائي كما حرر بقلمه كتاب والده: «نهاية الاكمال فيما تقبل به الأعمال»[١].

٢ - السيد محسن ويبدو ان نجله الأكبر وكان من العلماء الأتقياء[٢].

٣ - السيد محمد جواد: ولم نتوفر على ترجمة لحياته ولكن أصحاب الذريعة ذكر ان شارح «زبدة الأصول هو السيد محمد جواد»[٣].

٤ - السيد علي: وكان من العلماء المبرزين أيضاً[٤].

وللعلامة البحراني ثلاثة أخوة وهم السيد كاظم، السيد جعفر والسيد أحمد[٥].

والسيد محمد جواد بن السيد علي من أحفاد العلّامة الفضلاء أقام في مدينة اصفهان منها سافر الى اقليم فارس للتبليغ الديني وأقام في مدينة «خُنج»[٦] وهي

(١) أنوار البدرين، ١٤٠.
(٢) حياة العلّامة البحريني، ٩٣.
(٣) الذريعة ١٣ رقم ١٠٩٢.
(٤) حياة العلّامة البحريني / ٩٤ - ٩٥.
(٥) المصدر السابق.
(٦) من مدن اقليم فارس.

يومئذ مركز تجاري هام.

ومدينة خنج فيها أغلبية سنّية قامت بتهديد السيد محمد جواد بعدما أقدم الأخير على بناء مسجد في المدينة، فغادرها ليلاً الى قرية «أسير» ليقيم في ظهراني أهلها معززاً مكرماً سنوات طويلة والى أن لبىٰ نداء ربه فدفن فيها وقبره اليوم مزار يؤمه المؤمنون للزيارة[١] والتبرك وبعد وفاته هاجر أولاده الى مدينة «مُهر» مهد السادة والعلماء[٢].

العروج الملكوتي

في عام (١١٠٧ ﻫ) عاشت البحرين أياماً حزينة فقد افل نجم كان يسطع في سمائها وهبّ المئات لتشييع الجثمان الطاهر للعلامة البحريني الراحل ليواريٰ الثرىٰ في «التوبلي» وقبره اليوم مزار يؤمه الناس للزيارة والتبرك.

(١) حياة العلّامة البحريني / ٩٤ - ٩٥.

(٢) من مدن اقليم فارس في الجنوب وتتبع اليوم مدينة «لا مرد».

العلّامة محمد باقر المجلسي /المتوفىٰ سنة ١١١١ هـ

ولادته

ولد العلّامة محمد باقر المجلسي في سنة (١٠٣٧ ه) المساوي للعدد الأبجدي: «جامع بحار الأنوار»[١].

والده المولىٰ محمد تقي المجلسي من أبرز تلامذه الشيخ البهائي وكان المبرز في العلوم الاسلامية له تأليفات جمّة منها: «احياء الأحاديث في شرح تهذيب الحديث». ووالدته هي كريمة صدر الدين محمد العاشوري[٢] وقد نشأت في أحضان العلم والفضيلة.

في مهد الزهد

عرفت أسرة المجلسي منذ منتصف القرن الخامس الهجري بالتشيّع ونبغ فيها علماء كبار في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين[٣].

جده «الملّا مقصود» من العلماء الأتقياء وهو الذي لُقب بالمجلسي لحسن صوته وحسن كلامه وحسن انشاده الأشعار في المحافل والمجالس ومنذ ذلك الوقت اشتهرت الأسرة بلقب «المجلسي»[٤].

---

(١) ريحانة الأدب ٥ / ١٩٦.

(٢) الذريعة ١ / ١٥١.

(٣) حياة العلّامة المجلسي، المهدوي ١ / ٥٣.

(٤) كارنامه العلّامة المجلسي / ١٤٥.

نحو النور

بدأ العلاّمة المجلسي دراسته في سن مبكرة اذ تتلمذ لدىٰ والده وهو في الرابعة من عمره[١] ومن والده الى اساتذة وعلماء مبرزين حيث درس لدىٰ فيلسوف الاسلام الكبير «ملّا صدرا» وكان يومها في الرابعة عشرة من عمره وحصل على اجازة في الرواية[٢] وكان يحضر دروس العلّامة حسن علي الشوشتري، أمير محمد المؤمن الاسترابادي، الميرزا الجزائري، الشيخ الحرّ العاملي، الملّا محسن الاسترابادي، الملّا محسن الفيض الكاشاني والملّا صالح المزاندراني، فكان يغرف من فيض بحورهم ويقتطف ازهار العلم والفضل من حدائقهم الناظرة وناهز عدد اساتذته واحداً وعشرين من العلماء والفضلاء[٣] وقد أحاط في مدّة يسيرة بعلوم عديدة كالصرف والنحو والمعاني والبيان، واللغة والرياضيات والتاريخ والفلسفة والحديث والرجال والدراية والأصول والكلام.

شمس فوق المنابر

كان المجلسي يقيم الصلاة في مدرسة الملّا عبد الله اضافة الى اشتغاله في التدريس، وبعد وفاة والده انتقل الى امامة المصلّين في المسجد الجامع باصفهان وكذا القاء الدروس[٤] وكان يحضر درسه أكثر من ألف طالب ينهلون من فيض علومه ويقتبسون من نوره فكان السيد نعمة الله الجزائري وهو في طليعة تلامذته المبرزين يقول عنه كان ما يزال في شبابه ولكنه كان أعلم أهل زمانه[٥] وكان

(١) حياة العلّامة المجلسي ١ / ٥٥.

(٢) المصدر السابق، ٤٢٦.

(٣) يادنامه العلّامة المجلسي، ٥.

(٤) المصدر السابق، ٥.

(٥) نابغة الفقه والحديث، ١٤٨.

فصيحاً بليغاً في مواعظه ولم أر من هو أفصح منه وأبلغ وربما سهرت الليل في دراسة حديث فإذا سألته عنه في الصباح بيّن لي ما لم يخطر في البال وكأني لم أسمع بالحديث قبل ذلك[١].

وقد عرف العلّامة بتواضعه وحلمه وربما حضر درسه كبار العلماء من أجل التدليل على فضله وبيان منزلته للطلبة الشباب، فعلىٰ سبيل المثال كان الشيخ محمد فاضل وكان من كبار الأساتذة ومن فضلاء الحوزة المعروفين يحضر درس العلّامة المجلسي ويعلم الطلاب درساً في التواضعَ وكان العلّامة يدرك ذلك ويصرح قائلاً انه استفاد من الشيخ محمد فاضل أكثر مما أفاد هو منه[٢].

وفيما يلي طائفة ممن تتلمذوا على يد العلّامة المجلسي وحصلوا على اجازته في الرواية:

١ - المولىٰ ابراهيم الجيلاني ٢ - المولىٰ محمد ابراهيم اليواناتي ٣ - الميرزا ابراهيم الحسيني النيسابوري ٤ - ابو البركات بن محمد اسماعيل خادم المشهدي ٥ - المولىٰ ابو البقاء ٦ - المولىٰ محمد باقر الجزي ٧ - الملّا محمد باقر اللاهيجي ٨ - الشيخ بهاء الدين الكاشي ٩ - المولىٰ محمد تقي الرازي ١٠ - الميرزا محمد تقي الماسي ١١ - المولىٰ حبيب الله النصر آبادي ١٢ - الملّا حسين التفرشي ١٣ - محمد رضا الأردبيلي ١٤ - محمد طاهر الاصفهاني ١٥ - عبد الحسين المازندراني ١٦ - السيد عز الله الجزائري ١٧ - الملّا محمد كاظم الشوشتري ١٨ - الشيخ بهاء الدين محمد الجيلي ١٩ - المولىٰ محمود العبسي ٢٠ - محمد يوسف القزويني و..[٣].

---

(١) حياة العلّامة المجلسي ١ / ١٤٨.

(٢) المصدر السابق، ٦٦.

(٣) انظر حياة العلّامة المجلسي ٢ / ٤ - ١١٥.

ويبرز من بين تلامذته السيد نعمة الله الجزائري الذي انتظم في دروسه مع صديق له وكان يعيش ظروفاً معيشية صعبة للغاية وقد قام بصرف راتب شهري لصديقه واصطحبه ليسكن في منزله مدّة أربع سنوات[١].

وقد تربىٰ السيد الجزائري في ظلال العلّامة حتىٰ أصبح عالماً يشار اليه بالبنان فعمل على تعيينه مدرساً في احدىٰ المدارس المعروفة[٢] ولقد نبغ نبوغاً كبيراً وكان يسير على منهج وخطىٰ استاذه ومربيه بحيث كان يعرف بمرآة الاستاذ لما كان يعبر فيه عن استاذه ولقد كان متزناً متعادلاً في مسلكه ومنهجه ينشد الحقيقة كما كان استاذه فربما وافق الاخباريين وربما وافق الأصوليين[٣].

الى النور

انتهج العلّامة المجلسي في احياء علوم أهل البيت عليهم السلام طريق استاذه «الفيض» حيث انصرف عن العلوم العقلية مستغرقاً في تعبد ينشد النور الذي أشرق من فوق ربىٰ الأحاديث فكانت أولىٰ خطواته في هذا الطريق انه جعل الكتب الأربعة جزءاً من المنهج الدراسي في الحوزة فشجع تلامذته على كتابة شروح لها وقد تصدىٰ أحد تلامذته لشرح كتاب «الاستبصار»[٤].

كما شجع طلابه وتلامذته علىٰ دراسة الروايات والأحاديث وهو اتجاه تدريسي لم يكن معمولاً به في الحوزة وبهذا فقد حفظ هذا التراث من الاهمال والضياع وبالتالي ايصاله الى الأجيال القادمة، كما وشجع على استنساخ الكتب

---

(١) نابغة الفقه والحديث، ٢١٩.

(٢) حياة العلّامة المجلسي ١ / ١٨٠.

(٣) نابغة الفقه والحديث، ٢١٩.

(٤) أمل الآمل ٢ / ٢٤٨.

الحديثية وفيى طليعتها الكتب الأربعة وربط الاجازة التي يمنحها بقيام الطالب باستنساخ كتاب من هذه الكتب الأربعة، وكان الطالب يأخذ نسخة الكتاب الى العلّامة الذي يقوم بمنحه الاجازة في آخر الكتاب المستنسخ بخطه[١].

وقد فكر العلّامة الراحل أن تدريس الكتب الأربعة والاهتمام ببعض الكتب الأخرىٰ من قبيل «الارشاد» للمفيد و «القواعد» للعلامة و «الصحيفة السجادية» سوف يحفظ هذه الكتب من خطر الفناء ولكن ماذا عن الكتب الأخرىٰ؟ لقد كان العلّامة يفكر في مصير آلاف الكتب التي كانت عرضة لقراضة الثقافة وغارات أصحاب الحمامات وكذا في مصير آلاف الروايات والأخبار المحفوظة في صناديق مقفلة في الخفاء وفي آلاف الكتب بل عشرات الآلاف المبعثرة في أطراف الدنيا في الاصقاع البعيدة النائية حيث لا يتأتىٰ لأحد أن يصل اليها، كما كان يفكر فيى تلك الكتب في مكتبات أهل السنّة حيث يعمل التعصب على دفعهم الى اتلافها وكان يفكر في مصير المكتبات الشيعية الكبرىٰ فيما لو سقطت الدولة الصفوية في أيدي الدولتين السنّيتين الكبيرتين في الشرق أو الغرب (الدولة الاوزبكية والدولة العثمانية) وكان يفكر في تنامي نفوذ الصوفية وامتداد أيديهم الى كتب الحديث بالتحريف والتزوير علاوة على ذلك كان يفكر أيضاً في كسر الاهمال من لدن الطلاب واعراضهم عن كتب الحديث والرواية. ان كل ذلك سوف يعمل على القضاء على التراث الحديثي للشيعة، الأمر الذي يستلزم القيام بعمل سريع.

وقد أسفرت جهود العلّامة عن استنقاذ مئتين من المصادر فيما يعرف لدىٰ الشيعة بـ «الأصول الأربعمئة» وجمعها في مكان واحد وعندما سمع أن أحدهم

---

(١) يادنامه العلّامة المجلسي، ٢٦.

رأىٰ بعينه نسخة من كتاب «مدينة العلم» في احدىٰ مكتبات اليمن بادر الى اعلام الشاه (الصفوي) بذلك حيث بادر الأخير الى ارسال سفراء الى ملك اليمن يحملون له الهدايا النفيسة اضافة الى طلب الكتاب (مدينة العلم) غير ان الكتاب لم يصل الى يد العلّامة لأسباب غير واضحة[١].

واستمراراً في جهوده لحفظ تراث الأقدمين فقد قام العلّامة باحياء كتب وآثار العلاماء من خلال تشجيع الطلاب على استنساخ الكثير من الرسائل والمؤلفات القديمة وهذكا نفض الغبار المتراكم على مدىٰ عشرات ومئات السنين عن كم هائل من الكتب والرسائل والمؤلفات القديمة. وكان يذيل بعض الكتب بخطه (هذا الكتاب بقي غريباً لا يقرأه أحد)[٢].

محراب البحار

كان هاجس العلّامة المجلسي هو جمع تلك الجواهر والدرر الثمينة والأحاديث الكريمة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في كتاب واحد وخطر في ذهنه أن يسميه «بحار الأنوار» ليكون الموسوعة الحديثية الكبرىٰ التي تضم تراث أهل البيت فيكون بامكان عشاقهم والسائرين على خطاهم والباحثين عن الحقيقة الاهتداء بأنوارهم.

وكانت أولى الخطى في هذا الطريق أن العلّامة اطلع ما أمكنه ذلك على كل الكتب التي تشتمل على الحديث والرواية فنفض غبار العصور عن عشرات ومئات الكتب، فاستكشف كما ذكر ذلك في مقدمة موسوعته فيما بعد الشرق والغرب وقد عاضد في هذا الجهد الكبير مجموعة من اخوته في الدين والعقيدة

---

(١) أعيان الشيعة ٩ / ١٨٣.

(٢) حياة العلّامة المجلسي ١ / ١١٧.

فكانوا أذرعة للوصول الى كل نقطة من البلاد وهكذا توفرت لديه المصادر والمنابع اللازمة وفي خطرة لاحقة تم الاطلاع على كل الأحاديث والروايات ليأتي على تبويبها فيما بعد في فصول وكانت المصادر التي عثر عليها لم تهتم في الغالب بمسألة التبويب وتقسيم الأحاديث موضوعياً.

فوقع لذلك تبويباً لفهرسة الأحاديث في مصادرها وقد يمكن من الفراغ من الفهرست سنة (١٠٧٠ هـ) ولكن عاد وغير منهجه في فهرست نفس المصادر والكتب الحديثية ليستغرق في تأليف موسوعته الكبرىٰ «بحار الأنوار» وقد اشتملت موسوعته هذه على ثلاثة آلاف باب في ثمانية وأربعين كتاباً تشتمل جميعاً على آلاف الأحاديث وقد عرّف بحار الأنوار كثيراً من الكتب التي لا يعرفها أحد ثم يحث العلّامة أتباع أهل البيت على الاهتمام بهذه المائدة الكبرىٰ وأن يحافظوا على الكتاب والتمسك به قولاً وعملاً[١].

ولكن الوقت لم يكن ليمهله ليقوم بتصحيح الروايات تاركاً هذه المهمة للباحثين الذين سيأتون بعده[٢] ولم يكن ذلك عن عجز في قدراته العلمية فلقد أثبت مقدرته العلمية في كتابة «مرآة العقول».

أما بحار الأنوار فقد قال عنه الامام الخميني ﵀: البحار خزانة كل الأخبار مما نسب الى أئمة الاسلام فيها الصحيح وفيها غير الصحيح وحتىٰ صاحب البحار لم يكن بصدد تأليف كتاب علمي لكي يشكل عليه الآخرون فيما أورد فيه من أحاديث[٣].

(١) مقدمة بحار الأنوار؛ يادنامه العلّامة المجلسي، ٦ - ٨.
(٢) كارنامه العلّامة المجلسي؛ مقدمة البحار، ٥١.
(٣) كشف الأسرار، ٣١٩.

مؤلفاته

تنوعت مؤلفات العلّامة المجلسي هذا التنوع الذي يعكس تنوع حاجات عصره الثقافية، فلقد شعر بأن مجتمعه بحاجة الى شيء من علم النجوم فألف كتابه «الاختيارات» وأحس بأن مجتمعه يبتعد عن الله أو يراد له ذلك فجاء كتابه الأخلاقي «عين الحياة»[١] وكانت آثاره الفارسية تدخل في خضم الحياة الدنيا لتوفر أرضية مناسبة من أجل ارشاد الناس وهدايتهم وبهذا لا تجد بيتاً شيعياً يخلو من كتاب أو مؤلف للعلامة المجلسي الراحل[٢].

ولقد كانت كتبه ومؤلفاته يستفيد منها الجميع العالم وغير العالم العرب والفرس الرجال والنساء وحتى الناشئين أيضاً[٣] وللعلامة المجلسي غير موسوعته الحديثية الكبرىٰ «بحار الأنوار» مؤلفات أخرىٰ فيما يلي طائفة من عناوينها:

١ – مرآة العقول في شرح أخبار الرسول: في شرح أصول الكافي.

٢ – ملاذ الأخبار: في شرح التهذيب.

٣ – شرح الأربعين.

٤ – الوجيز في الرجال.

٥ – الفوائد الطريفة في شرح الصحيفة (السجادية).

٦ – رسالة الأوزان.

٧ – المسائل الهندسية.

٨ – رسالة الاعتقادات (٧٥٠ سطراً) ألفها في ليلة واحدة.

---

(١) يادنامه العلّامة المجلسي / ٢٥.

(٢) روضات الجنات ٢ / ٨٦.

(٣) الفوائد الرضوية ٤١٣.

٩ – رسالة في الشكوك.

أما مؤلفاته بالفارسية فهي كما يلي:

١ – حق اليقين ٢ – عين الحياة ٣ – حلية المتقين ٤ – حياة القلوب ٥ – مشكاة الأنوار ٦ – جلاء العيون ٧ – زاد المعاد ٨ – تحفة الزائر ٩ – مقياس المصابيح ١٠ – ربيع الأسابيع ١١ – رسالة في الشكوك ١٢ – رسالة في الديات ١٣ – رسالة في الأوقات ١٤ – رسالة في الجفر ١٥ – رسالة في الجنة والجحيم ١٦ – رسالة اختيارات الأيام ١٧ – ترجمة لعهد الامام علي عليه السلام المعروف بعهد مالك الأشتر ١٨ – مشكاة الأنوار في آداب قراءة القرآن والدعاء ١٩ – شرح دعاء الجوشن الكبير ٢٠ – رسالة في الرجعة ٢١ – رسالة في آداب الصلاة ٢٢ – رسالة في الزكاة اضافة الى ثلاثين رسالة أخرىٰ في مختلف القضايا وكذا ترجمة العديد من الأدعية وكتيبات في العقائد والأحكام.

سفر ويراع

لم يدع العلّامة فرصة من أجل التأليف حتى في أسفاره فقد ألف الجزء الثاني والعشرين من بحار الأنوار في مدينة النجف الأشرف بعد عودته من حج بيت الله الحرام[١] كما ألف على سبيل المثال أيضاً رسالته «وجيزة رجب» وهي في ترجمة خطبة الامام الرضا عليه السلام[٢].

وكان بعض تلامذته ينتهزون أسفاره لمرافقته وما توفره هذه الأجواء من صميمية فيصغون الى أحاديثه ويلتقطون منها ما يضيء لهم طريق الحياة السعيدة، ويذكر أحد طلابه (مير محمد خاتون آبادي) انه كان منذ صباه يطلب الحكمة

(١) حياة العلّامة المجلسي ١ / ١٦٠.

(٢) المصدر السابق، ١٦.

وعلم المعقول وكان منصرفاً بكتبه الى ذلك الى أن رافق العلّامة المجلسي في رحلته الى الحج وكان أن أثرت فيه هذه الرفقة وجعلته يتجه الى طلب علم الفقه والحديث ويواصل ذلك على مدىٰ أربعين سنة من عمره[١].

وفي أثناء زيارته لمشهد المقدسة طلب جمع من العلماء والفضلاء منه أن يدرسهم أربعين حديثاً ولبىٰ العلّامة الطلب فكان كتابه «الأربعون حديثاً» ولدىٰ الانتهاء من تلك المحاضرات قال أحد علماء السنّة: كنا نعتقد ان شخصية المجلسي العلمية تنحصر في ترجمة الكتب العربية الى الفارسية حتى اطلعنا على كتابه «السماء والعالم» و «شرح الأربعين» فعلمنا ان المجلسي عالم يفوق بكثير ما كنا نتصور[٢].

رجل من الغد

كان العلّامة المجلسي شخصية سياسية بارزة ولكن احقاد بعض المستشرقين حاولت أن تزوي هذا البعد في شخصيته فتعرض لظلم المستشرقين وظلم حتى المتنورين من المستلبين، ومعروف ان العلّامة تسنّم منصب شيخ الاسلام بعد وفاة الملّا محمد باقر السبزواري في سنة (١٠٩٠ هـ)[٣] ولقد قدم العلّامة من خلال موقعه الهام هذا خدمات كبرىٰ لايران والتشيع سياسياً واجتماعياً وفي طليعة ما قام به اجتماعياً وسياسياً هو مواجهته للتيار الصوفي ونشاط الصوفية؛ فلقد قام بتحديد دورهم والتقليل من نفوذهم داخل مفاصل الدولة ولقد حذر المجتمع من الخدع والحيل التي يتستر وراءها هؤلاء؛ في وقت كان الصوفية ينشطون بشكل

---

(١) الكنىٰ والألقاب ١٣ / ١٢٣.
(٢) حياة العلّامة المجلسي ١ / ١٦١.
(٣) يادنامه العلّامة المجلسي / ٢٦.

غير طبيعي ويؤثرون في المجتمع تأثيراً بالغ الخطورة، ففي العاصمة اصفهان كانت هناك أكثر من عشرين تكيه وخانقاه وزاوية ومع ذلك لم يتهيب المجلسي من التصدّي لهم ومحاربتهم فكانت رسالته: «الاعتقادات» واضحة وصريحة في التنديد بهم وبيان انحرافهم وطلب من المجتمع ألاّ يصغي الى أقاويلهم وألاّ ينخدع بحيلهم «وانه قام باتمام الحجة على الناس»[١].

ولم ينصرف في جهاده الثقافي والفكري الى شن الحرب على الصوفية فقط بل وانتبه الى النشاط التبشيري المتزايد وحذر من دور المبشرين في البلاط الملكي ومن أنشطة الشركات الغربية اضافة الى مراقبته لكل الظواهر والنشاطات التي تهدف الى سلخ المجتمع المسلم عن هويته فقد وصل اليه خبر، عن وجود بعض الوثنيين وان هناك مكان للأوثان يجتمع فيه الوثنيون للعبادة وقام المجلسي بالتحقيق فوراً وبعد أن تأكد من ذلك أصدر فتواه بضرورة تدمير المكان[٢].

وبعد وفاة شاه سليمان جلس على العرش الصفوي ابنه «سلطان حسين» وقد قام الشاه الجديد بحرمان المتصوفة من القيام بمراسم التتويج والتمنطق بالسيف وطلب من العلاّمة المجلسي أن يتولّىٰ ذلك وهذا يعد ضربة قوية للصوفية[٣].

وعرض الشاه على العلاّمة المجلسي ازاء ذلك أن يطلب ما يريد وانه حاضر لتقديم أية خدمة[٤].

وفي هذه اللحظة طلب العلاّمة المجلسي من الشاه الشاب الذي لم يكن قادراً حتى على ركوب الحصان[٥] أن يصدر أمراً لمنع تناول الخمر وان يسعىٰ للقضاء

(١) الاعتقادات، ٧٨.

(٢) روضات الجنات ٢ / ٧٩.

(٣) انقراض السلسلة الصفوية / ٤٣.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر السابق / ٣٩.

على التفرقة وكذا اللعب مع الطيور التي تستلزم من الشبان عادة ارتقاء السطوح بما في ذلك سطوح الجيران وقد استجاب الشاه لهذه الطلبات على الفور[١] كما وشجع العلّامة المجلسي الشاه على طرد الصوفية من المدينة (اصفهان)[٢].

ولقد عدّ ما قام به العلّامة المجلسي نصراً في اعادة البناء الاجتماعي للمجتمع في وقت تكالبت على البلاد قوىٰ الشرق (الاوزبك) والغرب (الامبراطورية العثمانية) والشمال (الروس) والجنوب (الشركات الهولندية وشركات الهند الشرقية (الانجليزية).

ومن الطبيعي أن لا تروق هذه الاجراءات لخواجات البلاط الصفوي من المتنفذين الذين بدأوا بدفع الشاه الشاب الى حياة القصور من بذخ ولذائذ وأصبح العلّامة المجلسي قدرة عديمة التأثير في البلاط والمجتمع وبدأت أمارات الضعف والاضمحلال على البلاد وبدأت مؤشرات خطر الانهيار تتسارع أكثر فأكثر بعد رحيل العلّامة المجلسي في رمضان سنة (١١١١ هـ) ليبدأ العد المعكوس لمجد الدولة الصفوية وكان سقوط مدينة قندهار في نفس العام (١١١١ هـ)[٣] إيذاناً بزوال الحكم الصفوي على أيدي القبائل الأفغانية القادمة من الشرق والتي اتخذت من قندهار قاعدة لاجتياح ايران.

وقد شيع جثمان العلّامة المجلسي الراحل ليواريٰ الثرىٰ الى جانب مرقد والده المولىٰ محمد تقي المجلسي وليصبح مزاراً للمؤمنين.

---

(١) المصدر السابق / ٤٣.

(٢) المصدر السابق / ٤٣.

(٣) قصص العلماء، التنكابني / ٢٠٥.

السيد نعمة الله الجزائري /المتوفىٰ سنة ١١١٢ هـ

الميلاد

في «الصباغية» إحدىٰ جزر مدينة البصرة جنوبي العراق وفي حدود عام (١٠٥٠ هـ)[١] ولد سيد نعمة الله وابتهج بيت سيد عبد الله بميلاد حفيد الامام الكاظم[٢] وذريته.

دراسته

بدأ سيد نعمة الله دراسته في سن مبكرة وكانت أولىٰ خطاه في الكتاتيب وبعد أن طوىٰ مراحل الدراسة بهمة ونشاط وراح ينهل علومه على أيدي أساتذة في الصباغية وشط بني أسد والحويزة والبصرة الى أن بلغ الحادية عشرة من عمره، وفي هذه السن اصطحبه أخوه سيد نجم الدين الى مدينة شيراز حيث أقام في مدرسة المنصورية[٣] بدعم من الشيخ جعفر البحراني.

وقد اضطره الفقر المدقع الى تأمين معيشته عن طريق استنساخ الكتب وتصحيحها والقيام بالتحشية[٤] وربما ظل حتى الصباح مستغرقاً في المطالعة

---

(١) نابغة الفقه والحديث، سيد محمد الجزائري / ١٠.

(٢) تحفة العالم، الشوشتري / ٥٣.

(٣) الأنوار النعمانية، سيد نعمة الله الجزائري ٤ / ٣٠٢ - ٣٠٧.

(٤) نفس المصدر السابق.

والدراسة حتى اذا أدىٰ صلاة الفجر أغلق كتابه؛ ليقوم بعد ذلك بمهمة التدريس – بعد اغفاءة قصيرة – حتى الزوال، وبعد صلاة الظهر يسرع الى أحد أساتذته منتظماً في حلقته[١] وهو يتذكر تلك الأيام ويتحدث عنها في كتابه الأنوار النعمانية ويذكر جوعه الشديد لأنه في أغلب الأوقات كان عاجزاً عن توفير قرص الرغيف يسدّ به رمقه فيبقىٰ جائعاً الى الليل حيث يستغرق في دراسته وحينئذ ينسىٰ جوعه وينسىٰ انه أكل شيئاً أم لم يأكل ثم يدرك فيما بعد أنه طوىٰ نهاره جائعاً[٢]!

كانت فصول السنة كلها هي فصول دراسة وطلب علم ولم يكن يميز بين الشتاء والصيف وهو لا ينسىٰ بعض ذكرياته فمثلاً يشير الى احداها وكان ذلك في فصل الشتاء، وكان لديه درس فيما هو مستغرق في تحشية كتاب وقد كان البرد شديداً بحيث نزف الدم من يده! ثلاثة أعوام وهو على هذا الحال[٣] هكذا عاش ذلك الشاب القادم من بلاد مابين النهرين انه لم يكن يجد لقمة خبز يسد بها جوعه ويقيمَ بها أوده وما أكثر الليالي التي كانت فيها غرفته مظلمة لأنه لا يستطيع توفير الزيت لفانوسه وهذا ما يجعله يستغرق في حزن عميق لأنه لا يستطيع أن يدرس ومع ذلك فقد كان يتحمل الجوع أما مفارقة الكتاب فلا لهذا كان يلجأ الى ضوء القمر أحياناً أو الى بيت صديق أو الى المسجد الجامع[٤].

ومع هذه الظروف الصعبة ومع كل ما كان يعانيه السيد الجليل الاّ انه أحب مدينة شيراز وعشق مظاهر الجمال فيها، بساتينها الخضراء ومناظرها الخلّابة

---

(١) المصدر السابق ٣٠٨ – ٣١٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر السابق / ٣٠٨ – ٣١٠.

وينابيعها الصافية وربما اجتذبته مناظر الحياة خارج المدينة ليقضي أوقاتاً في جمال الطبيعة فتتدفق روح الحياة في عروقه ويشعر بالحيوية[١].

وتتابع الرسائل من والده تحثه على العودة الى الصباغية فلقد كان والداه يعدّان اللحظات للقياه ولكي يمنعاه من العودة الى شيراز فقد كان في بالهما فكرة تزويجه، وهكذا عاد سيد نعمة الله الى مسقط رأسه واقترن بابنة عمه. وبدا نعمة الله وكأنه نسي الدراسة والمدرسة ولكن ما إن مضىٰ عشرون يوماً على زواجه حتىٰ التقىٰ أحد علماء المدينة الذي أشعل في أعماقه حب الدراسة فالتهب حماساً من أجل العودة في نفس اللقاء بحيث تسلل من المكان متوجهاً الى شيراز دون أن يطلع أحداً على ذلك[٢] ولم تكن تمضي مدة قصيرة على عودته الى مدرسة المنصورية حتى وصله نبأ وفاة والده[٣] فغرق في أحزانه ثم تلا ذلك اشتعال النار في المدرسة ونشوب الحريق فيها[٤] فشدّ الرحال الى مدينة اصفهان يحمل معه ذكريات دراسته في شيراز على أيدي أساتذتها المبرزين من قبيل: الشيخ جعفر البحراني (المتوفىٰ سنة ١٠٩١ هـ) وابراهيم بن ملّا صدرا وشاه أبو الولي بن شاه تقي الدين الشيرازي والسيد هاشم بن حسين الاحسائي[٥] والشيخ صالح بن عبد الكريم الكزكزاني (المتوفى سنة ١٠٩٨ هـ)[٦].

---

(١) المصدر السابق / ٣٠٨.
(٢) نابغة الفقه والحديث / ١٢٥.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) كشف الأسرار في شرح الاستبصار، نعمة الله الجزائري ١ / ٥٨.
(٦) نابغة الفقه والحديث / ١٢٩.

في حمىٰ الشمس

تتلمذ ابن الصباغية في اصفهان لدىٰ أساتذة عديدين منهم الحافظ السيد محمد ميرزا الجزائري[١] والميرزا رفيع الدين محمد بن حيدر الطباطبائي[٢] (المتوفى سنة ١٠٢٩ هـ) والشيخ عماد الدين اليزدي[٣] والمحقق السبزواري (المتوفى سنة ١٠٩٠ هـ)[٤] والشيخ علي بن الشيخ محمد العاملي[٥] والشيخ الحر العاملي (المتوفى سنة ١١٠٤ هـ)[٦] والشيخ حسين بن جمال الدين الخوانساري (المتوفى سنة ١٠٩٨ هـ)[٧] وأمير اسماعيل خاتون آبادي (المتوفى سنة ١١١٦هـ)[٨] والملّا محسن الفيض الكاشاني (المتوفى سنة ١٠٩١ هـ)[٩] والعلّامة محمد باقر المجلسي.

ولقد صاغ الجوع والحرمان من هذا الطالب انساناً شريفاً وقاده الى ذرىٰ الكمال ولكن الدهر الذي قسا عليه سنوات طويلة يمد له يداً حنون. اذ سرعان ما اكتشف العلماء في نفس تلميذهم جوهرة متألقة فتعاطفوا معه ووفروا له ما يحتاج فلم يعد سيد نعمة الله يعيش هاجس نضوب الزيت وانطفاء الفانوس ولم يعد الجوع يعظه فيتلوّىٰ ألماً لقد وجد ولله الحمد دفءاً وشبعاً فانصرف الى الدراسة فارغ البال يروي ذكرياته عن تلك الأيام قرب أستاذه الكبير العلّامة محمد باقر

---

(١) المصدر السابق / ١٠٩.

(٢) المصدر السابق / ١٠٦.

(٣) قصص العلماء / ٤٣٧.

(٤) رياض العلماء، الأفندي / ٥٦ - ٢٥٦.

(٥) تحفة العالم / ٥٥.

(٦) نابغة الفقه والحديث / ٩٢.

(٧) كشف الأسرار ١ / ٥٩.

(٨) نبذة من حياة عبقري، سيد طبيب الجزائري / ١٤٠٧.

(٩) كشف الأسرار ١ / ٤٩.

المجلسي ويذكر ملازمته للعلامة ليل نهار ابان فترة تأليـفه مـوسوعته الكـبرىٰ «بحار الأنوار» وكانت له مع أستاذه مباحثات حول بعض الأحاديث المشكلة، وربما أيقظه العلّامة من النوم ليراجع معه بعض الأحاديث[١].

وكان الجزائري ينام في حجرة العلّامة من أجل ذلك وربما مازحه ليتضاحكا دفعاً لتعب البحث والدراسة، ويذكر الجزائري، وانه مع قربه من العلّامة وملازمته إياه كان قلبه يخفق كلما رآه حيث كان يقف خلف الباب برهة ريـثما يـعود الى حالته العادية قبل أن يدخل الحجرة[٢].

وقد أمضىٰ السيد الجزائري أربع سنوات في منزل العلّامة وعندما اكتمل بناء المدرسة التي أنشأها ميرزا تقي الدولت آبادي انتدب السيد الجزائري للتدريس فيها[٣].

وهكذا أشرقت شمس الصباغية من أفق هذه المدرسة لتغمر بنورها جـميع الحوزات الدينية، لقد جمع السيد الجزائري العلم والحلم والتواضع والفهم وكان بسيطاً في المأكل والملبس بشوش الوجه بليغاً في بيانه وقد اجتذبت بلاغته الكثير من الطلاب الى مدرسة الدولت آبـادي وبسـبب دراسـاته الطـويلة وتـحقيقاته وبحوثه وجهوده في التأليف والتصنيف والتدريس فقد ضعف بصره وسقط مريضاً.

وكان السيد الجزائري عاشقاً للمطالعة، فلم يكترث لألم عينيه وهذا ما تسبب في تدهور الرؤية لديه وأصبحت المسألة حساسة وفي غاية الخطورة، وقد بذل الأطباء كل ما بوسعهم ولكن لم يحصل السيد الجزائري الّا على الألم، وعـندما عجز الطبّ قرر الجزائري أمراً وأخبر شقيقه سيد نجم الدين بعزمه عـلى زيـارة

---

(١) نبذة من حياة عبقري، الفقه والحديث، سيد طيب الجزائري / ١٤.

(٢) كشف الأسرار ١ / ٤٩.

(٣) نابغة الفقه والحديث / ١٢.

العتبات المقدسة في العراق وكان أخوه في غاية الشوق لذلك فعرض على السيد رغبته في مرافقته الى العراق.

وانطلق الشقيقان نحو العراق[١] ليصلا مدينة سامراء[٢] في رحلة لم تخلو من الأخطار، ولم ينس الجزائري أن يسجل رحلته في دفتر ذكرياته: «عندما وصلنا النهر كانت سنابك خيل اللصوص تسمع بوضوح، قرأت آية الكرسي وطلبت من جميع أفراد القافلة أن يقرأوها، فلما وصل اللصوص لم يقتربوا منّا وظلوا فترة يفكرون بأمرنا ثم تقدموا نحونا، قال زعيمهم هل ضللتم الطريق؟ قلنا: نعم فأرسل معنا أحد اللصوص ليوصلنا الى المحطة التالية»[٣].

وبعد أن زار السيد الجزائري العتبات المقدسة ومراقد أهل البيت الشريفة وكان يأخذ من كل ضريح قبضة من التراب ثم خلط الجميع واكتحل به وحدثت المعجزة لقد عاد بصره وأصبح يرىٰ ويطالع بلا عناء[٤].

ولم تكن ثمرة رحلة العراق استعادة بصره فقط؛ فقد عثر في مزار أمير المؤمنين عليه السلام على درة فصنع منها خاتم عتيق[٥].

حصار في الطريق

اتخذ السيد الجزائري طريقه نحو مسقط رأسه (الصباغية) لزيارة أقاربه وأصدقائه ومعارفه ومنها إنطلق الى اصفهان وفي الأثناء كانت سحب الحرب مع الدولة العثمانية تتجمع في الأفق وكان حاكم البصرة حسين باشا ينتظر وصول

---

(١) كشف الأسرار ١ / ٥٩.

(٢) الأنوار النعمانية ٤ / ٣١٣.

(٣) المصدر السابق ٣١٤ - ٣١٦.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

العثمانيين لمواجهتهم مما اضطر الى اللجوء الى قلعة القرنة بعد أن أرسل اسرته وكتبه بيد أخيه الى «الحويزة» فيما اشتغل هو بتأليف كتابه «شرح التهذيب» وخلال ذلك حوصرت قلعة القرنة من قبل العثمانيين، وبعد أربعة أشهر من الحصار سنحت فرصة للهروب من القلعة واتخذ طريقه نحو الحويزة فمكث فيها مدّة شهرين[١] ومنها ذهب الى اصفهان العاصمة الصفوية بعد توقف في شوشتر ودهدشت وكان ما يزال يعاني من آلام في ساعده بعد سقوطه من دابته[٢] ولم يشف من جراحه الاّ بعد خمسة أشهر ولكنه ظل يعاني من مضاعفات الحادث وقد رافقته حتى وفاته. ولم يكن قد تنفس الصعداء من رحلته الشاقة حتى كلكل الحزن في نفسه بعد أن فجع بفقد أخيه سيد نجم الدين في ليلة الجمعة غرة شعبان عام ١٠٧٩ هـ[٣].

وقد ألقىٰ الحادث الفجيع ظلال الحزن على حياته فقد كان سيد نجم الدين أخاً مخلصاً ورفيق درب وفي، وهكذا رافقه شعور بالحزن الى آخر أيام حياته؛ سوف لن ينسىٰ أخاه الحبيب الى أن يرقد تحت أكوام التراب[٤] ويرحل الأخ الحزين الى مدينة مشهد المقدسة ليلقي عصا الترحال في جوار الامام الرضاعليه السلام.

مرجع الجنوب

وفي طريق عودته من خراسان سقط السيد الجزائري مريضاً في مدينة سبزوار ليوصل نفسه الى اصفهان بشق الأنفس؛ ويشاء القدر أن تصله رسائل

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) نابغة الفقه والحديث / ١٥ - ١٨.

(٣) كشف الأسرار ١ / ٢٤٥.

(٤) نابغة الفقه والحديث / ٢٨٩ - ٢٩٠.

عديدة من الحويزة وشوشتر تدعوه الى القدوم ويبدو أنه وقع في حيرة من أمره فلجأ الى كتاب الله يتفأل به ويستخير؛ فوقعت الخيرة على شوشتر ليلبي دعوة فتح علي خان (حاكم خوزستان) وكان ذلك في أخريات عام (١٠٧١ هـ) ليصل شوشتر في تلك الأيام[١].

وهناك في تلك الديار تنهض المساجد والمدارس التي يختلف اليها عشّاق أهل البيت عليهم السلام. كان السيد الجليل يؤم المؤمنين في المسجد الجامع ويتجول في الأسواق يعلّم الناس ويرشدهم الى الآداب الاسلامية[٢]، وشيئاً فشيئاً تنبت البذور وتنمو الفسائل وتؤتي جهوده ثمارها في المجتمع فقد ظهر علماء يبشّرون بالخير وينشرون ثقافة أهل البيت فتهافت الناس عليهم حبّاً لأهل البيت عليهم السلام[٣] وتصل أنباء نجاح هذا الفقيه الى أسماع شاه سليمان وحينئذ يأمر الأخير بتنصيب السيد الجزائري شيخاً للاسلام في الجنوب وتسند اليه كل الوظائف الدينية[٤].

انه الآن المرجع الديني لأهالي خوزستان وجنوب العراق وكانت بياناته تنشر في كل مكان تتصدرها الآية الكريمة **﴿وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾** وتوقيعه: «الواثق بالله نعمة الله».

في مأتم الشمس

ومع ولادة ابنه البكر سنحت له فرصة التوجه الى بيت الله الحرام بمعية استاذه العبقري الشيخ الحرّ العاملي[٥].

---

(١) المصدر السابق ٢٨٦ – ٢٨٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر السابق / ١٥ – ١٨.

وشدّته ربوع الوحي في مكة والمدينة اذ انه سرعان ما يعود الى الحج مرّة أخرىٰ سنة ١٠٩٥ هـ[١].

وعندما يعود من حج بيت الله الحرام اذا به يصاب بفقد ولده سيد حبيب الله[٢]، ثم أعقب ذلك أن فجع بالطامّة الكبرىٰ بعد سماعه نبأ رحيل زعيم الحوزات العلمية العلّامة الكبير محمد باقر المجلسي، ولم يعد يتحمل البقاء لحظة واحدة في مكانه؛ فأسرع الى اصفهان ليشارك في مراسم الغسل والتشييع والدفن لهذا العالم التقي الراحل[٣] ليعود بعد ذلك الى شوشتر بعد أن مكث في العاصمة مدّة ولكن المقام في شوشتر أصبح عليه صعباً وظل يعاني من مصاب فقده استاذه فقرر الذهاب الى مشهد فلعل إمامه بالحق شمس المشرق في خراسان يضمد جراحه النازفة، ولدىٰ عودته من مشهد الى شوشتر توقف مدّة في مدينة «جرجان» في شمال ايران[٤] حيث انعقدت بحضوره محافل الدرس والعلم مدّة ليأخذ بعدها طريقه عائداً الى شوشتر حيث ينتظره أهلها.

الشجرة السماوية

لقد تربىٰ في ظلال هذا السيد الوقور كثير من الشباب الذين وفدوا للدراسة والتتلمذ على يديه وأصبح كثير منهم علماء أفذاذ وكان في طليعتهم: ابو الحسن الاصفهاني الغروي، ابو الحسن الشوشتري، الشيخ علي بن حسين بن محيي الدين العاملي، فتح الله بن علوان الكعبي الدورقي، القاضي محمد تقي بن القاضي

(١) المصدر نفسه.

(٢) كشف الأسرار ١ / ٢٤٥.

(٣) نابغة الفقه والحديث / ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٤) كشف الأسرار ١ / ١٤٧ - ١٤٨.

عنايت الله الشوشتري، الشيخ محمد الضبيري، الشيخ محمد علم الهدىٰ الكاشاني، الشيخ محمد بن علي بن حسين النجار الشوشتري، محمود بن مير علي الميمندي وعشرات من الشخصيات العلمية الأخرى[١].

كتاباته الخضراء

ترك السيد نعمة الله الجزائري وراءه آثاراً عديدة تربو على الخمسة والخمسين كتاباً وأثراً، وفيما يلي عناوين بعضها:

١ - الأنوار النعمانية في بيان النشأة الانسانية ٢ - أنيس الفريد في شرح التوحيد ٣ - تحفة الأسرار في الجمع بين الأخبار ٤ - الجواهر الغوالي في شرح عوالي اللآلي ٥ - رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار ٦ - زهر الربيع ٧ - الغاية القصوىٰ ٨ - عقود المرجان في تفسير القرآن ٩ - مشكلات المسائل ١٠ - منبع الحياة في اعتبار قول المجتهدين من الأموات ١١ - نوادر الأخبار ١٢ - الشعور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين ١٣ - هدية المبين وتحفة الراغبين، وعشرات الكتب غيرها بالاضافة الى حواشيه وشروحه[٢].

مسافر في الملكوت

ويبلغ مرجع الجنوب الثانية والستين من عمره وها هو الآن في طريقه الى خوزستان ولكن القافلة التي كان معها ستتوقف في اقليم «لرستان» في مدينة صغيرة بالقرب من «بلدختر»[٣] فهناك احدىٰ محطات القوافل حيث تلتقط الابل أنفاسها ولكن المرض الذي ترك آثاره في بدنه النحيف يشتد لتعرج روح ذلك

---

(١) المصدر السابق ٦٨ - ١٠٣.

(٢) المصدر السابق / ١٠٦ - ٢٣٨؛ نبذة عن حياة السيد الجزائري / ١٦ - ٧٧.

(٣) نابغة الفقه والحديث / ٢٢٥.

السيد الجليل في ليلة الجمعة في الثاني والعشرين من شوال عام ١١١٢ هـ[١].

وهكذا أغمض السيد الراحل عينيه الى الأبد تانك العينين اللتان طالما دعا الله سبحانه أن تظلا مبصرتين من أجل البحث والعلم والتحقيق ونشر ثقافة أهل البيت عليهم السلام بين الناس.

ووري جثمان الفقيد الراحل الثرىٰ في ذلك المكان علىٰ طريق القوافل المسافرة ليصبح المرقد مزاراً لأهل تلك الديار يلتمسون في زيارته البركة والثواب وكان بعض المحسنين يوقفون بعض ما يخدم الناس الزائرين بعد أن أضحىٰ المكان مصلّىٰ ومكاناً للعبادة[٢] وشيئاً فشيئاً كان المسافرون ينقلون كرامات هذا الراقد في طريق القوافل ويطول الحديث في هذا المجال ولكن نكتفي بحكاية الشيخ حسين بخش الجعفري من أهل باكستان لنكتشف جانباً من ذلك؛ كان الشيخ حسين قلقاً جداً بعدما صدر الحكم باعدام أخيه وذات ليلة رأىٰ في عالم المنام هذا السيد يشكو اليه ما حلّ به من هذه المعضلة فيأمر السيد أن يزوره في مرقده وأن الله سيجعل له فرجاً ممّا هو فيه فيقول شيخ حسين: يا مولاي من تكون أنت فأنا لا أعرفك وأين مكانك حتىٰ أزورك فيقول له السيد: انك لك صديقاً يعرفني وهو قادم الى زيارتي فليصطحبك معه؛ وفي الصباح كان الشيخ حسين يتحدث عن رؤياه وسرعان ما عرف ذلك الصديق الذي عزم على زيارة مرقد السيد الراحل فيتعجب من رؤيا صديقه وحينئذ ينطلقان الى الزيارة ويزور الشيخ حسين وهناك يصلّي ويطلب من الله عز وجل أن يفرج عن كربته ولما عزم على العودة الى باكستان ودع الشيخ حسين ذلك السيد واذا به يسمع خبر اطلاق سراح أخيه وخلاصه من تلك المشكلة[٣].

---

(١) فيض العلام في عمل الشهور ووقايع الأيام، الشيخ عباس القمي / ٨١.

(٢) كشف الأسرار ١ / ٤٤٢ - ٤٤٥.

(٣) المصدر نفسه.

أبناؤه

رزق الله السيد الجزائري أربعة أولاد هم: سيد نور الدين، سيد حبيب الله، سيد محمد شفيع القاضي والسيد جمال الدين.

وكان السيد حبيب الله قد مات في حياته أما السيد نور الدين فقد ورث الحكمة والعلم والفضل عن أبيه[١] وكان قد ولد سنة (١٠٨٨ هـ) ودرس في مسقط رأسه حتى اذا بلغ مراتب العلماء خلف أباه في منصب شيخ الاسلام بعد وفاة والده، ومن ذرّيته امتد نسل الجزائري فيما يعرف اليوم بـ«سادات النورية»[٢].

---

(١) نبذة عن حياة عبقري الفقه والحديث / ٢٠ - ٢١.

(٢) كشف الأسرار ١ / ٤٤٢ - ٤٤٥.

السيد علي خان الكبير / المتوفى سنة ١١٢٠ هـ

على ساحل الصحيفة

ولد السيد علي خان الكبير في غروب يوم الجمعة الخامس عشر من شهر جماديٰ الأُولىٰ سنة (١٠٥٢ هـ) في مدينة «پاي»[١]، أبوه هو سيد نظام الدين أحمد من علماء شيراز ذوي الأصل الحجازي ومن ذرية الامام علي بن الحسين عليه السلام[٢] والدته امرأة جليلة القدر كريمة الشيخ محمد بن أحمد المتوفى من مراجع الشافعية الأتقياء[٣].

كان سيد علي ما يزال صبياً عندما تلقىٰ والده دعوة من قطب شاه السابع حاكم ولاية حيدر آباد حيث انتدب لارشاد المؤمنين في تلك المنطقة من شبه القارة الهندية[٤].

أسرار الحجاز

وترعرع هذا الصبي الحجازي في أحضان والدته الجليلة وكان خاله الشاعر والعالم والقاضي عبد الجواد المتوفى إماماً للمذهب الشافعي في عصره وكان يؤم

---

(١) الفوائد الرضوية، الشيخ عباس القمي / ٢٧٠.

(٢) ريحانة الأدب، محمد المدرس ط ٣، ٢ / ٩١.

(٣) سلافة العصر، سيد علي خان المدني / ١٢٤.

(٤) سبحة المرجان في آثار هندوستان ط حجرية، / ٨٦.

المؤمنين في الصلاة بالمسجد الحرام وعلاقة الصبي بخاله كانت علاقة وطيدة[١] حيث نما الصبي وترعرع في ظلال خاله وتحت رعايته وبسبب موقع خاله ومركزه الديني والاجتماعي فقد تسنت للصبي أن يلتقي كثيراً من الشخصيات المعروفة يومئذ منهم: الشيخ عبد الله بن سعيد باقشير، السيد نور الدين علي بن حسن الحسيني الشامي، سبط الشيخ زين بن الشيخ محمد الشامي العاملي، القاضي تاج الدين أحمد بن ابراهيم المالكي المكي والمولىٰ محمد باقر الخراساني وكانوا يختلفون الى المسجد الحرام للتدريس أو امامة المصلّين في المسجد الحرام[٢] وكانت له ذكريات جميلة عن تلك الفترة من حياته.

في مثل هذه الأجواء ترعرع الصبي ونما الى أن بلغ الرابعة عشرة من عمره وفي هذه السن تلقىٰ رسالة من والده يدعوه للهجرة والسفر ولبىٰ الشاب اليافع دعوة أبيه فأعد العدّة للسفر حيث وصل شبه القارة في السادس من شعبان عام (١٠٦٦ هـ)[٣].

دنيا جديدة

استغرقت رحلة الشاب عشرين شهراً وفي مطلع ربيع الأول سنة (١٠٦٨ هـ) وصل سيد علي حيدر آباد[٤]. واحتضن الوالد ابنه بشوق ولهفة وقص الشاب على والده ذكرياته في الحجاز وتضحيات والدته.

وأطلع الوالد ولده على موقعه الاجتماعي وما يتمتع به من مركز اجتماعي

---

(١) سلافة العصر / ١٢٥.
(٢) المصدر السابق / ١٣٣ – ٤٩٢.
(٣) سبحة المرجان غلام علي آزاد ط حجرية / ٤٦.
(٤) المصدر نفسه.

باعتباره شيخ الاسلام في تلك الديار وكيف أصبح صهر السلطان[١] ومن ثم بدأ الوالد يرتب لابنه برنامجه الدراسي؛ جدير ذكره ان نظام الدين لم يكن ليجد الفرصة الكافية لتربية ابنه علمياً ولهذا أمر ابنه الّا يكتفي بدروس والده وان يتتلمذ على أيدي علماء آخرين في حيدر آباد وما أكثر العلماء الوافدين الى هذه الولاية.

ولبّىٰ الشاب نصيحة والده ورغبته فتتلمذ على أيدي أبرز علماء الولاية وفي طليعتهم محمد بن علي الشامي العاملي[٢]، والشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني[٣].

جدير ذكره ان الشاب لم يكتف من علوم أساتذته بما هو مقرر في دراسته بل كان هناك مصدر آخر لكسب معارفه اذ كان يشترك في الجلسات الرسمية وغير الرسمية لوالده وكان ينهل مما تفيض به الجلسات من معارف متنوعة، وتشير المدونات المتوافرة ان مجالس والده كانت ترىٰ الأدباء والفقهاء والأطباء وهذا ما وفّر فرصة جيّدة للشاب في مجالسة شخصيات أدبية وعلمية كبيرة من قبيل الأديب المرموق سيد حسين علي بن حسن شدقم الحسيني والأديب الطبيب المشهور الشيخ حسين بن شهاب الدين الكركي الشامي[٤] والإفادة كثيراً من تجاربهم الثرّة.

(١) المصدر نفسه.
(٢) سلافة العصر / ٣٢٣ - ٣٢٤.
(٣) المصدر السابق / ٢٥٣ - ٢٥٩.
(٤) المصدر السابق / ٢٥٣ - ٣٥٩.

الطعنة

ويشاء القدر أن يرحل قطب شاه (السلطان عبد الله) عن الدنيا ليخلفه على الحكم صهره المتشبع بالمسلك الصوفي والذي سيدعىٰ بـ«السلطان ابو الحسن قطب شاه الثامن»[١]. وكان أول خطواته كما هو الحال لدىٰ الحكام والملوك هو القضاء على منافسيه وكان سيد نظام الدين ونجله في طليعة منافسيه كما يتصور انه زعيم ديني يتمتع بنفوذ كبير في حيدر آباد ولذا فهو بركان خامد لكنه قد يشتمل ذات يوم وحينئذ يصبّ حممه الالٰهية ولهذا بدأ السلطان الجديد سياسة في غاية التشديد مع سيد نظام الدين ونجله وبدأ يسلب عنهما جميع المسؤوليات ليفرض عليه حصاراً قاسياً وقد امتدت هذه الفترة الصعبة عشر سنين بالرغم من ان صدر الدين كانت له علاقات طيبة مع جلساء والده وكان بعض تلك الشخصيات النافذة تخفف من حدّة سياسة السلطان قطب شاه الثامن وفي طليعة من وقف مع السيد في محنته الحكيم أبو الحسن بن ابراهيم الطيب الشيرازي والأديب المرموق الشيخ جمال الدين محمد بن عبد الله النجفي المالكي ولكن الأيام الخوالي التي قضاها السيد في ظلال السلطان السابق ولّت الى غير رجعة وبدأ الدهر يستهدف السيد وولده بالحوادث وقد سجل بعض مما عاناه في كتابه «سلافة العصر» وصور آلامه ومصائبه التي كانت تشيب الطفل الرضيع على حد وصفه، وكانت مشاعر الغربة تزيد من عذابه وتنكر له كثيرون من معارفه وأصدقائه وحتى بعض أقاربه كل هؤلاء اضرموا النار في حياته[٢].

ولم تنته عذابات السيد نظام الدين الّا بعد أن غيب خلف التراب تاركاً ابنه صدر الدين هدفاً لسهام السلطان ابو الحسن والذي شعر انه قد تخلص من منافس

---

(١) أعيان الشيعة ٨ / ٧١.

(٢) المصدر السابق ٥٥٤ - ٥٥٦.

قوي أما ابنه فسوف يُحاصر في منزله الصغير ويمنع عنه زيارة الناس.

وبدأت محنة صدر الدين تتضاعف بعد أن أصبح وحيداً، هذه المحنة التي ستستمر سنوات أخرىٰ طويلة وقد أشار اليها في «سلافة العصر» شاكياً الغربة والوحدة حيث لا أنيس ولا نديم الاّ الحزن والمرارة في بيت يشبه السجن بل الزنزانة ووجد في الكتاب والدفتر متعته مراقباً من خلال كوّة صغيرة في البيت موكب الحياة[١].

ولكن هذه التجربة القاسية أفادته في النار التي أراد السلطان أن يحرقها بها أصبحت برداً وسلاماً فقد أثمرت عزلته ووحدته عن اتمام بحوثه ليولد كتابه النفيس «الحدائق الندية في شرح الصمدية» وكان ذلك سنة (١٠٧٩ هـ) ليضاف بجهد أدبي علمي رفيع الى دنيا العلم والأدب[٢] وكانت السطور الأخيرة في خاتمة الكتاب ان هذا الشرح كُتب وألف في أيام مليئة بالمرارة والحزن والألم.. لقد عشت في أرض كسد فيها سوق العلم وأصبحت للجهال فيه خطوة وسطوة[٣].

وفي أخريات عام (١٠٧٩ هـ) فجع سيد علي برحيل الشيخ أحمد بن محمد علي الجوهري المكي[٤]، لقد كان الرجل عالماً فاضلاً كانت له علاقة طيبة جداً مع سيد علي ومراسلات يطيب فيها خاطر السيد وربما استطاع في بعضها أن يرسم على شفاهه ابتسامة تبدد أحزانه وآلامه.

---

(١) المصدر السابق / ٧.

(٢) الحدائق الندية، سيد علي خان المدني ط حجرية / ٥٨٣.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) سلافة العصر / ١٩٣ - ١٩٤.

تفتح النيلوفر

في عام (١٠٨٢ هـ) تفتحت ورود النيلوفر في مستنقع حيدر آباد، ففي ربيع الثاني من هذا العام أثمرت جهود سيد علي وتألق كتابه القيم: «سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر» وكان حدثاً ثقافياً في المحافل الأدبية والفنية[١] لقد استطاع أن يفرغ كل ما في ذاكرته وصدره على الورق فيما يخص شعراء العرب ليسفر جهده عن كتابه القيم وسفره الجليل في الأدب العربي.

الهروب من السجن

لم تنته آلام ومعاناة سيد علي وقد ظل جلاوزة الحكم والحاكم يحصون عليه انفاسه وكم من مرّة اقتحم منزله الصغير للبحث عن أشياء ممنوعة في رأيهم وكم جاسوس ارسل تحت غطاء تلميذ وطالب علم وكانت التقارير السلبية تضاعف من محنته. هنالك قرر سيد علي الفرار من هذا السجن القاسي تاركاً جلاوزة الحاكم في حيرة وانطلق فرسان الدوريات للبحث عنه والقبض عليه ولكن دون جدوىٰ فغادروا يجرّون أذيال الخيبة والخسران[٢].

وقد نجح سيد علي في الافلات من قبضة القطب الثامن حيث وصل الى «برهانبور» ليقابل في أول فرصة ملك تلك الديار «محمد اورنك زيب» العدو اللدود لحكومة حيدر آباد[٣] وكان «محمد أورنك زيب» يحاول جاهداً اجتذاب العلماء والسياسيين الى منطقة نفوذه ولهذا فقد احتفل بسيد أدباء الجزيرة العربية ومنحه لقب «خان» ووضع تحت أمرته الفاً وثلاثمئة فارس[٤].

---

(١) المصدر السابق / ٥٥٩.

(٢) سبحة المرجان / ٨٦.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) مستدرك الوسائل ٢ / ٣٨٦.

وهكذا اشتهر نجل السيد نظام الدين بـ«صدر الدين سيد علي خان» وقد قدم الى السلطان اقتراحات تسهم في بناء البلاد وأصبح له نفوذ وتأثير كبير في الجيش وكان السلطان يصطحبه في بعض تحركاته العسكرية وربما جعله قائداً للحرس في العاصمة «اورنك آباد»[١].

وقد عمل العالم الكبير جاهداً في نشر الأمن في المدينة وبسبب نجاحه في القيام بالمهمات على خير وجه عينه السلطان حاكماً على مدينة لاهور المناطق المجاورة[٢]، وقد وجه السلطان فيه خير من يؤازره في ادارة شؤون البلاد.

وبالرغم من مشاغله الادارية الكثيرة ومسؤولياته الحكومية الاّ ان ذلك لم يثنه عن حركته العلمية فقد استمر في التحقيق والتأليف والتصنيف وكان يستثمر كل الفرصة المتاحة له في ذلك.

وفي تلك الفترة التي شهدت تحركات عسكرية ظهر غير أثره النفيس: «أنوار الربيع في أنواع البديع» وهو كتاب له وقع طيب في الأوساط الأدبية[٣] وقد أشار المؤلف في خاتمة الكتاب الى ظروف تأليفه هذا الأثر الأدبي وتساؤله عن كيفية سنوح مثل هكذا فرصة في فترة شهدت تحركات عسكرية في عالم لا يرىٰ المرء فيه سوىٰ بريق السيوف واتصال الرماح وأزمّة الخيل وحيث لا جليس غير جنود وضباط وشخصيات الحرب وحيث مدرسة ومسجد ومكان دراسة سوىٰ اصطفاف الجنود أمام العدو على الحدود وحيث لا صوت سوىٰ شعارات الحرب: «يا خيل الله اركبي ولا نداء سوىٰ صيحات القادة والضباط أقدموا لي الجواد»[٤].

---

(١) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، سيد علي خان المدني ط المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٨١ مقدمة صادق بحر العلوم / ٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سبحة المرجان / ٨٧.

(٤) أنوار الربيع / ٨٥.

الصعود

لم يكن المنصب والمقام الذي حصل عليه يشكل لديه قيمة بذاتها فالسياسة تتطلب الخوض في شؤون الحياة وكم الذين غامروا من أجل الحصول على هذا الموقع لأنه كان هدفهم وغايتهم، أما السيد علي خان فقد كان قيمته الحقيقية عندما يستطيع أن يمسح من خلاله دمعة يتيم أو يسد به رمق جائع أو يدفع بواسطته ظلماً نزل بمظلوم. وبعد سنوات أدرك أن ذلك لم يكن بمقدوره فاستقال من حكومة لاهور ليعود مرّة أخرىٰ جليساً للكتاب[١].

ولا شك أن عالماً في مستوىٰ صدر الدين كان يرجح مجالسة الكتاب أكثر من أي شيء آخر فلا أجمل لديه من الكتاب ولا صديق ولا خليل أمتع منه ولكن السلطان اورنك زيب لم يكن له أن يتخطى هكذا شخصية علمية دون أن يستفيد منها فأصدر أمره بتعيين السيد صدر الدين علي خان رئيساً للديوان في «برهانبور»[٢].

ولقد رأىٰ السيد أن هذا الموقع هو المناسب لوضعه ومن خلاله سوف يقدم خدمة اجتماعية كبرىٰ سوف يكون بمقدوره رفع الظلم اذا ما وقع ويضرب على أيدي الظالمين والأشرار والمعقدين كما سيكون بمقدوره مواصلة جهده الثقافي والفكري فظهر الى النور في تلك الفترة كتابه «نعمة الأغاني في عشرة الأخوان»[٣] وذلك سنة (١١٠٤ هـ) وهو كتاب جاء في اسلوب النظم ويقع في ٩٦٣ بيت.

ولم تنحصر ثمار جهود هذا الأديب والعالم في هذا الأثر لأننا سنرىٰ سفره

---

(١) الفوائد الرضوية / ٢٧١.

(٢) الدرجات الرفيعة، مقدمة بحر العلوم / ٤.

(٣) رياض السالكين ط ١٤٠٩ هـ قم، مقدمة الناشر / ١٨.

الجليل «رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين» يظهر هو الآخر الى النور وذلك سنة (١١٠٦ هـ)[١].

وبعد سنين استقال السيد صدر الدين من موقعه في رئاسة الديوان ليلتحق بجيش السلطان محمد اورنك زيب الذي كان يحرص على وجود فقيه تقي في جيشه[٢].

جدير ذكره ان السيد كان مستمراً في فعاليته الثقافية والفكرية اذ ألف رسالته في الروايات الخماسية والتي تناقلها أجداده وقد فرغ منها في ربيع الأول عام (١١٠٩ هـ)[٣]. وكان السيد قد بلغ الستين من عمره وتتلاحق السنوات والسيد يتقدم نحو الشيخوخة وقد ظهرت على وجهه آثار السنين وتقدم العمر ولهذا قدم استقالته الى محيي الدين محمد اورنك زيب عام (١١١٤ هـ) طالباً منه اعفاءه من كل المسؤوليات الرسمية وطالباً الأذن بالتوجه الى أرض الحجاز ليزور بيت الله الحرام في أخريات عمره. وهكذا شاء القدر أن يعود الى أرض الوطن بعد أن أمضىٰ ستاً وأربعين سنة في شبه القارة الهندية.

ديار الأبرار

وبعد أداء مناسك الحج انطلق الى أرض العراق[٤] لزيارة العتبات المقدسة في النجف وكربلاء وسامراء والكاظمية ومن العراق الى خراسان شرق ايران ليزور مرقد الامام الثامن من أئمة أهل البيت عليهم السلام ومن خراسان الى العاصمة الصفوية

(١) المصدر السابق ٧ / ٤٤٧.
(٢) الدرجات الرفيعة.. مقدمة بحر العلوم / ٤.
(٣) رياض السالكين ١ / ٤٠.
(٤) الفوائد الرضوية / ٢٧٠.

اصفهان[١] من أجل أن يلتقي مع علماؤها حيث وصل اصفهان عام (١١١٧ هـ)[٢]. وقد استقبل السيد صدر الدين من قبل الشاه الصفوي سلطان حسين استقبالاً حاراً[٣] اعتزازاً بعالم الجزيرة العربية ولذا قام السيد صدر الدين وعرفاناً بهذا التكريم الصفوي بأصداء كتابه «رياض السالكين» الذي جاء ثمر لاثني عشر عاماً من الجهد الى شاه الدولة الصفوية[٤].

ومن اصفهان شدّ الرحال الى ديار الآباء في شيراز وكان صيته قد وصل المدينة العريقة قبل أن يصلها. وقد انتعشت الحياة العلمية في شيراز واستقبل السيد كمرجع كبير وعالم ليس له نظير، حيث احتفلت المدرسة التي أنشأها جدّه الكبير الأمير غياث الدين منصور بوصوله.

كنوز الشمس

لقد أحضر المسافر المتعب معه كنوزاً من الشعر والعلم والأدب وفيما يلي قائمة بعناوين بعض ما ألف وصنف:

١ - سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر.

٢ - الدرجات الرفيعة في طبقات الامامية.

٣ - سلوة الغريب وأسوة الأديب.

٤ - أنوار الربيع في أنواع البديع.

٥ - الحقائق الندية في شرح الصمدية.

---

(١) سبحة المرجان / ٨٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) أعيان الشيعة / ٣٨٦.

(٤) رياض السالكين، مقدمة المؤلف / ٤٦ - ٤٩.

٦ – الفرائد البهية في شرح الفوائد الصمدية.
٧ – موضع الرشاد في شرح الارشاد.
٨ – رسالة في اغلاط الفيروز آبادي في القاموس.
٩ – التذكرة في الفوائد النادرة.
١٠ – المخلاة.
١١ – الزهرة في النحو.
١٢ – ملحقات السلافة.
١٣ – نفثة المصدور.
١٤ – محك القريض.
١٥ – رسالة في المسلسلة بالآباء.
١٦ – نعمة الأغاني في عشرة الاخوان.
١٧ – رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين.
١٨ – الكلم الطيب والغيب الصيّب.
١٩ – ديوان شعر.

الكوكب المنطفيء

كان ذلك الأديب والعالم الأريب قد حصل على اجازات من علماء كبار من بينهم الشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني، الشيخ علي بن فخر الدين محمد بن الشيخ حسن بن الشهيد الثاني ومن والده الجليل السيد نظام الدين أحمد وأساتذة آخرين وفي طليعتهم العلاّمة الكبير مؤلف بحار الأنوار العلاّمة محمد باقر المجلسي كما تخرج على يد هذا العالم والأديب علماء وشخصيات عديدة وحصلوا منه على اجازات في الرواية من بينهم:

١ - العلاّمة الشيخ محمد باقر المجلسي.

٢ - العالم الكريم الشيخ محمد باقر بن موسىٰ محمد حسين المكي.

٣ - العالم التقي السيد محمد حسين خاتون آبادي الاصفهاني.

جدير ذكره ان هذا العالم الذي لم ينفك يؤلف ويكتب وينتج وهو في ظروف صعبة مذ كان في لاهور وحيدر آباد كيف يتأتىٰ له أن يترك يراعه في شيراز، لقد استمر يحقق ويبحث ويؤلف لينتج فيما بعد سفره العربي الفريد: «الطراز الأول فيما عليه من لغة العرب المعمول»[١] ولقد دلّ هذا على أن شمسه كانت تسطع وهي في أفق المغيب ولقد كان كتابه شاملاً لم يغفل في كل لفظة ومؤدة عما يتعلق بها حتى الأغاني والحكايات التي تتصل بها بشكل ما[٢].

ومن المؤكد ان هذا السفر يعدّ ذروة ما يصل اليه التحقيق في موضوع اللغة العربية.. ولكن ماذا يوسع الانسان الذي لا يعيش أكثر مما قُدر له من أجل.. لقد هدّه المرض وطوّقت به الشيخوخة.. ليغمض عينيه المتألقين بالنور في يوم حزين من سنة (١١٢٠ هـ).

وقد نظم طلابه وتلامذته ومحبّوه تشييعاً مهيباً لجثمانه ليواريٰ الثرىٰ في ظلال المرقد الطاهر لسيدنا أحمد بن موسىٰ الكاظم عليه السلام ليرقد في جوار هذا السيد العلوي الموسوي والى جوار مرقد السيد ماجد البحراني.. تغمده الله بفسيح جنّاته[٣].

---

(١) الدرجات الرفيعة، مقدمة بحر العلوم / ٦.

(٢) أعيان الشيعة ٨ / ١٥٢.

(٣) سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، الشيخ عباس القمي ٢ / ٢٤٦.

الشيخ يوسف البحراني /المتوفى سنة ١١٨٦ هـ

ولادته

في قرية ماحوز وفي سنة (١١٠٧ هـ) ولد صبي اسمه يوسف وقد أثلجت هذه الحادثة البهيجة صدر والده الشيخ أحمد. ونشأ يوسف في أحضان طاهرة دافئة، وفي ظلال أسرة عرفت بالتقوىٰ والعلم والفضيلة.. فأبوه وجدّه من العلماء المبرزين في قرية ماحوز وكان جدّه واضافة الى نشاطه العلمي يعمل في صيد الغوص وصيد اللؤلؤ ومن عمله هذا وكدّه كان يؤمن لقمة العيش لعياله[1].

دراسته

تلقىٰ يوسف مبادئ العلوم في أحضان أسرة وهو ما يزال في نعومة أظفاره ونشأ في ظلال جدّه الشيخ ابراهيم الذي كان معلمه الأول، فتعلّم القراءة والكتابة وتعلم تلاوة القرآن الكريم.

أما والده فقد كان مجتهداً عارفاً بعلوم العقل والنقل وكان رياضياً ومحدثاً أيضاً وكان استاذاً مبرزاً في الفقه والأصول ولهذا فقد أشرف على تعليم ولده يوسف العلوم الاسلامية وصرف وقته لتلقي المعرفة في صباه وفتوّته وحتىٰ في شبابه.

---

(١) لؤلؤة البحرين، الشيخ يوسف البحراني / ٤٤٢.

وكانت عاديات الزمن تعصف في بلاده وتشتت الشمل فقد اضطر الشيخ أحمد... فقد أدىٰ الهجوم الوحشي الذي نفذه الخوارج على الشيعة في البحرين الى وقوع مذبحة مروعة اضطرت الكثيرين الى الهجرة وانتقل يوسف الى القطين وبالتحديد الى احدىٰ قراها وهي قرية «شاخور» القريبة من البحرين، وهناك استأنف دراسته. ووصلت زوبعة الأحداث والحقد الى هناك أيضاً وفي هذه المرّة اتفق النواصب الحاقدين مع الخوارج المارقين ومرّة أخرىٰ تقع مذبحة بحق الشيعة المظلومين على مسار التاريخ وكان ذلك سنة (١١٣١ هـ) وقد أدت الأحداث هذه الى أن يقع الشيخ أحمد مريضاً وقد ضاعف الكمد من آلامه ليموت مهموماً بعد شهرين ويوارى الثرىٰ هناك.

كان يوسف يومها في الرابعة والعشرين من عمره؛ فنهض بالحمل ومسؤولية أسرته ولم يكن له من أحد يعينه الّا الله ونخيلات لهم في البحرين وعاد يوسف يعمل في البستان ويواصل دراسته الدينية.

ومرّ عامان استطاع خلالهما يوسف من اعالة اخوته ووالدته. لقد تعلم الكثير من النخيل تعلم منها الارادة والاستقامة والثبات وتعلم منها العطاء والصمود أمام عاديات الزمن. وها هي البحرين تناديه أن يحررها من براثن العدو.

ست سنوات أمضاها يوسف في البحرين تلميذاً لدىٰ الشيخ أحمد بن عبد الله البلادي ونهل من فيض علومه كان يوسف يجاهد كادّاً على عياله وكان يجاهد في طلب العلم والمعرفة. ولقد حباه الله بالذكاء وجعل أنسه بالكتاب والمطالعة والدراسة.

وذهب يوسف الى حج بيت الله الحرام في ذلك العام وتجدد عزمه بالعودة الى القطيف ليدرس عند الشيخ حسين الماحوزي.

وهناك مكث سنتين قرأ خلالهما «التهذيب» لشيخ الطائفة الطوسي على

استاذه الشيخ الماحوزي؛ ولكن العوز والفقر أجبراه على الهجرة والسفر الى البحرين.

لقد كبر اخوته واشتدت سواعدهم وبامكانهم أن يديروا شؤونهم بأنفسهم ويتحملوا المسؤولية. ولهذا صمم مرّة أخرى على السفر وتوجه هذه المرّة الى شيراز وهناك راح يدرس ويمارس التدريس لمن هم أدنىٰ منه مرتبة في العلم، كما سافر الى كرمان ليدرّس فيها أيضاً مدّة عام ليعود بعد ذلك الى شيراز مرّة أخرىٰ[1].

تجليات الخلود

الشيخ يوسف هو الآن في الأربعين، لقد أصبح امام جمعة شيراز يؤم الناس المؤمنين في الصلاة كل يوم جمعة يعظهم ويرشدهم وبعد أن استقر به المقام في شيراز دعا أمه وأخوته للقدوم الى شيراز ليلتئم شملهم مرّة أخرىٰ.

أربعة عشرة عاماً قضاها الشيخ يوسف في شيراز وكان يعمل في زراعة الأرض ويواصل دراسته.. العمل والدراسة كانا قطبي حياته وكان أخوته يعملون معه ويساعدوه وهكذا كان يعيش هاجسه لقمة العيش الحلال. وأصبح الشيخ يوسف مجتهداً يكن له أهل شيراز احتراماً عميقاً، فشيراز كانت بلدة طيبة أنعم الله عليها بالخير، ولكن سنوات الرفاه والدعة قد ولّت مع هجوم «نعيم دان خان» في عام (١١٥٦ هـ) ليرتكب في أهلها مذابح مروّعة، فاضطر الشيخ يوسف الى ارسال اسرته الى البحرين أما هو فقد توجه الى مدينة «فسا» ليمكث فيها ثمان سنين وهناك شاء القدر أن يتزوج ويواصل عمله كمزارع.

---

(١) المصدر السابق / ٤٤٣ - ٤٤٤.

كانت فسا مدينة هادئة بعيدة عن صخب الحوادث فاغتنم الشيخ يوسف هذه الفرصة ليشرع في تأليف كتاب وسفره الجليل «الحدائق الناظرة في احكام العترة الطاهرة» وكان جهده هذا حصيلة سنوات العمر. والكتاب دوره في الفقه الشيعي ويعد حتى اليوم من مرتكزات المجتهدين في الفقه واستنباط الأحكام الشرعية ولثقل الكتاب وأهميته فقد أصبح الشيخ يوسف يدعىٰ بـ«صاحب الحدائق» واشتهر بذلك.

ولكن نعيم دان خان لم يترك فسا تعيش بهدوء فقد أغار عليها ليضرّ أهلها في الفلوات. أما صاحب الحدائق فقد اتجه نحو «اصطبانات» وطالت يد الدمار كتبه النفيسة ومدوّناته في فسا. ومكث الشيخ يوسف مدّة قصيرة في فسا ليتوجه بعدها الى قم ومشهد لزيارة مرقد الامام الرضا عليه السلام والسيدة فاطمة المعصومة عليها السلام ومنها ذهب الى بهبهان ليلقي فيها عصا الرحال مدّة شهر حيث حلّ ضيفاً كريماً عند أهلها.

وكانت الحوزة العلمية في بهبهان تعيش ذروة نشاطها وأصبحت في طليعة المراكز الفعّالة للاتجاه الاخباري. وكان العلماء الاخباريين يشجعون الناس على الانتهال من علم الأخلاق لدى صاحب الحدائق. وكان سيل الاسئلة الشرعية يتدفق نحو صاحب الحدائق الذي يجيب عنها وقد اجتمعت هذه الأسئلة لتؤلف كتاباً فريداً أسماه: «أجوبة المسائل البهبهانية».

وفي تلك الفترة كانت حوزة كربلاء تمثل مركزاً اخبارياً فيما كانت مدينة النجف الأشرف تمثل مركز الاتجاه الأصولي والاجتهادي، وهكذا اتجه صاحب الحدائق المعتدل في تبنيه الاتجاه الاخباري اتجه نحو كربلاء ليدرس هناك وليكون في طليعة أساتذة الحوزة هناك[1].

---

(١) المصدر السابق / ٤٤٥؛ مقدمة الفاخرة / ١٩١ - ١٩٤.

مرآة الايثار

في عام (١١٥٩ هـ) سافر آية الله محمد باقر بن محمد الأكمل الاصفهاني المعروف بالوحيد البهبهاني الى كربلاء حيث تصدّىٰ لمواجهة التيار الاخباري وقد حضر دروس صاحب الحدائق عدّة أيام ثم صرّح في جمع من العلماء في الصحن الطاهر قائلاً: أنا حجة الله عليكم ولو أن الشيخ يوسف البحراني يسمح لي أن أجلس على كرسيّه لبيّنت حجّتي. ويصل خبر هذا التصريح الى سماع الشيخ يوسف البحراني الذي وافق على الفور وهكذا جلس الوحيد البهبهاني على كرسي الشيخ البحراني مدّة ثلاثة أيام وخلال هذه الأيام تحول ثلثان من تلامذة الشيخ البحراني من الاتجاه الاخباري الى الاتجاه الأصولي والاجتهادي.

وقد نقل المرحوم المحدث القمي في كتابه الفوائد الرضوية عن صاحب التكملة ان المتولّي على المرقد الشريف لسيد الشهداء انه كان في الحرم الطاهر الى حلّ الليل وأعلن عن غلق أبواب المرقد فرأىٰ الشيخ البحراني والوحيد البهبهاني يتمشيان وهما مستغرقان في التباحث فخرجا من الرواق الى الصحن الى أن فرغ الصحن من الزوار فأراد المتولي اغلاق أبواب الصحن فغادرا الصحن الى خارجه وهما ما يزالان في بحثهما فأغلق المتولّي أبواب الصحن وغادر الى المنزل فيما ظل الرجلان مستغرقين في البحث، وقبل طلوع الفجر عاد المتولّي لفتح أبواب الصحن واذا به يفاجأ بالرجلين ما يزالان يتباحثان فتسمر في مكانه من الدهشة ان للعلم أهمية كبرىٰ بحيث يقف هذان الرجلان حتى الصباح يتناقشان ويتباحثان وفي الأثناء ارتفع أذان الفجر فتوقفا عن البحث ووقفا ليصلّيان معاً.

لقد أوجد الوحيد البهبهاني أزمة في مركز الاتجاه الاخباري حيث انقلب أبرز طلاب الشيخ البحراني على هذا الاتجاه واتجهوا الى الوحيد البهبهاني

ليحضروا دروسه. ولم يشعر الشيخ البحراني الذي يعد زعيماً للحوزة العلمية في كربلاء لهذه الهزيمة العلمية بل انه شعر بالفرحة لتعرّفه على مرتكزات ومباني الأصوليين.

غير ان الاستعمار لن يقف مكتوف الأيدي دون أن ينتهز أية فرصة في ايجاد الفرقة وسياسته المعروفة «فرّق تسد» وبهذه الأساليب استطاعوا أن يفرضوا سيطرتهم على البلاد الاسلامية، لقد استطاع أن يشعل الصراع ويذكي روح النزاع الطائفي بين السنّة والشيعة وهكذا حاول أيضاً أن يوجد روح التفرقة بين علماء الشيعة مستغلاً الاختلافات في وجهات النظر علمياً بينهم، وهكذا كان ينتظر الفرصة المواتية لكي يضرب ضربته ولكن مراجع الشيعة كانوا يبطلون خططه من خلال رؤيتهم البعيدة النافذة ولكن ربما تمكن الاستعمار من النجاح أحياناً بعد أن تنطلي أساليبه على بعض المتعصبين. ولكن كان الاختلاف في وجهات النظر بين الاتجاه الاخباري والاتجاه الاصولي فرصة ذهبية للاستعمار لكي يدسّ أنفه ويحول هذا الاختلاف في وجهات النظر الى صراع محموم.

ومن المؤسف أن يرتكب الملّا محمد أمين الاسترابادي أخطاءً فادحة من خلال تعامله الفظ مع أنصار الاتجاه الأصولي واهانته المتكررة لهم مما عكّر الأجواء العلمية لتغطى السحب والغيوم السواد سماء الفكر. ولكن صاحب الحدائق بذكائه وتقواه ودينه وورعه ما كان ليدع ذلك دون أن يتصدىٰ له فهو بالرغم من قناعته بنظرية العلّامة المجلسي الاخبارية الّا انه كان ينتقد جهود الاخباريين وآراءهم المتشدّدة، وكان يعلن استياءه من مشاكسة بعض العلماء لزملائهم لمجرد عدم اتفاقهم في الرأي وهو يعتقد تماماً من التعدّي على حرمة الفقهاء سوف يؤدي الى انهيار أعمدة الدين.

وعلى طول التاريخ الاسلامي حمل علماء الشيعة لواء التحرر الفكري ولم

يجمّدوا ذهنياتهم في قوالب متحجرة وكان همهم الدائم البحث عن وسيلة ناجحة لفهم الدين والشريعة، وما إن يشعروا بأنهم وقعوا في خطأ حتى يسارعوا في الاعتراف به لأن الاعتراف بالخطأ فضيلة وكان صاحب الحدائق في طليعة أولئك الأفذاذ. لقد اعترف بصراحة أنه أخطأ في متبنياته الفكرية فيما يخص الدفاع عن الاتجاه الاخباري وأن هذا التحوّل حصل بعد سلسلة من الحوارات مع بعض المجتهدين الأصوليين وأن واجب جميع العلماء هو الوقوف صفاً من أجل خدمة الاسلام ونبذ كل ما يضر مصلحة الدين الحنيف(١).

وهذا ما أعلنه صاحب الحدائق بصراحة في حدائقه الناضرة. ان الشيخ يوسف البحراني في اعترافه هذا أثبت سمواً في النفس ونبلاً في الأخلاق الكريمة.

تلامذته

لقد ربىٰ صاحب الحدائق وعلى مدىٰ سنوات التدريس الطويلة العديد من الطلاب وقد نبغ منهم الكثيرون وكانوا أفذاذاً في عصرهم:

١ - الميرزا ابو القاسم الكيلاني المعروف بـ«الميرزا القمي» مؤلف الكتاب المشهور «قوانين الأصول» والذي يعد من روائع الكتب الاصولية.

٢ - السيد مهدي الطباطبائي المعروف بـ«بحر العلوم».

٣ - السيد علي الطباطبائي المعروف بـ«صاحب الرياض» مؤلف كتاب: «رياض المسائل».

٤ - ابو علي الحائري؛ مؤلف كتاب «منتهىٰ المقال في علم الرجال»(٢).

وأما آثاره فقد تعددت وتنوّعت وكان بعضها روائع فكرية وأدبية وفيما يلي

---

(١) الوحيد البهبهاني، على الدواني / ١٢٣ - ١٢٤؛ الحدائق الناضرة ١ / ١٦٧.

(٢) المقدمة الفاخرة / ٢٣٥ - ٢٣٦.

قائمة ببعض ما ترك من آثار:

١ – اجوبة المسائل البحرانية.

٢ – اجوبة المسائل البهبهانية.

٣ – اجوبة المسائل الشيرازية.

٤ – اجوبة المسائل الكازرونية.

٥ – الأربعون حديثاً في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام مما ورد في مصادر أهل السنّة.

٦ – الاسلام والايمان وانه اقرار باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان.

٧ – اعلام القاصدين الى مناهج اصول الدين.

٨ – انيس الخاطر وأنيس المسافر أو «جليس الحاضر وأنيس المسافر» أو «أنيس المسافر وجليس الخواطر» طبع في بومباي في الهند.

٩ – «تدارك المدارك في ما هو غافل عنه وتارك» وهو حاشية على مدارك الأحكام.

١٠ – الجمع بين فاطميتين أو «الصوارم القاصمة في الجمع بين فاطميتين».

١١ – حاشية على «شرح شمسية قطب الدين الرازي».

١٢ – «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة» ويقع في خمسة وعشرين جزءاً.

١٣ – الدرر النجفية في الملتقات اليوسفية؛ طبعة حجرية في طهران.

١٤ – سلاسل الحديد في التقييد لابن الحديد.

١٥ – الشهاب الثاقب في بيان معنىٰ الناصب وما يترتب عليه من المطالب.

١٦ – لؤلؤة البحرين في الاجازة لقرتي العين.

١٧ – معراج النبيه في شرح من لا يحضره الفقيه.

۱۸ – النفحات الملكوتية في الردّ على الصوفية.

۱۹ – كشكول البحراني وطبع في ثلاثة أجزاء وقد كتب في علّة تأليف هذا الكتاب في ان الانسان يمرّ بفترات حزن وهم ومقاطع مظلمة في حياته يشعر فيها الانسان العاقل بالمرارة قد تعرقله وتعيقه عن مواصلة أهدافه العالية ولذا يتوجب على المرء أن يروّح عن نفسه المتعبة وروحه من خلال اثارة نقاط مزح، فكما ان جسم الانسان يحتاج الى استراحة بعد العمل والسعي فان الروح أيضاً تحتاج الى راحة بعد التعب[١].

شاعريته

بالرغم من أن صاحب الحدائق لم يترك وراءه مجموعة أو ديوان شعري مستقل كأثر من آثاره ولكن أشعاره وقصائده التي نظمها في مناسبات مختلفة تكشف عن شاعريته وقابلياته الأدبية تمتاز مفرداته وأشعاره بجزلة اللفظة والرقّة والعاطفة الجياشة. وهذا النموذج الشعري الذي يصوّر مشهد من مشاهد يوم عاشوراء في مأساة كربلاء يكشف بوضوح عن قدراته الأدبية. يقول العلّامة البحراني عن تلك النفوس الزكية الطاهرة:

الجسم منها بالعراء وروحها ... في سندس الفردوس من جناتها
نفسي لآل محمد في كربلا ... محروقة الأحشاء من كرباتها
ترنو الفرات بغلّة لا تنطفي ... عطشاً وما ذاقت لطعم فراتها

(١) المقدمة الفاخرة / ٢٨٠ – ٣٠١.

لحظة الوصل

كانت حياة صاحب الحدائق متفرّدة وكان في موته فريداً، لقد أوصىٰ أن يصلّي على جنازته الوحيد البهبهاني بالرغم من التقاطع الحاد في الآراء بينهما فهذا يمثل الاتجاه الاخباري والوحيد يتزعم الاتجاه الاصولي. وبهذه الخطوة الكبيرة جسّد صاحب الحدائق خلقاً عظيماً وتقوىٰ لا نظير لها. وهكذا رحل صاحب الحدائق عن عمر يناهز التاسعة والسبعين ليواريٰ الثرىٰ في ظلال المرقد الطاهر لسيد الشهداء الحسين عليه السلام وكانت وصيته ووفاته والصلاة عليه من قبل الوحيد البهبهاني[1] دروس ملهمة في الأخلاق. رحم الله وتغمد روحه الطاهرة بالرضوان.

---

(١) الوحيد البهبهاني / ١٢٤.

الوحيد البهبهاني /المتوفىٰ سنة ١٢٠٥ هـ

ولادته

ولد الفقيه الكبير العلّامة محمد باقر بن محمد الأكمل المعروف بالوحيد البهبهاني في حدود سنة (١١١٨ هـ) في مدينة اصفهان[١].

والده الجليل من أحفاد الشيخ المفيد ويعد في طليعة المجتهدين في عصره، أما والدته المكرّمة فهي من أحفاد الملّا صالح المازندراني صهر العلّامة المجلسي[٢].

في هكذا أجواء أسرية ولد هذا الفقيه الجليل القدر وفي هكذا ظلال مفعمة بالتقوىٰ والعلم والفضيلة نشأ وترعرع.

دراسته

ويشاء القدر أن يفقد محمد باقر وهو ما يزال يافعاً معلمه الكبير، لقد فقد والده ورحل محمد الأكمل الى العالم الآخر تاركاً ابنه يواجه الحياة في أصعب الظروف، لقد سقطت الدولة الصفوية بسقوط عاصمتها اصفهان في أيدي المهاجمين الأفغان.

لقد عمت الفوضىٰ اصفهان ولم يعد هناك من حافز على البقاء في هذه المدينة

---

(١) الفوائد الرضوية / ٤٠٤.

(٢) قصص العلماء / ١٥٧.

التي ترزح تحت حكم الاحتلال من أجل هذا فكرت الأسرة بالهجرة، وهكذا غادرت أسرة محمد الأكمل المدينة سنة (١١٣٥ هـ) باتجاه النجف الأشرف في العراق[١].

وهناك في ظلال المرقد الطاهر لأمير المؤمنين علي عليه السلام استأنف الفتىٰ محمد باقر دراسته فتتلمذ على أيدي علماء الحوزة العلمية في مدينة النجف الأشرف العريقة وفي طليعة من تتلمذ عندهم هم السيد محمد الطباطبائي البروجردي والسيد صدر الدين القمي[٢] ولقد كان السيد محمد الطباطبائي بنظراته النافذة قد شخص نبوغ هذا الفتىٰ القادم من اصفهان ان هذا اليتيم سوف يتفتق عن شخصية كبيرة لها شأن في المستقبل ولهذا ضمه اليه وعرض عليه أن يزوجه من ابنته[٣].

وفي ظلال رجال أفذاذ عباقرة وفي أجواء مفعمة بالعلم والايمان وفي مدينة عريقة بتاريخها نشأ الشاب وترعرت شخصيته العلمية. وبسبب سيادة الجو الاخباري، بدأ الشاب محمد باقر خطاه في هذا الاتجاه لكنه سرعان ما عدل عن هذا الطريق وأدرك في وقت مبكر خطأ المرتكزات التي يستند اليها الاخباريون[٤] ولقد كان السيد صدر الدين الهمداني هو وراء هذا التحول المبكر في طريق الشاب. وسوف يقوم هذا الطالب المجد بدراسة الكتاب الهام «شرح الوافية» للسيد صدر الدين الذي جعله قريباً من مشرب المجتهدين ولكنه لم يواصل ذلك الى النهاية.

---

(١) الوحيد البهبهاني، علي الدواني / ١١٢ - ١١٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر السابق / ١٥١ - ١٥٥.

الهجرة

ومن أجل أداء الواجب والنهوض بالمسؤولية توجه الشاب الاصفهاني صوب مدينة بهبهان وكانت يومذاك أحد مراكز الاتجاه الاخباري وكانت بهبهان موزعة بين حيين ومنطقتين تدعيان «قنوات» و «بهبهان» وقد شهدتا اختلافات ونزاعات محلّية فيما بينها. وقد انتخب الشاب القادم من النجف محلّة قنوات للسكنىٰ فيها واقامة الصلاة. ولكي يفيد أهل بهبهان من هذا الفقيه والواعظ فقد شاركوا اخوانهم في قنوات في الصلاة خلف الشاب التقي بالرغم مما يحز في قلوبهم ذلك بسبب النزاع مع أهل «قنوات» ولهذا فكر أحد التجار في محلة بهبهان في أن يشجع الفقيه القادم من النجف على السكنىٰ في بهبهان فدعاه الىٰ وليمة ومعه رجالات من أهل قنوات، ولمّا لبىٰ الشاب الفقيه الدعوة عرض عليه الناس هناك أن يصلي في محلتهم عدّة أيام ويدرس في المسجد (امير ابراهيم) علوم أهل البيت عليهم السلام ويبدو ان المقام قد طاب لهذا الفقيه فأصبحت بهبهان منزلاً للمجتهد الشاب ومركزاً علمياً يعمل من خلاله[١].

وقد توسع الواعظ والمرشد في نشاطه وبات يشمل مساحات كبيرة وبدأ حواراته ومناقشاته مع رجالات الاتجاه الاخباري وكان يسعىٰ ان تربية تلاميذه من أجل النهوض بهذه المسؤولية وبسبب هذا النشاط تمكن الفقيه المجتهد والأصولي من اذابة الجليد بين أهل قنوات وأهل بهبهان ولم يتم هذا الجهد بسرعة ويسر لقد تطلب منه ثلاثين عاماً من العمل لكي تعود المياه الى مجاريها ويعمّ الوئام في هذه المدينة[٢]. وبعد هذه المدّة الطويلة وقد اطمأن الى انحسار الاتجاه الاخباري في المدينة تناهت الى أسماعه تفاقم ونمو التيار الاخباري في النجف وكربلاء فعزم على السفر الى هناك ومواجهة هذا المدّ.

---

(١) المصدر نفسه / ١٢٠ - ١٢١؛ سيماي بهبهان، سيف الله نووي؛ مجموعة ديار الأبرار.

(٢) المصدر نفسه.

ديار النور

واتجه المجتهد الكبير الى مدينة النجف الأشرف ليحط الرحال في جوار أمير المؤمنينعليه السلام ولم يلبث بعدها الاّ مدّة يسيرة ليشدّ الرحال مرّة اخرىٰ وفي هذه المرّة الى مركز التيار الاخباري وعاصمته كربلاء. وكانت كربلاء يومئذ تشهد تطرفاً للاخباريين مخيفاً بحيث اعتبرت كتب الاصول كتب ضلال وقراءتها حرام وكان بعض الاخباريين يلفون كتب المجتهدين الاصوليين بقطعة من القماش لئلّا يتنجّسوا منها[١]. وبلغت سيطرة الاخباريين في كربلاء حدّاً اضطر فيه الزعيم الشيعي والمجتهد الكبير الى أن يمارس التدريس في السراديب بعيداً عن عيون الاخباريين[٢].

ولم يكن المجتهد الأكبر ليرىٰ نفسه أفضل من الآخر ولهذا كان حريصاً على حضور دروس زعيم الاتجاه الاخباري الشيخ يوسف البحراني وسرعان ما اكتشف ان الشيخ لا يمتلك من الأدلّة والبراهين وليست لديه مرتكزات تدعم آراء الاتجاه الاخباري أفضل من غيره.

فقرّر قراره على الهجرة من كربلاء لكنه يرىٰ ليلتها وفي عالم المنام سيد الشهداء الامام الحسينعليه السلام يقول له لا أرضىٰ لك السفر من كربلاء[٣]. وهكذا شطب الفقيه الأكبر على فكرة السفر ليرتسخ عزمه على البقاء في كربلاء. فاتخذ مقرّ في أحد مساجد المدينة يقيم فيها الصلاة ويتصدّىٰ لوظيفته في الوعظ والارشاد.

ان رجلاً بمستوى الفقيه البهبهاني لن يقف مكتوف الأيدي ازاء أيّاً من مظاهر

---

(١) قصص العلماء / ١٥٧ - ١٥٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

الانحراف، ولكن السؤال أين وكيف هي البداية؟ وكانت البداية هي الحوار مع زعيم التيار الاخباري الشيخ يوسف البحراني، وبدأت المواجهة العلمية إذ قال له وهو عند البيت: رأيت سيد الشهداء يقول لي: قلّم أظافرك!

فلما استيقظت عبّرت الرؤيا بمواجهة الاخباريين وقد جئتك للمناظرة[١].

وكان يوسف البحراني شيخاً تقياً منفتحاً وبالرغم من ميوله الاخبارية لكنه كان ينتقد أفكارهم ولهذا قابل عرض الوحيد البهبهاني بالترحاب وبشّ في وجهه وهكذا بدأ الحوار الذي سيمتد الى ليالي وأيام طويلة.

حجة الله

ان المصادر التي أثبتت تاريخ تلك اللقاءات تشير الى أن الشيخ البحراني سلّم بحقانية الاتجاه الاصولي وخطّأ الاتجاه الاخباري وانهما اتفقا على القيام بخطوة من شأنها مكافحة هذا الفكر فكيف يتسنّىٰ للوحيد أن يعلن صوته ويجهر بأفكاره من دون ردود فعل سلبية؟ وكانت الخطوة الأولى هو في وقوف الوحيد البهبهاني في الصحن الشريف لمرقد سيد الشهداء واعلانه على الملأ وبخاصّة الطلبة واذا بالوحيد يهتف وسطهم: أنا حجة الله عليكم، وتحلّق حول الطلاب، ماذا تريد؟ قال الوحيد البهبهاني: اريد خبر الشيخ البحراني وأن يأمر طلابه بحضور درسي. وانطلق بعض الطلاب الى الشيخ واطلعوه على ذلك فما كان من الشيخ الاّ أن استجاب لرغبة الوحيد الذي يعرفه بايمانه واخلاصه.

وما هي الاّ أيام واذا بأكثر طلاب الشيخ البحراني يتخلّون عن الفكر الاخباري ويعودون الى جادة الصواب وقد أثلجت هذه الخطوة قلب الشيخ

---

(١) المصدر نفسه.

البحراني[١].

ومن أجل القضاء نهائياً على الفكر الاخباري أعلن الوحيد البهبهاني حرمة الصلاة خلف الشيخ البحراني فيما أعلن البحراني ان الصلاة خلف الوحيد البهبهاني جائزة وقال ردّاً على تسائل المتسائلين ان كلّاً منا يقوم بوظيفته الشرعية[٢].

وقد أسفرت الجهود الكبرىٰ للوحيد البهبهاني عن انحسار التيار الاخباري نهائياً وكانت خطوة الشيخ البحراني في وصيته هي تاريخ النهاية لقد أوصىٰ الشيخ[٣] التقي أن يصلّي عليه الوحيد البهبهاني وكان ذلك سنة (١١٨٦ هـ) وهي سنة وفاة الشيخ وهذا ما يعزز رأي من يذهب الى أن الوحيد البهبهاني كان مع الشيخ البحراني على صلة وثيقة وأن الرجلين تربطهما صداقة وطيدة[٤].

السيرة الخضراء

كان سيد الفقهاء يرتدي الزي الذي يرتديه الفقراء كان لباسه بسيطاً[٥] وكان يجالس الفقراء والبؤساء والمساكين؛ وكان لا يألوا جهداً في مساعدة المحتاجين والمعوزين. وطالما صلّىٰ صلاة الاستئجار فيأخذ أجرة على الصلاة ليعطيها الى الفقراء من الطلاب من قبيل الميرزا القمي لكي يواصل دراسته[٦].

يذكر الميرزا محمد التنكابني؛ ان زوجة الوحيد قد حاكت له في فصل الشتاء

---

(١) الوحيد البهبهاني / ١٢٣ - ١٢٤.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) الفوائد الرضوية / ٧١٥.
(٤) المصدر السابق / ٤٠٧.
(٥) فردوس التواريخ، الباب الثاني.
(٦) قصص العلماء / ١٥٩.

جبّة فارتداها فلما كان المغرب ذهب الى المسجد فعرف له أحد في الطريق وكان الرجل عار الرأس حافياً فسأله أن يهبه شيئاً يغطي رأسه فقال له الوحيد أمعك سكين فقال الرجل: نعم وحينئذ عمد الوحيد فقص له كم الجبّة وصنع له منها ما يغطي رأسه وقال له هذه لتدفئ رأسك ثم أفكر في أمرك في الصباح، ولمّا عاد الوحيد الى المنزل استاءت زوجته وقالت لقد أمضيت فيها وقتاً طويلاً وها أنت تعيبها[١].

وكان الوحيد يراقب ابنه جيداً حتى لا يسرف في حياته وينسىٰ الحفاة والعراة. وذات يوم رأىٰ قميصاً ملوناً ترتديه فتاة في منزله فقال من هذه الفتاة؟ فقيل له هذه زوجة ابنك وقد اشترىٰ القميص ابنك فالتفت الوحيد الى ابنه غاضباً فما كان من ابنه (عبد الحسين) الّا ان تلا قوله تعالى: **﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده﴾** فقال الوحيد: أنا أحفظ هذه الآية ولكن ألا ترىٰ من حولك من الفقراء وهم يعزون أنفسهم بفقر حالنا[٢].

ويذكر حفيده ان جدّه لم يلتفت الى الدنيا ولم يكترث بها حتى انه يجهل الفرق بين الدرهم والدينار وكان ينأىٰ بنفسه عن معاشرة أهل الدنيا وأصحاب النفوذ ويأنس بمعاشرة الفقراء والمساكين[٣].

وهو الى ذلك لم يقبل حتى الهدايا وكان يصرّ على موقفه اصراراً عجيباً وربما تساءل تلاميذه عن ذلك فكان يحثهم على الدراسة والاعراض عن طرق مثل هذه الأحاديث ويذكر تلميذ له؛ ان أحد التجار جاء الى زيارة كربلاء وكان يعرف أنّ الوحيد يرفض الهدية ففكر في طريقه فما كان منه الّا ان جاء الى هذا التلميذ الذي

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الوحيد البهبهاني / ١٤٠.

رفض بادئ الأمر أن يتوسط من أجل قبول الهدية وكانت عبارة عن قطعة قماش وعرض التاجر على التلميذ أن يهديها مثلها اذا هو توسط في الأمر. ويذكر التلميذ انه أخذ قطعة القماش وانطلق الى منزل الوحيد وطرق عليه الباب فخرج اليه الوحيد وهو يرتدي زياً عربياً وقال: ما جاء بك؟ فقال له التلميذ ان رجلاً مؤمناً جاء لك بهدية وقطعة قماش تخيط منها ثوباً. فتغيّر وجه الوحيد وقال بغضب: ظننتك جئتني في هذا الحرّ بمسألة علمية تسألها أو مشكلة. ثم أراد غلق الباب فقال له تلميذه: لقد جئتك لأمر آخر فقال الاستاذ: ماهو؟ فقال التلميذ: لقد وعدني الرجل بقطعة قماش مثلها اذا أنت قبلت الهدية، فلا تجعلني أفقدها. حينئذ ظحك الوحيد وقال لتلميذه: ادرس ولا تتلف وقتك في مثل هذه الأفعال. ثم انه قبل الهدية وقال: آخذها شرط الاّ تعود الى مثلها[1].

ولم يكن هذا ديدنه مع عامّة الناس بل حتى مع الأمراء والحكام فقد جاء في فردوس التواريخ: ان السلطان آقا محمد خان أرسل اليه وفداً يحمل له هدية نفيسة وكانت عبارة مصحف بخط الميرزا التبريزي وكان مرصعاً بالياقوت والزبرجد والماس وسائر الأحجار الكريمة فطرق الوفد عليه الباب فخرج اليهم وقلمه بيده وسأل: ماذا تريدون؟ فقالوا: أن حضرة السلطان أرسل اليك هذا المصحف، ولمّا رأى الوحيد المصحف المجلل بالأحجار الكريمة قال: ما هذه الزينة؟ فقالوا هذه أحجار كريمة فقال الوحيد ماذا فعلتم بكلام الله فحبستموه وعطلتموه، انزعوا الغلاف عنه واعرضوا هذه الأحجار في السوق ثم وزعوا أثمانها على طلبة العلم والفقراء!

فقالوا: احتفظ بالمصحف انه بخط الميرزا التبريزي وهو ثمين جداً.

---

(١) دار السلام، العراقي / ٥٦١ - ٥٦٢.

فقال الوحيد: من جاء به فليحتفظ به ويتلوه دائماً. وهكذا قطع عليهم بجوابه ثم انصرف الى عمله[١].

أسرار المجد

عرف عن الوحيد البهبهاني انه عذب الكلام[٢] بشوشاً ومتواضعاً وذكر ان جمعاً من المؤمنين أرسلوا اليه رسالة سألوه فيها عن السرّ في ما وصل اليه من مجد ورفعة وعلو شأن وارتفاع شأن.

فأجابهم اني لأعد نفسي بأني لا أعرف شيئاً ولعل السرّ في ذلك انني أكرم العلماء وأحسن ذكرهم وأني لم أترك الدراسة وطلب العلم أبداً وعندي ان طلبه مقدم على كل شيء[٣].

الميراث الخالد

وبعد سنوات مديدة قضاها في التدريس والتأليف بدأ الوحيد البهبهاني يخطو أولى خطاه في مرحلة الشيخوخة وكانت ثمار جهوده في تربية تلامذته قد اتت أكلها فقد نشأ في ظلاله الوارفة علماء كبار وأفذاذ خلدهم التاريخ في طليعتهم العلّامة بحر العلوم، والميرزا محمد مهدي الشهرستاني والسيد علي الطباطبائي، والشيخ جعفر كاشف الغطاء والميرزا القمي والسيد محسن الأعرجي، والملّا محمد مهدي النراقي والحاج محمد ابراهيم الكلباسي والسيد محمد باقر الشفتي

---

(١) فردوس التواريخ، الباب الثاني.

(٢) الوحيد البهبهاني / ١٣٦.

(٣) الفوائد الرضوية / ٤٠٥.

وآخرون كانوا جميعاً كواكب ساطعة أضاءت في سماء الفكر الاسلامي[١].

واضافة الى اولئك العظماء الذين نشأوا وتربوا وترعرعوا في ظلاله فقد سطر يراعه السيّال آثاراً خالدة ناهزت السبعين كتاباً ومؤلفاً وفيما يلي قائمة في بعضها:

١ - شرح مفاتيح الشرائع للملّا محسن الفيض الكاشاني في ثمانية أجزاء.
٢ - الفوائد الحائرية.
٣ - حاشية على المدارك.
٤ - رسالة الاجتهاد والأخبار.
٥ - رسالة في الجبر والاختيار.
٦ - الفوائد الرجالية.
٧ - تعليقات على رجال الميرزا محمد الاسترابادي.
٨ - حاشية على المسالك.
٩ - رسالة في حجية الاستصحاب وأنواعها.
١٠ - رسالة في أصل البراءة[٢].

الدرس اليقين

وبسبب تقدمه في السن ونبوغ تلامذته فقد أوكل مهمة التدريس في حوزة كربلاء الى السيد علي الطباطبائي وبعض تلامذته الآخرين وأرسل السيد مهدي بحر العلوم الى النجف لادارة حوزتها العلمية أما هو فقد اكتفى بتدريسه اللمعة الدمشقية، ولقد كانت دروسه تمتاز عن الآخرين بما فيها من روح وأخلاق

(١) الوحيد البهبهاني / ١٦٩ - ١٧٠.
(٢) المصدر السابق.

وعرفان فلم تكن تكتفي أو تنحصر بمادتها العلمية وانها كانت طافحة بالاخلاق والروح، وكانت الأخلاق والفضائل تتجسد في قسمات وجهه المضيء، لقد كان يرشد تلامذته الى طريق الكمال والرقي الانساني والأخلاقي، يذكر أحد تلامذته وهو السيد زين العابدين اللاهيجي: كنت أحضر دروسه وقد تقدم في سن الشيخوخة وكنا عدّة نفر نحضر دروسه في اللمعة من أجل التبرك فاستيقظت ذات يوم متأخراً وأديت صلاة الصبح قضاءً وكان قد حان وقت الدرس فأسرعت اليه وقلت في نفسي احضر درس الاستاذ ثم اذهب الى الحمام واغتسل، ولما وصلت كان الاستاذ لم يحضر بعد ثم حضر بعد قليل وكان ينظر حواليه ببشاشة ثم علت وجهه فجأة غمامة حزن وقال بعدها اليوم نعطل الدرس.. انصرفوا فنهض تلامذته وانصرفوا ولما أردت النهوض والانصراف قال لي: اجلس! فجلست فلما خلونا قال: تحت البساط الذي تجلس عليه مبلغ من المال خذه واذهب الى الحمام واغتسل ثم لا تحضر بعد ذلك الى مثل هذه المحافل بجسم غير طاهر. يقول اللاهيجي فبهت من كلامه ثم أخذت النقود وانصرفت[١].

العروج

تجاوز عمر الوحيد البهبهاني التسعين سنة وأخيراً أطل شهر شوال وفي مدينة الشهادة وحيث الملائكة ترفرف بأجنحتها مثنىٰ وثلاث ورباع كان الوحيد البهبهاني يرقد في فراش المرض فقد هدّت بدنه السنون والحوادث والزمان؛ وأن له أن يغمض عينيه ويرقد بسلام وأن للروح أن تعرج الى السماء الى بارئها.

كان ذلك في عام (١٢٠٥ هـ) ولقد كان ذلك العام عام حزن[٢].

---

(١) دار السلام / ٥٦١ - ٥٦٢.

(٢) الوحيد البهبهاني / ٢٥٤.

كل الذين عرفوه وكل الذين نهلوا من فـيض عـلمه وتـعلموا مـن أخـلاقه واستلهموا من فضائله وخصاله.

وهب المؤمنون من كل حدب وصوب لتشييع الجثمان الطاهر ليوارىٰ الثرىٰ في الرواق الشرقي المؤدي الى الضريح الطاهر لسيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام لقد قدر لهذا العالم الكبير أن يرقد الى جوار سيد الشهداء وصـحبه وأهـل بـيته الأبرار.

الملّا محمد مهدي النراقي /المتوفىٰ سنة ١٢٠٩ هـ

كوكب في دار المؤمنين

في مدينة كاشان التاريخية والتي عرفت بدار المؤمنين علىٰ مدىٰ عقود طويلة من الزمن في هذه المدينة التي أنجبت عشرات العلماء الأفذاذ الذين كانوا عصورهم كواكب ساطعة تألقت في سماء الفكر الاسلامي.. في هذه المدينة ولد عالم فريد كانت آثاره ومصابيح هداية[1] تفي الطريق للذين ينشدون الحكمة والكمال والرقي الانساني.

في هذه المدينة التي كلما أفل فيها كوكب أو أوشك على الافول سطع كوكب آخر ليضيء حياتها.. في عام (١٠٩١) كان الملّا محسن الفيض الكاشاني علىٰ وشك أن يغمض عينيه ويرحل عن الدنيا وسوف يحل الظلام هذه المدينة مدة أربعين عاماً تنتظر شروق كوكب جديد[2].

حتى اذا حل عام (١١٢٨ هـ) أشرق نجم جديد في قرية «نراق» من ضواحي مدينة كاشان، أجل لقد ولد صبي اسمه محمد مهدي من أب يدعىٰ: أبو ذر وهو الذي دعاه بـ«محمد مهدي»[3] تبركاً باسم من ينشر العدالة في الأرض.

---

(١) انظر: تاريخ كاشان، كرانتر.

(٢) انظر: لب الألباب، ابو القاسم الكاشاني وأعيان الشيعة بخصوص هذه الشخصية.

(٣) مقدمة جامع السعادات، محمد مهدي النراقي ١ (محمد رضا المظفر).

في حوزة كاشان

أمضىٰ محمد مهدي سنوات عمره طفلاً ويافعاً في قريته الجميلة وكان حبّه لدراسة العلوم الدينية ينمو معه ويكبر ولهذا سوف يسافر الى مدينة كاشان ليسجل اسمه في حوزتها المتألقة آنذاك. ولم تكن للحوزات العلمية آنذاك برنامج مقبول واضح ومحدد وثابت، لقد كانت أبواب الحوزة مشرعة لكل من يجد في نفسه الرغبة في الدراسة يكفي أن يراجع المرء عالم الدين في محلته وقريته ليحصل على تعريف وتزكية في دخول الحوزة، وما أن يلج الحوزة ويضع قدميه في المدرسة الدينية حتّىٰ يبدأ فصلاً جديداً عن حايته كطالب علم ويصبح من حقه الحضور في حلقات الدرس ويحصل على حجرة له كطالب في القسم الداخلي في تلك المدراس.

وهذا اليسير في التسجيل والقبول لا يعني أن المدارس آنذاك تفتقدان الى النظام والمناهج وبشكل عام الظروف التي يمكن أن توصف بالصعبة والشاقة فهناك سلسلة من الامتحانات التي يجريها أساتذة همهم الدائم أن يتقدم الطلاب في طريق العلم والكمال اضافة الى تجربة مدرسة الحياة من اختبارات للمرء في هذه الأماكن، فهناك الفقر والمرض ونقص المدرسين والمشكلات العائلية ما يجعل عدد الطلاب الذين يستمرون في الدراسة قليلاً، ثم لا ينفع من بين هؤلاء الاّ أصحاب الارادة القوية والهمة العالية والأحرار ومن هم يتطلعون الى غايات سامية وهؤلاء هم وحدهم من يحملون لواء الدفاع عن حريم الاسلام وكيان المسلمين.

ولم يكن محمد مهدي قد صنف في أي الفريقين سوف يكون موقعه من أولئك الذين يتراجعون أمام عاديات الزمن ويتركون الدراسة والمدرسة في أول اختبار من اختبارات الحياة أم أنه سيكون من ذلك الفريق الذي يشمر عن سواعده

ويواجه المشكلات وجهاً لوجه مواصلاً دراسته يحدو الحب والعشق والعرفان.

اننا سنجد ذلك اليافع يتوكل على الله فهو حسبه ويحضر الى المدرسة والدراسة بشوق منتظماً في حلقة استاذه المرحوم «ملّا جعفر البيدكلي» وتمرّ سنوات لا يفارق فيها التلميذ استاذه يقتطف سنابل العلم والحكمة فقد أمضىٰ على يديه المقدمات والسطوح وجزءاً من دروس الخارج[١].

الهجرة الى اصفهان

لم يعد بامكان مدينة كاشان أن تلبي طموحات الشاب انه ينشد المزيد من العلم والمعرفة ولهذا راح يتطلع الى مدينة اصفهان والى حوزتها العلمية المزدهرة، ويشدّ محمد مهدي الرحال الى هناك باحثاً عن استاذ جديد فانتخب الحكيم الالهي المرحوم «المولىٰ اسماعيل الخواجوي» الذي تربع على كرسي الاستاذية مدّة ثلاثين سنة كان يدرس خلالها: الفقه، الاصول، الكلام، الفلسفة، الحساب، الهندسة، والنجوم، كما حضر النراقي دروس أساتذة آخرين في طليعتهم المرحوم «محمد زمان الكاشاني» و «الشيخ محمد مهدي الهرندي»[٢].

ولقد أثرت هذه الفترة من دراسته في اصفهان تأثيراً كبيراً في حياة النراقي اذ انها فجرت قابلياته العلمية الكامنة وتفتحت مواهبه وسرعان ما اشتد عوده وآتىٰ ثماره ليكون في عداد العلماء الذين يشار اليهم بالبنان لقد أصبح أحد أساتذة الحوزة العلمية في مدينة اصفهان.

ولم يحو النراقي نشاطه في الدراسة والتدريس بل نهض الى جانب ذلك بوظيفة التبليغ والوعظ والارشاد. بل انه وسع من دراسته وضم اليها دروساً لم

(١) مقدمة اللمعة الدمشقية، محمد مهدي النراقي، حسن النراقي / ٧.

(٢) المصدر السابق / ٨.

يكن متعارف عليها فقد درس الخط اللاتيني واللغة العبرية لدىٰ علماء يهود وكان لا يفوت فرص الحوار والمناظرة معهم حول حقانية رسالة النبي الأكرمﷺ كما نقل وترجم بعض النصوص اللاتينية التي تشهد بحقانية الدين الاسلامي(١).

العودة الى كاشان

وبعد أن أمضىٰ النراقي ثلاثين سنة في اصفهان ينهل من فيض العلوم آن له أن يعود الى كاشان يحمل بين جوانبه وفي قلبه وصدره العلم والعرفان.. عاد الى كاشان في وقت كانت شمس العلم فيها تجنح نحو المغيب وقد سرت في جسدها برودة الموت. وعندما وصل كاشان بدت المدينة وكأنها تبحث عن يوسفها المفقود.. ان يعقوب يترقب وصول ابنه واذا بالفراشات التي كانت تبحث عن النور تدور حول الشمعة المتوهجة وها هو محمد مهدي النراقي يحمل مشعل الهداية. ويتربع العالم القادم من اصفهان على كرسي التدريس في حوزة كاشان وتدب الحياة في تلك الحوزة بعد أن شارفت على الخمود. ومن على المنبر في المسجد انطلقت المواعظ واستحال المحراب الى خندق والخطب الى روح جديدة تسري في كيان المجتمع وتبعث الأمل في القلوب والنفوس وشعر أهل كاشان ان «الفيض» قد عاد اليهم من جديد(٢).

في حريم الولاية

وتهفو روحه الى المراقد المقدسة في العراق الى النجف وكربلاء، فيولّي وجهه شطر مهدىٰ الأفئدة العاشقة لأهل البيتعليهم السلام فغادر كاشان في تاريخ غير محدد ولا

---

(١) أنيس الموحدين / ١١٦ نشر الزهراء، ١٣٦٣ هـ ش.

(٢) لباب الألقاب / ٩٣.

يوجد مصدر يذكر ذلك بدقة. وهناك في تلك المدن المقدسة والبقاع المباركة يستأنف نشاطه العلمي، منتظماً في حلقات الدرس لدىٰ عظماء الفقه والأصول من قبيل زعيم الاتجاه الأصولي الوحيد البهبهاني وكذا زعيم الاتجاه الاخباري الشيخ يوسف البحراني كما راح ينهل من فيض أساتذة كبار في مستوىٰ الشيخ محمد مهدي الفتوني فيزداد رقياً وكمالاً[١].

واذا بالنراقي هو الآخر يستميل الى غواص ماهر يغوص في أعماق البحار ليستخرج اللؤلؤ والمرجان ليقدم ما يحصل عليه في الأعماق الى امته ومجتمعه.

الكواكب السبعة

لقد تنقل النراقي بين حواضر العلم والثقافة والفكر ضمن كاشان الى اصفهان الى كربلاء والنجف متتلمذاً عند المبرّزين من علمائها فهو ينشد العلم أينما كان وقد حصل على اجازات من كثير من أساتذته ومعلميه وفي طليعتهم كواكب سبعة[٢] أضاءوا العالم في عصرهم وهكذا كان يسمّيهم.

على شاطئ الفضائل

أ - عزة النفس:

عرف عن الملّا محمد مهدي النراقي منذ ان كان طالباً بنفس سامية وهمّة عالية، وما أكثر الأيام التي قضاها جائعاً والليالي التي أمضاها طاوياً كل هذا ولا أحد كان يشعر بجوعه لقد كان عزيز النفس أبيّاً وكان يواصل دراسته في حوزة كاشان بالرغم من كل الظروف المريرة التي كان يعانيها.

---

(١) مقدمة شرح الالهيات من كتاب الشفاء، محمد مهدي النراقي / ٢٢.

(٢) انظر جامع السعادات.

حتى ثيابه التي يرتديها كانت تصرخ بفقره، وبالرغم من نظافتها لكنها تكاد تهتف ببؤس هذا الطالب الشاب وفيق ذات يده. وشعر أحد المحسنين بذلك ربما أخبره زميل له في الدراسة أو ان ذلك المحسن رأى زيّه لهذا أحضر له ثياباً جديدة وأهداها اليه ولكن النراقي لم يكن ليقبل هذه الهدية ولكن الرجل المحسن أصرّ عليه فقبلها وما أن ذهب الى حجرته حتى قرر اعادتها الى الرجل وفي اليوم التالي أخذ الحلّة الجديدة وهو في أمسّ الحاجة اليها أخذها الى دكان الرجل وأعادها اليه ورأىٰ الرجل المحسن التصميم والعزم في عين النراقي ولم يعد يفيد معه الأحرار على قبول هذه الهدية فسأله عن العلّة فقال النراقي عندما ارتديت هذه الثياب شعرت بالصغار خاصّة وأنني ارتديها وأمرّ بدكانك ان شعوري بالصغار يتضاعف بشدّة وتدفعني الى التملق وهذه حالة لا تطاق بالنسبة لي[١].

واستحالت هذه الصفة في سلوكه وأخلاقه الى ملكة وسترافقه في حياته كلها الى نهاية عمره، لقد كان النراقي مجمعاً لكثير من الفضائل الانسانية والصفات الأخلاقية وكانت عزة النفس في كيانه في طليعة الخصال التي تحلّىٰ بها.

ومن أجل هذا ألف كتابه السفر الجليل «جامع السعادات» حيث أفرد لعزة النفس فصلاً يشيد بها ويعدّه سوراً لشخصية الانسان فقد كتب عن ذلك؛ انه يليق بالفقير أن يستر فقره عن الناس وان يحيي في نفسه العزة والكرامة وأن يربّي نفسه عن ذلك علىٰ المرء الّا يعظم الأثرياء لثروتهم وأن يحتقر نفسه أمامهم عليه أن يترفع والّا يطمع بما في أيديهم[٢].

ب - الصبر والاستقامة:

بالرغم من خلو يده من المال وحطام الدنيا ولكنه واجه ذلك بصبره

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) مشاهير علماء الاسلام، الشيخ عباس القمي ٣ / ١٩؛ أعيان الشيعة ٣ / ٤٠٢.

واستقامة. لم يكن محمد مهدي قادراً حتىٰ على توفير ثمن شمعة يدرس على ضوئها وكانت حجرته في معظم الليالي مظلمة وما أكثر الليالي التي أمضاها في مراحيض المدرسة[١] مستفيداً من قناديل المغاسل للدراسة والمطالعة.. وهكذا كان يدرس ويواصل دراسته وهكذا كان يواجه المصاعب في مدرسة الحياة.

ج - مواجهة الانحراف:

عندما وصل النراقي كربلاء كان الاتجاه الاخباري في ذروة قوته وكان الاتجاه الصوفي سائداً في اصفهان أيام كان طالباً هناك ولهذا لم يكن يألو جهداً في مواجهة التيارين[٢] ولم يقع تحت تأثير أي من التيارين هذا بالرغم من الوحيد البهبهاني هو الذي رفع لواء المواجهة والتصدي للاتجاه الاخباري وقد بدأ الصراع وحيداً من هنا فان حركة الملّا محمد مهدي النراقي كانت استكمالاً لما بدأه الوحيد البهبهاني.

لقد أفاد النراقي مما وهبه الله من علم وثقافة فكان منبره مركز اشعاع مبيّناً ضعف المرتكزات التي يستند اليها الصوفيين والاخباريين بشكل غير مباشر ومن هنا جاء تأليف كتابه الجليل جامع السعادات فكان ردّاً على الافراط والتفريط ودحضاً للمتصوّفة والظاهريين ويجد القارىء في ثنايا الكتاب بالاضافة الى استشهاداته بالآيات والأحاديث مباحث فلسفية وعقلية وبالتالي فان الكتاب حافظ على التوازن المطلوب فلم يقف موقفاً سلبياً أو متحيزاً ضد أو مع أهل الحديث أو أهل الفلسفة والتفكير العقلاني.

د - نشر ثقافة التوازن:

ان ثقافة التوازن هي ثقافة الاسلام الأصيلة وثقافة أهل البيت عليهم السلام وقد أشار

---

(١) روضات الجنات ١ / ٦٢٥.

(٢) أعيان الشيعة ١٠ / ١٦٧.

هذا العالم الملهم الى ذلك في مقدمة كتابه «جامع السعادات» مستنداً الى أحاديث المعصومين عليهم السلام مستنتجاً من تلك الأحاديث المباركة في أن المنهج الأخلاقي في القيام بأعمال الظاهر والباطن هو المنهج الوسط والمتوازن وهذا الطريق الوسط هو الذي يوصل المرء الى السعادة الأبدية والتعادل أو التوازن لا ينحصر بالمسائل والقضايا والسلوك الأخلاقي فحسب بل يشمل كل الميادين العلمية والفلسفية والاعتقادية فهو منهج حياة شامل وعام[1].

هـ - بيان مصدر الانحراف:

والنراقي لا يكتفي في توضيح مسألة التوازن بل يتخذ الموضوع (الانحراف) لديه جدّية أكثر عندما يلقي نظرة عميقة الى جذور وتاريخ الأمم والحضارات فهو يعزو مظاهر الافراط والتفريط التي تعتري الأمة الاسلامية الى سلوك وسياسات الحكام والملوك الفاسدين والقادة المنحرفين ولهذا يرىٰ ان أية حركة اصلاحية تهدف الى التغيير في المجتمع يجب أن تبدأ مرحلة الأولىٰ من الزعامات الحكومية فإذا ارعوى الحاكمون وانتهجوا طريق التوازن وثابوا الى رشدهم فان المجتمع هو الآخر سوف يسلک هذا الطريق الوسط والمتعادل وفي غير هذه الحالة فان الحركة الاصلاحية سوف تكون موقتة وعابرة وبالتالي عديمة الجدوىٰ. ولهذا فهو عندما يبحث مفهوم العدالة باعتبارها من صفات التعادل الأخلاقي لدىٰ الانسان فانه يفرد لعدالة الحكام والملوك موقعاً خاصاً معتبراً اياها في غاية الحساسية ذلك ان عدالة الناس العاديين انما تعود وترجع الى عدالة الحاكمين فالعدالة في المجتمع والأمة ترتبط بشكل وثيق بعدالة الحاكم، فالحاكم العادل يمكنه اجراء العدالة في المجتع والبلاد وبالتالي يجد الانسان العادي جوّاً

---

(١) الذريعة ٦ / ٢٠٥ رقم ١١٣٦.

مهيئاً لاجراء العدالة وفي غير هذه الحالة فان اجراء العدالة في الحياة الاجتماعية والنواحي الأخرى سيكون صعباً للغاية اذا لم يكن مستحيلاً، من هنا فان الحكومات وحدها هي التي تبادر الى اجراء العدالة وبالتالي تكون المناخ المناسب والجوّ المساعد لنمو جميع الفضائل الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في المجتمع[١].

و - اصالة النفس:

بعد خلود النفس والروح الانسانية من البحوث الأساسية التي تشكل البنية التحتية في علم الأخلاق وكل المسائل الأخلاقية سوف تفقد أهميتها تماماً اذا أهملت هذه المسألة وسيكون بحثها عديم الجدوى، ذلك ان المخاطب الوحيد في قضايا الأخلاق هو النفس والروح الانسانية، ولذا فان جوهر الموضوع الأخلاقي هو الروح ليس غير.

وعلى هذا الأساس فان المدخل الأساسي لبحث القضايا الأخلاقية هو بحث معنىٰ النفس وحقيقتها فهل ان النفس الانسانية متجردة عن الأشياء وبالتالي عدم تأثرها (الفناء والزوال) ازاء الزمان والمكان وعاديات الدهر؟ أم هي مادّة قابلة للفناء وبالتالي فان الوصايا الأخلاقية ستكون في هذه الدنيا، وان حياة الانسان ستكون محدودة في هذا العمر وبالتالي فانه يحتاج الى قدر من الهدوء من خلال العمل بهذه الوصايا الأخلاقية لكي ينعم بحالة من الطمأنينة في هذه الفترة المحدودة من الحياة أما في حالة خلود النفس وبقائها فان علم الأخلاق سوف يكتسب أهمية كبرىٰ وستكون له جذور في عالم الآخرة الخالد وهو العالم الالهي الأبدي.

---

(١) أعيان الشيعة ١٠ / ٣١٧.

ومن بين علم الأخلاق انبرىٰ النراقي كأول شخصية اهتمت بهذا الموضوع بشكل أساسي وعلى خطاه سار الآخرون؛ فهو ينظر الى بدن الانسان وجسده الى انه مادي قابل للفناء والزوال، ولكن الروح خالدة باقية ومن هنا فان الروح اذا ما تزينت بالأخلاق الحسنة فانها ستنعم بالسعادة الالهية الأبدية واذا تلوثت الروح فانها ستكون في عذاب دائم[١].

ز - تجسم الأعمال:

وبعد أن يثبت النراقي «تجرد النفس» من خلال أدلته السنة فانه ينتقل الى موضوع تجسم الأعمال واقترانها بالروح الباقية وحيث يكتسب الموضوع معنىٰ من خلال ذلك.

وعلى هذا الأساس فان الروح الآدمية انما تحشر مع الأعمال وسوف تتجسد الأعمال في وجود الانسان، ويعتبر النراقي هذا البحث من أركان علم الأخلاق ويتابع ذلك برؤية عميقة معتقداً بأن حقيقة الناس في يوم القيامة ستكون مرهونة بتصوراتهم الباطنية ونواياهم القلبية وأعمالهم حيث تستميل الى ملكة في داخل النفس وصفة ثابتة فيها، وعندما يصبح ادراك يوم القيامة قوياً وتنفتح بصيرته حينئذ سوف يرىٰ ذلك واضحاً في وجوده[٢] ويستند في آرائه الى بعض الأحاديث في هذا الموضوع؛ حيث الناس المذنبون يحشرون يوم القيامة مع العقارب والحيّات والناس الأخيار يحشرون والحور والغلمان. وهذه حالة تجسم الأعمال التي يشير اليها بصراحة حيث الأعمال انما هي الحور والغلمان أو العقارب والحيّات وهو أيضاً الملك أو الشيطان ولا شيء غير ذلك[٣].

---

(١) المصدر السابق / ٦٧؛ الذريعة ٢٤ / ٤٣ رقم ٢١٠.

(٢) المصدر السابق / ١٨.

(٣) المصدر نفسه / ١٦ - ١٧.

حـ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وللملّا محمد مهدي النراقي في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلام أصيل فهو يعتقد كل مؤسسة وكيان وأشخاص يتحملون هذه المسؤولية عليهم أن يتمتعوا بسعة الصدر وحسن السلوك والتعامل بنبل وأخلاق مع الناس[١] ويجب أن تتمتع هذه الجهة برؤية عميقة ومعرفة كافية عن المواضيع والمصاديق حتىٰ لا يختلط المعروف بالمنكر والمنكر بالمعروف كما وعليهم ترتيب عملهم بحسب الأولويات والأهمية بحيث لا تصبح المسائل الثانوية والهامشية مسائل أساسية وبالعكس ويشير النراقي الى أن غياب الترتيب الآنف الذكر ابتليت به الأمم وكانت له معطيات ونتائج سلبية.

خدمة الشعب

بعد سنوات عديدة عاد النراقي الى أرض الوطن، عاد الى كاشان وكان هاجسه خدمة مجتمعة وأهله وناسه ولم يكن يألو جهداً أو وقتاً في حل مشكلات الناس وكان يهب الى كل من ينشد المساعدة أو يطلب حل مشكلة، وأصبح - منزله البسيط كهفاً لكل مظلوم ومقهور، وكم من المشكلات العويصة والمستعصية وجد لها حلًّا في بيته المفعم بالصفاء وكم من النزاعات التي أصبح لها جذور ضاربة وتاريخ معقد فضت ليعود السلام والوئام من جديد وكم من الأحقاد التي استمالت الى مودّة وصفاء وكم من العداوات أضحت محبة وإخاء.

(١) المصدر نفسه / ٢٤٨.

في ميدان اليراع

ترك النراقي وراءه ميراثاً خالداً حافلاً بالعطاء وأصبحت آثاره معالم هداية ومصابيح تضيء الطريق، وفيما يلي قائمة في بعض آثاره ومؤلفاته:

أ - الفقه:

١ - لوامع الأحكام.

٢ - معتمد الشيعة.

٣ - أنيس التجار.

٤ - أنيس الحجاج.

٥ - المناسك المكية.

٦ - صلاة الجمعة.

٧ - التحفة الرضوية.

ب - أصول الفقه:

١ - تجريد الأصول.

٢ - جامع الأصول.

٣ - رسالة الاجماع.

٤ - أنيس المجتهدين.

جـ - الفلسفة والحكمة:

١ - جامع الأفكار وناقد الأنظار.

٢ - اللمعة الالهية في الحكمة المتعالية.

٣ - شرح الالهيات من كتاب الشفاء.

٤ - قرة العيون في الوجود والماهية.

٥ - اللمعات الوشيعة.

٦ - الكلمات الوجيزة.

٧ - أنيس الحكماء.

٨ - أنيس الموحدين.

حـ - الرياضيات والهيئة:

١ - توضيح الاشكال (الهندسة الاقليدية).

٢ - رسالة تحرير اكرثاذرسينوس.

٣ - رسالة عقود الأنامل.

٤ - المستقصي (في الهيئة).

٥ - المحصل (في الهيئة).

٦ - معراج السماء (في الهيئة).

س - الأخلاق:

١ - جامع السعادات.

٢ - جامع المواعظ.

ش - مؤلفات عامة:

١ - محرق القلوب (مقتل).

٢ - مشكلات العلوم (كشكول).

٣ - نخبة البيان (تنبيه، استعارة ومحسنات بديعية).

٤ - الطائر القدسي (ديوان أشعار).

٥ - حواشي وتعليقات على آثار الأقدمين.

ان معظم مؤلفات النراقي ما تزال مخطوطة حتى الآن ولم يطبع منها سوىٰ عشرة مؤلفات فقط وبعضها طبع أكثر من مرّة وبعضها حشي من قبل مراجع من قبيل آية الله العظمىٰ السيد محمد كاظم اليزدي والسيد اسماعيل الصدر والشيخ عبد الكريم الحائري[1].

(١) المصدر نفسه / ٦٦.

في ميدان الشعر

ضاعت كثير من أشعار النراقي التي نظمها في مناسبات مختلفة وفي حقول ومجالات متنوعة وما وصل الينا يمثل الجزء الضئيل منها. وقسم الملامح العرفانية أشعار النراقي وفي قالب ما يعرف بالمثنوي وأشعاره باللغتين العربية والفارسية.

يا للبهجة في غبش الفجر وآية البشرى

نفخة من روح القدس من عيسىٰ[١]

قالوا فيه

١ – قال فيه العلّامة آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي: «كان النراقي الملّا محمد مهدي ونجله، من كبار علماء الاسلام»[٢].

٢ – آية الله الاستاذ حسن زادة آملي: «لا ريب في تبحره في العلوم جميعاً وفي الفنون العقلية والنقلية وحتى في الآداب والرياضيات العالية ويعد في طليعة علماء الطراز الأول وكان من نوادر زمانه في الفضائل الأخلاقية التي تحلّىٰ بها وله تصانيف عديدة وتأليفات جيدة في علوم مختلفة[٣].

٣ – العالم الجليل السيد جلال الدين الأشتياني: «العلّامة النراقي من كبار المجتهدين في عصره ومن مراجع وزعماء الدين وكان له مجلس يفصل فيه في القضايا والنزاعات، وقد اهتم الفقهاء بمؤلفاته وله في الفلسفة والحكمة مقام رفيع شامخ وله آثار نفيسة في الفنون الرياضية وكان استاذاً في الرياضيات وكان بعضهم ينعته بـ«أفضل المهندسين»[٤].

---

(١) المصدر نفسه / ٧٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) أنيس الموحدين، مقدمة الاستاذ حسن زادة آملى / ١٤.

(٤) قرة العين، مقدمة جلال الدين الاشتياني / ٥٦.

غروب الشمس

وبعد عمر حافل بالعطاء والتضحيات وفي يوم السبت الثامن عشر من شعبان سنة (١٢٠٩ هـ) وبعد أن ناهز الحادية والثمانين من عمره المبارك لبىٰ النراقي دعوة الحق والتحق بعالم الأبدية وهب أهل كاشان بتشييع ذلك الانسان العظيم والعالم الكبير وارتدت المدينة ثياب الحداد حزناً على الراحل ونقل جثمانه الطاهر الى مدينة النجف الأشرف ليوارىٰ الثرىٰ في ظلال وجوار[1] مرقد بطل الاسلام الخالد علي ابن أبي طالب عليه السلام رضي الله عنه وأرضاه.

أولاده وأحفاده

خلف النراقي وراءه أربعة أولاد هم: الملّا أحمد، الملّا أبو الحسن، الملّا أبا ذر والملّا مهدي وقد انتهجوا جميعاً خطىٰ والدهم الراحل وأصبحوا من كبار العلماء فالملّا أحمد مؤلف الكتب القيمة: «مستند الشيعة» و «معراج السعادة» وهما ما يزالان من الكتب المرجعية للكثير من أصحاب الاهتمام. كما نبغ من أحفاده علماء وكانوا مبرزين في عصرهم[2]، وكان بعضهم أدوار في مجتمعهم وعانق بعضهم الشهادة مثل العالم الشهيد آقا علي النراقي الذي نهض للدفاع عن حقوق المحرومين في كاشان وانتفض ضد حكومة الخوانين (جمع خان) ونال وسام الشهادة في هذا الطريق الجهادي[3].

---

(١) ريحانة الأدب محمد على المدرس ٦ / ١٦٣؛ شرح الالهيات مقدمة حسن النراقي.

(٢) التاريخ الاجتماعي لكاشان، حسن النراقي / ٢٨٧.

(٣) انظر: تاريخ المشروطة في ايران، أحمد كسروي.

السيد محمد مهدي الطباطبائي بحر العلوم
المتوفى سنة ١٢١٢هـ

تجليات النور

السيد محمد مهدي نجل السيد مرتضىٰ الطباطبائي البروجردي من أحـفاد الامام الحسن المجتبىٰعليه السلام وذريته، ولد في أسرة متدينة في ليلة الجمعة من شهر شوال سنة (١١٥٥ هـ) في مدينة كربلاء المقدسة[١].

رأىٰ أبوه ليلة ميلاده في عالم الرؤيا ان الامـام الرضـاعليه السلام أمـر مـحمد بـن اسماعيل بن بزيع (من أصحاب الامام الكاظم والامام الرضا والامام الجوادعليهم السلام) أن يشعل شمعة فوق سطح بيت مرتضىٰ (والد السيد محمد مهدي) وعندما قـام محمد بن اسماعيل باشعال الشمعة شع النور منها الى عنان السماء[٢] وكانت هذه الرؤيا حقاً بعد أن بشر بالمولود المبارك.

دراسته

نشأ محمد مهدي في احضان طاهرة وظلال وارفة وكان أبوه مـعلمه الأول وأستاذه في الأخلاق والآداب وترعرع الصبي في هذه الأجواء المفعمة بالفضيلة والايمان، طوى مرحلة المقدمات في سن مبكرة ليحضر دروس الخارج وهو ما

---

(١) الفوائد الرضوية / ٦٧٦؛ مستدرك الوسائل ٣ / ٣٨٣؛ قصص الأنبياء / ١٦٨؛ أعيان الشيعة ١٠ / ١٥٨.

(٢) المصدر السابق، قصص العلماء / ١٦٨.

يزال يافعاً كل ذلك كان بتعليم من والده العالم الذي استغرق في تعليمه خمس سنين ليتخرج على يد والده مجتهداً مشهوداً له[١].

وقد حضر السيد محمد مهدي دروس بعض العلماء والمثقفين في النجف وكربلاء في طليعتهم الوحيد البهبهاني (١١١٨ - ١٢٠٥ هـ)، الشيخ يوسف البحراني (١١٠٧ - ١١٨٦ هـ)، محمد تقي الدورقي النجفي (المتوفى ١١٨٦ هـ) ومهدي الفتوني النباقي العاملي (المتوفى سنة ١١٨٣ هـ)[٢].

درس الفلسفة والحكمة لدىٰ الميرزا ابو القاسم المدرس فيما درس هذا الحكيم التقي الأصول والفقه لدىٰ تلميذه[٣].

وكان الوحيد البهبهاني في أواخر عمره يحيل الناس في المسائل والاستفتاء والفتاوى الاحتياطية الى السيد بحر العلوم[٤] معتبراً اياه مجتهداً جامعاً للشروط.

في عام (١١٨٦ هـ) شدّ الرحال الى مدينة مشهد المقدسة لزيارة الامام الرضاعليه السلام وقد مكث فيها سبع سنوات التقىٰ خلالها كبار علماء ايران[٥] واضافة الى مناقشاته العلمية في مشهد ولقاءاته بالناس فقد كان يحضر دروس الشهيد الميرزا مهدي الاصفهاني الخراساني (١١٥٣ - ١٢١٨ هـ) وقد درس الفلسفة على يديه وكذا العقائد والكلام والاصفهاني الشهيد هو الذي أطلق عليه لقب «بحر العلوم» وقد دهش الشهيد لسعة العلوم التي يتقنها تلميذه ولهذا خاطبه: أنت بحر العلوم[٦].

---

(١) مقدمة الفوائد الرجالية / ٣٣؛ الفقهاء الاعلام، العقيقي البخشاشي / ٢٩١.

(٢) بحر العلوم، نور الدين علي لو / ٢٥ - ٣٢.

(٣) مقدمة الفوائد الرضوية.

(٤) مكارم الآثار / ٤١٧ - ٤٢١.

(٥) أعيان الشيعة ١٠ / ١٥٩.

(٦) مقدمة الفوائد الرجالية.

السفر الى الحجاز

في أخريات عام (١١٩٣ هـ) شد بحر العلوم الرحال الى أرض الحجاز وقد استقبل استقبالاً حافلاً شعبياً ومن قبل علماء الحجاز وقد مكث بحر العلوم في الحجاز مدّة عامين الى جوار بيت الله الحرام وقد استغل خلالهما في البحث والتدريس. عرف عنه تبحر في فقه أهل السنّة كما عرف بسخائه وحسن معاشرته للناس وهذا ما صنع منه شخصية محبوبة لدىٰ الناس عامة وأهل العلم خاصّة وأصبح منزله مقصداً لعموم الناس والعلماء ينهلون من فيض بحره وكان يدهش أتباع كل مذهب فكان أصحاب كل مذهب يظنون ان بحر العلوم على مذهبهم وكان بحر العلوم يعيش كل تلك المدّة تقية، وكانت دروسه ومحاضراته تدور حول علم الكلام في المذاهب الأربعة ثم في اقامته في مكّة أعلن عن مذهبه ولما سمع أصحاب المذاهب الأخرىٰ بذلك تدفقوا نحوه ليناقشوه فكان يتفوق عليهم وكان دليله الأقوىٰ وحجته الأكثر منطقية وكان يبهر الجميع بذلك ويبين لهم حقيقة الاسلام[١].

كما قام بحر العلوم بتعيين وتثبيت مقام أداء أعمال الحج ومركزية مواقيت الاحرام بحيث تكون صحيحة من الناحية الشرعية وكذا اصلاح مواقف الحج لقد كان ذلك من الخطوات الهامة التي قام بها السيد بحر العلوم ذلك انها كانت (الأماكن المقدسة) غير واضحة الى حدّ كبير.

كما قام بحر العلوم باستبدال بلاط الحرم حيث يقيم الحجاج الصلاة فوقه وازال جميع البلاط المعدني وعوضها بالصخور التي يجيز المذهب الشيعي السجود عليها. ومن الآثار المعنوية لحضور هذا السيد المبارك في تلك الديار ان

---

(١) مقدمة الرجالية / ٣٥.

امام الجمعة في مكّة المكرمة اعتنق المذهب الامامي وكان يومها في الثمانين من عمره[١].

تلامذته

قام بحر العلوم بتربية تلامذة كانوا منشأ خير وخدمة في عصرهم وفيما يلي قائمة بأسماء بعضهم:

١ – الشيخ جعفر النجفي المعروف بكاشف الغطاء (١١٥٤ – ١٢٢٧ هـ).

٢ – السيد محمد جواد العاملي المعروف بـ«صاحب مفتاح الكرامة» (١١٦٤ – ١٢٢٦ هـ).

٣ – الملّا أحمد النراقي مؤلف كتاب «معراج السعادة».

٤ – محمد باقر الشفتي الرشتي الملقب بحجة الاسلام (١١٧٥ – ١٢٦٠ هـ).

٥ – السيد يعقوب الكوهكمري (١١٧٦ – ١٢٥٦ هـ).

٦ – السيد صدر الدين العاملي (المتوفى سنة ١٢٦٣ هـ).

٧ – السيد دلدار علي النقوي الرضوي النصير آبادي اللكهنوي (١١٦٦ – ١٢٣٥ هـ).

٨ – الشيخ محمد ابراهيم الكلباسي (١١٨٠ – ١٢٦٢ هـ).

٩ – زين العابدين السلماسي (المتوفى سنة ١٢٦٦ هـ).

١٠ – الشيخ عبد الحسين الأعم (١١٧٧ – ١٢٤٧ هـ).

١١ – السيد علي نجل السيد محمد (١١٦١ – ١٢٣١ هـ).

---

(١) مكارم الآثار ١ / ٤١٧.

١٢ - السيد قصير محمد نجل معصوم الرضوي الخراساني (١١٨٠ - ١٢٥٥ هـ).

١٣ - اسد الله الكاظمي (المتوفى سنة ١٢٣٦ هـ).

١٤ - ابو علي الحائري صاحب كتاب منتهىٰ المقال (١١٥٩ - ١٢١٦ هـ).

١٥ - السيد عبد الله شبر (المتوفىٰ سنة ١٢٤٣ هـ).

١٦ - الشيخ محمد تقي الاصفهاني الايوانكي صاحب حاشية المعالم (المتوفى سنة ١٢٤٨ هـ).

١٧ - السيد محمد المجاهد مؤلف كتاب «المناهل» (المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ).

١٨ - محسن الأعرجي (المتوفى سنة ١٢٢٧ هـ).

١٩ - الميرزا محمد عبد الصائغ النيسابوري الاخباري.

٢٠ - الشيخ حسين نجف[١].

آثاره العلمية

للسيد بحر العلوم العديد من الآثار والكتب والمصنفات بعضها طبع وبعضها الآخر ما يزال مخطوطاً وهي كما يلي:

- المصابيح في الفقه في ثلاثة أجزاء.
- الفوائد في الأصول.
- مشكاة الهداية.
- الدرة النجفية (رسالة في الفقه).
- رسالة في الفقير والغني.

---

(١) مستدرك الوسائل ٣ / ٣٨٥؛ أعيان الشيعة ٦ / ٢٢٥، ٧ / ١٦٧؛ معارف الرجال، محمد حرز الدين ٢ ٥٩ شعراء الغري ١٢ / ١٣٩ - ١٥٩؛ مقدمة الفوائد الرجالية ٦٧ - ٧٠.

- رسالة في عصير الزبيب.
- شرح الوافية (في علم اصول الفقه).
- تحفة الكرام (في تاريخ مكة والبيت الحرام).
- مناسك الحج.
- حاشية على كتاب الشرايع (بحث الطهارة).
- حاشية على كتاب «الذخيرة» للسبزواري.
- الدرّة البهية في نظم رؤوس المسائل الأصولية.
- كتاب الرجال (المعروف بالفوائد الرجالية).
- ديوان شعر ورسالة فارسية في معرفة الله[1].

نشاطه وأثره الاجتماعي

نظراً لثقل وعمق شخصيته العلمية وما وصل اليه من مجد فقد كانت له آثار اجتماعية واسعة وهذه اشارة الى بعضها:

١ - تشخيص وتحديد مقام الحجة بن الحسن (عج) في مسجد السهلة وبناء قبة في ذلك المكان المقدس.

٢ - بناء منارة في الصحن العلوي الشريف في طرفه الجنوبي وترميم جدران الصحن وكانت في حالة متداعية.

٣ - تشجيع وارشاد الناس الى ترميم مسجد الشيخ الطوسي في النجف الأشرف.

٤ - تأسيس مكتبة للمخطوطات (مكتبة بحر العلوم).

---

(١) أعيان الشيعة ١٠ / ١٦٠؛ شعراء الغري ١٢ / ١٣٩.

٥ - رفع أرضية مسجد الكوفة لتيسير تطهيره وتنظيفه.

٦ - تحديد وتشخيص محل مسجد رأس الحسين عليه السلام في النجف الأشرف.

٧ - تعيين قبر المختار الثقفي والمعروف الآن بقبر مسلم.

٨ - تعيين وتحديد ضريحي سيدنا هود وسيدنا صالح عليهما السلام في النجف الأشرف.

٩ - اضافة مساحات في الأرض الى الحرم الطاهر وانشاء مؤسسات في أطراف الحرم يحتاجها الزوّار[1].

شعر بحر العلوم

كان بحر العلوم ينظم الشعر الجيد فكان شاعراً مجيداً وأكثر شعره في رثاء سيد الشهداء عليه السلام وهذه أبيات تكشف عن مقدرته الأدبية وشاعريته:

الله أكبر ماذا الحادث الجلل	وقد تزلزل سهل الأرض والجبل
ما هذه الزفرات الصاعدات اسماً	كأنها من لهيب الأرض تشتعل
ما للعيون منها الدمع جارية	منها تخدُّ خدوداً وهي تنهمل
كأن نفخة صور الحشر قد فجئت	فالناس سكرىٰ ولا سكر ولا ثمل[2]

مظهر الفضائل

جمع بحر العلوم أسمىٰ الفضائل في شخصيته الأخلاقية والانسانية فكان نموذجاً مقتدياً بسيرة الأنبياء وكان بحر العلوم بحق معلماً للأخلاق مصداقاً صافياً لكل الخصال النبيلة والأخلاق الحسنة ولنعم ما قال في حقه تلميذه كاشف الغطاء:

---

(١) مقدمة الفوائد الرجالية / ٩٥ - ٩٦؛ ماضي النجف وحاضرها ١ / ٩٦، ١٠٥، ٢٤٦.

(٢) الكواكب الساطعة ١ / ٤٢٨ (اختران تابناك).

«جمعت من الأخلاق كلّ فضيلة - فلا فضل الا عن جنابك صادر»[١] وكان بحر العلوم نموذجاً رائعاً للتواضع يحترم الآخر مهما كان اتجاهه ورأيه وكان أباً رحيماً للجميع. وكان قدوة ومثالاً في سلوكه ومنطقه وحتى في مشيه وكان الناس عندما ينظرون كأنما ينظرون الى ملاك وليس بشراً دائم الذكر لربّه ولا يقول شيئاً أو يفعل شيئاً الّا وكان الله عز وجل نصب عينيه[٢].

واهتم بحر العلوم بتلامذته لا في اطار تقدمهم العلمي وانما تعدىٰ ذلك حتى الى شؤونهم العبادية، وكان يتألم اذا ما شاهد تهاوناً من بعضهم في العبادة وذات مرّة ترك التدريس لعدّة أيام فتوسط بعض تلامذته لمعرفة سرّ ذلك، فجاءهم الجواب منه: انه لم ير بين طلبته أبداً أنيناً في منتصف الليل لا دعاء ولا مناجاة وتضرع، وأنا في أغلب الليالي أدور في أزقة النجف فلم أسمع دعاءً يرتفع في بيوتكم وهكذا طلبة لا يليق تدريسهم. وعندما سمع طلبته ذلك حدث تغير جوهري في نفوسهم، فكانوا ينهضون في منتصف الليل والناس نيام يتضرعون الى الله عز وجل ويدعونه ويذرفون الدموع شوقاً في مناجاته، وعندما لاحظ بحر العلوم هذا التحول على تلامذته استأنف تدريسه مرّة أخرىٰ[٣].

ان جهود السيد بحر العلوم في الاهتمام بشؤون الفقراء والمحرومين ورعايته لهم كانت تحتم عليه ان يدور في أزقة النجف الضيقة الملتوية في منتصف الليل يحمل الى الفقراء الخبز والطعام[٤].

---

(١) مقدمة الفوائد الرجالية / ٣٥.

(٢) المصدر السابق / ٣٨.

(٣) قصص العلماء / ١٧٣.

(٤) المصدر السابق / ١٧١.

سرّ العشق

ولكي يدرك المرء أسرار هذه الشخصية الفريدة أن نذكر نماذج من علاقته وارتباطه بالامام المهدي (عج):

أ - راكب الناقة

يذكر الآخوند الملّا زين العابدين السلماسي - وهو من تلامذته المقربين - عندما كنا في جوار بيت الله الحرام كنت في رفقة السيد وفي خدمته فصادف انني لم أجد في البيت شيئاً (من الطعام) فعرضت ذلك على السيد فلم يجب بشيء. وكان من عاداته انه كان ينطلق الى بيت الله فجر كل يوم فيطوف حول الكعبة ويعود الى البيت ويجلس في حجرته وكنت أحضر له «الزجيلة» وكان يدرس أتباع كل مذهب على مذهبهم، فلما كان ذلك الذي شكوت ضيق ذات اليد وعاد من طوافه اذا بطارق يطرق الباب واذا بالسيد يضطرب ويقول خذ الزجيلة واذهب ثم أسرع بنفسه الى الباب ليفتحه فدخل رجل جليل مهيب الطلعة يرتدي زياً عربياً وجلس في حجرة السيد وكان السيد جالساً في حضرته بأدب فجلسا ساعة وكانا يتحدثان. ثم نهض فجأة ثم فتح الباب وقبل يد الرجل واركبه ناقته وكانت باركة في باب المنزل، وذهب الضيف ليعود بحر العلوم متغير الوجه وأعطاني حوالة وقال: هذه حوالة الى الصرّاف الفلاني في السوق وخذ منه ما في الحوالة؛ فأخذت الحوالة الى الصرّاف، فلما نظر الصرّاف الحوالة قبّلها وقال: اذهب واحضر العملة والحمّالين فذهبت وجئت له بأربعة حمّالين فحملوا الأموال على قدر ما أوتوا من قوة ونقلنا تلك الأموال الى بيت السيد ثم عدت من فوري الى الصرّاف أسأله عن حاله وحال من كتب هذه الحوالة من يكون فلم أعثر على الصرّاف أبداً ولم أر للدكان من أثر فسألت عنه الصرّافين فقالوا اننا لا نعرف من

تذكر ولم نر دكاناً له![١].

ب - كما البحر

يذكر الميرزا القمي مؤلف كتاب «قوانين الأصول» كنت زميلاً لبحر العلوم أيام دراستنا وكنا نتباحث معاً في درس الوحيد البهبهاني وكنت أقرر له البحث الى أن عدت الى ايران وكانت شهرة السيد قد بدأت تنتشر شيئاً فشيئاً وكنت أتعجب من ذلك الى أن وفّقني الله لزيارة العتبات المقدسة ولما وصلت النجف الأشرف ذهبت الى لقاء السيد، وبحثت معه في مسألة فرأيت السيد بحر العلوم بحراً متلاطم الأمواج عميقاً فقلت له: يا سيد لقد كنا معاً ولم تكن لك هذه الدرجة والمرتبة فقال لي: يا ميرزا إن هذا من الأسرار وأنا أبوح لك على أن لا تذكر ذلك لأحد ما دمت حياً فوافقت حينئذ قال: وكيف لا أكون كذلك ومولاي ضمني الى صدره ذات ليلة في مسجد الكوفة!![٢].

جـ - تلاوة القرآن

وينقل الميرزا حسين اللاهيجي عن الشيخ زين العابدين السلماسي ان بحر العلوم دخل حرم الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم وتمتم ببيتين من الشعر:

ما أجمل صوت القرآن — منك أيها الفتّان

فسألت عن سرّ ترديده هذا الشعر فقال: ما إن دخلت الحرم الطاهر حتى رأيت مولاي الحجة بن الحسن يقرأ القرآن الكريم عند رأس الضريح الزكي فلما سمعت نغمته وهو يتلو القرآن الكريم حتىٰ رأيت نفسي أنظم هذين البيتين[٣].

---

(١) منتهىٰ الآمال، الشيخ عباس القمي ٢ / ٥٤٧؛ الفوائد الرضوية / ٦٨.

(٢) كنز العلماء، محمد شريف الرازي ٨ / ٣٧١.

(٣) الفوائد الرضوية / ٦٨٢.

غروب الشمس

في أواخر أيام حياته داهمه المرض وضعف عن القيام بهمة التدريس فلزم منزله ليشتغل في البحث والدراسة والتأليف، وأخيراً وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة الحرام (أو شهر رجب الأحب) من سنة (١٢١٢ ﻫ) ودّع السيد بحر العلوم الحياة الفانية وعرجت روحه الطاهرة الى الملكوت الأعلى وقد أحدث رحيله ثلمة في الاسلام كبيرة، شيع جثمانه الطاهر ليواريٰ الثرى الى جوار مرقد الشيخ الطوسي في مدينة النجف الأشرف.

السيد محمد جواد الحسيني العاملي /المتوفى سنة ١٢٢٦ هـ

الطليعة

إن حياة الأفذاذ من علماء الشيعة لا يمكن اختزالها في صفحات وسطور ذلك ان لحظات حياتهم المباركة انما هي من أداء رسالتهم الدينية وهم يسعون جاهدين من أجل حفظ الميراث الديني والثقافي تاركين وراءهم آثاراً خالدة للأجيال من أجل يستلهم منها الدروس والعبر.

لقد كان السيد محمد جواد العاملي عالماً كبيراً من أولئك الأفذاذ وكيف لا يكون كذلك وقد فتح بكتابه «مفتاح الكرامة» آفاق الكرامة للفقهاء والعلماء، وما هذه السطور سوى نظرة عابرة على حياة هذه الشخصية الكريمة.

ميلاد النور

في عام (١١٥٢ هـ) وفي قرية «الشقراء» من قرى جبل عامل في جنوب لبنان ولد السيد محمد جواد ليفتح عينه من ظلال اسرة متدينة وفي أجواء مفعمة بالحياة والايمان ترعرع الصبي وكانت روحه الطاهرة تتشرب آيات القرآن الكريم فكان يأنس بالقرآن ويملأ كتاب الله صدره وقلبه بالحب الالهي والايمان والنور.

والسيد محمد جواد ينتسب من جهة الأب الى الامام الحسين عليه السلام ومن جهة

الأم الى الامام الكاظم عليه السلام[١]، وكان بيت السيد ملاذاً لشيعة أهل البيت عليهم السلام وأنصارهم ومن هذا البيت الكريم ظهر علماء كثيرون كان لهم دورهم في الحياة نشير في هذه المناسبة الى العالم والمرجع الكبير السيد محسن الأمين مؤلف السفر الجليل: «أعيان الشيعة».

دراسته

بدأ الصبي رحلته الدراسية بالتوجه الى الكِتّاب لدراسة مقدمات العلوم فكان تلميذاً لابن عمه ابو الحسن موسىٰ، وكان يشتاق الى الدراسة متحمساً لها يشارك في حلقات الدرس بجدّ واهتمام لا نظير له ولم تمض سوىٰ فترة قليلة حتى طوىٰ مرحلة المقدمات وقد لفت ذلك انتباه من عرفه وتنبأ له بمستقبل زاهر.

وبعد أن توفي استاذه ولم يجد من يروي ظمأه الى العلم والمعرفة عندئذ في الهجرة.

هجرته العلمية

في عام (١١٩٤ هـ) هاجر السيد محمد جواد الى أرض العتبات المقدسة في العراق من أجل يحصد هناك سنابل العلوم، وقبل أن يضع قدميه في مدينة النجف الأشرف زار مدينة كربلاء المقدسة من أجل أن يرتوي أولاً من فرات العشق حيث فطاحل العلم من قبيل الوحيد البهبهاني (المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ) والسيد علي الطباطبائي (المتوفى سنة ١٢٣١ هـ) فنهل من فيض علمهم وتعلّم من أخلاقهم[٢].

(١) أعيان الشيعة ٤ / ٢٨٨.

(٢) مفتاح الكرامة، محمد جواد العاملي ٤ / ٧٧١.

المحيط الكبير

كانت النجف يومئذ تعدّ من أكبر المراكز العلمية للتشيع وكانت تكتظ بالكثير من الأساتذة والعلماء ولهذا هاجر اليها لتبدأ رحلته العلمية في أجواء مفعمة بالمعارف الدينية ويضع خطاه في طريق الاجتهاد وقد سبقت شهرتها وصوله وأصبح لها في دنيا العلم لواء مرفوع فأضاف الى دراسته وبحوثه مهمة أخرىٰ هي التأليف والتصنيف.

وكان السيد محمد جواد عندما وصل حوزة النجف الأشرف قد حظي بفرصة لقاء أساتذة أفذاذ فاغتنم هذه الفرصة وانتظم في حلقاتهم الدراسية تلميذاً يطلب المزيد من العلم والمعرفة والأخلاق ومن بين أولئك الأفذاذ والأعلام:

١ - السيد بحر العلوم (١١٥٤ - ١٢١٢ هـ) والسيد من أبرز علماء الشيعة قديماً وحديثاً، وقد جاء في سيرته الكثير من الفضائل والسيد محمد جواد هو من توسط لدىٰ السيد بحر العلوم لمعرفة سبب تعطيله الدرس فقال له استاذه انني أدور في أزقة النجف ليلاً فلا أسمع في بيوت الطلاب أنيناً تسمع ولا دعاءً ولا مناجاة ترتفع وارىٰ حجرات الطلاب في المدرسة غارقة في الظلام والطلاب نيام وانني لن أدرّس طلاباً لا يصلون صلاة الليل ولا أسمع مناجاتهم في الأسحار وكان لهذا الكلام من السيد بحر العلوم الأثر الأكبر في دفع الطلاب الى أن ينهضوا لصلاة الليل فكانوا في دعاء وتضرع حتى اذا فعلوا ذلك وعرف السيد منهم اخلاصاً وخلوصاً ونية صادقة عاد الى التدريس مرّة أخرىٰ[1].

٢ - الشيخ جعفر كاشف الغطاء (١١٥٤ - ١٢٢٧ هـ) وهو من أساطين العلم وكان السيد محمد جواد عندما يذكره باجلال ويسمّيه العلّامة الامام والمعتمد

---

(١) مجلة حوزة العدد ٤ السنة الخامسة ٥٥.

أعظم العلماء[١].

٣ - الشيخ حسين نجف (١١٥٩ - ١٢٥١ هـ) وكان أسوة في الفضيلة والتقوىٰ والخصال الحميدة وكان عالماً قل نظيره وقد عرف عنه انه كان لا يتكلم الّا بآية أو حديث ورواية كما اشتهر باستقامته فلم يكن لعاديات الزمن من أثر فهو كالجبل أو أشد صلابة وكان السيد بحر العلوم والشيخ كاشف الغطاء يجلّانه.

أسوة الأخلاق

وصل السيد محمد جواد الذرى في العلم وبلغ العلىٰ في الأخلاق والمجد في الفضائل وحسن الخصال فكان من أولئك الذين يقرنون العلم بالعمل، فقد كان السيد متواضعاً في غاية التواضع وبلغ من تواضعه انه كان ينسب ابداعاته العلمية الى أساتذته فيكررون قوله اذا وصل الى بعض ما يبحثه ما كان فيه من تحقيق سمين فهو للاستاذ وما كان فيه من غث فهو لي[٢] فكان يجلّ أساتذته ايما اجلال وكان اذا ذكر أحدهم ذكره باحترام، فالسيد ممن زكى نفسه وهذبها حتى بلغ من الأخلاق الحميدة والخصال الشريفة المراتب العالية.

المعالم الخضراء

ورد في بعض المدوّنات ان السيد بحر العلوم لمّا آلت اليه زعامة الحوزة العلمية فانه قام بخطوة كبرىٰ فعمد الى تقسيم الوظائف الهامّة على الأكفاء من رجالات العلم والدين، فأوكل الىٰ السيد محمد جواد مهمة التأليف والتحقيق من أجل أن يتفرغ للبحوث في علوم آل النبي صلى الله عليه وآله؛ فأبدع السيد محمد جواد في مهمته

---

(١) مقدمة مفتاح الكرامة.

(٢) مفتاح الكرامة ٤ / ٧٧٣.

وترك للأجيال تراثاً خالداً يتمثل بالكثير من الآثار العلمية ومن بينها:

١ - مفتاح الكرامة: وهو كتاب جليل وسفر من الأسفار وهو شرح في غاية الجودة على كتاب قواعد الأحكام للعلامة الحلي ويعدّ بحق مفتاح الاجتهاد.

٢ - تجويد القرآن.

٣ - حاشية على باب الطهارة من كتاب مدارك الأحكام.

٤ - منظومة في باب الزكاة.

٥ - حاشية على كتاب الروضة للشهيد الثاني.

٦ - منظومة حول الخمس.

٧ - شرح الوافية.

٨ - حاشية على كتاب المعالم.

٩ - رسالة في أصل البراءة.

١٠ - حاشية على التهذيب.

١١ - رسالة في الردّ على الاخباريين.

١٢ - حاشية على كتاب الفوائد الرجالية.

التدريس

وبعد رحيل السيد بحر العلوم وسفر العلّامة كاشف الغطاء الى ايران تربع السيد محمد جواد على كرسي التدريس وبسبب تبحره في الفقه والأصول واطلاعه على أقوال المتأخرين والمتقدمين فقد انتظم في دروسه الكثير من طلاب العلم والمعرفة وقد نبغ من بينهم العديد فكانوا أسماء لامعة في دنيا العلم وكواكب ساطعة في عالم المعرفة نخص بالذكر منهم الآتي:

١ - الشيخ محمد حسن النجفي: صاحب كتاب جواهر الكلام (المتوفىٰ سنة

(١٢٦٦ هـ) وهو في طليعة العلماء ومن أبرز الفضلاء ومن أكبر المؤلفين الشيعة أنفق من عمره ثلاثين سنة في تأليف موسوعته الكبرىٰ جواهر الكلام فكانت من أبرز وأشهر الموسوعات الامامية.

٢ – صدر الدين العاملي: وكان أصغر تلامذة السيد محمد بحر العلوم والوحيد البهبهاني فقد عمره يوم انتظم في حلقيتهما لا يتجاوز الثانية عشرة من ربيع العمر وكان السيد بحر العلوم يومها ينظم مطولته المعروفة: «الدرّة النجفية» فكان يعرض ما انتهىٰ منها على تلميذه صدر الدين لمعالجة اشكالاتها..

٣ – الشيخ مهدي ملّا كتاب: وكان ممن مليء علماً وجسداً وعملاً ما تعلمه وكان فريداً في أخلاقه فكان مثالاً في خلقه بلغ في ذلك المرتبة العالية والدرجات الرفيعة.

مشايخه الذين أجازوه ومن مشايخه وأساتذته الذين أجازوه:

١ – الوحيد البهبهاني.

٢ – السيد محمد مهدي بحر العلوم.

٣ – الميرزا القمي (المتوفىٰ سنة ١٢٣١ هـ).

٤ – السيد علي الطباطبائي، مؤلف كتاب رياض المسائل.

٥ – الشيخ جعفر كاشف الغطاء.

٦ – مهدي الشهرستاني.

اجازاته التي منحها للرواة عنه

منح السيد محمد جواد العديد من طلابه اجازة في الرواية من بينهم:

١ – الشيخ محمد حسن النجفي.

٢ – نجله السيد محمد.

٣ – الشيخ رضا نجل زين العابدين حفيد العلّامة العاملي.
٤ – محمد علي هزار الجريبي.
٥ – الشيخ جواد ملّا كتاب.
٦ – الشيخ حسن بن محمد علي العبودي.
٧ – الميرزا عبد الوهاب.

في خندق الجهاد

كان السيد محمد جواد العاملي في مدينة النجف الأشرف عندما قام الوهابيون بالهجوم الوحشي البربري على هذه المدينة المقدسة فالتحق السيد بصفوف المجاهدين كما أصدر رسالته الجهادية في وجوب الذب عن النجف الأشرف، اذ قام بحثّ الناس وترغيبهم في الجهاد والدفاع عن القيم الاسلامية وخلال تلك الفترة كان ما يزال يواصل تأليف كتابه الكبير «مفتاح الكرامة» فكان ذلك همّه وهاجسه بحيث لم يوقفه الدفاع والجهاد ضد الوهابيين عن المواصلة في عمله التأليفي[١].

الكنز الكبير

ومن جهوده الخالدة مكتبته الكبرىٰ التي تضم الكثير من الكتب المخطوطة لعلماء القرون الماضية جمعها على مراحل مختلفة حتى أصبحت من أغنى المكتبات الشخصية والتي تضم الكتب الفقهية والرجالية والحديثية، وكان قد أشار الى تلك الكنوز القيّمة حيث كان يستند في تأليفه «مفتاح الكرامة» الى تلك المصادر دون واسطة[٢].

---

(١) أعيان الشيعة ٤ / ٢٩٠.
(٢) المصدر السابق ٤ / ٢٩٣.

أولاده

خلف السيد العاملي ولدين هما:

١ - السيد محمد الحسيني النجفي العاملي، وهو من العلماء الذين يشار اليهم بالبنان وكان من تلامذة جدّه توفي سنة (١٢٦٩ هـ) في مدينة النجف ودفن في حجرة جدّه في جوار المرقد العلوي الطاهر[١].

٢ - ابنته الكريمة وكانت شخصية علمية معروفة تتمتع باحترام العلماء وفي طليعتهم الفقيه الكبير صاحب كتاب الجواهر، عاشت خمسة وتسعين عاماً وظلت حتىٰ آخر يوم من حياتها منتبهة الحواس سليمة الادراك.

الهجرة الأخرى

ذكر السيد محمد جواد العاملي في كتابه مفتاح الكرامة انه كان مشتغلاً في تأليف الكتاب عندما هاجم الوهابيون العتبات المقدسة وفي تلك الظروف كان لا يفارق عملية التأليف[٢].

وبعد عمر حافل بالعطاء وخدمات كبرىٰ قدمها لمذهب أهل البيت عليهم السلام وفي عام (١٢٢٦ هـ) عرجت روح ذلك العظيم تلبي دعوة الحق ورحل السيد محمد جواد الى بارئه ومعبوده وبعد تشييع مهيب ذرفت فيه الدموع حزناً على الراحل دفن في حجرة شرقي باب القبلة في مرقد الامام علي عليه السلام بناءً على وصيته وكان رحمه الله قد رأىٰ في عالم الرؤيا ان قبره هناك وما يزال قبره مزاراً يتبرك بزيارته المؤمنون القادمون لزيارة مراقد أهل البيت في النجف والكوفة وكربلاء رأىٰ الناس بعض كراماته[٣] رحمه الله.

---

(١) المصدر السابق ٤ / ٣٩٣.

(٢) المصدر السابق ٩ / ٤١٠.

(٣) المصدر السابق ٤ / ٢٨٨.

الميرزا ابو القاسم القمي /المتوفى سنة ١٢٣١ هـ

ولادته

التاريخ يشير الى سنة (١١٥١ هـ)[١] وفي بيت صغير مفعم بالدفئ والصفاء ولد صبيّ وابتهج أبوه الآخوند الملّا محمد حسن بمولده فدعاه «أبـا القـاسم» ونشأ الطفل في ظلال وارفة من الحب والفضيلة والايمان، وتلقّى الصبي الذي يكـون شأن في المستقبل مبادئ الحياة التي تنهض على الايمان وعلى هـذا الأسـاس العظيم تبلورت شخصية أبي القاسم، كان أبوه من أهل مدينة (شفت) فـي اقـليم كيلان شمال ايران ترك مدينته وهاجر الى اصفهان للدراسة وتلقى العلوم الدينية. وبعد أن تتلمذ على أيدي أساتذتها وفي طليعتهم الميرزا هدايت الله وأخيه الميرزا حبيب الله هاجر بصحبة استاذه الى مدينة جابلق. هذا من ناحية والده أما أمه فهي كريمة الميرزا هدايت الله وهي من السيدات التقيات[٢].

دراسته

ووهب الميرزا ابو القاسم قابليات وظهرت عـلى شـخصيته مـلامح الفـطنة والذكاء ما يبشر بمستقبل مشرف لذلك الصبي الذي سيكون شأن في المستقبل، طوى مرحلة المقدمات على يدي والده وسافر الى خوانسار ليتتلمذ على يـدي السيد حسين الخوانساري (المتوفى سنة ١١٩١ هـ) وكان في الطليعة من عـلماء

---

(١) وعلى رواية ثانية (١١٥٣ هـ) وثالثة تقول ١١٥٠ هـ

(٢) راجع أعيان الشيعة ٢ / ٤٨١.

عصره وزمانه وحصل على اجازات في الرواية من بعض العلماء يومئذ وتفقه في العلم على أيدي آخرين حتى وصل الى المراتب العالية، كما واقترن بأخت استاذه السيد حسين الخوانساري ليكمل نصف دينه في هذه المدينة.

وفي عام (١١٧٤ ﻫ) هاجر الى العراق من أجل استكمال دراساته ليحط الرحال في مدينة الدم والشهادة مدينة كربلاء المقدسة في جوار أبي الأحرار وسيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام. وفي تلك الفترة انتظم في حلقات الدراسة لدى الوحيد البهبهاني وكان يومها متربعاً على كرسي للفقاهة فانتهل من فيض علمه وبحر معارفه الى أن حاز درجة الاجتهاد على يديه وأجازه في الرواية أيضاً.

وبعد اقامة مديدة في مدينة كربلاء المقدسة آن له أن ينهض بأداء رسالة التبليغ الديني، فعاد الى مسقط رأسه في قصبة «جابلق» فحط رحاله في منطقة ريفية تدعى «دره باغ» وكان والده يقطن هناك كما وكان يتردد على قرية «قلعة بابو» من أجل التبليغ والتدريس[١].

الهجرة الى قم

اخطى الميرزا الى الهجرة الى مدينة قم المقدسة ذلك ان جابلق لم تكن فيها طالب علم خاصّة دروس الفقه والأصول والدروس الحوزوية الأخرى، في جوار السيدة فاطمة المعصومة حط الميرزا الرحال ليقيم مدّة في هذه المدينة المفعمة بالصفاء والايمان، ولم تمض فترة يسيرة حتى كان الميرزا يتدرج سلّم العلم والمجد ليصبح زعيماً للحوزة العلمية ومرجعاً للشيعة في عصره، وانصرف الميرزا لممارسة وظائفه الشرعية في الافتاء وامامة المؤمنين في المسجد الجامع[٢] والوعظ والارشاد وكذا البحث والدراسة والتأليف.

---

(١) الوحيد البهبهاني، علي الدواني / ١٩٦.

(٢) انظر: قصص العلماء / ١٨٠؛ أعيان الشيعة ٢ / ٤١١.

واستعادت مدينة قم مجدها السابق الذي فقدته بعد الفتنة الأفغانية وسقوط الحكم الصفوي وأصبحت قم في طليعة المراكز العلمية الشيعية وراحت تجتذب كبار العلماء[١] من سائر المدن وبخاصة اصفهان حيث كانت حوزتها يومذاك هي أكبر الحوزات العلمية في ايران.

وفي زيارة الشاه القاجاري فتح علي شاه الى قم انضم الى جموع المصلّين بامامة الميرزا القمي وكان قد سمع بفضائل هذا المرجع الكبير وقد توطّدت العلاقة بينهما في أول لقاء بين الزعيمين.

آثاره العلمية

للميرزا القمي في كثير من العلوم الاسلامية آثار وتأليفات عديدة، فله في الفقه والأصول والكلام وعلم المعاني والبيان وغيرها مؤلفات ومصنفات قيّمة ما يعكس نبوغه الفكري وذوقه الأدبي. ويعود تاريخ انتاجه العلمي والمعرفي الى فترة سكنه في مدينة قم[٢].

على أن نشاطه التأليفي يعود الى فترة شبابه مذ كان طالباً في «خوانسار» وتلميذاً لدى السيد حسين الخوانساري، وهذا ما يؤيده «آقا بزرك الطهراني» في كتابه «الذريعة» حيث يؤكد أن منظومته في علم البيان مؤرخة في ربيع الثاني سنة (١١٧٣ هـ) وكان الميرزا القمي يومها في الثانية والعشرين من عمره[٣]. أما كتابه الآخر «مجموعة الفوائد وبعض الرسائل» فيحمل تاريخ محرم الحرام سنة (١١٧٥ هـ) في بداية دراسته في مدينة كربلاء المقدسة[٤] وفيما يلي اشارة الى

---

(١) كنجينه آثار قم ١ / ٣١٣.
(٢) أعيان الشيعة ٢ / ٤٢١.
(٣) الذريعة ٢٣ / ١٢٤.
(٤) المصدر السابق ٢٠ / ٩٤.

بعض مؤلفاته:

١ - قوانين الأصول: وهو من أهم وأشهر مصنّفات الميرزا القمي كتبه باللغة العربية وتاريخ تأليفه والفراغ منه يعود الى سنة (١٢٠٥ ه). وهذا الكتاب دورة كاملة في علم الأصول يشتمل الجزء الأول على مباحث الألفاظ وجزؤه الثاني على المباحث العقلية.

٢ - حاشية على القوانين: وهو في علم الأصول حيث يردّ فيه الميرزا على الشبهات والاشكالات التي تعرضت لكتاب القوانين (قوانين الأصول).

٣ - حاشية على زبدة الأصول للشيخ البهائي.

٤ - حاشية على تهذيب الأصول للعلامة الحلّي.

٥ - حاشية على شرح مختصر ابن حاجب العضدي (وهذه الكتب الثلاثة في علم الأصول).

٦ - جامع الشتات أو أجوبة المسائل (ثلاثة أجزاء) يشتمل على دورة كاملة في الفقه من بحث الطهارة الى مبحث بيان الديّات على شكل سؤال وجواب اضافة الى اسئلة متفرقة والعقائد الدينية والمسائل الكلامية من قبيل الردّ على الصوفية والذي جاء في آخر الكتاب.

٧ - مناهج الأحكام (في الفقه).

٨ - غنائم الأيام فيما يتعلّق بالحلال والحرام (الفقه الاستدلالي).

٩ - معين الخواص (في الفقه - قسم العبادات).

١٠ - مرشد العوام: (رسالة عملية باللغة الفارسية).

١١ - منظومة في علم البديع (في ١٤٠ بيت من الشعر) ومنظومة في علم البيان ١٢ - فتحيّة في علم الكلام.

١٣ - ديوان شعر (خمسة آلاف بيت من الشعر بالفارسية والعربية).

١٤ - رسالة في أصول الدين (باللغة الفارسية).

١٥ – رسالة حول موضوع وحكم الغناء.
١٦ – رسالة في عمومية حرمة الربا في جميع المعاوضات.
١٧ – مجموعة من النصائح والمواعظ (رسالة مفصلة الى فتح علي شاه).
١٨ – رسالة في الردّ على الصوفية والغلاة.

تلامذته المبرزين

في طليعة الخدمات الكبرىٰ التي قدمتها هذه الشخصية العلمية الكبرىٰ هي تربيته تلامذة على درجة كبيرة من النبوغ فكانوا نماذج حملت مشاعل العلم والفقاهة وفي طليعة طلابه وتلامذته:

١ – السيد محمد باقر الشفتي: المعروف بحجة الاسلام (المتوفى سنة ١٢٦٠ هـ). تتلمذ على يد الميرزا في مدينة قم سافر الى مدينة كاشان حيث تتلمذ هناك مدّة على يد الملّا محمد مهدي النراقي ومن كاشان توجه الى مدينة اصفهان حيث سكن هناك وفي طليعة ما صنفه كتاب «مطالع الأنوار» (شرح الشرائع)[١].

٢ – الحاج محمد ابراهيم الكلباسي (١١٨٠ – ١٢٦١ هـ) وهو من مفاخر علماء الامامية وكبار المجتهدين الشيعة وكان مضرب الأمثال في الزهد والتقوى والعبادة هاجر الى العراق في عهد زعامة الوحيد البهبهاني ودرس هناك على أيدي كبار الأساتذة وفي طليعتهم الوحيد البهبهاني، العلّامة بحر العلوم، الشيخ جعفر كاشف الغطاء السيد علي الطباطبائي (مؤلف رياض المسائل) والميرزا القمي. ومن مؤلفاته القيمة ما يلي:

○ الايقاعات.
○ الارشاد.

---

(١) انظر الكرام البررة ١ / ١٩٢ – ١٩٤.

○ شواهد الهداية.

○ منهاج الهداية.

○ ارشاد المسترشدين.

○ الارشاد.

○ النخبة.

○ مناسك الحج.

٣ – محمد علي الهزار جريبي (المتوفىٰ سنة ١٢٤٥ ه‍): وكان من كبار العلماء في عصره وكان حاذقاً في علوم النقل والعقل. ومن مؤلفاته: «البدر الباهر» في التفسير، «السراج المنير» في علم الرجال، «تبصرة المستبصرين» في الامامة «كتاب الصلاة» و «أنيس المشتغلين» وآثار أخرى[١].

٤ – آقا أحمد الكرمنشاهي (حفيد الوحيد البهبهاني) له مؤلفات قيّمة منها: «مرآة الأحوال» في موضوع الرجال وهو باللغة الفارسية، «العمودية في الشرح الصمدية»، «نور الأنوار»، «الدرر الفردية»، و «شرح مختصر النافع» ومؤلفات غيرها[٢].

٥ – السيد محمد مهدي الخوانساري (المتوفىٰ سنة ١٢٤٦ ه‍) وهو حفيد حسين الخوانساري له رسالة مشهورة في أحوال أبي بصير: «عديمة النظر في أحوال أبي بصير»[٣].

٦ – السيد علي الخوانساري.

٧ – الميرزا أبو طالب القمّي.

٨ – الحاج السيد اسماعيل القمي.

---

(١) أعيان الشيعة ١٠ / ٢٦.

(٢) الكرام البررة ١ / ١٠.

(٣) معارف الرجال، محمد حرز الدين ٣ / ٨٧.

٩ - الميرزا علي رضا القمي.

١٠ - الشيخ حسين القمي.

١١ - الحاج ملّا أسد الله البروجردي.

١٢ - الحاج ملّا محمد الكزازي[١].

١٣ - الملّا غلام رضا الآراني.

وقد حصل أكثرهم على اجازة ورواية الحديث من الميرزا القمي[٢].

التبليغ والارشاد

لا تنحصر نشاطات هذه الشخصية الكبيرة في الدراسات والبحوث ولا في التأليف والتصنيف ولا حتىٰ في تربية تلامذة نابهين بل تعدى ذلك كله الى النهوض بالوظيفة الانسانية وهي التبليغ للدين الحنيف وهداية الناس الى الطريق الصحيح؛ لقد كان معلماً ومرشداً وأباً رحيماً للجميع فهو يحاضر لطلابه فيما يعلمهم ويدرسهم علوم الاسلام لكنه لا ينسىٰ عموم الناس فكان يتصدىٰ لوعظهم وارشادهم[٣].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

كان الميرزا القمي يولي أهمية كبرىٰ لهذه الفريضة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى في لقاءاته مع الشاه كان لا يغفل عن ذلك أبداً فلقد خاطب الشاه مرّة قائلاً له: ايها الشاه أعدل بين الناس فأنا أخشىٰ هذه الآية: **﴿ولا تركنوا**

---

(١) انظر: روضات الجنات ٥ / ٣٧٠، أعيان الشيعة ٨ / ١٥٢؛ تاريخ قم ٢٥١ - ٢٧٩.

(٢) روضات الجنات ٥ / ٣٧٠.

(٣) أعيان الشيعة ٢ / ٤١٢.

الى الذين ظلموا فتمسّكم النار﴾[1] فردّ الشاه القاجاري: جاء في الروايات انه من أحب حجراً حشر معه وأنا أحبك وأرجو أن يحشرني الله معك في الجنّة. وقال له في لقاء آخر قال له ا«فتح علي شاه» وكان الشاه طويل اللحية جداً؛ يا شاه لا تعمل عملاً تحرق به لحيتك يوم القيامة[2]، وكان فتح علي شاه يحاول التقرّب الى الميرزا القمي فيما كان الأخير لا يكترث له ولا يوليه أهمية أبداً، وذات يوم عرض فتح علي شاه أن يزوج ابنته لابن الميرزا القمي لتقوية العلاقات بينهما وقد أثار ذلك الاقتراح قلق الميرزا وامتنع عن القبول وعقدت جلسة لهذا الغرض لم تسفر عن شيء ولكن ذلك أثار مخاوف الميرزا أمام اصرار الشاه ولهذا رفع يديه بالدعاء وقال اللهمّ ان كان لابد من هذا الأمر فعجّل بالأجل لولدي! ولم تمض مدّة حتىٰ غرق ابن الميرزا الوحيد ورحل عن الدنيا[3].

القدوة والأسوة

عوامل عديدة أدت الى أن يبلغ هذا الرجل ذروة المجد وهي كما يلي:

أ - الاستقامة والصبر، لقد امتازت هذه الشخصية بالاستقامة والصبر فخلال منعطفات الحياة المليئة بالمشكلات والتحديات واجه الميرزا مصاعب الحياة بصبر كبير واستقامة فريدة، وكانت فترة دراسته من أتعب فترات حياته ولكنه اجتاز تلك المرحلة الصعبة بنجاح[4].

ب - جدّه واجتهاده في طلب العلم، عرف عن الميرزا أنه كان لا ينام في الليل الاّ قليلاً وكان يمضي الليل في الدراسة والمطالعة[5].

---

(١) هود / ١١٣.
(٢) تاريخ قم، ناصر الشريعة / ٢١٩.
(٣) قصص العلماء / ١٠.
(٤) انظر المصدر السابق / ١٨٠.
(٥) روضات الجنات ٥ / ٣٧٨.

ج - السعي والمثابرة، يعدّ الميرزا القمي في طليعة الفقهاء المثابرين والعلماء العاملين، فقد قضىٰ سنوات عمره في الدراسة والسعي والمثابرة في طلب العلم وارشاد الناس وتبليغ الدين. لقد كانت أوقاته متصلة بالعمل فهو إما يؤم المؤمنين في صلاة الجماعة أو على كرسي التدريس يحاضر في حشود الطلاب والتلاميذ أو فوق المنبر يعض الناس ويرشدهم الى طريق الهداية أو يفتي الناس في مسائلهم فإذا جنّ الليل انصرف الى المطالعة والبحث والتحقيق والى التأليف والتصنيف.

د - شاعريته، لقد جمع الميرزا القمي بين العلم والأدب وله ديوان شعر يشتمل على خمسة آلاف بيت من الشعر في اللغتين العربية والفارسية.

هـ - الخط، عرف الميرزا القمي بخطه الجميل يقول صاحب روضات الجنات كان الميرزا حسن الخط وكان مبدعاً في نوعين من الخطوط المعروفة وهما الـ «نسخ» والـ«نستعليق» وما تزال آثاره المخطوطة تشهد بقابلياته الفنية في هذا المجال[1].

غروب الشمس

بعد عمر حافل بالعطاء والعمل والنشاط والخير آن لذلك الرجل العظيم أن يغمض عينيه ويرقد بسلام في عام (١٢٣١ هـ)[2] غربت شمس حياة ذلك الانسان والعالم والفقيه بعد أن لبىٰ دعوة الحق لتعرج الروح الى بارئها للتبوء مقعد صدق عند مليك مقتدر. شيّع جثمان الميرزا الراحل في موكب مهيب ليواريٰ الثرىٰ في مقبرة «شيخان» مقابل مقبرة زكريا بن آدم.

---

(١) المصدر السابق / ٣٧١.

(٢) وفي رواية سنة ١٢٣٣ هـ

أولاده

كان للميرزا ولد واحد وثمان بنات وقد توفي ابنه الوحيد في حياته فانحصرت ذريته في بناته اللاتي تزوجن من علماء، وأصهاره هم:

١ – الميرزا ابو طالب القمي.

٢ – الحاج الملّا اسد الله البروجردي.

٣ – المال محمد النراقي (نجل الملّا أحمد النراقي).

٤ – الميرزا علي رضا الطاهري.

٥ – الشيخ علي البحريني.

٦ – آقا محمد مهدي الكلباسي (نجل الحاج محمد ابراهيم الكلباسي).

٧ – الملّا علي البروجردي[١].

---

(١) انظر تاريخ قم / ٢٢١ – ٢٥٠، أعيان الشيعة ٢ / ٣٦٨؛ الكرام البررة ١ / ٥٤.

السيد محمد الطباطبائي /المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ

في هذه السطور نستعرض حياة شخصية علمائية وعت أحداث زمانها وأثرت تأثيراً كبيراً في التحولات السياسية آنذاك ان المجاهد آية الله السيد محمد الطباطبائي الرجل الذي دعا الى الجهاد والتصدّي للهجوم الأجنبي الاستعماري في عصر سكت فيه ملوك القاجار وانحنوا أمام التدخل الأجنبي والأطماع الخارجية.

ولادته

في عام (١١٨٠ هـ) وفي بيت مفعم بالايمان من بيوت كربلاء ولد السيد محمد الطباطبائي، وتعدّ أسرة الطباطبائي من الأسر العلمية والبيوتات ذات الشأن الاجتماعي بانتسابها الى الذرية الطاهرة لآل الرسول صلى الله عليه وآله. جدّه لأمه هو العلّامة الأصولي محمد باقر البهبهاني المعروف بالوحيد البهبهاني الذي تزعم التيار الأصولي الاجتهادي واستطاع أن يدحر التيار الاخباري وفي عهده انتعشت الحوزة العلمية في كربلاء وسرت فيها روح جديدة؛ حيث أصبحت كربلاء المركز العلمي في عالم التشيّع وبعدها تشكّلت الحوزات العلمية في مدن أخرىٰ من العالم الاسلامي مثل كاشان، مشهد، قم، الكاظمية، النجف، كربلاء، تبريز، وفي بعض الحواضر الهندية، ولدا الوحيد البهبهاني (خالا السيد محمد) وهمام محمد علي

الطباطبائي، وعبد الحسين الطباطبائي كانا في طليعة العلماء المبرزين[١].

أبو محمد هو آية الله السيد علي الطباطبائي بدأ دراساته الدينية في سن متأخرةلكنه سرعان ما تمكن من اجتياز مراحلها بنجاح ليصبح في طليعة طلاب الوحيد البهبهاني النابهين وهذا ما يعكس ذكاءً حاداً تمتع به وتوفيق الهي حظي به ووصل به الجد والاجتهاد والتقدم العلمي أنه ألف كتابه الشهير «رياض المسائل» الذي أصبح وما يزال من النصوص الفقهية الفاعلة والمعروفة في الأوساط الحوزوية[٢].

أما والدة السيد محمد فقد كانت من العالمات الفاضلات وقد نقل أن مؤلف رياض المسائل استعان بزوجته في تدوين قسم من هذا الكتاب الهام[٣].

كان السيد محمد في الحادية عشرة من عمره المبارك عندما أتم دراسته الابتدائية ليضع قدميه في مرحلة جديدة من حياته الحافلة بالعلم والجهاد.

دراسته

ساعدت الأجواء العلمية التي نشأ فيها السيد محمد علي بخاصة في دراسته فقد أشرف تعليمه والده ليواكب تقدمه في رحلته العلمية الى مستويات عالية. وبالرغم من أن السيد محمد لم يوفق الى حضور دروس جدّه الوحيد البهبهاني لكنه تتلمذ على أيدي طلاب الوحيد الذين أضحوا علماء كبار وأساتذة فطاحل؛ فقد درس السيد محمد على يد العلّامة بحر العلوم (المتوفىٰ سنة ١٢١٢ هـ) في مدينة النجف الأشرف وشهد كرامات استاذه وتأثر بها كما واقترن بابنة استاذه العالم الكبير ولكن العلّامة بحر العلوم لم يلبث أن غادر الدنيا بعد وفاة الوحيد

---

(١) انظر الوحيد البهبهاني، الدواني.

(٢) قصص العلماء / ١٧٥؛ أعيان الشيعة ٨ / ٣١٤؛ الفوائد الرضوية / ٣٢٤.

(٣) الوحيد البهبهاني / ٢٥٩.

البهبهاني بسبع سنين[١].

كما وتتلمذ السيد محمد في مدينة النجف الأشرف على يد الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة (١٢٢٧ هـ) وكان الشيخ جعفر قديراً جداً في استنباط المسائل والفروع الفقهية وعرف الشيخ جعفر بتواضعه الجم. جمع الزعامة الدينية والمرجعية الشيعية الى الزعامة السياسية فقد كان الرجل وطنياً شجاعاً وعن ظروف زمانه وما تحتاجه أمته ومتطلبات عصره تصدّىٰ للاتجاه الاخباري وواجه بشجاعة التيار الوهابي وفنّد مدعيات الاثنين في مؤلفات ما تزال حتى الآن تحظى بالأهمية الكبرىٰ[٢].

ولم يتعلم السيد محمد من أساتذته ومشايخه الفقه فحسب بل وتلقىٰ منهم الاحساس بالمسؤولية والتحلّي بالشهامة وهكذا أصبح السيد محمد عالماً فاضلاً واستقل في ممارسة فعالياته الثقافية ليدخل مرحلة جديدة من حياته العلمية منصرفاً الى التأليف والبحث وكذلك التدريس وهذه المرحلة بدأت في اصفهان.

في عام (١٢١٦ هـ) تعرضت مدينة كربلاء المقدسة الى هجوم وحوش الوهابيين الذين ارتكبوا مذبحة مروعة حصدت أرواح ثلاثة آلاف انسان من بينهم علماء كبار. وقد حول الغزاة البرابرة مدينة كربلاء الى خرائب وأنقاض وكان المرقد الحسيني الطاهر وأماكن أخرىٰ في طليعة ما خربته العصابات الضالّة. كما وتعرضت أموال السكان للنهب والسلب ليغادروا كربلاء مدينة مهدمة[٣] تضجّ من كثرة ما أريق الدماء البريئة، وهذه الحادثة الأليمة هي التي أدت الى هجرة السيد الطباطبائي الى اصفهان.

---

(١) المصدر السابق / ١٧٨ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق / ٩٥.

(٣) المصدر السابق / ٣٤٠.

في اصفهان

كانت اصفهان عندما وصلها السيد محمد الطباطبائي من كبريات المدن والحواضر الشيعية والمراكز الدينية والعلمية، فقد استعادت بعض ما فقدته من مجد بعد الاحتلال الأفغاني بقدوم ووصول بعض تلامذة الوحيد البهبهاني المبرزين وكذا علماء من الطراز الأول من كربلاء وغيرها من العراق، فهناك علماء في اصفهان من قبيل محمد الاصفهاني، تقي الاصفهاني، محمد ابراهيم الكلباسي، الشيخ محمد حسين الاصفهاني والسيد محمد باقر الشفتي المعروف بـ «حجة الاسلام».

مكث السيد محمد الطباطبائي مدّة عشر سنين في اصفهان وكانت الأجواء تساعد كثيراً على الاشتغال في التدريس والتأليف وقد أعرض السيد الطباطبائي عن قبول وتسنّم مناصب في هذه المدينة ومع ذلك فقد كان السيد الطباطبائي يحظى بنفوذ واسع بحيث تروي بعض المدونات أن السبب وراء شهرة السيد محمد باقر الشفتي (أحد كبار المراجع في اصفهان) هو اشادة السيد الطباطبائي به فقد سئل الطباطبائي عن الشفتي أهو مجتهد أم لا فجاء جواب الطباطبائي أن شأن الشفتي لأعلىٰ بكثير من أؤيد ذلك بل أسألوه هو عني هل السيد محمد مجتهد أم لا؟[1].

يجب القول ان اقامة السيد الطباطبائي بلغت ثلاثة عشر عاماً أمضاها في التدريس والتأليف والتحقيق وقد أغنت جهوده الحياة الفقهية والعلمية بشكل عام.

---

(١) روضات الجنات ٧ / ١٤٥.

تلامذته

تخرج الكثير من تلامذة السيد محمد الطباطبائي وأصبحوا علماء مبرزين ولقد تمتع السيد الطباطبائي بقدرة فائقة على بيان المفاهيم العلمية باسلوب جميل فقد كان يعرض المسائل المعقدة بشكل مبسط وواضح يدركه حتى المبتدئين[١].

وهذه طائفة من أسماء بعض طلابه وتلامذته:

١ - السيد ابراهيم الموسوي القزويني المعروف بصاحب كتاب الضوابط (المتوفىٰ سنة (١٢٦٢ هـ).

٢ - المولىٰ محمد صالح البرغاني (المتوفىٰ سنة ١٢٨٣ هـ).

٣ - الملّا محمد النوري.

٤ - الملّا حسن اليزدي (المتوفى بعد سنة ١٢٤٢ هـ).

٥ - الشيخ أحمد الكرمنشاهي (المتوفى سنة ١٢٣٥ هـ).

٦ - الملّا أسد الله البروجردي (المتوفى ١٢٧١ هـ).

٧ - الملّا صفر علي اللاهيجاني (المتوفىٰ قبل سنة ١٢٦٤ هـ).

٨ - شريف العلماء المازندراني (المتوفىٰ سنة ١٢٦٤ هـ).

٩ - السيد شفيع البروجردي (المتوفىٰ سنة ١٢٨٠ هـ).

١٠ - الملّا غلام رضا الأراكي (المتوفىٰ سنة ١٢٦٥ هـ).

مؤلفاته

من بين مؤلفات السيد الطباطبائي تبرز عدّة كتب وفي طليعتها كتابان في الفقه وأصول الفقه هما: «المفاتيح في الأصول» و «المناهل في فقد آل الرسول»

---

(١) الروضة البهية، شفيع البروجردي ٢ حجرية.

اضافة الى مؤلفات أخرىٰ هي: «الوسائل في النجاة» في اصول الفقه، «الاصلاح» في الفقه وعلى شكل فتاوىٰ، ورسالة عملية لخصت وترجمت الى اللغة الفارسية، «جامع الأخبار» في الفقه وهو بمثابة موسوعة في الفقه الشيعي «الجهادية» وهي رسالة في الأحكام الجهادية وكذا «مشكاة الجهاد في ترجمة مصابيح الجـهاد» وهو في موضوع الجهاد وأحكامه.

الزعامة

في عام (١٢٣٢ هـ) توفي أبوه في كربلاء فـعاد الى مـدينته ومسـقط رأسـه حزيناً، ولكن الأيام ما لبثت أن عالجت ذلك الجرح العميق ودفـعت السـيد الى تحمل مسؤوليته في الحياة فهاجر الى الكاظمية ليقيم فيها بعد أن أصبح زعـيماً للحوزة العلمية ومرجعاً للطائفة الشيعية.

عزم الجهاد

في فترة زعامة آية الله السيد محمد الطباطبائي كان الفصل الثاني من الحرب الروسية الايرانية قد بدأ وكان لعلماء الدين بزعامة وقيادة السيد الطباطبائي دوراً مؤثراً ولهذا لقب السيد بـ«المجاهد» واشتهر بذلك. وكان فترة حكم على فتح شاه خاصّة ما يتعلق بفترة زعامة آية الله السيد الطباطبائي هي من أكثر الفترات أهمية وحساسية وأكثر تأزماً في تاريخ ايران والعالم فقد شهدت الدول الكبرىٰ آنذاك سباقاً محموماً في السيطرة على مقدرات البـلدان الآسـيوية والافـريقية والتـي عرفت يومئذ بالسياسة الاستعمارية وبرزت ايران كدولة هامة استراتـيجياً مـن خلال موقعها الجغرافي في آسيا واعتبارها مفتاحاً لشبه القارة الهندية الثرية وهذا

ما جعل من ايران محوراً أساسياً في التنافس العلمي(١).

وبعد هزيمة ايران أمام روسيا وتوقيع معاهدة كلستان والتي بموجبها تم التنازل منها شيئاً عن الأراضي المحتلة بدءاً من «دربند»، «باكو»، «شيروان»، «قراباغ» وأجزاء من نفس ايران الحالية حيث ألحقت بروسيا اضافة الى الاقرار من ايران بعدم حقها بالمطالبة بـ«جورجيا» و «داغستان» و «ميزكرلي» و «آبخازي»(٢).

وبسبب غياب ترسيم للحدود بين الدولتين اندلع الصراع مرّة أخرىٰ وانتهت المفاوضات التي كان يقودها عن الجانب الايراني ولي عهد فتح علي شاه الى طريق مسدود فاستغلت روسيا فرصة الحرب مع الدولة العثمانية (١٢٣٦ - ١٢٣٨ هـ) لتتقدم قواتها بقيادة «يرملوف» وتحتل أجزاء أخرىٰ من ايران وضمها الى روسيا وكانت هناك هدنة بين ايران وروسيا بسبب انشغال الأخيرة بالحرب مع فرنسا وامتدت الهدنة بين الدوليتين الى ثلاثة عشر عاماً وقد حاول فتح علي شاه استعادة الأراضي المحتلة عن طريق المفاوضات والمطالبات السلمية ولكن روسيا كانت من القوية بحيث لم تكن تصغي الى مطالب ايران في عام (١٢٤١ هـ) وصلت طهران أنباء مقلقة حول قيام الروس بانتزاع محاصيل المزارعين في المناطق المحتلة بالقوة واجبارهم على ارسال أبنائهم الى المدارس النصرانية وما يوقم به المحتلون من انتهاكات للمساجد وتمزيقهم المصاحف والتضييق على المسلمين ومصادرة حقوقهم الانسانية ومعاملتهم معاملة تعسفية؛ مما اضطر الأهالي هناك الى ارسال رسالة الى الزعيم والمرجع السيد الطباطبائي يشرحون

---

(١) تاريخ اجتماعي وسياسي در دوره معاصر، سعيد نفيسي ١ / ٧٧ مؤسسة مطبوعات شرف.
(٢) تاريخ روابط خارجي ايران، عبد الرضا هوشنك (بدوي) / ٢٢٣، انتشارات أمير كبير.

له معاناتهم ومحنتهم الانسانية[١].

كما شرح عباس ميرزا الأوضاع هناك لبعض مقربي السيد الطباطبائي وطلب منه التدخل ورفع معاناة الناس هناك[٢].

وكان هدف عباس ميرزا هو لفت أنظار المرجعية الدينية الى ما يجري في تلك المناطق واجبار الشاه القاجاري فتح علي شاه على التصدّي للعدوان الروسي كما حصل ذلك في الحرب الأولىٰ عندما طلبت الحكومة الايرانية النجدة من علماء الدين.

وفي تلك الفترة كان والد السيد محمد الطباطبائي والشيخ جعفر كاشف الغطاء قد استجابا لنداءات الحكومة الايرانية واصدرا بيانات الجهاد التي تدعو الناس الى محاربة روسيا فبدأت الاستعدادات للحرب تتخذ شكلاً حماسياً وكانت الأنظار جميعاً تتجه نحو الكاظمية حيث مقر السيد الطباطبائي المرجع والزعيم الكبير للطائفة. ولم يتأخر السيد في الاستجابة للرأي العام فبعث برسالته الى فتح علي شاه يطلب منه مناهظة العدوان الروس ورفع الظلم عن المسلمين وتحرير المناطق المحتلة وانه اذا يفعل ذلك فينهض بنفسه للقيام بهذه المهمة[٣].

ووجد الشاه نفسه مضطراً في الاستجابة لنداء ومطلب آية الله المجاهد الطباطبائي واعلان الحرب، إذ لم يكن أمامه سوىٰ طريقين لا ثالث لهما إما الحرب مع روسيا أو دخول مواجهة مع الأمة[٤].

وبعد صدور فتوى الجهاد قام المجاهد السيد الطباطبائي ومعه جمع من

---

(١) الروضة البهية، ترجمة حياة السيد محمد الطباطبائي.

(٢) ناسخ التواريخ، محمد تقي سبهر ١ / ٣٥٧.

(٣) أعيان الشيعة ٩ / ٤٤٣.

(٤) روضة الصفا، رضا قليخان هدايت ٨ / ٦٤٢.

العلماء بالسفر الى ايران ولقاء العلماء في طهران حيث اتفق الجميع على الحرب واعلان الجهاد ضد العدوان الروسي، وقد أدىٰ حضور العلماء بهذه الكثافة الى تعبئة الناس وحماسهم الفريد من أجل الجهاد فتجمعت قوات شعبية كبيرة وبعد ما اكتملت التعبئة الشعبية قام العلماء بقيادة آية الله المجاهد بالتحرك الى مدينة تبريز وفي طليعة من رافق السيد الطباطبائي المجاهد كل من آية الله محمد جعفر الاسترابادي، الملّا محمد تقي البرغاني، الميرزا عبد الوهاب القزويني، الملّا أحمد النراقي، السيد نصر الله الاسترابادي، السيد محمد القزويني، السيد عزيز مجتهد الطالشي، والآخوند ملّا محمد المامقاني.

وبدأت الحرب الثانية بين روسيا وايران من دون اعلان رسمي واستطاعت المحتلة التي تنازلت عنها ايران بموجب معاهدة «كلستان» وكان أهالي وسكان المناطق المحتلة يقدّمون العون للقوات الايرانية المجاهدة.

كان فتح علي شاه قد أقام معسكره في ضواحي تبريز في منطقة تدعىٰ «جمن سلطانية» وقد حاول حصد نتائج هذه الانتصارات والفتوحات فسارع الى عقد الصلح مع الروس ولكن سفيره الخاص لم يتمكن من اجتياز القفقاز والوصول الى الأراضي الروسية فظل حائراً مدّة شهور يدور في الأراضي العثمانية والأراضي البولندية طالباً من بولندا ومن النمسا التوسط لعقد معاهدة سلام بين الدولتين؛ ولكنه عاد فى نهاية المطاف بخفي حنين.

لقد كانت المشكلة الرئيسية تكمن في وجود شاه ضعيف لم يكن متحمساً للحرب بل دفع اليها دفعاً.

نهاية الحرب

كانت أول هزيمة ساحقة للقوات الايرانية وقعت في يوم ٢٣ صفر سنة

(١٢٤٢ هـ) في ضواحي مدينة كنجه، وقد جاءت اثر ارتكاب القوات الايرانية خطأً جزئياً[١].

وقد أعقب ذلك سقوط كنجه ودربند بأيدي الروس مرّة أخرىٰ كما قامت طوابير من الجيش الروسي بعبور نهر آرس والتقدم نحو تبريز، غير ان عباس ميرزا قام بطردها واجبارها على التراجع الى الجانب الآخر من النهر وذلك بعد اشتباكات ضارية، وكان ذلك في غرة جمادي الآخرة سنة (١٢٤٢ هـ)، أما فتح علي شاه فقد أدار ظهره للحرب بعد شهرين من اندلاعها وعاد الى طهران وكانت هذه الخطوة إيذاناً بالانسحاب والهزيمة.

كان علماء الدين خلال تلك المدّة في جبهات القتال وكان مقرّهم في مدينة تبريز وقد حاول بعض المغرضين والجهال تحميل مسؤولية الهزيمة على عاتق آية الله السيد الطباطبائي، ويبدو ان عملاء الشاه كانوا وراء هذه الدعاية ذلك ان حاشية الشاه لم تكن متحمسة للحرب منذ البداية، وفي أول وهن ظهر في خطوط القتال أدار ظهره للمعارك ولعلماء الدين والقوات الايرانية المجاهدة وعاد الى قصره في طهران وهذا ما جرأ معارضي الحرب.

نداء الرحيل

وقد ظل السيد الطباطبائي في تبريز لكنه أصيب بوعكة صحية في الجهاز الهضمي فاضطر الى ترك المدينة وقد تعرض في الطريق الى قزوين الى اساءات أدبية من الجهال وتهكم الجهلة وفي (١٣ جمادي الآخرة سنة ١٢٤٢ هـ) كانت صحته تتدهور في قزوين الى أن ودع الدنيا ومن المؤكد ان حالته النفسية كانت

---

(١) آهنك سروش، محمد صادق مروز / ٢٤٨ وما بعدها؛ تاريخ روابط خارجي ايران / ٢٣٢؛ ناسخ التواريخ؛ روضة الصفا.

وراء وفاته، وانه مات كمداً جرّاء ما لحق بالقوات المجاهدة من مرارة الهزيمة، حمل جثمانه ونقل الى كربلاء ليوارى الثرىٰ في تلك المدينة التي فتح عينيه على الحياة فيها وقد استمرت الحرب بعد وفاة آية الله المجاهد الطباطبائي مدّة عام، وكان الشاه يتحمل المسؤولية كاملة في كل ما أصاب الاسلام وأهله من مصائب.

فالشاه القابع في طهران امتنع حتى عن ارسال الأموال لاسناد المجاهدين والقوات الايرانية، وكان يرد على عباس ميرزا بأن عليه أن يغطي نفقات الحرب من الضرائب المفروضة على اقليم آذربيجان، فيما كان الروس يستغلون الخلافات بين الشاه وولي عهده؛ وقد ساعدت هذه الخلافات وضعف الامدادات المالية في اضعاف الاستعداد القتالي للقوات الايرانية وكانت أعدادها تتناقص يوماً بعد آخر كل هذا ساعد الروس في السيطرة على «ايروان» «يرفان» بعد ثمانية أيام من الاشتباكات الضارية، وكان الجنرال الروسي «باسكويج» يزحف بقواته ليستكمل احتلال جميع الأراضي الواقعة في ما وراء نهر آرس لتعبر القوات الروسية بعد ذلك النهر باتجاه تبريز التي سقطت سنة (١٢٤٣ هـ) دون مقاومة تذكر ولكي يشدد الروس ضغطهم على الدولة الايرانية احتلوا اردبيل وآستارا وراحوا يستعدون لمهاجمة طهران.

وفي هذه الظروف العصيبة اضطر عباس ميرزا الذي هددته روسيا بعدم الاعتراف بولاية عهده اضطر الى توقيع معاهدة سلام أسوأ من «كلستان» سميت «تركمن جاى» وذلك بتاريخ (٥ شعبان ١٢٤٣ هـ) ١٠ شباط ١٨٢٨ م بواسطة بريطانيا. وبموجب هذه المعاهدة الحقت جميع مناطق ما وراء نهر آرس بالدولة الروسية اضافة الى منح روسيا امتيازات أخرىٰ[١].

---

(١) تاريخ روابط خارجي ايران / ٢٣٦.

الآن وبعد مرور حوالي قرنين من الزمن على تلك الحوادث المريرة سطعت شمس الحقيقة من بين ركام الغيوم غيوم الدجل والكذب والرياء وظهرت حقيقة اخلاص آية الله المجاهد الطباطبائي وجهاد ونفاق اولئك الذين أساءوا الى حرمته فالتاريخ منحه وسام المجاهدين وعلق على اعدائه (أوسمة) الخزي والعار الى الأبد.

السيد عبد الله شبّر /المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ

كانت مدينة الحلّة مهداً وموطناً لأسرة شبر[١]. لا يفصل حسن بن محمد عن الامام علي بن الحسينعليهما السلام سوى تسعة آباء فقط؛ وحسن محمد هذا هـو الذي دعي بـ«شبر»[٢] ليبقىٰ هذا الاسم لقباً تشتهر به الأسرة عبر الأجيال بعد أحد عشر جيلاً تلا حسن بن محمد ولد محمد رضا في مدينة النجف الأشرف حيث اكتسبت الأسرة مجدها وتألق اسمها بين الأسر والبيوتات العلمية.

كان محمد رضا عالماً جليلاً عرف بتقواه وزهده وورعه كما عرف بين أهل الكاظمية بـ«صاحب الدعوة المستجابة» وحـول هـذا اللـقب جـاء فـي بـعض المدونات التاريخية: انه في العهد العثماني ضرب الجفاف بغداد فأمر سعيد باشا حاكم المدينة بأن يصوم الناس ثلاثة أيام ثم يخرجوا الى خارج المدينة ويدعون الله بقلوب حزينة وعيون دامعة ويصلون صلاة الاستسقاء. واستجاب الناس لذلك فصاموا ثلاثة أيام ثم خرجوا الى الصلاة خارج بغداد وراحوا يدعون الله بعد أداء صلاة الاستسقاء ولم يكن نصيبهم سوىٰ أشعة الشمس الساطعة، وبـعد أن عـلم السيد محمد رضا بخيبة سعيد باشا طلب من سكان الكاظمية حيث مرقد الامامين الكاظم وحفيده الجوادعليهما السلام أن يصوموا ثلاثة أيام والاستعداد لصلاة الاسـتسقاء فصاموا بخلوص نية وتحملوا رحلة الجوع والعطش ثم خرجوا الى مسجد «براثا»

---

(١) مقدمة مصباح الأنوار في حل مشكلات الأخبار، جواد شبّر.

(٢) المصدر السابق.

بقلوب كسيرة حفاة، وكان السيد محمد رضا قد سبقهم الى هناك وهو ينظر الى السماء يستمطر رحمة الله تبارك وتعالىٰ وأدىٰ المؤمنون صلاة الاستسقاء وراح السيد محمد رضا يدعو الله سبحانه بالرحمة والغيث، وفيما كان يدعو الله اذا بالسحب المعصرة بدأت تتجمع في السماء ثم يتدفق المطر غزيراً وقد خلدت هذه الحادثة في ضمير الناس الذين دعوا السيد بـ«صاحب الدعوة المستجابة» وأصبح للسيد شأن واحترام أكبر بين الناس[١].

ولم يكن الفقيه التقي يكتفي بالدعاء فقط بل كان يعيش هموم الناس الفقراء والمحرومين وكان يساعدهم ويمدّ لهم يد العون ما أمكنه ذلك[٢].

ميلاد النور

في عام (١١٨٨ هـ) وقبل أن يغادر السيد محمد رضا مدينة النجف الأشرف الى الكاظمية رزقه الله صبياً فدعاه عبد الله[٣] وكبر الصبي ليبلغ السن التي تؤهله لبدء المرحلة التعليمية حينئذ خاطبه والده انه لن يرضىٰ عنه أن يضيع يوماً من عمره في غير طلب العلم[٤]. ولقد أثرت هذه الكلمات في نفس الصبي ونفذت في أعماقه فلم يعد يفكر بشيء سوىٰ طلب العلم والمعرفة، فإذا صادف انه أنفق من وقته نهاراً في غير ذلك لم يجد نفسه لائقاً في المساء أن يجلس الى مائدة العشاء فيطوي ليلته تلك من دون طعام!

شاهده أحد زملائه ذات يوم يبيع دواته فسأله متعجباً لم تبيعها وقد وفر

---

(١) مقدمة مصابيح الأنوار، محمد معصوم.

(٢) الفوائد الرضوية / ٥٣٤.

(٣) معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، محمد حرز الدين ٢ / ٩.

(٤) مقدمة مصابيح الأنوار.

والدك كل ما تحتاج من أدوات الدراسة؟! فأجاب عبد الله: أنا اليوم لا طاقة لي بالدراسة وليس يجوز لي أن أجلس الى مأدبة الطعام مع أبي[١].

كان عبد الله في العشرين من عمره عندما توفي والده ففقد بذلك الظلال الوارفة التي كان ينعم فيها بالمحبّة والدفء والحنان لقد تركت الحادثة في نفس الشاب مرارة عميقة، كان تاريخ الوفاة في عام (١٢٠٨ هـ)[٢].

في الطريق الى المجد

بعد وفاة والده بدأت فصول جديدة من رحلته العلمية فقد تتلمذ على أيدي أساتذة مبرزين في طليعتهم الفقيه الكبير السيد محسن الأعرجي[٣]، وكان للأعرجي النصيب الأوفر في صقل شخصية السيد عبد الله إذ سرعان ما أصبح في عداد الفقهاء المرموقين والعلماء البارزين فأثنىٰ عليه العلماء والفقهاء من قبيل السيد علي الطباطبائي مؤلف كتاب «رياض المسائل» والميرزا محمد مهدي الشهرستاني والميرزا ابو القاسم القمي صاحب كتاب «قوانين الأصول» والشيخ أسد الله الكاظمي والشيخ محمد جعفر النجفي وكاشف الغطاء وغيرهم من العلماء وقد منحه الجميع اجازاتهم في الرواية ونقل الحديث[٤].

وقد أطلع كاشف الغطاء على كتاب شبّر «حق اليقين» وأعجب به كثيراً فكتب في تقريظه انه جاء بما يدهش العظماء وأن علماء العقل والنقل ينحنون باجلال أمام هذا الكتاب، فلقد حل (الكتاب) مشكلات المسائل بالدليل والبرهان وانه

---

(١) المصدر السابق.

(٢) معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء ٢ / ١٠.

(٣) الفوائد الرضوية ٢٤ - ٢٥.

(٤) المصدر السابق.

بنىٰ للعلم مدينة يعلو حرمها الى السماء ولا عجب في ذلك فالسيد من أسرة بلغ مجدها الذرىٰ ومن حق السيد عبد الله شبر أن يقول:

وإنـــي وان كـــنت الأخـير زمـانه   لقد جئت ما لا تستطيع الخلائف[١]

ولاحظ هنا ان الشيخ جعفر كاشف الغطاء استبدل مفردة الأوائل فـي أهـل البيت ليضع مكانها الخلائق تأكيداً على ما بلغه السيد عبد الله شـبر مـن المـجد والرفعة.

مرجع المؤمنين

شيئاً فشيئاً طار صيت السيد عبد الله شبر ليعبر حدود الكاظمية والعراق وبعد رحيل استاذه الكبير السيد محسن الأعرجي عام (١٢٢٧ هـ) وبعد المرجع الكبير للشيعة الشيخ محمد جعفر كاشف الغطاء سنة (١٢٢٨ هـ) جعل الناس يتطلعون الى الشمس في الكاظمية الى ذلك السيد من أسرة شبّر وكان السيد يومها في الثالثة والأربعين من عمره المبارك، وهكذا قدر له أن يكون مرجعاً عاماً للشـيعة فـي العراق وصفه تلامذته في تلك الفترة فجاءت صفاته وأوصافه فهو ربعة وكـانت محاسنه سوداء في صوت عذب ومنطق ينفذ القلوب دائم الذكـر لله سـبحانه[٢] وكان على خطىٰ والده في الاحسان الى الفـقراء وتـفقد المـحرومين والبـؤساء وعيادة المرضىٰ، وفك الغـارمين، وتـحرير العـبيد، ومـن المـؤسف لا تـتوفر معلومات عن تلك الفترة من حياة ذلك السيد العظيم ويذكر السيد في مدوناته انه اشترىٰ عبداً بمسكوكتين من الذهب وأطلق سراحه لوجه الله.

---

(١) مقدمة حق اليقين في معرفة أصول الدين.

(٢) مقدمة الأخلاق.

السر الكبير

إن سرّ المرجع الكبير يكمن في براعه وما سطره من انتاج معرفي وعلمي وما أكثر الأيام التي قضاها بين أتباعه المؤمنين يسمع منهم ويصغي الى أسئلتهم فيجيب عنها ثم يمسك بقلمه فيسطر على الأوراق موضوعات الفقه العميقة ومسائل الأخلاق، مفاهيم القرآن الكريم معززاً ذلك بالأدلة والبراهين[١].

وكان قلمه سيالاً وذهنه متدفقاً بالعلم حتى كان بعض كتّابه ومساعديه يعاونوه على تسطير ما يتفجر من جوانب صدره[٢]، وربما سطر رسالة أو كتاباً في جلسة واحدة في بضع ساعات، وقد سأله أحد معارفه وقد بهره موضوع في أحد مؤلفاته عن الوقت الذي استغرقه في تأليف ذلك فيجيب فقيه الكاظمية الكبير بدأت به في أول المساء وفرغت منه في منتصف الليل[٣]! وكان تلامذته لا يقيسوه بأحد سوىٰ العلّامة المجلسي وكانوا يدعونه باب «المجلسي الثاني»[٤].

ويذكر أحد تلامذته أن استاذه الفذ مكث في مزار الشيخ المفيد يتلو القرآن الكريم وذلك بعد أن زار مرقدي الامامين موسى الكاظم عليه السلام وحفيده الجواد عليه السلام فلما قرأ سورة الفاتحة سأله أحد العلماء وكان يرافقه في تلك الزيارة قائلاً:

مولانا أريد أن أسألك عن مسألتين: فقال السيد: سل، قال المسألة الأولىٰ: عن حياتك اليومية كيف تؤمن معاش عيالك على كثرة مشاغلك؟ والمسألة الأخرىٰ: كيف تأتّى لك تأليف كل هذه الكتب العميقة في زمن محدود؟!

فسكت السيد واستغرق في التفكير لحظات ثم قال: أما عن عيالي ومعاشهم

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سفينة البحار ٢ / ١٣٧.

(٤) الكنىٰ والألقاب ٢ / ٣٥٢.

فهو من فضل ربي الله عز وجل خلقنا وهو الذي يرزقنا، وأما السرعة والتأليف فليس من فني وانما الفضل يعود الى أبي عبد الله الحسين عليه السلام فقد رأيته في عالم الرؤيا يخاطبني ويقول: أكتب وصنّف فانه لا يجف قلمك حتى تموت[1].

آثاره

وما دام الحديث عنه قد قادنا عن رؤياه تلك فمن المناسب أن نشير الى قائمة في بعض مؤلفاته التي تربو على السبعين كتاباً ومؤلفاً:

١ - جامع المعارف والأحكام ويقع في عشرين جزءاً.

٢ - مصباح الظلام ويقع في ثمانية أجزاء.

٣ - المصباح الساطع ويقع في ستة أجزاء.

٤ - صفوة التفاسير ويقع في أربعة أجزاء.

٥ - الجوهر الثمين في تفسير القرآن المبين ويقع في جزءين.

٦ - روضة العابدين ويقع في جزءين.

٧ - مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار ويقع في جزءين.

٨ - البرهان المبين في فتح أبواب علوم الأئمة المعصومين.

٩ - جامع المقال في معرفة الرواة والرجال.

١٠ - حق اليقين في معرفة أصول الدين.

١١ - الدرر المنثورة والمواعظ المأثورة.

١٢ - الأخلاق والأنوار اللامعة في شرح الجامعة.

وهكذا الى ما يزيد عن السبعين من مؤلفاته كما ذكرنا آنفاً وهذه المؤلفات

---

(١) مقدمة الأخلاق.

كتبت في مدّة محدودة ذلك عمر السيد الحافل بالعطاء كان يناهز الرابعة والخمسين سنة وبعض مؤلفاته موسوعية الحجم تقع أجزاء عديدة كما هو الحال في كتابه جامع المعارف والأحكام الذي يقع في عشرين جزءاً.

وقد أشار حامد حفني داود بتفسير السيد شبر وحامد حفني هو أستاذ الأدب في جامعة القاهرة بمصر حيث امتدح «تفسير القرآن» للسيد عبد الله شبر الذي امتاز بجزالة لفظه وبلاغته ودقته بحيث تفوق على النسفي المعروف بتخصصه في مضمار القراءات القرآنية فقد توصل السيد عبد الله شبر الى ما لم يتوصل اليه النسفي[١].

تلامذته

أضاف السيد عبد الله شبر الى جانب نشاطه في التأليف والبحث والتحقيق تربيته تلامذة نابهين أصبح لهم شأن كبير فيما بعد وفيما يلي طائفة من تلاميذه:

١ – آية الله الشهيد السيد علي العاملي.

٢ – آية الله السيد محمد معصوم القطيفي (المتوفى سنة ١٢٦٠ هـ).

٣ – آية الله الشيخ حسن محفوظ العاملي.

٤ – آية الله عبد النبي الكاظمي (المتوفى سنة ١٢٥٦ هـ).

٥ – آية الله الشيخ اسماعيل ابن الشيخ أسد الله التستري الكاظمي (المتوفى سنة ١٢٤٦ هـ).

٦ – آية الله السيد هاشم بن السيد راضي الأعرجي الكاظمي.

(١) مقدمة مصابيح الأنوار؛ مقدمة حق اليقين؛ ريحانة الأدب ٣ / ١٧٦ – ١٧٧.

٧ - آية الله محمد رضا زين العابدين ابن الشيخ بهاء الدين (المتوفىٰ سنة ١٢٤٨ هـ).

٨ - آية الله الشيخ أحمد بن محمد علي البلاغي[١].

الرحيل

في الرابعة والخمسين من عمره المبارك الحافل بالعطاء أغمض السيد عبد الله شبر عينيه ملبياً دعوة الحق تعالىٰ وكان ذلك في شهر رجب الأحبّ من سنة (١٢٤٢ هـ)[٢].

حلّىٰ عليه نجله السيد حسن شبر[٣] ليوارى الثرىٰ الى جوار والده (صاحب الدعوة المستجابة)[٤].

خلف من البنين ستة هم حسين، حسن، محمد، جعفر، موسىٰ، محمد جواد[٥].

---

(١) مقدمة الأخلاق.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

الميرزا مسيح المجتهد الطهراني / المتوفى سنة ١٢٦٤ هـ

في سنة (١١٩٣ هـ) الميرزا مسيح وفتح عينيه على الحياة في ظلال أسرة عرفت بالتقوىٰ والفضيلة ونشأ وترعرع في بيت من البيوت يذكر فيها اسم الله تعالى يسبح له في الغدو والآصال.

وقد أشرف والده على تعليمه بعد أن بلغ السابعة من ربيع العمر فبدأ معه دروساً في الدين والحكمة وكان يحرص على أداء فريضة الصلاة لما لهامن دور في بلورة شخصية الانسان وبنائه على أسس صلبة.

نشأ الميرزا منسيح في بيئة أسرية مفعمة بالفضائل فتشرّب خصالاً حميدة وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من كيانه وشخصيته منذ نعومة أضفاره، وبتوجيه وارشاد من والده أخذ الصبي طريقه نحو مدارس العلوم الدينية ووضع قدميه في هذا الطريق فكانت خطواته الأولى في الدراسة الحوزوية في مسقط رأسه في مدينة «استرآباد» ليطوي فيها مرحلة المقدمات وكان شوقه يزداد وحبّه لطلب العلم يتأجج وهكذا وجد نفسه في طريقه الى مدينة قم مهاجراً من أجل طلب العلم وكانت مدينة قم محطته الثانية في رحلته العلمية، كان الميرزا القمي يومذاك هو زعيم الحوزة العلمية، ولم يلبث الشاب اليافع أن أصبح أحد أبرز تلامذة المرجع الديني الميرزا القمي وكان الميرزا المسيح يذكره باجلال حتى بعد تخرجه فيقول

عنه: قال استاذنا[١].

وبعد أن نال درجة الاجتهاد انتخب من «طهران» لتكون محل سكناه واقامته واشتهر بعد ذلك بـ«المجتهد الطهراني» (لم نتوفر مع الأسف على أسماء الأساتذة الذين تتلمذ عندهم الميرزا المجتهد).

تلامذته

أصبح الميرزا مسيح المجتهد مرجعاً دينياً في مدينة طهران ونهض بمسؤوليته في هذه الشؤون اضافة الى اهتمامه بقضايا مجتمعه واهتمامه بتربية تلامذته وكانوا كثيرين الّا إننا لم نتوفر الّا على أسماء بعضهم الّا أن حوزته الدراسية التي أسسها في مدينة مشهد الى جوار مرقد الامام علي الرضاﷺ نجد فيها أسماء بعض تتلمذوا على يديه وهذه أسماء بعضهم:

١ - الحاج الميرزا نظر الله المشهدي (التربتي) (المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ). وكان قد درس الفقه على يد الحاج السيد محمد الحائري، والحاج الميرزا مسيح، والملّا هادي السبزواري[٢]، وكان الميرزا نصر الله مبرزاً في العلوم النقلية والعقلية والآداب العربية وكان أهل خراسان يعدونه مرجعاً لهم وله مؤلفات منها كتاب الطهارة، كتاب البيع وحواشي متفرقة على كتاب القوانين وكتاب الفصول وجواب الأسئلة الفقهية[٣].

٢ - الحاج الميرزا أحمد الساوجي (المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ).

---

(١) انظر: مكارم الآثار، محمد علي حبيب آبادي ٥ / ١٧٠؛ تاريخ علماء خراسان، ميرزا عبد الرحمن / ٢٠٨.

(٢) جهل سال تاريخ ايران (أربعون سنة من تاريخ ايران) تعليقات حسين محبوبي الأردكاني على كتاب المآثر والآثار ١ / ٢١٠.

(٣) تاريخ علماء خراسان.

وهو من مشاهير العلماء ومشايخ الفقهاء في عصره وقد تتلمذ مدّة لدى استاذ الأخلاق الحاج ملّا أحمد النراقي مؤلف الكتاب القيم «معراج السعادة» ودرس الفقه لدىٰ استاذه الميرزا مسيح المجتهد[١].

٣ - مولانا عبد الرحمن شيخ الاسلام (المتوفى سنة ١٢٩٠ هـ).

كان شيخ الاسلام في مدينة مشهد المقدسة واستاذاً في الحوزة الرضوية درس العلوم العقلية والنقلية والرياضيات لدى والده عبد الوهاب شيخ الاسلام وتتلمذ على يد الميرزا مسيح المجتهد مدة اقامة الأخيرة في مدينة مشهد تعلم خلالها الفقه والأصول وتخرج على يديه فيها ليصبح استاذاً يدرس وينشر الأحكام الشرعية في مدينته[٢].

عاصر الميرزا المجتهد شخصيات كبرىٰ من قبيل السيد محمد باقر الشفتي البيدآبادي العالم والفقيه المبرز والعالم الربّاني الشيخ ابراهيم الكرباسي والسيد صدر الدين العاملي الذي توفي نفس العام الذي توفي فيه المبرز مسيح المجتهد ودفن في نفس الحجرة التي دفن الميرزا[٣] وذلك سنة (١٢٦٣ هـ) وكانت الفترة التي عاش فيها الميرزا تعج بالحوادث حيث شهدت ايران تدخلات الدول الأجنبية بشكل سافر وكان الحكام القاجار يعانون من ضعف شديد في الحكم وادارة دفة البلاد.

ينبوع الفكر

عاش الميرزا المجتهد حياة بسيطة وعندما حل في مدينة طهران اكتفىٰ بامامة

---

(١) جهل سال تاريخ ايران ١ / ٢٢٠.

(٢) تاريخ علماء خراسان / ٨٥، ٨٦، ١١٤.

(٣) روضات الجنات ٤ / ١٢٨ - ١٢٩؛ الفوائد الرضوية / ٢١٤ - ٢١٥.

المؤمنين في الصلاة في المسجد الجامع وكان يجيب على الأسئلة الشرعية ويقدم اجوبة حول المشكلات الفقهية اضافة الى اهتمامه بأحوال المحرومين والفقراء ولم يكن يدخر جهداً في حل مشكلات الناس ما وسعه ذلك وكان منهجه اصلاحياً في الحياة الاجتماعية.

اشتراكه في الجهاد

وكان من بين العلماء والمجاهدين الملّا أحمد النراقي المتوفى سنة (١٢٤٥هـ). وهو من علماء كاشان المشهورين ومن أساتذة الشيخ الأنصاري المبرزين وقد ارتدىٰ النراقي أكفانه وانضم الى الجيش الايراني في خطوط القتال ولم تستمر الحرب بسبب المؤامرات وكان عباس ميرزا ولي العهد يفكر في مستقبله السياسي وأدرك ان استمرار الحرب سوف يطيح بمستقبله هذا فعمل على انهاء الحرب وبالتالي كانت الهزيمة. وعاد المجاهدون يجرون أذيال الهزيمة فجابه فتح علي شاه كلاً من السيد محمد المجاهد والملّا النراقي بهذا السؤال: لماذا لم يكتب للجهاد الموفقية؟ فقالا على الفور: ان عباس ميرزا لم يكن صادقاً في النيّة.

النفوذ الانجليزي في ايران

شعرت بريطانيا ان درة التاج البريطاني (الهند) أصبحت في معرض التهديدات الروسية ولذا فكرت ان تخضع كلاً من ايران وافغانستان جارتي الهند لنفوذها وبالتالي قطع الطريق على روسيا في تحقيق أحلامها بالوصول الى المياه الدافئة في خليج فارس وبحر العرب وبالتالي المياه الحرّة، من أجل هذا بعث سفيرها في عام (١٢٢٣ هـ) الى ايران محملاً بالهدايا الكثيرة يطلب لقاء فتح علي

شاه واضافة الى تبحّره العميق في أصول الفقه والقواعد الكلية والمصادر الشرعية فانه لم يكن بمنأىٰ عن ظروف عصره زماناً ومكاناً من أجل فقد تحلق حوله المؤمنون كفراشات تطوف على سراج منير لقد كان هشاً بشاً متواضعاً وهذا ما جعل محبوبيته بين الناس تزداد مع مرور الأيام، لقد كانوا ينهلون من علمه ومن خلقه النبيل ويتعلمون منه الدروس في الأخلاق من خلال سلوكه؛ ومن أجل ذلك كانوا يلحون عليه في طبع رسالته العملية خاصّة بعد أن أضحىٰ مرجعاً ليس لأهل طهران فقط وانما الى جمهور واسع من الناس القاطنين في شمال وغرب البلاد واستجاب الميرزا لرغبته مقلديه وظهرت رسالته العملية في الأحكام الفقهية وسرعان ما أعاد صياغتها وفق المسائل الحديثة في عصره[١].

وخلال عمره المبارك الحافل بالعطاء والذي ناهز السبعين سنة فقد ترك للأجيال تراثاً علمياً وأدبياً يعكس عمق شخصيته وتعدد أبعادها وفيما يلي طائفة ببعض العناوين:

١ - القواعد الاصولية.

٢ - كشف النقاب في شرح اللمعة الدمشقية (توجد صورة للمخطوطة في مكتبة جهل ستون في المسجد الجامع بطهران).

٣ - شرح كتاب المعاطاة: ويتضمن كتاب الصلح والاجارة والوكالة.

٤ - شرح قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام: ويشتمل على قسم الطهارة وبعض البحوث الفقهية الأخرىٰ وتوجد نسخة لدى حفيده عبد الله المجتهد الطهراني.

٥ - شرح المختصر النافع: وتقع مخطوطة في «١١٠» صفحة مصورة في

---

(١) استراباد نامه باشراف مسيح ذبيحي / ١٧٥.

مكتبة جهل ستون في المسجد الجامع بطهران وتبدأ بحوث الكتاب بموضوع التجارة.

٦ - رسالة في أحكام النيابة وجواب الأسئلة الفقهية: والكتاب رسالة استدلالية قيمة في أحكام الفقه وجاءت أجوبة عن أسئلة السائلين ويشير الميرزا مسيح الى أيام اغترابه في العراق وهي مؤرخة في العشرين من شوال سنة (١٢٤٨ هـ).

٧ - المصباح لطريق الفلاح: وهذا الكتاب هو رسالته العملية التي أشرنا اليها آنفاً وتوجد نسخة منها في مكتبة جهل ستون المذكورة.

٨ - المصباح: وهو كتاب باللغة العربية في خصوص المسائل الفقهية ويحمل تاريخ سنة (١٢٦٢ هـ) وتوجد طبعة هجرية من الكتاب في طهران.

انتفاضة أهل طهران بقيادة الميرزا مسيح

لقد أشرنا آنفاً الى عصر الميرزا مسيح كان صاخباً بالحوادث المريرة فقد شهدت ايران في تلك الفترة وبخاصة تحت زعامة فتح علي شاه ضعفاً كبيراً وكانت أطماع الدولة الأجنبية تزداد وكان موقع ايران الجغرافي وثرواتها وضعف الحكم القاجاري وراء غارات المغيرين وكانت بعض الغارات تأخذ طابعاً سياسياً مموهاً الأمر الذي دفع بالميرزا المجتهد الى فضح الألاعيب السياسية وهاجم انصراف بلاط الحكم الى البذخ بعيداً عن هجوم الناس المحرومين وفيما كانت البلاد عرضة للأطماع الأجنبية وكانت الحرب الايرانية الروسية والمعاهدات المذلّة التي وقعها الساسة الايرانيون في ذلك الوقت تكشف عن تدهور الأوضاع وما رحلت اليه البلاد من ذلّ أمام الأجانب وبخاصّة معاهدة «تركمن جاي» في تاريخ شعبان سنة (١٢٤٣ هـ) والتي كانت بمثابة أغلال صفدت ايران اقتصادياً

وسياسياً مدّة قرن من الزمن وجرّت خلال ذلك على الويلات على البلاد[١] وقد أجبرت ايران على دفع غرامة الحرب وكان لـ«السكندر غريبا يدوف» دور فاعل في ذلك[٢] وقد جاء الى ايران في مهمة وزير مفوض أصرّ على تنفيذ المادّة ١٣ من معاهدة تركمن جاي والتي تنص على استرداد الأسرىٰ من الطرفين واستلام[٣] الغرامة الحربية وكان تاريخ وصوله في ٥ رجب سنة (١٢٤٤ هـ) وقد كان الرجل في غاية الغطرسة وأساء معاملة الناس وبذريعة البحث عن الجورجيين والروس واللاجئين كان ينتهك حرمة بيوت المسلمين وينتزع النساء الجورجيات اللاتي أسلمن محاولاً أخذهن بالقوة حتىٰ بعد أن تزوجن وأنجبن[٤] وقد تعدىٰ بحثه عن أسرىٰ الحرب الى أولئك الذين أسروا في حروب قديمة واندمجوا بالمجتمع الايراني وأصبحوا جزءاً من النسيج الاجتماعي وتسنم بعضهم مواقع سياسية حساسّة في البلاط وقد وصلت الوقاحة الوزير المفوّض المطالبة بهؤلاء أيضاً[٥].

وقد ذكر جهانغير ميرزا في تاريخه أن الوزير كان يجبر النسوة المسلمات من خلال استخدام القوّة على المبيت في منزله وهذا ما يعد انتهاك أخلاقي صارخ لا يتحمله المسلمون[٦].

والأسوأ من ذلك انه كان يحاول المستحيل في اجبار النساء المسلمات على

---

(١) تاريخ اجتماعي وسياسي ايران، سعيد نفيسي ٢ / ١٧٩ - ١٨٩؛ عصر بي خبري يا تاريخ امتيازات در ايران، ابراهيم تيموري / ٢٣٩.

(٢) المصدر السابق ٢ / ١٧٧.

(٣) تاريخ سياسي ودبلوماسي ايران، علي أكبر بينا / ٢٥٠.

(٤) ايران وجهان، عبد الحسين نوايى ٢ / ٢٧٢.

(٥) فارسنامه ناصري ٢ / ٧٣٧.

(٦) تاريخ نو، جهانغير ميرزا / ١٢١.

التخلي عن دينهن والقوة ولكن النسوة المؤمنات كن يتحدّينه من خلال تلاوة القرآن بصوت مرتفع واطلاق الدعوات الى السماء لعلّها تصل الى آذان علماء الدين في المدينة(١).

وكان الحكم القاجاري الضعيف يحاول التستر على هذه الانتهاكات التي بدأت تأخذ أبعاداً خطيرة وكان الميرزا مسيح المجتهد يراقب باهتمام ما يجري وقد أثار غضبه سكوت المسؤولين ولهذا راح يفضح الخانعين من خلال مهاجمتهم في بيانات شديدة اللهجة ما أثار ذلك غضب الأوساط الشعبية في طهران وقد ظهرت واحدة من أعظم صور التلاحم بين العلماء والأمة بقيادة الميرزا المجتهد فقد استطاع بحركته من استعادة اعتبار الأمة ووجه ضربة قوية للمؤسسة الحاكمة التي بدا أنها تتآمر على الأمة متواطئة مع الأجانب. يقول حامد السفار ان المواجهة التي حدثت بين الشعب بقيادة الميرزا مسيح والسفارة الروسية كانت حالة من الصراع مع القاجار فقد كانت الحكومة القاجارية متهمة بالخيانة والتعاون مع القوىٰ الأجنبية(٢).

وأخيراً وقعت الواقعة ففي يوم السادس من شعبان من سنة (١٢٤٤ هـ) كانت جماهير الشعب الايراني بقيادة علماء الدين تتدفق الى المسجد الجامع في العاصمة وذلك استجابة لفتوىٰ الميرزا المجتهد ومن المسجد بدأ الهجوم على وكر التجسس والعدوان في السفارة الروسية حيث يربض غريباً يدوف ولم يكن هدف المرجعية الدينية تحرير النسوة الجورجيات المسلمات بل كان الهدف من وراء هذه الحادثة المجيدة هو قطع الأيدي الأجنبية التي تتدخل في البلاد والدفاع عن حريم الاسلام فعندما لا يكون المسلم آمناً في عقر داره وعندما يكون الحاكمون خانعين أمام الأجنبي المعتدي فليس أمام علماء الدين العاملين سوىٰ النهوض

---

(١) تاريخ نو، جهانغير ميرزا / ١٢١.

(٢) دور علماء الدين في الحركة الدستورية.

وتحمل المسؤولية مهما كان الثمن.

وهكذا بدأ الهجوم الشعبي وقد بدأ حوالي ألف شخص عملية الهجوم على سفارة العدوان ولكن الجموع التي التحقت في الطريق أوحك عدد المهاجمين الى أكثر من مئة ألف، وكانت مطالب الجماهير الغاضبة عادلة تتلخص في اطلاق سراح النسوة ولكن الوزير المفوض غريباديوف وبدل أن يستجيب للشعب الغاضب في قضية حساسة تتعلق بصميم أخلاقه وتقاليده فقد أمر باطلاق النار حيث لقي فتىً في الرابعة عشرة من ربيع العمر مصرعه وسالت دماؤه الزكية بين أيدي المتظاهرين وحمل جسد الشهيد الى مسجد قريب وقد بلغ الغضب الشعبي ذروته وبدأت صيحات الثأر تتعالىٰ من حناجر الغاضبين وقامت مجموعة جريئة بالهجوم الصاعق واستطاعت تتسلق جدران السفارة وفتح الأبواب أمام سيل المهاجمين وبدأت الاشتباكات تأخذ ضراوتها الدامية وحدثت معارك رهيبة ليسقط ما يناهز الثمانين شهيد من الشعب الايراني فيما تم احتلال السفارة التي سقطت بأيدي الجماهير بعد أن قتل من عناصرها ما يناهز الثمانية والثلاثين ومن بين القتلىٰ الوزير المفوض غريباديوف[١].

كانت روسيا في تلك الفترة في صراع عنيف مع الدولة العثمانية وقد تلقت ضربات أليمة وخسرت كثيراً من مناطق نفوذها في البالقان، وهذا ما دفع بروسيا أن تتوقف في مسألة السفارة وتتصرف بمرونة خاصّة والى السكرتير الأول في السفارة (ماكتنسوف) الذي نجا من الموت بأعجوبة شرح لحكومته ظروف الحادثة وأوضح للمسؤولين الروس جانباً من تصرفات الوزير المفوض كل هذا دفع بالحكومة الروسية وبالقيصر الى الاكتفاء بالطلب من الجانب الايراني اعتقال الميرزا المجتهد وابعاده، وقد استجاب البلاط الايراني لطلب روسيا فقررت نفي

(١) تاريخ ايران في القرن التاسع عشر حتى سنة ١٨٥٨ م، آكرانتوسكي ترجمة كيخسروكشاورزى / ٢٢٧.

الميرزا الى العراق. وماجت العاصمة طهران بأهلها اثر سماع النبأ وقد أدىٰ التظاهر في الشوارع الى عرقلة تنفيذ حكم الابعاد بضعة أيام ولكن سيل التظاهرات لم يكن بوسعه أن يلغي حكم الابعاد ووقعت أعمال عنف عديدة وسقط العديد جرّاء ذلك جرحىٰ ولكن جلاوزة القاجار اقتادوا المرجع الكبير الى مسجد شاه (مسجد الامام الخميني حالياً) وأجبروه على توديع أسرته ومريديه أمام الملأ العام ليغادر ايران في العشرين من صفر من سنة (١٢٤٥ هـ) الى العراق وكان المرجع قد أشار الى هذه الحادثة في أحد مؤلفاته.

الى الله

إن لكربلاء في نفوس المظلومين موقعاً خاصّاً فقد شعر الرجل الكبير أن جراحه تبرأ في ظلال قبة سيد الشهداء وزعيم الأحرار أبي عبد الله الحسينعليه‌السلام ، وانصرف الميرزا المجتهد الى نشاطه الفكري والمعرفي، ولكن بصره كان قد بدأ بالضعف وداهمته الأمراض كما كان للوضع الأمني المتدهور في العراق نصيباً في انتكاسته الصحية. وأخيراً حانت النهاية اذ أغمض الميرزا مسيح المجتهد عينيه سنة (١٣٦٣ هـ) وغادر دار الفناء.

أجل رحل الميرزا عن الحياة مظلوماً بعد أن تجرع مرارة النفي والابعاد والغربة ولكن أصدقائه من العلماء الأعلام كانوا حضوراً فقد اشتركت الجموع في تشييعه وصلىٰ على جثمانه الطاهر الفقيه الكبير محمد حسن النجفي (صاحب جواهر الكلام) وشهد الصلاة العديد من العلماء ليواريٰ الثرىٰ في احدىٰ الحجرات في الصحن الشمالي في مرقد أمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه‌السلام في مدينة النجف الأشرف[1].

---

(١) تاريخ علماء خراسان / ٢٠٨ - ٢٠٩.

الشيخ مرتضىٰ الأنصاري /المتوفى سنة ١٢٨١ هـ

ولد في عيد الغدير ١٨ ذي الحجة سنة (١٢١٤ هـ) في مدينة دزفول في أسرة عرفت بالعلم والأدب أبوه الشيخ محمد أمين الذي سمّىٰ نجله البكر «مرتضى».

الرؤيا الصادقة

رأت والدته والوليد المبارك ما يزال جنيناً في بطنها في عالم الرؤيا الامام الصادقعليه‌السلام وقد أهداها مصحفاً ذهبياً فأخبرها المعبّرون ان الله عز وجل سيهبها صبياً مباركاً وسيكون له شأن وهكذا كان فقد كان الشيخ مرتضىٰ الأنصاري مفخرة للعالم الشيعي بأسره هذا الانسان الذي يرتفع في نسبه الى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري فكان الشيخ مرتضىٰ استمرار لخط الولاء لأهل بيت النبيصلى‌الله‌عليه‌وآله.

أجداده وآباؤه

نشأ في حي يعرف بـ«مشايخ الأنصار» في الشمال الغربي من مقبرة «سبز قبا» في مدينة دزفول. عرفت تلك المحلة بسكانها وفيهم علماء وفقهاء.

ونسب أسرته يعود الى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري وهو من قبيلة الخزرج الأنصارية وعبد الله كان من رؤساء القبيلة ومن المسلمين الأوائل ومن الذين بايعوا النبيصلى‌الله‌عليه‌وآله في بيعة العقبة المشهورة في التاريخ الاسلامي وعلى أثرها هاجر النبيصلى‌الله‌عليه‌وآله من مكة الى المدينة وقد اشترك الصحابي الجليل عبد الله

الأنصاري في معركة بدر وفي معركة أحد وكان أحد الرماة الذين عينهم النبيﷺ لحماية مؤخرة الجيش الاسلامي من أية حركة التفاف قد يقوم بها العدو ولما بان النصر للمسلمين وغادر معظم الرماة مواقعهم كان عبد الله ضمن الذين التزموا أوامر النبيﷺ ولم يغادر موقعه وظل الى جانب قائد الرماة وعندما قام خالد بن الوليد وكان يومها في جيش المشركين بحركة التفاف سريعة والتي قلبت موازين القوىٰ لصالح جيش العدو الوثني استشهد الصحابي الكبير عبد الله ضمن من استشهد من فدائي الجيش الاسلامي عندما حاول صد هجوم الفرسان بقيادة خالد بن الوليد.

روىٰ جابر بن عبد الله ما يناهز ١٥٤٠ حديث عن النبيﷺ وكان أول من زار قبر الامام الحسينعليه السلام بعد استشهاده وكان جابر يومها مكفوف البصر.

أبواه

والد الشيخ مرتضى الأنصاري هو محمد أمين وكان من العلماء الأتقياء وفي طليعة العلماء العاملين توفي سنة (١٢٤٨ ه) أما والدة الشيخ فهي كريمة الشيخ يعقوب ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ شمس الدين الأنصاري، وهي من النسوة العابدات وكانت لا تترك صلاة الليل الى أواخر أيام حياتها وقد كف بصرها ومع ذلك كانت تنهض لصلاة الليل حيث يقوم الشيخ باعداد مستلزمات وضوئها، توفّيت في مدينة النجف الأشرف سنة (١٢٧٩ ه) وقد حزن الشيخ لرحيل والدته.

أسرته

تزوج الشيخ من ثلاث نساء أولاهن كريمة استاذه الشيخ حسين الأنصاري وهو أول أساتذته وأنجبت له زوجته بنتاً سمّاها «بي بي فاطمة»، أما ثانية زوجاته فهي كريمة الميرزا مرتضى مطيعي الدزفولي وأنجبت له بنتاً سماها «بي بي

زهراء»، وثالثة أزواجه كانت اصفهانية أو مدينة رشت، وله منها صبي ولكنه توفي قبل ولادته.

أخوته

له أخوان أصغرا منه اسم أحدهما الشيخ منصور ويدعىٰ الآخر الشيخ محمد صادق، وقد ولد الشيخ منصور سنة (١٢٢٤ ﻫ) في دزفول وتتلمذ على أخيه الأكبر الشيخ مرتضىٰ الأنصاري ليصبح فيما بعد من العلماء والفقهاء المبرزين والأدباء والشعراء المعروفين وكان حافظاً للقرآن. وأصبح اماماً في مسجد أخيه الشيخ مرتضىٰ الأنصاري بعد وفاة الأخير وله حلقة درس الى أن توفي سنة (١٢٩٤ ﻫ) عن عمر ناهز السبعين عاماً ليوارىٰ الثرىٰ في مقبرة الشيخ، ترك وراءه آثاراً عديدة جاء معظمها على شكل منظوم.

أما الشيخ محمد صادق فقد ولد سنة (١٢٣٤ ﻫ) في مدينة دزفول ودرس المقدمات في مسقط رأسه ليهاجر بعدها الى مدينة النجف الأشرف في العراق وقد درس الفقه والأصول على يد أخيه الشيخ مرتضىٰ الأنصاري ونال درجة الاجتهاد وتوفي في النجف الأشرف سنة (١٢٩٨ ﻫ).

دراسته في ايران

عشق الدراسة وطلب العلم منذ نعومة أظفاره وكان يطالع ويدرس بجدّ واجتهاد دون أن يلتفت الى الوقت وما أكثر الليالي التي انتبه فيها الى نفسه ليجد الوقت قد تجاوز منتصف الليل.

درس مرتضى علوم العربية وآدابها وكذا تلقى المقدمات على يد والده فكان استاذه الأول، فيما تلقىٰ الفقه والأصول ودورة السطوح على يد ابن عمه الشيخ حسين الأنصاري الذي يعد من علماء دزفول المبرزين.

دراسته في العراق

في عام (١٢٣٢ هـ) رافق الشيخ مرتضىٰ الأنصاري أباه في رحلته الى العراق لواصل دراسته الدينية في مدينتي النجف وكربلاء وفي كربلاء المقدسة التقىٰ والده الشيخ محمد أمين السيد محمد المجاهد وهو من كبار فقهاء الشيعة وزعيم الحوزة العلمية في كربلاء وطهران السيد محمد المجاهد كان زميلاً للشيخ حسين الأنصاري في أيام الدراسة وطلب العلم وقد اكتشف ان زميله هذا هو ابن أخ محمد أمين فازداد اكراماً له ولابنه الشيخ مرتضىٰ الذي كان حافراً في اللقاء وعندما سأله السيد محمد المجاهد الشيخ محمد أمين عن هدف وجوده في كربلاء قال لقد جئت به اليك ليتتلمذ على يديك وعندما نظر اليه وجده ما يزال يافعاً أو مراهقاً للبلوغ ولم يكن لهذا سابقة في دروسه فلم يحدث أن حضر درسه من هم في سن الشيخ مرتضىٰ آنذاك ولهذا أراد اختبار معلوماته الفقهية فساق الحديث عن هذه الجمعة قائلاً: لقد سمعت أن أخي الشيخ حسين يصلّي الجمعة من دزفول والحال أن كثيراً من الفقهاء لا يرون جواز اقامتها في عصر الغيبة وهنا تحدث الشاب مرتضىٰ وراح يطرح أدلّة وجوب صلاة الجمعة في زمن الغيبة ما جعل السيد المجاهد يعجب باستدلالاته والتفت الى والده قائلاً ان لهذا الشاب نبوغ ذاتي ثم أشار الى قبّة المرقد الحسيني وقال: استودعه صاحب هذه القبة ويعود الشيخ محمد أمين الى دزفول تاركاً ابنه يواصل دراسته في مدينة كربلاء.

لقد أمضىٰ الشيخ مرتضىٰ الأنصاري أربع سنين متتلمذاً على يدي فقيهين كبيرين هما السيد المجاهد وشريف العلماء، وفي نهاية الأعوام الأربعة جاءت جماعة من أهل دزفول من أجل زيارة مرقد الامام الحسين فأبلغوه شوق والده الى رؤيته.

العودة الى الوطن

ويعود الشيخ مرتضىٰ مع تلك الجماعة من أهل مدينته دزفول لكنه لم يستطع البقاء فيها أكثر من عام ليشدّ الرحال مرّة أخرىٰ الى مدينة كربلاء وذلك سنة (١٢٣٧ هـ) وهناك ينتظم في حلقة الشيخ موسىٰ نجل الشيخ جعفر كاشف الغطاء متتلمذاً على يديه مدّة عامين ليعود بعدهما الى مسقط رأسه مرّة أخرىٰ.

زواجه

عندما بلغ الخامسة والعشرين من عمره اقترن الشيخ مرتضىٰ بكريمة استاذه الشيخ حسين ليسفر هذا الزواج عن ثمرة فكان صبياً، لقد كان الشيخ مسافراً لما جاء زوجته المخاض وقد أنجبت صبياً كما ذكرنا ولأنه ولد وفي فمه سنّان فقالت عجائز في المدينة ان في هذا شؤم ونحس وفي غياب الشيخ قامت نسوة باقتلاع السنّين فمات الصبي اثر ذلك!

أساتذته

تتلمذ الشيخ مرتضىٰ على أيدي أساتذة عديدين من قبيل الشيخ حسين الأنصاري الدزفولي وشريف العلماء المازندراني والشيخ موسىٰ كاشف الغطاء والسيد محمد المجاهد والشيخ علي كاشف الغطاء والحاج ملّا أحمد النراقي وغيرهم من أساتذة الحوزات العلمية الأفذاذ[1].

- الشيخ حسين الأنصاري (المتوفىٰ سنة ١٢٥٣ هـ).

وهو من أسرة عريقة جداً ترتفع في نسبها الى الصحابي الجليل جابر بن عبد

---

(١) حياة وشخصية الشيخ الأنصاري، المؤتمر التكريمي العالمي بمناسبة مرور قرنين على ولادة الشيخ الأنصاري / ١٧٩.

الله الأنصاري وكانت للشيخ حسين حلقة دراسية في مدينة دزفول واليه تعود المرجعية الدينية فيها وقد كان الشيخ يفصل في الأمور الشرعية ويفتي في المسائل. وقد درس الشيخ مرتضىٰ لديه المقدمات توفي الشيخ حسين بعد سنة (١٢٥٣ هـ)[١].

- شريف العلماء (المتوفىٰ سنة ١٢٤٥ هـ).

وهو الملّا محمد أو محمد شريف نجل حسن علي الآملي المازندراني وكانت له حلقتين دراسيتين أولهما للمبتدئين والأخرىٰ لمن بلغوا مرتبة الاجتهاد، توفي شريف العلماء في كربلاء عام (١٢٤٥ هـ)[٢].

- الشيخ موسىٰ كاشف الغطاء (المتوفىٰ سنة ١٢٤٩ هـ).

- الشيخ علي كاشف الغطاء (المتوفىٰ سنة ١٢٥٤ هـ).

وهما ابنا الشيخ الكبير المعروف الشيخ جعفر كاشف الغطاء الذي هو من نسل وذرية مالك الأشتر[٣].

- السيد محمد المجاهد (المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ).

وهو نجل صاحب الرياض، وللسيد مجاهد تلامذة كثيرون في طليعتهم الشيخ مرتضىٰ الأنصاري الذي تتلمذ على يديه أربع سنين وكان يحضر دروسه في كربلاء[٤].

- النراقي (١١٨٥ - ١٢٤٥ هـ).

وهو الحاج ملّا أحمد النراقي نجل الملّا مهدي النراقي وهو القائل في حق

---

(١) المصدر السابق / ١٨٠.

(٢) المصدر السابق / ١٨٢.

(٣) المصدر السابق / ١٨٨.

(٤) المصدر السابق / ١٩٠.

تلميذه انه التقىٰ في أسفاره خمسين مجتهداً لكن لم يرضيهم مثل هذا الشاب يعني الشيخ مرتضىٰ الأنصاري. وقال انه استفاد من تلميذه أكثر مما أفاد التلميذ من استاذه، وكان الملّا أحمد النراقي قد توفي في أحد الأوبئة وحمل جثمانه الى مدينة النجف الأشرف ليواریٰ الثرىٰ في الصحن الطاهر الذي يقع خلف الرأس في ضريح سيدنا علي عليه السلام[1].

تلامذة الشيخ

تألقت مدرسة الشيخ مرتضىٰ الأنصاري منذ أواسط القرن الثالث عشر وحتىٰ مطلع القرن الرابع عشر الهجريين وقد تخرج منها علماء أفذاذاً اشتهروا بالعلم والفضيلة ناهز عددهم المئات فقد أحضت كتب التاريخ والرجال أسماء تقع ما بين ال«٥٠٠» الى «٣٠٠٠» عالم وقد أثبت المؤتمر التكريمي الذي عقد لدراسة حياته وآثاره أسماء ٣١٦ درسوا على يديه وتخرجوا من مدرسته ونبغ من بينهم علماء أفذاذ ورجال عباقرة وفيما يلي أسماء بعضهم:

١ – الشيخ ابراهيم آل صادق (١٢٢١ – ١٨٨٤ أو ١٢٨٨ هـ).

٢ – السيد محمد ابراهيم البهبهاني (المتوفى سنة ١٣٠٠ هـ).

٣ – الشيخ ابراهيم الخوئيني (المتوفى سنة ١٣٠٠ هـ).

٤ – الميرزا محمد حسن الشيرازي (١٢٣٠ – ١٣٥٥ هـ).

٥ – الحاج ميرزا ابراهيم الخوئي (١٢٤٧ – ١٣٥٥ هـ)

٦ – الآخوند الخراساني (المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ).

٧ – الميرزا ابراهيم العلوي السبزواري (المتوفى ١٣١٦ هـ).

---

(١) المصدر السابق / ١٩٧.

٨ - السيد جمال الدين الأسد آبادي (١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ).
٩ - الشيخ ابراهيم القفطان (المتوفى سنة ١٢٧٩ هـ).
١٠ - الميرزا حبيب الله الرشتي (١٢٣٤ - ١٣١٢ هـ).
١١ - الشيخ المولىٰ ابراهيم القمي (المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ).
١٢ - الملّا حسين علي الهمداني (١٢٣٩ - ١٣١١ هـ).
١٣ - السيد ابو تراب القزويني المعروف بالسكاكي (المتوفى سنة ١٣٠٣ هـ).
١٤ - الميرزا محمد الأشتياني (١٢٤٨ - ١٣١٩ هـ).
١٥ - السيد ميرزا ابو الحسن السبزواري (المتوفى سنة ١٣١٣ هـ).
١٦ - السيد ميرزا ابو الحسن الرضوي (المتوفى سنة ١٣١١ هـ).
١٧ - الشيخ ابو القاسم الأنصاري الدزفولي (المتوفىٰ سنة ١٢٨٠ هـ).
١٨ - السيد ابو القاسم الخوانساري (المتوفىٰ سنة ١٢٨٠ هـ).

مؤلفاته

سطر الشيخ مرتضىٰ الأنصاري بيراعه السيال وبخطّه الجميل آثاراً عديدة طبع بعضها في حياته أكثر من مرّة وهي الطبعات الحجرية المعروفة يومذاك وفي طليعة ما ألف الشيخ:

١ - كتاب الرسائل: وهو في علم أصول الفقه وعرف بـ«فرائد الأصول» بسبب مضامينه الجديدة ويقع الكتاب في ٤٠٠ صفحة من القطع المعروف بـ «الرحلي» وطبعته حجرية.

٢ - كتاب المكاسب: والكتاب يهتم بمسائل الكسب والتجارة ومواضيعه علمية استدلالية مع تحقيقات ميدانية شاملة وهذا الكتاب والكتاب الذي سبقه يعد في طليعة الكتب الحوزوية والمناهج الدراسية المعتمدة في الحوزات

العلمية حتى الآن.

٣ -كتاب الصلاة: وهو أثر قيم حول مسائل وقضايا الصلاة وهو من البحوث الفريدة في علميتها واستدلالاتها في هذا المضمار والتي امتازت بالدقة العالية يقع الكتاب في «٤٣٧» صفحة وطبع لأول مرّة في سنة (١٣١٧ هـ) وطبعته حجرية.

ايران في عصر الأنصاري

ولد الشيخ مرتضىٰ الأنصاري ونشأ وترعرع في عهد سلطنة فتح علي شاه (١٢١٢ - ١٢٥٠ هـ) ولقد شهدت ايران في العهد القاجاري مشكلات عديدة وكانت الأطماع الأجنبية في تلك الفترة في ذروتها فابتليت ايران بعدوّين لدودين الروس من الشمال والانجليز المستعمرين من الجنوب، ولقد أحدث سقوط مدينة كنجه في القفقاز وارتكاب المذابح فيها أصداءً واسعة وأعلن علماء طهران الجهاد ضد روسيا القيصرية الكافرة فبدأت الاستعدادات للجهاد على قدم وساق وبدأت الحرب الروسية الايرانية الأولىٰ والتي استغرقت عشرة أعوام ثم انتهت بوساطة السفير الانجليزي حيث وقعت معاهدة «كلستان» في سنة (١٢٢٨ هـ) في منطقة تدعى كلستان[١].

علماء الدين في خطوط القتال

كان السيد محمد المجاهد المتوفى سنة ١٢٤٢ من كبار فقهاء الشيعة في العراق ومن أساتذة الشيخ الأنصاري في مطلع دراسته وقد حضر هذا الفقيه الكبير الى ايران ثم شدّ الرحال الى القفقاز وكان في طليعة العلماء المتحمسين للحرب

(١) ايران في العهد القاجاري (ايران در دوره سلطنت قاجار) / ٦٠.

والجهاد ضد الكفار الذين عاثوا في أرض المسلمين الفساد وقتلوا وكان السفير الانجليزي يحمل الى جانب هدايا بريطانيا رسالة ملكتها ومعها ماسة كبيرة وتضمنت الرسالة رغبة بريطانيا بإقامة علاقة صداقة مع ايران في اطار معاهدة وهذا ما حصل.

الحالة الاجتماعية لايران في عهد الأنصاري

كان القرن الثالث عشر الهجري قرن الازدهار والنمو للمذهب الشيعي في ايران وكان أكثر الشيعة في ايران على المذهب الاثنى عشري يتبعون علماءهم في كل الشؤون الاجتماعية وهم يسعون جاهدين الى تربية أبنائهم على الالتزام بالمذهب الامامي وأداء واجباتهم الدينية، وكان الطفل يتلقى المعرفة الدينية منذ الخامسة في المسجد.

وكان معظم الايرانيين يحرصون على تعلم أبنائهم، فالأثرياء منهم كان المعلم يأتي الى منازلهم لتعليم أولادهم وكانت الطبقة المتوسطة تبدأ بتعليم أبنائها منذ السن السابعة في الكتاتيب وكانت منتشرة يومئذ في كل أنحاء البلاد وكان رجال الدين والملالي يديرون تلك الكتاتيب ويعلمون الأطفال القراءة والكتابة والمبادىء الدينية.

الحالة العلمية

ويصادف القرن الثالث عشر الهجري القرن التاسع عشر الميلادي وهو بداية النهضة العلمية والصناعات الجديدة في الغرب فيما كان الايرانيون وعموم المسلمين بعيدين عن تلك النهضة العلمية الحديثة.

ولقد شهدت تلك الفترة تقدماً في علم الأصول والفقه حيث نبغ عباقرة في

المذهب الامامي من قبيل جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة (١٢٢٨ ﻫ) والسيد علي الطباطبائي (صاحب الرياض) المتوفىٰ سنة (١٢٣١ ﻫ) ونجله السيد محمد المجاهد المتوفىٰ سنة (١٢٤٢ ﻫ) وقد ألفت كتب كثيرة معتبرة في تلك الفترة وبخاصة ما كان وفق المنهج الاستدلالي.

المراكز العلمية

أ - الحوزة العلمية في كربلاء: وكان لها يومئذ شأن كبير جداً وهذه الحوزة مدينة الى الجهود الكبرىٰ التي بذلها العلّامة الوحيد البهبهاني من خلال تلميذه السيد علي الطباطبائي ومن ثم نجله السيد محمد المجاهد حيث ازدهرت الحوزة الكربلائية.

ب - الحوزة العلمية في النجف: وقد ظلت هذه الحوزة قروناً من الزمن وكانت مركزاً هاماً لتدريس الفقه الامامي وفي القرن الثالث عشر الهجري برز الشيخ جعفر النجفي الذي اشتهر بـ«كاشف الغطاء» وهو من تلامذة العلّامة الوحيد البهبهاني وقد اشتهر كاشف الغطاء بتدريس الفقه الاستدلالي فانتعشت الحوزة العلمية في عصره.

وبعد رحيل الشيخ كاشف الغطاء خلفه ابناه الشيخ موسى المتوفى سنة (١٢٤٩ ﻫ) والشيخ علي المتوفى سنة (١٢٥٤ ﻫ) وهما من الفقهاء المرموقين وكان قطب الرحى في ادارة الحوزة النجفية وعلى يديهما تتلمذ الشيخ مرتضىٰ الأنصاري.

جـ - الحوزة العلمية في كاشان: وقد نشأت وازدهرت بجهود الملّا مهدي النراقي في أخريات القرن الثاني عشر الهجري وظلت الحوزة الكاشانية ناشطة مدّة قرن من الزمن. والملّا مهدي النراقي من تلامذة العلّامة الوحيد البهبهاني وبعد

وفاته خلفه نجله الملّا أحمد النراقي المتوفىٰ سنة (١٢٤٥ هـ) في زعامة الحوزة العلمية في كاشان فازدهرت في عهده؛ والملّا أحمد النراقي من أساتذة الشيخ مرتضىٰ الأنصاري المبرزين.

د - الحوزة العلمية في اصفهان: وقد ظهرت هذه الحوزة في مطلع القرن الحادي عشر الهجري وكانت محل اهتمام الشاهات الصفويين الذين كانت لهم علاقات ممتازة مع علماء الدين الشيعة وفي تلك الفترة شهدت ايران هجرة علمائية وعلماء العراق، وبسبب هذا الحضور المكثف للعلماء في اصفهان فقد ازدهرت الحوزة العلمية في اصفهان وظلت ناشطة مدّة قرنين من الزمن حيث ظلت فاعلة حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري وكان زعيم الحوزة يومئذ حجة الاسلام الشفتي المتوفى سنة (١٢٦٠ هـ) وكان الشيخ مرتضىٰ الأنصاري قد حلّ ضيفاً لدى الشفتي مدّة شهر كامل.

مرجعية الشيخ مرتضىٰ الأنصاري

عاصر الشيخ مرتضىٰ الأنصاري مرجعية الشيخ موسى نجل الشيخ جعفر كاشف الغطاء التي استمرت حتى سنة (١٢٥٦ هـ) وبعد وفاته انتقلت الزعامة الدينية الى أخيه آية الله الشيخ حسن كاشف الغطاء وظلت حتى سنة (١٢٦٢ هـ) وانتقلت الزعامة بعده الى الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر.

في عام (١٢٦٦ هـ) كان آية الله الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر يقطع الخطىٰ الأخيرة من حياته ولهذا اجتمع العلماء في منزله للبتّ في مصير المرجعية والزعامة الدينية من بعده ولما التئم الجمع سأل الشيخ الحاضرين وهل جاء باقي العلماء أو أين باقي العلماء المحترمين؟ فقيل له انهم جميعاً في حضرتك فجال ببصره على الجميع وسأل مرّة أخرىٰ: ولكني لا أرىٰ ذلك العالم فقيل: بل انهم

جميعاً هنا حينئذ قال الشيخ: فأين اذن الملّا مرتضى؟ فانطلق بعضهم للبحث عنه فوجوده في حرم الامام علي عليه السلام مستغرقاً بالدعاء من سلامة صاحب الجواهر فأخبروه بالذي قاله الشيخ فانطلق معهم.

ولما رأى صاحب الجواهر الشيخ مرتضىٰ الأنصاري تنفس الصعداء وقال: هذا مرجعكم بعدي. ثم التفت الى الشيخ الأنصاري وقال: قلّل من احتياطك فان الشريعة سمحة سهلة[١].

المنهج التدريسي للشيخ الأنصاري

من خلال ما قام به الشيخ الأنصاري خلال حياته وما ألفه ألفه وصنّفه انه أمضىٰ عمره المبارك في طلب العلم وقد روي عن أخيه الشيخ منصور ان الشيخ مرتضىٰ كان حتى في أسفاره كان لا يترك عمله ونشاطه فقد كان يدرس أخاه الشيخ منصور فيما كان الأخير يقوم بتدوين تقريرات الشيخ، ويذكر الحاج ملّا نصر الله تراب «لمعات البيان» انه رافق الشيخ في رحلته الى حج بيت الله الحرام وقد توقفت القافلة مدّة شهرين في مكان يدعىٰ «العنيزة» خوفاً من غارات أعراب البادية، فكان الشيخ الأنصاري يدرس في أصائل تلك الأيام كتاب الهداية وكان أحد الحضور يومئذ الشيخ محمد باقر وهو نجل صاحب الكتاب المذكور. كما كان يستمثر الصلاة اليومية فيقوم بتدريس الألفية وهو منظومة شعرية في علم النحو - ويعد الكتاب ضمن دورة المقدمات ولم يكن الشيخ الأنصاري ليستنكف عن القيام بذلك، ولمّا سئل عن ذلك وقيل له: أنت مع مقامك العلمي تقوم بتدريس دروس المبتدئين فقال: نعم أقرأ وأكرر حتى لا أنسىٰ.

---

(١) فقهاء نامدار شيعه، العقيقي البخشايشي / ٣٤١ - ٣٤٢ انتشارات كتابخانه مرعشي.

بيانه

عرف الشيخ الأنصاري باسلوبه الواضح في بيان المسائل العلمية لدىٰ تدريسه الفقه والأصول بحيث يعبر عن مفاهيم الموضوع والأفكار. من خلال بيان واضح ولقد اجتذب اسلوبه طلاب العلم والمعرفة وشدّ انتباههم.

وقفة

في كتابه «العلم الالهي» ص ٣٤٨ يذكر الشهيد الأستاذ مرتضى مطهري عن اسلوب الشيخ مرتضى الأنصاري الاستدلالي حكاية مضمونها ان السيد حسين الكوهكمري وهو من الفضلاء المعاصرين للشيخ الأنصاري وقد ضمهما مجلس درس، يقول ان السيد حسين حضر الى مكان الدرس قبل حضور تلامذته وفي احدىٰ زوايا المسجد كان شيخ أشعث يدرس عدة تلاميذ فاصغىٰ السيد حسين الى محاضرته فإذا به يجد فيه محققاً في بحثه وقد شدّه كلام الشيخ بحيث عزم على الحضور مرّة أخرىٰ قبل تلامذته في اليوم التالي فأدرك ان الشيخ أفضل منه علماً وأولى منه بالتدريس والأفضل لتلامذته أن يحضروا لدىٰ هذا الشيخ. فلما جاء تلامذته في اليوم التالي قال لهم يا أصدقاء! ان هذا الشيخ الجالس في زاوية المسجد لأولىٰ منّي بالتدريس ولقد استفدت منه كثيراً فلنذهب جميعاً اليه. وفي غد جاء السيد حسين وتلامذته وانتظموا في حلقة الشيخ، ولم يكن ذلك الشيخ سوىٰ مرتضىٰ الأنصاري الذي طار صيته ليعرف بـ«استاذ المتأخرين».

في بروجرد واصفهان

في عام (١٢٤٠ هـ) شدّ الشيخ الأنصاري الرحال الى ايران لزيارة مرقد ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام الامام الرضا عليه السلام فغادر مسقط رأسه دزفول ولسان حاله يقول:

لقد تعلمت ما يمكن تعلمه من علماء العراق وقد أحصل على ما هو مفيد من علماء ايران، وهكذا انطلق الشيخ مرتضىٰ وبصحبته أخيه الشيخ منصور ومن أجل استحصال رضى والدته فقد مكث في بروجرد مدّة شهر ومنها اتخذا طريقهما الى اصفهان.

وفي اصفهان يدخل الأنصاري خاناً للقوافل ويستأجر منزلاً وفي تلك الفترة كانت الزعامة الدينية في اصفهان في يد حجة الاسلام الشفتي وهو مؤسس مسجد السيّد، وذات يوم طرح الشيخ اشكالاً على التلاميذ وكان ينتظر الجواب، وجلس ناحية حيث راح يبيّن الجواب لأحد مقربيه ثم غادر المجلس. ولمّا بيّن الطالب الجواب لأستاذه قال: هذا الجواب ليس منك أو أنه من الحجة ابن الحسن أو من الشيخ مرتضىٰ النجفي واعترف الطالب بالحقيقة، وانطلق السيد مع عدّة للبحث عن الشيخ فوجدوه مع أخيه في منزل في خان القوافل واصطحبوهما الى منزل السيد، وأصرّ السيد على ضيفه في البقاء في اصفهان ولكن الشيخ اعتذر لوجود والديه في دفول وقال ان أردت الاقامة في ايران فسيكون ذلك في اصفهان.. وبعد أيام غادر الشيخ عاصمة الصفويين.

في كاشان

ومن مدينة اصفهان ذهب الشيخ الى كاشان يمكث فيها أربع سنين تتلمذ خلالها على يد الملّا أحمد النراقي اضافة الى نشاطه في البحث والتحقيق والتأليف. ولدىٰ مغادرته من المدينة أعطاه النراقي اجازته وأثنىٰ عليه قائلاً: لقد استفد من هذا الشاب أكثر مما أفدته.

وانطلق الشيخ الأنصاري وأخوه الى مدينة مشهد المقدسة ليمكث فيها عدّة أشهر ليغادرها الى طهران والري ومنهما الى مسقط رأسه في دزفول حيث استقبله

أهلها بعد ست سنين وهبّوا لاستقباله خارج المدينة بأربعة فراسخ وكان الاستقبال حافلاً.

العودة الى النجف الأشرف

بعد أسفار بين المدن العديدة عاد الشيخ الأنصاري الى مدينة النجف الأشرف مرّة أخرىٰ وذلك سنة (١٢٤٩ هـ) ليتتلمذ على يد الشيخ علي نجل كاشف الغطاء وقد قال الأخير للشيخ جعفر الشوشتري ذات يوم: لا تظن أن الشيخ مرتضىٰ يحضر مجلسنا للاستفادة منا ولكنه سمع ان لدى الأسر العلمية تحقيقات وأنه لن يصل اليها حتىٰ يحضر درسنا والّا فهو في غنى عن الدراسة.

ادارة الحوزة العلمية

وتسنم الشيخ الأنصاري ادارة الحوزة العلمية بعد رحيل الشيخ علي كاشف الغطاء وأخيه الشيخ حسن كاشف الغطاء وكذلك الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر وأصبح زعيم الحوزة العلمية في هذه المدينة مدّة خمسة عشرة سنة خلال الأعوام ما بين (١٢٦٦ - ١٢٨١ هـ) ليصبح مرجع الشيعة في العالم.

سماته

كان الشيخ مَديد القامة مليح الوجه وهو أقرب الى النحافة ضعيف البصر يخضب لحيته بالحناء، يعتم بعمامة كبيرة وقباء أبيض وعباءة بنّية من الصوف.

اجازات مشايخه

مُنح الشيخ الأنصاري من أساتذته اجازات في الرواية ومشايخه الذين

منحوه كل من الحاج ملّا أحمد النراقي، السيد صدر الدين العاملي، الشيخ محمد سعيد الدينوري.

صفاته

كان بعيد الهمة وتحلّىٰ بأخلاق حسنة من زهد وتقوىٰ وكان للناس كالأب الرحيم وكان مربياً للجيل قال الميرزا حبيب الله الرشتي: امتاز الشيخ بثلاثة أشياء: العلم، والزعامة، والتقوىٰ وقد أورث الزعامة للميرزا محمد حسين الشيرازي وأورثني العلم وذهب بالتقوىٰ معه الى القبر.

كراماته

كانت للشيخ كرامات ونذكر منها اثنتين:

الأولى: كان أحدهم في ضيق من العيش فكان يشكو الى رفيقه ويقول: تعال نفكر معاً ونتدبر ولو سايرتني لوجدت الفكرة في ذلك فقال صاحبه: قل فإن كان ما تقول صلاحاً أعنتك فقال الرجل: لقد جاءوا بأموال كبيرة للشيخ مرتضىٰ، فلو سطونا عليها في الليل واقتسمناها معاً، فرفض صاحبه ذلك ولكن الرجل أصرّ عليه حتى وافق واتفقنا أن يسطو الرجل على منزل الشيخ فلما مضىٰ شطر من الليل تسلل الرجل وصاحبه الى الدهليز الخارجي فتوقف صاحبه في هذا المكان أما الرجل فصعد السلالم الخارجية ومنها الى السطح ومن السطح يدخل الى داخل البيت ويسطو على الأموال وما إن مضت مدّة حتى عاد الرجل مذعوراً فقال لصاحبه: انك لا تصدّق حتى ترى بعينيك ما رأيت! قال صاحبه: وما رأيت؟ قال الرجل: اني لما صعدت السلالم الى السطح اذا أنا بسبع مهيب يتحفز في الوثوب عليّ فولّيت هارباً فقال صاحبه: انه الخوف يجسم لك هذا فقال: انك لا

تصدق حتى ترى بنفسك، فذهب صاحبه وصعد السلالم الى السطح فرأىٰ أسداً يريد الوثوب كان يزأر بصوت مخيف فولّىٰ هارباً وأدركا ان لهذا الرجل كرامة.

الثانية: وهذه كرامة أخرىٰ يرويها أحد تلامذته الذي استكمل مرحلة المقدمات والسطوح وقد ذهب الى النجف الأشرف لاستكمال دراساته في حوزتها العريقة وهناك انتظم في حلقة الشيخ مرتضىٰ الأنصاري لكنه لم يكن يستوعب مادّة الدرس فتأثر لذلك أشدّ التأثر فذهب الى مرقد أمير المؤمنين ليتوسل الى الله فرأىٰ في تلك الليلة فيما يرىٰ النائم أمير المؤمنين يقرأ في أذنه: بسم الله الرحمن الرحيم، فلما أصبح الصباح وانطلق الى أستاذه وشيخه للدراسة اذا به يستوعب كل ما يلقيه أستاذه الأنصاري وراح يتقدم في دراسته شيئاً فشيئاً الى الحدّ الذي بدأ فيه يتحدث في الدرس. وذات يوم وعندما أنهى الشيخ درسه وذهب اليه التلميذ فإذا بالاستاذ يهمس في أذنه شيئاً: ان الذي قرأ في أذنك «بسم الله..» بسرعة قد قرأ في أذني حتى «ولا الضالّين» قال ذلك وانصرف، فتعجب التلميذ من ذلك وأدرك ان للشيخ الأنصاري كرامة عند الله ذلك ان موضوع الحلم لم يطلع عليه أحد.

ان المصادر المعتمدة في ما كتب عن الشيخ الأنصاري هي: حياة أستاذ الفقهاء الشيخ الأنصاري ومؤلف هذا الأثر هو ضياء الدين وهو سبط الشيخ، وكتاب حياة شخصية الشيخ الأنصاري وكتاب تنقيح المقال وكتاب أعيان الشيعة، الجزء الرابع.

وفاته

توفي الشيخ مرتضىٰ الأنصاري في الثامن عشر من جمادى الآخرة من سنة (١٢٨١ هـ) في النجف الأشرف عن عمر ناهز السابعة والستين وقد صلّىٰ على

جثمانه حشد من العلماء في طليعتهم الشيخ راضي علي بيك تلميذ صاحب الجواهر، والملّا محمد الطالقاني، المولىٰ علي محمد الطالقاني، المولىٰ علي محمد الخوئي والحاج السيد علي الشوشتري الذي أمّ المصلّين على الجنازة ليوارى الثرىٰ في الحجرة المتصلة بـ«باب القبلة» في الصحن وقد أرّخ ميلاده ووفاته شعراً أخوه الشيخ منصور[١].

(١) حياة وشخصية الشيخ الأنصاري، مرتضى الأنصاري / ١٧٢ ط المؤتمر العالمي لتكريم الشيخ الأنصاري بمناسبة مرور قرنين على ميلاده.

السيد محمد باقر الشفتي /المتوفى سنة ١٢٦٠ هـ

كان السيد محمد النقي من أحفاد الامام موسى بن جعفر عليه السلام وكان واعظاً ومرشداً لقرية «جرزة» من ضواحي ناحية «طارم عليا» الواقعة في اقليم زنجان في شمال ايران وتبعد عن المدينة مسافة ٥٠ كم فيما تقع مدينة شفت وهي من نفس الاقليم على بعد ٦٠كم من مدينة رشت في اقليم جيلان الشهير بالغابات.

في عام (١١٧٥ هـ) وفي بيت طيني من بيوت تلك القرية ولد محمد باقر[١] ليشيع البهجة في ذلك البيت الريفي المفعم بروح الايمان ويترعرع محمد باقر شيئاً فشيئاً ويتشرب دروس الحياة وكان والده ذلك الرجل التقي أول معلميه.

وفي عام (١١٨٢ هـ) هاجرت الأسرة الى مدينة «شفت» من أجل التفقه في الدين وارشاد المؤمنين[٢] وكانت هذه الهجرة مباركة فلقد هيأت للصبيي أوسع بكثير من أجل طلب العلم بسبب توفر أسباب الدراسة والمعرفة فراح يغرف من فيض الينابيع العلمية الى أن شعر ان ظمأه لن يرتوي في شفت فراح يتطلع الى «العراق».

---

(١) الكرام البررة، آقا بزرك الطهراني ١ / ١٩٣.

(٢) اختران تابناك (الكواكب الساطعة) ذبيح الله محمدي ١ / ٣٩٤.

الهجرة

في غروب أحد الأيام من عام (١١٩٢ هـ) قدر لهذا الشاب الفقير أن يضع قدميه أرض كربلاء[١] ولينتظم في حلقة السيد علي الطباطبائي الدراسية وامتدت اقامة الشاب في ظلال منائر سيد الشهداء الى عام كامل وقد تتلمذ خلال تلك الفترة على يد العلّامة الوحيد البهبهاني وكان ينعم بدعم استاذه السيد علي الطباطبائي حيث الأخير خبير باكتشاف المعدن النبيل. ولقد كان الاستاذ يعرف الحالة المزرية التي كان فيها محمد باقر الشفتي فأوكل من يعد لهذا الطالب المجدّ الفقير رغيفين لغدائه وعشائه[٢].

وفي عام (١١٩٣) غادر السيد مجمد باقر الشفتي كربلاء الى مدينة النجف الأشرف، حيث السيد مهدي بحر العلوم تتلاطم أمواجه وتفيض، ومنذ أن وصل الشفتي وانتظم في حلقات الدراسة اكتشف بحر العلوم «الدرّة» الجديدة[٣] واللؤلؤة المتألقة ولم يكن السيد محمد باقر الشفتي ليتصنع بدروس المرجع الكبير فتتلمذ على يد العلّامة الكبير الشيخ جعفر كاشف الغطاء.

هدية النجف

لم تمنح النجف للسيد الشفتي الروح والعلم بل منحته أيضاً فرصة التعرف على شخصية سيكون لها دور في حياته انه الطالب المجد والمجتهد محمد ابراهيم الكلباسي وقد تعرف عليه في حلقة السيد مهدي بحر العلوم لقد كان تعرفه على

---

(١) معارف الرجال ١ / ١٩٥.

(٢) قصص العلماء، التنكابني / ١٤٠.

(٣) المصدر نفسه.

ذلك الانسان التقي بمثابة العثور على كنز[١].

لم نجد تاريخاً محدداً لهذه الصداقة التي نشأت بينهما ولكن المشهد الخالد لذلك اليوم سوف يرسخ هذه الصداقة الى الأبد فقد صادف ان دخل محمد ابراهيم الكلباسي حجرة السيد الشفتي ذلك الشاب الفقير فإذا به يواجه مشهداً يهز الضمير والوجدان كانت الكتب نصف مفتحة ومتناثرة على أرضية الحجرة وانـاء المـاء المصنوع من الفخار منكفئاً أما الشاب القادم من الشمال الايراني فقد بدأ كالموتىٰ متمدداً فوق الحصير.. وأدرك الكلباسي الذي كان يعرف ظرف الشفتي انه الجوع قد صرع زميله، فانطلق الى السوق ليحضر طعاماً يسد به رمق صاحبه وينقذه من الموت جوعاً[٢].

وامتدت اقامة السيد محمد بـاقر الشـفتي فـي مـدينة النـجف حـتى سـنة (١٢٠٤ هـ)[٣] ليصاب ليسقط مريضاً بسبب علّة أضطرته للسفر الى بغداد[٤] وهناك مكث أربعة أشهر مليئة بالألم اختزنها تجربة لتسفر عن كتابه النـفيس؛ «الحـلية اللامعة»[٥] ولعل مجيئه الى بغداد هو الذي دفعه الى التتلمذ على يد السيد محسن الأعرجي في مدينة الكاظمية[٦] ومكث الشفتي في الكاظمية مدّة عام ليشدّ بعد ذلك الرحال الى ايران وكان ذلك في عام (١٢٠٥ هـ).

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) أعيان الشيعة ٩ / ١٨٨.
(٤) قصص العلماء / ١٣٦.
(٥) أعيان الشيعة ٩ / ١٨٨.
(٦) روضات الجنات ٢ / ١٠٠.

محفل السعداء

كانت مدينة قم المقدسة والحلقة الدراسية للميرزا ابو القاسم بن ملّا محمد الكيلاني أول محطة للسيد التقي الشفتي فقد مكث مدّة ينهل من تلك الفيوضات المعرفية من بحر المحقق القمي ثم شدّ الرحال الى كاشان، وهناك انتظم في درس ملّا مهدي النراقي وفي عام (١٢١٦ هـ) غادر كاشان متوجهاً نحو اصفهان[١].

في سماء اصفهان

لم يكن مع السيد محمد باقر الشفتي سوىٰ كتاب واحد وكسيرات خبز[٢]، وفي مدرسة «جهار باغ» (الحدائق الأربع) وجد الشفتي له منزلاً ومأوىٰ لكنه سرعان ما انتقل الى مدرسة أخرى بعد أن أدرك ان حلقته الدراسية تزعج مسؤول المدرسة وفي المدرسة الجديدة راح الشفتي يمارس التدريس.

النيلوفر السماوي

في ظلال من جهوده تربىٰ فقهاء حلقوا في سماء العلم والايمان وهذه أسماء بعض من تتلمذوا ودرسوا لديه:

١ – الشيخ محمد مهدي ابن الحاج محمد ابراهيم الكلباسي.

٢ – الميرزا ابو القاسم ابن الحاج سيد مهدي الكاشاني.

٣ – الحاج محمد جعفر الآبادي.

٤ – محمد شفيع الجابلقي (المتوفىٰ سنة ١٢٨٠ هـ).

٥ – صفي علي اللاهيجي.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الروضة البهية، الجابلقي، طبعة حجرية.

٦ - ملّا صالح البرغاني القزويني.

٧ - ملّا جعفر النظر آبادي.

٨ - محمد التنكابني.

٩ - السيد محمد باقر الخوانساري.

١٠ - السيد علي الطباطبائي الزوارئي، وعشرات غيرهم(١).

آثاره

يربو عدد مؤلفاته على الستين ونذكر من بينها هذه العناوين:

١ - تحفة الأبرار المستنبط من آثار الأئمة الأطهار.

٢ - الزهرة البارقة في أحوال المجاز والحقيقة.

٣ - شرح تهذيب الأصول للعلامة الحلّي.

٤ - مطالع الأنوار في شرح شرايع الاسلام.

٥ - رسالة في المشتق.

٦ - رسالة في أحكام الشك والسهو في الصلاة.

٧ - رسالة في عدم جواز البقاء على تقليد المجتهد الميت.

٨ - حواشي على فروع الكافي.

٩ - جوابات المسائل.

اجراء الأحكام

كان السيد محمد باقر الشفتي يولي مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

---

(١) انظر المصدر السابق / ١٤٣ - ١٤٤؛ تذكرة القبور، عبد الكريم الجزي / ٣١ - ١٥٩؛ لباب الألقاب، حبيب الله الكاشاني / ٨٧؛ أحسن الدول، محمد مهدي الموسوي / ٢٩ - ٣٨.

أهمية خاصة وهو في هذه المسألة لا يجامل أحداً وهذا ما جعله في مواجهة مستمرة مع الأوباش وقد زج في السجن في احدىٰ المرّات ولكن إمام جمعة المدينة لم يقف مكتوف الأيدي فعمل على اطلاق سراحه[١].

غير ان السجن لم يزده الاّ تصميماً على النهوض بمسؤوليته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مستعداً لتحمل النتائج مهما كانت، ولهذا فإنه قام باجراء حكم الاعدام بحق شخص اعترف بارتكابه جريمة توجب الاعدام وعندما استجوبه المسؤولون عن ذلك قال ان المعدوم اعترف وأقرّ بجرمه ثلاث مرّات ولهذا يجب اعدامه وقد قمت بتنفيذ الحكم.

ووقفت الحكومة حائرة بين غضب ذوي القتيل وبين الشفتي الذي يدعي الاجتهاد ولهذا توجهوا الى الفقيه الكبير السيد محمد الكربلائي يسألونه عن صحته مزاعم الشفتي بالاجتهاد فقال: لا تسألوا مني عن اجتهاده ولكن سلوه هو عني هل أنا مجتهد أم لا؟[٢].

مكافأة السماء

لقد مرّ السيد محمد باقر الشفتي بظروف صعبة للغاية ولكنه ليس من النوع الذي يستسلم أو يركن الى الظالمين من أجل دنيا يصيبها أو حياة دعة ينعم بها أو يستمتع فيها، من أجل هذا فقد رفض عرضاً للشاه في امامة مسجد أسس حديثاً مفضلاً العيش في حجرة صغيرة عارية من كل أسباب الرفاه على الحياة في قصر منيف ومقام رفيع في العاصمة طهران[٣]، ولكن هل كان الرجل يعيش الحرمان

---

(١) قصص العلماء / ١٤٣ - ١٤٤.

(٢) بيان المفاخر، مصلح الدين المهدوي ١ / ١١٤.

(٣) قصص العلماء / ١٤٠.

كلا لقد كان ينعم ببركة من السماء فلقد انفتحت روحه على كنوز السماء وتفتح قلبه لتلقي الفيض الالهي وسرعان وجد الشفتي‌ﷺ تتداركه فقد عرض عليه هذه المرّة امامة المصلّين في مسجد الحاج طالب ثم مالبث أن تلقىٰ دعوة من أهالي «بيد آباد» لامامة المؤمنين في مسجد «الميرزا باقر» وارشادهم[١] وهكذا انطوت أيام الضيق والحرمان وتمكن السيد الشفتي من شراء منزل له في محلة «قبله دعـا» ولكن الشفتي لم يعد ما حصل عليه من حياة جديدة ثمرة لجهوده بل ان الله عز وجل رحمه ورزقه وهو لن ينسىٰ ذلك، لن ينسىٰ ان الله عز وجل استجاب دعاء ما في حقه وهو يروي حكاية عن تلك الفترة فيقول: ذهب الى السوق لشراء بعض الورق ثم بعد اشتريت ذلك مررت بقصاب واشتريت منه كبد غنم وهـو يـومئذ أرخص مالدىٰ القصابين ثم عدت الى المنزل فإذا أنا بجراء يتهافتون على أمهم الهزيلة وكانوا يبصبصون جائعين وقد جفت أنداء الأم الهزيلة فشعرت بالحزن لهم ووضعت ما اشتريت من كبد لهم وهجمت الجراء على الكبد من الجوع واذا بالأم وقد رأت جراء ما تشبع ترفع رأسها الى السماء، وبعدها انفتحت عليها البركات ورزقني الله الثروة والرخاء بعد سنوات الحرمان المريرة[٢].

حجة الاسلام

وبعد هذا التحول في حياته الاقتصادية أصبح السيد أكثر اصراراً في اجراء الأحكام الالهية وسرعان ما لقبه بعض العلماء بـ«حجة الاسلام» من قبيل الحاج محمد ابراهيم الكلباسي، وملّا علي النوري، هذا اللقب أصبح لقبه الذي سيعرف به لدىٰ الناس، لقد كان الكلباسي يجلّ السيد الشفتي كثيراً. كان يدعو الناس للاقتداء

---

(١) بيان المفاخر ١ / ١٤١.

(٢) قصص العلماء / ١٤٠.

به وقد قال مرّة من فوق المنبر ان رسول الله ﷺ لو بعث حيّاً بيننا وأراد أن يرسل حاكماً وحكماً يطبق الأحكام الشرعية فانه لن يكون غير حجة الاسلام[١] ومثل هذه الاشارات ساعدت على تنامي شهرة السيد الشفتي بين الأوساط وعززت من موقعه الاجتماعي، وعندما جاء فتح علي شاه لزيارة اصفهان لم يكن الشفتي يرىٰ ضرورة في استقباله ولقائه لكنه رأىٰ ان التقاء الشيخ قد يسهم في تخفيف الظلم والحرمان الذي يعاني منه الناس فهب الى لقاء الشيخ ليشرح له معاناة الناس ومشكلاتهم فقال الشاه وما تريد مني لك أنت؟ فقال السيد الشفتي: لا شيء فلا حاجة لي. ولكن الشاه أصرّ على أن يطلب منه شيئاً فقال الشفتي: إن كان ولابد من ذلك فأنا أطلب منك أن تصدر أمراً بوقف الـ«نقاره خانه»[٢] فبهت الشاه ولم ينبس ببنت شفه لكنه قال لأمين الدولة بعد مغادرة السيد للمجلس: يا له من سيّد يطلب منّي أن أوقف رمز قدرة سلطنتنا[٣].

اليد البيضاء

وكانت محبوبية السيد الشفتي ونفوذه في حالة تنامي يوماً بعد آخر لكنه لم ولن ينسى أيام الحرمان ومرارة العيش ولن ينسى ان الله رزقه وبسط عليه الرزق من بعد قدر ولهذا فقد كان سخياً يهب الفقراء وينجد المحتاجين والبؤساء ولم يكن يفرق في عطائه وسخائه بين شرائح المجتمع فالجميع أخوة له لا فرق بين سنّي وشيعي، فقد منح ذات يوم أحد أعلام السنّة مبلغاً كبيراً قدره ١٢٠٠٠ تومان

(١) المصدر السابق / ١١٩.
(٢) فرقة الموسيقىٰ التي ترتب استقبالات الشاه وزياراته الميدانية.
(٣) المصدر السابق / ١٤٣.

وعدّ ذلك هدية[1].

وارتقىٰ المنبر في أحد أعياد الغدير وطلب من الفقراء والمحتاجين أن يقفوا في نظام ويدخلوا المسجد واحداً واحداً وكان قد وضع أمامه أكياساً مليئة بالمسكوكات الفضية والذهبية فكان الفقير يدخل من باب فيهبه الفضة والذهب ليخرج من باب أخرىٰ فوزع ذلك اليوم ما يساوي ثمانية عشر ألف تومان[2] وهو مبلغ لا ينفقه عادة الاّ الملوك في ذلك الزمان.

وكان سيد الفقهاء في طليعة الذين يهبون اذا ما نزلت بالناس نازلة من سيل وزلازل وأوبئة تجتاح الناس والحياة، وكانت مساعداته ومعوناته المالية تنافس الحكومة اذا لم تفقها أحياناً فقد غطت مساعداته مدن كبرىٰ مثل اصفهان، يزد، شيراز، واقليم كيلان الذي اجتاحه الطاعون[3].

وكان يملك مخبزاً ودكاناً للقصابة واللحم في اصفهان وقد عيّن لأكثر من ألف بائس وفقير سهماً بالمجان من الخبر واللحم يأخذونه يومياً[4] وقد دفع ذلك بعضهم الى تقديم النصح له في الاحتياط في انفاق الحقوق الشرعية.

ومع تواضع السيد الجم ولكنه يقف كالطود الشامخ أمام المتسلطين وكان يتصرف ازاء المسؤولين الحكوميين بشيء من عدم الاكتراث فربما وقف حاكم المدينة في حضرته بعد أن يسلّم عليه ولكن السيد يبدي عدم اكتراث به مواصلاً عمله ثم ينظر اليه بعد ساعة ليقول له تفضل بالجلوس.

---

(١) تاريخ اصفهان، الجابري الأنصاري / ٩٧ ط حجرية.

(٢) قصص العلماء / ١٤٩.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

السفر الأخضر

بين عامي (١٢٣١ - ١٢٣٢ هـ) سافر السيد عن الطريق البحري الى الحجاز ومعه ثلّة من طلاب العلم[١] وفي تلك الرحلة كانت له مناظرات وحوارات مع علماء أهل السنّة وكان السبق له فيها مما أثار اعجابهم وجعلهم يتأثرون بشخصيته وأذعنوا له بالحدود التي حدّها للطواف[٢] كما تمكن من استعادة أرض فدك بما لها من ارث حقوقي وتاريخي الى سادات آل بيت النبي صلى الله عليه وآله القاطنين في الحجاز وقد سلّم له المسؤولون العثمانيون هناك له في هذه القضية[٣].

الحكم الفطن

ولقد وجد المظلومون في مرجعيته وزعامته ملاذاً وسنداً يأوون اليه ويستندون له لقد كان نصيراً قوياً للمظلومين وكان شديداً على الظالمين وله في هذا الميدان سجل ناصع ومآثر. وبالرغم من عدم وجود كتاب يشتمل على مآثره في هذا المضمار ولكن ما توفر من حكايات وروايات يكشف عن فطنة وذكاء وخبرة وهذا نموذج يعكس مدىٰ جهوده في سبيل احقاق الحق وابطال الباطل وتحقيق العدالة في المجتمع.

فقد جاء رجل يحمل سنداً ممهوراً وموقعاً من قبل العلّامة المجلسي، المحقق الخوانساري، آقا جمال الخوانساري وعلماء آخرين معروفين ويتضمن السند الحق في تملكه لأحدىٰ القرىٰ معتبراً أصحابها الفعليين غاصبين فنظر السيد الشفتي في السند ولم يشك في صحة التواقيع ولكن كيف يكون أصحاب القرية

(١) روضات الجنات ٢ / ١٠٢.
(٢) تاريخ اصفهان / ٩٧.
(٣) قصص العلماء / ١٤٤ - ١٤٥.

غاصبين وقد توارثوها عن الآباء والأجداد؟! وشيوخ تلك القرية المتقدمين في السن يؤكدون ذلك وينفون بشدّة انها مغتصبة! وهكذا توصل السيد الى أن السند مزوّر بطريقة ذكية ولكنه لا يملك الدليل على تزويره. وظل السيد يتابع هذه القضية عدّة أشهر وأخيراً توصل الى الحلّ لوضع خاتمة لهذه القضية؛ فقد استدعىٰ جمعاً من أساقفة الأرمن وعرض عليهم السند قائلاً: يبدو أن زوايا الورقة تاريخ واطلب منه تحديده وقراءته.

ولمعرفة هؤلاء الأساقفة باللغة الأجنبية فقد حددوا التاريخ فقام السيد بتحويل التاريخ الميلادي الى التاريخ الهجري بدقة وتصول الى أن السند نظم بعد وفاة أولئك الأعلام من العلماء بسنوات طويلة، وحينئذ قام بتمزيق السند وحكم لصالح أصحاب القرية[1].

وقد لاحق السيد خلال مرجعيته الكثير من القضايا وسعىٰ الى تطبيق الأحكام الالهية فقد اقتص من القتلة وأصدر أوامر باعدام المجرمين وكان يجري الحدود والتعزيرات ويقطع أيادي اللصوص والسارقين. يذكر أحد تلامذته أن السيد اقتص من سبعين شخص، ولقد جيء بمجرم أصدر بحقه حكم الاعدام لكن أحداً لم يجرؤ على تنفيذ الحكم فنهض السيد لاجراء الحكم وضرب عنق المجرم ضربة لم تودي به ثم ضربه ثانية، وبعدها صلّىٰ على جثمانه وقد تغيّر حاله ثم سقط مغشياً عليه[2].

ولم يكن فتح علي شاه ليتحمل وجود فقيه كالسيد الشفتي وكان يقلقه ذلك كما يقلقه رؤية ثروات الهند الاسطورية تنقل اليه[3] ولهذا عندما التقاه في أحد

(١) المصدر السابق / ١٣٩. - ١٤٠.
(٢) المصدر السابق / ١٤٥.
(٣) المصدر السابق / ١٤٢.

أسفاره الى اصفهان قال له أنت تصدر الحكم وتنفذه بنفسك؛ فما عملي أنا في هذه المملكة؟! وقد كان المرسوم في الماضي أن المجتهد يصدر الحكم والمسؤولون في الحكومة ينفذونه، فقال الفقيه السيد الشفتي: ليس من الصالح التأخير في اجراء الأحكام، ولا يجوز تأخير حكم الله حتى يصل اليك[١].

داء العشق

لقد جمع هذا الفقيه الكبير الأضداد في خصاله، ففي الوقت الذي نراه فيه يؤصل رؤوس قطاع الطرق والمعتدين والقتلة والمجرمين نراه فيما بعد يبكي وهو يناجي ربّه خاصّة ما يردده من مناجاة سيد الساجدين وزين العابدين الخمسة عشر[٢] فقد لاذت جارية كانت لأحد أعيان المدينة بعد أن فرّت من بين سيّدها الظالم فلما مكثت عنده مدّة طويلة رأىٰ أن تعود الى منزل سيّدها بعد أن أوصىٰ بمعاملتها معاملة حسنة وقد سألها مولاها كيف رأيت بيت السيد؟ فقالت الجارية رأيته في الليل مجنوناً وفي النهار حكيماً فسألها الرجل كيف؟ قالت الجارية: انه اذا مضىٰ شطر من الليل دخل الى مكتبته ثم ما يلبث أن يضرب على رأسه ويبكي فيقضي ليلة في الدعاء والصلاة فإذا طلع النهار ارتدى عباءته وجلس جلسة الحكماء[٣]، ولكثرة بكائه أصيبت عيناه بقروح ليرقد في فراش المرض وقد وصف له الأطباء الصلاح ولكن دون جدوىٰ ثم أدركوا أن هناك علاقة بين مرضه وبكائه فمنعوه من البكاء وقالوا انه حرام عليك لأن ذلك يوجب تقدم المرض[٤].

---

(١) تاريخ اصفهان والري حسن خان شيخ جابر الأنصاري / ٢٤٩.
(٢) قصص العلماء / ١٣٨.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.

المؤسسة الالهية

عام (١٢٤٥) هو عام التألق لمرجعية السيد الشفتي فقد خصص ثمانية آلاف متر مربع لتشييد أساس واحد من أكبر مسجد في العالم(١) وبدأ العمل بضربة معول وقد أعجزت الخريطة النفقات الحكومية وقد عرض البلاط على السيد الاسهام في النفقات لكن السيد لم يكن يريد من البلاط أية مشاركة في ذلك فقال الشاه للسيد سوف تعجز عن اتمام مثل هذا البناء الفخم فقال السيد ان يدي خزانة خالق الكون(٢) وسكت الشاه الذي لم يحر جواباً.

مكر البلاط

ذات يوم قال الشاه للسيد لقد عزمنا على صرف النظر عن أخذ الضرائب على أراضيكم وقراكم فسأل السيد: وهل يشمل ذلك منطقة اصفهان؟ أجاب الشاه: ان ضرائب المنطقة ثابتة، فالمبلغ الذي يتوجب عليكم دفعه يؤخذ من سائر الفلاحين. فقال المرجع وقد اكتشف مكر البلاط الذي يهدف الى انقال كاهل الناس بالضرائب. هذا ظلم صارخ انني لن أقبل بذلك.. لن أقبل أن يدفع الناس ضرائب ما أملكه من أرض(٣).

ارادة الشاه

كان عام (١٢٥٠ هـ) عاماً صعباً للسيد الشفتي، فالبلاط كان يفكر القضاء على نفوذ المرجعية ولهذا عندما سافر الشاه الى اصفهان طلب من السيد الشفتي أن

---

(١) اصفهان، لطف الله / ٢٦٣.

(٢) وما يزال المسجد اليوم يحمل اسمه إذ يدعى «مسجد السيد» في اصفهان.

(٣) بيان المخافر / ١٤٩ - ١٥٠.

يضع تحت تصرف الحكومة جزءاً من أموال المرجعية وقد رفض السيد ذلك، ولكن الشاه كان عقد العزم فأصر على السيد مرّة أخرىٰ ولكن السيد رفض التنازل عن أموال ضخمة فأجاب الشاه أن المأمورين سوف يأتون اليك في يوم كذا لاستلام الأموال، وفي اليوم الموعود وعندما كان السيد يتوضأ ويستعد للذهاب الى المسجد وصل المأمورون وطلبوا من السيد أن يسلم المال. فرفع السيد يديه الى السماء وقال: اللهم من يكون فتح علي شاه أنت من يدفع شرّه. قال ذلك ثم انطلق الى المسجد فيما جلس المأمورين ينتظرون عودته الى الصلاة، وعندما عاد السيد من المسجد طالبه المأمورون بالمال فقال السيد: لقد أرسلته الى المعسكر (محل اقامة الشاه) فاذهبوا الى هناك وعندما وصل المأمورون الى معسكر الشاه اذا بهم يسمعون خبر هلاكه[1].

موسىٰ بن جعفر عليه السلام

بعد وفاة فتح علي شاه تربع على عرش السلطنة محمد شاه الذي بدأ بالقضاء على خصومه ومنافسيه ليصبح الحاكم المقتدر في البلاد وقد شجع الشاه الجديد على نمو التيار الصوفي بمنظومته المعادية للفقهاء. وفي هذا الاتجاه تمت تصفية الميرزا ابو القاسم الفراهاني[2] في عام (١٢٥٢ هـ) وتنصيب الحاج ميرزا آغاسي المعروف بعلاقته الوطيدة مع المتصوفة وقد حاول السيد الشفتي من خلال ارسال ابراهيم الكلباسي الى طهران والاشتراك في بعض المراسم في البلاط ثني الشاه عن توجهه في معاضدة الصوفية والكف عن عدائه لعلماء الدين. وقد حذره في أحد اللقاءات قائلاً: أعيذك أن تكون عدواً للامام موسىٰ بن جعفر عليه السلام! فقال الشاه:

---

(١) بيان المفاخر / ١٤٩ – ١٥٠.

(٢) ناسخ التواريخ، الكاشاني ٢ / ٢١٩.

انني أكنّ الاخلاص لكل المعصومين؛ فقال الحاج الكلباسي ان من يعادي السيد حجة الاسلام (الشفتي) فهو عدو لجدّه موسىٰ بن جعفر.

رسالة الشيطان

في ربيع الثاني من سنة (١٢٥٣ ﻫ) قام محمد خان بالسفر الى افغانستان من أجل تأديب حاكمها مؤهل «هرات» في خريف نفس العام وضرب الحصار حولها[١] وقد حاول الوزير المفوض البريطاني الاستفادة من نفوذ المرجع الشفتي فأرسل اليه بطلب منه التدخل ووقف الاشتباكات الدائرة وانسحاب القوات الايرانية ولكن المرجع خيب آماله وقام بمعاضدة المسؤولين الايرانيين في العاصمة لأنه لا يرىٰ سوىٰ مصالح الاسلام والمسلمين واضعاً إياها فوق كل اعتبار[٢].

المؤامرة

وشاء القدر أن تحدث انتفاضة في اصفهان ضد الحاكمين مما أثار غضب الشاه الذي قرر تأديب الثائرين والانتقام من السيد الشفتي متهماً إياه بأنه وراء ما حدث وان السيد يعمل على زعزعة حكومته[٣].

ولكن الله عز وجل انقذه وزاد من نفوذ السيد[٤] ليعود الشاه وهو يجرجر أذيال الخيبة الى طهران، ولكن عودته لم تكن تعني نهاية التآمر بل انه أخذ شكلاً

---

(١) تاريخ ايران، جواد مشكور / ٣٤١.
(٢) المصدر السابق / ١٣٩ – ١٤٠.
(٣) تاريخ اصفهان / ٢٥٦ – ٢٥٧.
(٤) قصص العلماء / ١٤٤ – ١٤٥.

خطيراً استهدف القضاء على النفوذ السياسي والاجتماعي للمرجع السيد الشفتي وكانت فكرة اغتياله بالسم ما تمخضت عنها العقول الحاكمة واضافة الى ذلك انطلق اربعة من جلاوزة الشاه لتنفيذ مؤامرة تصفية السيد منها باطلاق النار عليه تحت جنح الظلام ولكن الله سلّم[١].

دعوة مستجابة

في عام (١٢٥٧ هـ) لجأ الفقيه الكبير محمد تقي ابن أبي طالب اليزدي الى حريم المرجعية ما أثار غضب الشاه مرة أخرىٰ فهو لا يتحمل وجود نقطة في ايران خارج سطوته ونفوذه وحاكميته ولهذا قرر بنفسه القاء القبض عليه وملاحقته على مواقفه ضد الانحراف وفي مدينة اصفهام قام جلاوزة الشاه بالهجوم على حريم المرجعية وتم اعتقال اليزدي الذي سيق مخفوراً الى طهران[٢]. ولم يكتف الشاه بذلك بل قرر القضاء على المرجعية وكانت الخطوة الأولىٰ الاستيلاء على ثرواتها وممتلكاتها التي هي ممتلكات المسلمين وكانت هذه الخطوة ضربة قوية لهذا الكيان[٣].

وقد حز هذا الاجراء العنيف في قلب المرجع الشفتي ولذلك كان يصغي بألم الى قرع الطبول والأبواق فرفع كفيه الى السماء وهتف متضرعاً: اللهم لا تضاعف ذل ابن الزهراء عليها السلام.

واستجاب الله عز وجل دعاء عبده المقهور، ففي عام (١٢٦٠ هـ) انشب المرض العضال مخالبه في جسم السيد الشفتي وراح ينهش بقوة ولم تمض سوىٰ

---

(١) المصدر السابق ١٦٧ – ١٦٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

فترة قليلة حتى أسلم الروح وكان ذلك في أحد أيام ربيع الثاني بعد أداء صلاة الظهر[١]..

وقام الملّا علي أكبر الخوانساري بغسل جثمان المرجع الكبير وقد غسل في داره ليصلّي عليه نجله السيد أسد الله ليواريٰ الثرىٰ في مرقد كان قد أعدّه من قبل..

وأولاده هم كل من:

أسد الله، أبو القاسم، جعفر، زين العابدين عبد الله، محمد علي، مؤمن، محمد مهدي، هاشم، كوهر سلطان، زينب بيكم وأختها الجليلة.

---

(١) المصدر السابق / ١٦٨.

الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر
المتوفى سنة ١٢٦٦ هـ

ولادته

في عام (١٢٠٠ هـ)[١] ولد محمد حسن وابتهج بيت نجفي صغير بولادته.

وقد أشارت بعض المدوّنات الى هجرة الأسرة من مدينة اصفهان الى النجف الأشرف فقد هاجر الشيخ عبد الرحيم الشريف وهو الجدّ الثالث للشيخ محمد حسن النجفي الى النجف الأشرف من أجل مواصلة دراسته وخلال اقامته في النجف الأشرف ولد له محمد الأكبر ومحمد الأصغر (الجدّ الثاني للشيخ محمد حسن) وهو مؤلف كتاب «الاقتباس والتضمين في العقائد» وهكذا فقد قدر للشيخ محمد حسن أن يفتح عينيه في الحياة وسط أسرة عرفت بالعلم والفضيلة والتقىٰ.

في حوزة النجف انتظم محمد حسن في سلك الحوزة العلمية وهو ما يزال في نعومة أظفاره وذلك بعد أن تعلم القراءة والكتابة وفي فترة وجيزة أنهىٰ مرحلة المقدمات والسطوح ليتتلمذ على أيدي أبرز أساتذة النجف يومذاك من قبيل حسين الشقرائي العاملي (المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ) والشيخ قاسم آل محيي الدين (المتوفى سنة ١٢٣٨ هـ) والشيخ حسن (المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ) وأصبح من طلاب دروس الخارج في الفقه والأصول وهو ما يزال يافعاً بعد. وأمضىٰ محمد حسن

---

(١) «ان التاريخ المذكور هو متوسط الروايات التي تذكر أن ولادته كانت بين السنوات ١١٩٢ - ١٢٠٢ هـ» انظر الكرام البررة ١ / ٣١١؛ الذريعة ٥ / ٢٧٥ - ٢٧٦؛ روضات الجنات ٢ / ٣٠٥ - ٣٠٦.

سنين طويلة ينهل من دروس عباقرة الحوزة العلمية ومن طليعتهم آية الله الشيخ جعفر كاشف الغطاء، آية الله السيد مهدي بحر العلوم، آية الله السيد جواد العاملي وآية الله الشيخ موسىٰ كاشف الغطاء[١]. وبسبب نبوغه وجده واجتهاده فقد تمكن من بلوغ مرتبة الاجتهاد وهو في الخامسة والعشرين من عمره ليبدأ العمل في تأليف موسوعته الكبرىٰ «جواهر الكلام» كما شرع في التدريس.

المربي الكبير

وانتعشت الحوزة العلمية مع بدء صاحب الجواهر اشتغاله في التدريس وكأن البركة قد حلّت بقول آقا بزرك الطهراني:

«ان ما امتاز به صاحب الجواهر على غيره من العلماء ان بين تلامذته كانوا علماء كبار مبرزين وقد تربوا في ظلاله ثم انتشروا في نقاط عديدة ليصبح بعضهم مراجع جلسوا للفتوىٰ[٢].

ومن بين تلامذته:

١ - آية الله سيد حسين الكوكمري: وهو نجل السيد محمد وهو من ذرية الامام الحسين وبينه وبين الامام أربعة وعشرون ظهراً. ولد في قرية «أرونق» من توابع «كوه كمره» في تبريز وبعد اتمامه دراسته الابتدائية وتعلمه القراءة والكتابة انتظم في الحوزة العلمية في تبريز، ومن تبريز ذهب الى كربلاء ومنها الى النجف الأشرف وتتلمذ عند صاحب الجواهر والشيخ الأنصاري ونال درجة الاجتهاد[٣]، وقد اشتهر بتواضعه[٤].

---

(١) الكرام البررة ١ / ٣١١؛ الفوائد الرضوية / ٤٥٣؛ مقدمة جواهر الكلام، محمد رضا المظفر ١ / ٢٢.

(٢) الكرام البررة ٢ / ٣٠٥.

(٣) معارف الرجال، محمد حرز الدين ١ / ٢٦٢ - ٢٦٣؛ ريحانة الأدب، التبريزي ٥ / ١٠٥ - ١٠٦.

وبعد وفاة الشيخ الأنصاري (سنة ١٢٨١ هـ) تسنم الكوكمري المرجعية وكان الشيعة في آذربيجان وجورجيا وارمينيا من مقلديه، توفي سنة (١٢٩٩ هـ) في مدينة النجف الأشرف وقد دفن في المقبرة المعروفة باسمه في مقابل مرقد صاحب الجواهر[٥].

٢ - آية الله الشيخ جعفر الشوشتري: نجل حسين من أهل شوشتر سافر مع والده الى النجف الأشرف مع والده وانتظم في حلقة صاحب الجواهر، وبعد سنوات من الدراسة والتحصيل العلمي عاد الى مسقط رأسه لأداء رسالته الأخلاقية في التبليغ حيث مكث ثلاثين سنة ليعود بعد ذلك مرّة أخرىٰ سنة (١٢٩١ هـ) وكان يخطب في صحن المرقد الطاهر للامام علي عليه السلام وفي عام (١٣٠٢ هـ) شدّ الرحال الى مدينة مشهد لزيارة مرقد الامام الرضا عليه السلام، وخلال تلك المدّة طلب منه علماء طهران ان يمكث مدّة في طهران، فكان أول من أم المصلّين في مسجد سبهسالار.

لقد كان الشيخ جعفر الشوشتري مرجعاً ومحدثاً[٦] كبيراً ومع ذلك لم ينصرف الى التدريس والافتاء كغيره ممن هم في منزلته بل كان يعتلي المنبر الحسيني للوعظ والارشاد يحذوه الى ذلك حبه وولائه وعشقه لأهل البيت عليهم السلام.

وأخيراً وفي يوم (٢٨ أو ٢٩ من شهر صفر سنة ١٣٠٣ هـ) وفي طريق عودته الى النجف الأشرف وفي مدينة كرند غرب ايران لبىٰ دعوة الحق ليودع الحياة الدنيا ويوارىٰ الثرىٰ في مدينة النجف الأشرف.

٣ - الملّا علي كني: في سنة (١٢٢٠ هـ) وفي قرية «كن» في طهران ولد ملّا

---

(٤) انظر: العدل الالهي، مرتضى مطهري / ٣٣٠ - ٣٣١.

(٥) الذريعة ٣ / ١٩٢؛ معارف الرجال ٢ / ٣٦١ - ٣٦٣.

(٦) رسالته العملية (منهج الرشاد).

علي كني، انتظم في سلك الحوزة العلمية في مدينة النجف الأشرف وتتلمذ على يدي صاحب الجواهر ان حصل على درجة الاجتهاد ليعود الى طهران وينهض برسالته في التبليغ الديني اضافة الى التأليف، له آثار عديدة في الفقه والأصول والتفسير والحديث والرجال، توفي في صباح السابع والعشرين من محرم الحرام سنة (١٣٠٦ ﻫ) ودفن في مرقد عبد العظيم الحسني الى جانب قبر «حمزة» من ذرية النبي صلى الله عليه وآله.

٤ – الشيخ محمد الايرواني: نجل محمد باقر الايرواني ولد في سنة (١٢٣٢ ﻫ) وغادر «ايران» في شبابه مهاجراً الى مدينة كربلاء المقدسة حيث تتلمذ على يد سيد ابراهيم القزويني ومن كربلاء سافر الى النجف الأشرف ليدرس على يد أكابر أساتذتها وفي طليعتهم صاحب الجواهر والشيخ الأنصاري وعندما نال درجة الاجتهاد عرف بـ«الفاضل الايرواني»، وبعد وفاة آية الله السيد حسين الكوكمري (سنة ١٢٩٩ ﻫ) أصبح مرجعاً للشيعة في ايران والهند، تركيا، القفقاز وروسيا وتخرج على يديه عشرات العلماء.

له مؤلفات في الفقه والأصول والتفسير توفي سنة (١٣٠٦ ﻫ)[١].

مؤلفاته

في طليعة ما أنتجه الشيخ محمد حسن النجفي موسوعته الكبرى «جواهر الكلام» حيث شرع بتأليفها وهو في الخامسة والعشرين من عمره وجواهر الكلام هذا شرح لـ«شرائع الاسلام» للمحقق الحلي، يعد «جواهر الكلام» دائرة معارف كبرىٰ في الفقه الشيعي استغرقت من الرجل اثنين وثلاثين سنة قال عنه السيد

(١) الذريعة ٣ / ١٩٢؛ معارف الرجال ٢ / ٣٦١ – ٣٦٣.

محسن الأمين (المتوفىٰ سنة ١٣٧١ ﻫ) انه كتاب فريد لا نظير له، وقال عنه الشيخ الأنصاري ان هذا الكتاب وكتاب رسائل الشيعة كان لأي مجتهد يريد استنباط حكم الله وهما يغنيان عن مراجعة كتب الأقدمين[1].

واضافة الى هذه الموسوعة الضخمة هناك مؤلفات أخرىٰ نذكر منها مايلي:

١ – نجاة العباد في المعاد: في أحكام الطهارة والصلاة.

٢ – هداية الناسكين؛ في أحكام الحج.

٣ – رسالة في أحكام الخمس.

٤ – رسالة في أحكام الصوم وقد ترجمت الى الفارسية.

٥ – رسالة في أحكام الارث.

٦ – مقالات في أصول الفقه.

وكان صاحب الجواهر مستمراً في نشاطه التأليفي الى آخر أيام عمره المبارك وقد عزم على شرح كتاب «القواعد» للعلامة ولكن الأجل لم يمهله[2].

ولاية الفقيه

طرحت ولاية الفقيه في الفكر الشيعي في فترة مبكرة تاريخ الامامية ويعد أصل ولاية الفقيه من المسلمات لدىٰ كثير من الفقهاء ولكن الاختلاف حول رفعة هذه الولاية فهي تتسع لدىٰ بعضهم وتضيق لدىٰ آخرين ويرىٰ صاحب الجواهر انه في غياب ولاية الفقيه فان كثيراً من أمور الشيعة وشؤونهم سوف تعطل وتتوقف[3].

---

(١) أعيان الشيعة ٩ / ١٤٩.

(٢) معارف الرجال ٢ / ٢٢٦.

(٣) جواهر الكلام ٢١ / ٣٩٧.

وهو ينكر على بعض الفقهاء الذين يشككون في ولاية الفقيه واصفاً ايـاهم بأنهم لم يتذوقوا طعم الفقه ولم يفهموا أحاديث الأئمة الأطهار[١].

السير الخضراء

قام صاحب الجواهر ببعض المشاريع العمرانية ومن بينها بناء منارة لمسجد الكوفة ومكان للوضوء ومنزل للخدم في مسجد السهلة وبناء مرقد لسيدنا مسلم بن عقيل ﷺ ومرقد هاني بن عروة ﷺ وكلها في مدينة الكوفة[٢].

عرف صاحب الجواهر في تأنقه وارتدائه الثياب النظيفة وهو في نفس الوقت معروف بقناعته وتواضعه وصبره وكان يحترم تلامذته ويكرم المجدّين منهم. فقد أثنىٰ على أربعة من تلامذته وأشاد بهم كثيراً وهذا يندر عادة من المراجع من هم في منزلته العلمية وموقعه الاجتماعي وتلامذته الذين أشاد بهم هم كل من:

١ - الحاج ملّا علي كني ٢ - الشيخ عبد الحسين المعروف بشيخ العراقيين ٣ - الشيخ عبد الرحيم البروجردي ٤ - الشيخ عبد الله نعمة العاملي[٣].

كان صاحب الجواهر يمجد سعي الآخرين ويشجعهم فقد أشاد بقصيدة للشاعر العربي «الأزري» وهو في مدح أهل البيت عليهم السلام قائلاً أتمنىٰ لو أن قصيدة الأزري الهائية تكتب في صحيفة أعمالي ويكتب «الجواهر» في صحيفة أعماله[٤].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الكرام البررة ١ / ٢٢٨.

(٣) تكملة أمل الآمل، السيد حسن الصدر / ٢٧١.

(٤) مفاتيح / ٣٢٨.

انتخاب الأصلح

في أواخر شهر رجب من سنة (١٢٦٦ ﻫ) ومن على فراش المرض طلب صاحب الجواهر من علماء النجف الكبار أن يجتمعوا عنده ولبّىٰ الجميع الدعوة فيما كان الحزن يعلو الوجوه، وراح صاحب الجواهر يجيل النظر في الوجوه ثم قال:

- ولكن أين الشيخ مرتضىٰ؟
- لم يأت.

قولوا له يحضر.

وانطلق بعضهم يبحث عن الشيخ الأنصاري وعندما جاء الرجل التقي قال صاحب الجواهر: كيف تتركنا في هذا الوقت الحساس؛ فقال الشيخ مرتضىٰ الأنصاري: لقد ذهبت الى مسجد السهلة من أجل الدعاء لكم بالعافية. قال صاحب الجواهر: ان كل الشؤون الدينية المرتبطة بي أضعها في يدك وهذه أمانة الهية لديك، أنت من بعدي ستكون المرجع للشيعة فاسع الاّ تكثر من الاحتياط. الاحتياط الكثير يوقع الأمة في حرج، ان دين الاسلام هو دين جامع وسهل[١].

الوصل والهجران

أطل شهر شعبان من سنة (١٢٦٦ ﻫ) وآن لهذا الرجل العظيم أن يودع الدنيا بعد أن ترك للأجيال جواهر في العلم والمعرفة، كان الشيخ النجفي يستنشق أنفاسه الأخيرة وكانت شفتاه تتمتان بالصلاة وبعدها توقف القلب الكبير وتغمض العينان ليرقد ذلك العالم الكبير بسلام.

---

(١) ماضي النجف وحاضرها، شيخ باقر آل محبوبة ٢ / ١٣٤.

وغرقت المدينة فيحزن مرير واتشعت ملامحها بالسواد حداداً على الراحل، وقد دفن الى جانب مسجده في مكان كان قد أعده من قبل، وأقيمت مجالس العزاء وقراءة الفاتحة على روحه الطاهرة في كثير من المدن.

ترك وراءه أولاد ثمانية كلهم من العلماء وهم: الشيخ محمد، الشيخ عبد العلي، الشيخ عبد الحسين، الشيخ باقر، الشيخ موسىٰ، الشيخ حسين، الشيخ حسن، الشيخ ابراهيم وعدّة بنات.

ملّا هادي السبزواري / المتوفى سنة ١٢٨٩ هـ

اشراقة النور

في عام (١٢١٢ هـ) وفي مدينة سبزوار وفي بيت من بيوتها ولد صبي مبارك وفتح عينيه للحياة والنور وابتهج قلب والده الحاج ميرزا مهدي وامتلأ قلبه المفعم بالايمان والتقوىٰ بالأمل والبهجة والسعادة.

في سن الثامنة من عمره بدأ السبزواري دراسته فكانت المقدمات هي البداية، حيث درس علوم العربية (الصرف والنحو) ليرقى الى ما هو أعلى من الدروس الرائجة يومذاك، توفي أبوه وهو في العاشرة من عمره وما أصعب الحياة على صبي في مثل هذه السن إذ سيكون طريقه مليئاً بالصعوبات لكن ذلك لم يفتّ في عضده ولم يثنه عن مواصلة الطريق وقد قبض الله لهذا اليتيم من يسنده ويقف الى جانبه ويشجعه على مواصلة طريقه الذي بدأه منذ أكثر من عامين وفي طليعة من عضده ابن عمته الحاج ملّا حسين السبزواري وهو أيضاً من أهل الفضل والعلم فقد كان يشجعه باستمرار ويشدّ على يده[1]؛ وهكذا وجد السبزواري نفسه يتجه الى مدينة مشهد لينتظم في سلك حوزتها العلمية.

---

(١) حياة الحاج ملّا هادي السبزواري، ولي الله أسراري / ١.

البحث عن الحكمة

كانت اصفهان حاضرة العلم والثقافة والفكر وقد تألقت في سماء المجد وشاء القدر أن تكون اصفهان احدىٰ محطات حياة السبزواري إذ انه كان عازماً على حج بيت الله الحرام وكانت اصفهان في طريق القوافل القادمة من مشهد وخراسان ولأن السبزواري وجد فسحة من الوقت قبل موسم الحج فقد مكث في هذه المدينة مدّة من الزمن كانت اصفهان يومذاك تزخر بالكثير من الأساتذة والعلماء المبرزين وفي طليعتهم: الحاج الشيخ محمد تقي مؤلف كتاب «هداية المسترشدين» والحاج محمد ابراهيم الكلباسي مؤلف كتاب «اشارات الأصول»، وآية الله ملّا اسماعيل الكوشكي أحد أبرز الأساتذة المعروفين في اصفهان وهكذا اغتنم السبزواري الشاب هذه الفرصة ليحضر دروس أولئك الأساتذة المبرزين وعندما حضر درس الكوشكي شعر السبزواري الطالب المجدّ بأنه عثر على ضالته التي كان يبحث عنها، وقد بلغ من اعجاب التلميذ القادم من سبزوار باستاذه أنه قرر أن يكون سفر الى الحج سفراً في السير والسلوك وطلب العلم وهكذا أقام السبزواري في مدينة اصفهان ينهل من فيض العلوم والمعارف الدينية وامتدت اقامة السبزواري في اصفهان الى ثمان سنين وقد فتحت له العلوم والمعارف والحكمة آفاقاً رحبة. وبعد هذه الاقامة الطويلة عاد ملّا هادي السبزواري الى مدينة مشهد عام (١٢٤٢ هـ) ليمكث فيها خمس سنين اشتغل خلالها في التدريس.

ذكريات في حوزة كرمان

وفي أحد الأعوام شدّ ملّا هادي السبزواري الرحال الى حج بيت الله الحرام ليعود الى ايران عن طريق البحر حيث وصل ميناء بندر عباس وبسبب مخاطر الطريق يومذاك وانعدام الأمن فقد قرر السبزواري البقاء في كرمان حيث أقام في

مدرستها «معصومية» واتفق السبزواري مع خادم المدرسة على أن لا يعرف نفسه وكان الطلبة يظنون ان السبزواري أحد خدم المدرسة فكانوا يسمرون معه ليلاً ويتحدثون اليه نهاراً من دون أن يعرفوا أنهم في حضرة عالم كبير، ولكن الحقيقة كما الشمس لا يمكن حجب نورها طويلاً واكتشف الطلاب ان هذا الذي كانوا يظنونه خادماً ما هو الّا استاذ كبير متبحر في العلوم فالتفوا حوله وراحوا ينهلون من نمير علمه وانعقدت دروس الحكمة والعلم والمعرفة. وقدّر للسبزواري أن يمكث في مدينة كرمان برهة من الزمان.

أساتذته

١ - الحاج ملّا حسين السبزواري وهو ابن عمته وقد سبقت الاشارة اليه وكان ملّا هادي يذكره باجلال ويشيد بصفاته وخصاله من زهد وتواضع وعفاف وورع وقد درس على يديه علوم العربية واليه يعود الفضل في تشجيعه على مواصلة الدراسة رغم الصعوبات[١].

٢ - الحاج محمد ابراهيم الكلباسي (١١٨٠ - ١٢٦٢ ﻫ) وهو تلميذ السيد مهدي بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء والسيد علي الطباطبائي وقد عرف بفضله وزهده له مؤلفات منها: «اشارات الأصول»، «الايقاظات»، «شوارع الهداية الى شرح الكفاية»، وهو في شرح كفاية المحقق السبزواري و «منهاج الهداية الى أحكام الشريعة» ومؤلفات أخرىٰ[٢].

٣ - الشيخ محمد تقي المعروف بـ«صاحب هداية المسترشدين» (المتوفىٰ سنة (١٢٤٨ ﻫ) كان متبحراً في أصول الفقه وكان يدعىٰ لذلك بـ«رئيس

(١) أساس الحكمة السبزوارية / ٢١.

(٢) ريحانة الأدب، التبريزي ٢.

الأصوليين» تتلمذ لدىٰ السيد مهدي بحر العلوم والسيد علي صاحب الرياض والسيد محسن الكاظمي وله مؤلفات أشهرها: «حجة المظنة» وهو تقريرات السيد بحر العلوم، «شرح الأسماء الحسنىٰ» و «هداية المسترشدين»[١].

٤ - ملّا علي المازندراني النوري الاصفهاني (المتوفى سنة ١٢٤٦ ﻫ) وقد درس لدىٰ علماء مازندران وقزوين ودرس الكلام والحكمة لدىٰ محمد البيدابادي وله مؤلفات في تفسير سورة التوحيد (حاشية على أسفار ملّا صدرا) و (حاشية على مشاعر الملّا صدرا).

٥ - ملّا اسماعيل الكوشكي: له حاشية على أسفار ملّا صدرا وحاشية على شوارق ملّا عبد الرزاق اللاهيجي وحاشية على مشاعر ملّا صدرا وشرح لعرشية ملّا صدرا[٢].

تلامذته

مكث الحكيم والفيلسوف ملّا هادي السبزواري مدّة أربعين سنة اشتغل خلالها في التدريس وكذلك في كرمان ولهذا فقد كان تلامذته بالعشرات بل بالمئات وقد نبغ من بينهم الكثيرون وهذه قائمة بأسماء بعضهم:

١ - الآخوند ملّا محمد وهو نجله الأكبر.

٢ - الآخوند ملّا محمد كاظم الخراساني (مؤلف كتاب كفاية الأصول).

٣ - ملّا محمد كاظم السبزواري.

٤ - الشيخ علي فاضل التبتي.

٥ - شاهزاده جناب.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

٦ - آية الله الحاج ميرزا مجتهد السبزواري.

٧ - ملّا علي السمناني.

٨ - السيد أحمد الرضوي البيشاوري الهندي.

٩ - الملّا عبد الكريم القوجاني.

١٠ - الشيخ ابراهيم الطهراني المعروف بالشيخ المعلم.

١١ - الملّا محمد صادق الحكيم.

١٢ - الشيخ محمد حسين المعروف بـ«جرجيس».

١٣ - آقا حسن بن ملّا زين العابدين.

١٤ - الميرزا اسماعيل الملقب بـ«افتخار الحكماء» الطالستاني.

١٥ - ميرزا علي نقي الملقب بـ«صدر العلماء السبزواري».

١٦ - السيد عبد الغفور الجهرمي.

١٧ - الميرزا حسين امام جمعة الكرماني.

١٨ - آية الله الحاج ميرزا ابو طالب الزنجاني.

١٩ - الحاج الشيخ ملّا اسماعيل العارف البجنوردي.

٢٠ - الحاج ميرزا حسن الحكيم صهر الحاج ملّا هادي.

٢١ - وثوق الحكماء السبزواري.

٢٢ - الحاج ملّا اسماعيل بن الحاج علي أصغر السبزواري.

٢٣ - الميرزا اسد الله السبزواري.

٢٤ - الشيخ عبد الأعلىٰ السبزواري.

٢٥ - الشيخ علي أصغر السبزواري.

٢٦ - الفاضل صدخرومي السبزواري.

٢٧ - ميرزا ابراهيم شريعة مدار السبزواري.

٢٨ - الفاضل مغيثي السبزواري.

٢٩ - السيد عبد الرحيم السبزواري.

٣٠ - الملّا محمد رضا السبزواري.

٣١ - ملّا محمد صادق الصباغ الكاشاني.

٣٢ - الشيخ محمود بن ملّا اسماعيل الكاشاني.

٣٣ - ميرزا آقا حكيم الداربي.

٣٤ - آقا ميرزا محمد اليزدي المعروف بالفاضل اليزدي.

٣٥ - ملّا غلام حسين شيخ الاسلام.

٣٦ - ميرزا عباس الحكيم[١].

مؤلفاته

لا تخفىٰ عظمة مؤلفات الفيلسوف والحكيم السبزواري على أحد وبخاصّة أهل العلم والحكمة وفيما يلي اشارة الى بعض ما صنفه الفيلسوف وما فتحه من آفاق في الفكر والعلم والمعرفة:

١ - المنظومة وشرح المنظومة السبزوارية: ويعد من أنفس آثار وهو حصيلة عشرين سنة من عمر ذلك الفيلسوف الالهي الكبير وقد استغرق تأليفها سنوات شبابه كلها[٢].

وفي آخر الكتاب سجل الفيلسوف تاريخ الشروع وزمان الفراغ اذ بدأها عام

---

(١) سيرة وحياة الحاج ملّا هادي / ٥٣ - ٧٠؛ مجموعة الرسائل الفارسية للحاج ملّا هادي السبزواري، جلال الدين الأشتياني / ٦٥ - ٧٨؛ تاريخ الحكماء والعرفاء المتأخرين عن صدر المتألهين، منوجهر صدوقي سها / ١٢١ - ١٢٨.

(٢) مجموعة رسائل الحاج ملّا هادي / ٤٩.

(١٢٤٠ هـ) وحتى سنة (١٢٦١ هـ).

وعندما فرغ الحاج ملّا هادي السبزواري من تأليف منظومته وشرحها بـدأ بتدريسها وبعد اتمام دورة التدريس عاد نجله الآخوند محمد ليعيد تدريسها مرة أخرىٰ[١] ويكفي في بيان أهمية الكتاب انه منذ زمن تأليفه وحتى الآن ما يـزال جزءاً من المنهج الدراسي في الحوزات العلمية يحظىٰ بشـهرة واسـعة[٢]، فـيما أصبح شرح المنظومة أحد المعالم المتألقة في المحافل العلمية والفكـرية حـيث يشتمل على علمي المنطق والحكمة فالجزء المتعلق بالحكمة في المنظومة يدعىٰ: «غرر الفوائد» ويشتمل على ألف بيت من الشعر تطرق فيها الى دراسة المسائل الفلسفية ولأهمية ما ورد فيها فقد عمد الى شرحها بعد الفراغ من النظم.

أما الجزء الآخر من الكتاب فهو يرتبط بقضايا المنطق[٣] ويـدعىٰ بـ«اللآلئ المنتظمة» وهي بحق مخزون من اللآلئ والمرجان وتشتمل على ثلاثمئة بيت من الشعر تطرق فيها الى أدق المسائل المنطقية والأشعار باللغة العربية امتازت بجزالة اللفظ وعمق المعاني أماط فيها اللثام عن أعقد القضايا في علم المنطق كما قـام بشرحها تحت عنوان شرح اللآلئ المنتظمة، ومجموع هذه البحوث تعرف اليوم بـ «شرح المنظومة السبزوارية» وهذه المنظومة تعكس بجلاء عن شـخصية المـلّا هادي الفلسفية والمنطقية والأدبية.

٢ - ديوان الحاج ملّا هادي: ويشتمل على ما نظم من الشعر اذ يبلغ عـدد أبيات الديوان ألف بيت موزعة بين الغزل والرباعيات وفي موضوعات العرفان ما

---

(١) سيرة وحياة الحاج ملّا هادي، الاسراري / ٤١.

(٢) مجموعة رسائل الحاج ملّا هادي / ٤٩.

(٣) كان المرحوم قد كتب الحكمة ثم تلا المنطق.

يكشف عن البعد العرفاني الرفيع في شخصية الفيلسوف[١].

٣ - أسرار الحكمة في المفتتح والمغتتم: ويقع في قسمين يتعلق القسم الأول بالحكمة النظرية حيث تطرقت مقدمته الى مباحث اثبات واجب الوجوب ومباحث التوحيد لتعقبها مباحث المعاد والنبوّة والامامة على نحو استدلالي ليختتم هذا القسم في اثبات امامة الامام المهدي (عج). أما القسم الثاني فقد تناول الحكمة العملية حيث بحث فيه فلسفة الاختلاف في بلوغ المرأة والرجل واعتمد في ذلك أربعة أدلّة؛ ليليه بحث في الطهارة وأسرار النجاسة ليعقبه بحوث في الصلاة والزكاة والصوم اختتم بها هذا القسم من الكتاب.

ولم يتطرق الحكيم والفيلسوف الى كل أبواب الفقه عدا اشارة في آخر الكتاب الى أن سائر أبواب الفقه طرقت في كتاب النبراس وهي على شكل نظم ما يدلّ على تبحر الفيلسوف في الفقه والعلوم الأخرىٰ أيضاً.

٤ - شروح بالفارسية على بعض مشكلات الشعر في «مثنوي مولانا».

٥ - مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: وهو شرح لدعاء الصباح المنسوب الى مولىٰ الموحدين أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام.

٦ - شرح الأسماء: وهو شرح لدعاء الجوشن الكبير.

٧ - النبراس في أسرار الأساس: وهو دورة في الفقه مختصرة في قالب منظوم.

٨ - راح القراح وكتاب الرحيق في علم البديع.

٩ - حاشية على الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية. والكتاب يعد من نفائس مؤلفات ملّا صدر الدين الشيرازي (الفيلسوف ملّا صدرا).

---

(١) انظر ديوان أشعار الحاج ملّا هادي السبزواري.

١٠ - حاشية على الأسفار الأربعة لملّا صدرا.
١١ - حواشي على كتاب مفاتيح الغيب لملّا صدرا.
١٢ - حاشية على المبدأ والمعاد لملّا صدرا.
١٣ - حاشية على شرح السيوطي لابن مالك (في علم النحو).
١٤ - حاشية على كتاب الشوارق للملّا عبد الرزاق اللاهيجي (في الحكمة).
١٥ - هداية الطالبين في معرفة الأنبياء والأئمة المعصومين.

شخصية الحكيم والفيلسوف تعبر الحدود

انتبهت كثير من الأوساط العلمية والعالمية الى الارث العلمي والميراث الثقافي للفيلسوف الراحل، فلا تجد جامعة في العالم تهتم بفلسفة الشرق أهملت آثار الحكيم السبزواري. يقول اقبال اللاهوري شاعر الباكستان الكبير: بعد ملّا صدرا انفصلت الفلسفة الايرانية عن الافلاطونية الحديثة لتعود الى فلسفة افلاطون الأصيلة حيث ملّا هادي السبزواري هذا التوجه انه أعظم مفكري ايران في العصر الحديث.

ان فلسفة السبزواري كفلسفة اسلافه مندكّة في الدين بشدّة. ومن خلال إسناد الفعلية للحق أحدث تغييراً كبيراً في الرؤية السكونية الافلاطونية للعالم متبعاً المذهب الارسطي في اعتبار الحق مبدأً ثابتاً ومحوراً لجميع الحركات. وينطلق (السبزواري) في رؤيته من أن جميع الكائنات في العالم تنشد العشق المطلق وتتحرك نحو الغاية النهائية، الجماد يتحرك نحو النبات باتجاه الحيوان والحيوان صوب الانسان حيث يطوي الزهاد جميع هذا المراحل[1].

---

(١) أساس الحكمة السبزوارية، البروفسور ايسزتسو، ترجمة جلال الدين مجتبوي / ٤٧.

وقد افاق البروفسور «توش هيكوايزوتسو» العالم الياباني واستاذ الفلسفة في جامعة ماكيغل في كندا والاستاذ في جامعة طوكيو في حديث عن الفيلسوف الكبير: «الحاج ملّا هادي السبزواري مفكر له أثر شهير وهو المنظومة وشرحها» وقد أجمع العلماء على انه أعظم فيلسوف ايراني في القرن التاسع عشر وهو في نفس الوقت من كبار العرفاء في عصره ويحتل المرتبة الأولىٰ.

والسبزواري العارف استطاع من خلال اتم انواع التفكيك الشخصوي الانطلاق من سواحل محيط الوجود ليسبر أسرار هذا الوجود ببصيرته النافذة. وكفيلسوف كان مجهزاً بقدرة تحليلية دقيقة لما وراء الطبيعة ليؤسس منظومة من المفاهيم الايجابية لتكون مادّة دراسية[١].

الزاهد الذي يرعىٰ الفقراء

عرف عن الحكيم الفيلسوف عطفه على الفقراء فلم تقتصر نظريته على الحياة من نافذة فلسفية بعيداً عن خضم الحياة بل عاش هموم الفقراء وكان يقضي كثيراً من أوقاته معهم ومن أجل هذا عاش حياة بسيطة كما هي حياة الزهاد الذين لا يأبهون لمظاهرة الدنيا وبهارجها. ولم يكن يكترث لذوي النفوذ بل وحتى ناصر الدين شاه نفسه الذي زاره مرّة الى بيته أثناء زيارته الى سبزوار وتناول طعامه الذي كان بسيطاً جداً وقد حاول الشاه تقديم هدية ولكن السبزواري رفض ذلك رفضاً قاطعاً وكان للسبزواري بستاناً كروم زرعه بنفسه وأثناء موسم القطاف كان السبزواري أول من يستخرج سهم الفقراء فيقسمه الى المحتاجين ثم سهم لأصدقائه وطلاب العلوم الدينية[٢] كان الفيلسوف ينفق من كدّ يده وعرق جبينه

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) مطلع الشمس ٣ / ٩٨٤.

ولم يكن من بيت المال درهماً واحداً[١] وقد قضىٰ عمره كله في بيت غاية في البساطة ولم يكن يملك من الدنيا سوىٰ بقرتين وبستان صغير من الكروم، وكان يزرع بنفسه قوت سنته وقد روي انه حصد أرباحاً كبيرة من مجموع حقوله من قطن وقمح فما كان منه الاّ أن استخرج قوت سنته ليوزع الباقي على الفقراء والمحتاجين[٢].

وفاته

في الثاني والعشرين من ذي الحجة أو الثامن والعشرين سنة (١٢٨٩ هـ) توفي الحكيم والفيلسوف الالهي السبزواري بعد عمر ناهز الخامسة والسبعين عاماً، وقد شيع جثمان الراحل ليواريٰ الثرى في بوابة نيسابور التي أصبحت اليوم مركز المدينة في الوقت الحاضر. وقد قام الوزير الأعظم مستوفى الممالك سنة (١٣٠٠ هـ) ببناء ضريح في مساحة ٣٠ م × ١٤ م وأواوين وحجرات للزوار وما تزال حتى اليوم قائمة.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

ملّا علي كني (المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ)

آية الله العظمى الحاج علي كني من الشخصيات الفذة التي قلّما يـجود بـها الزمان كان بمثابة شمس تسطع في سماء «الأبرار» أدرك أبعاد مسؤوليته ونهض بها لا يفكر الاّ بترسّم خطر المعصومين من أهل البيتعليهم السلام. دخل في قلب القضايا الاجتماعية لبلاده ايران وكان له حضور فـاعل فـي مسـار الأحـداث فـواجـه التحديات بقلب ثابت وتصدّىٰ لكل أشكال الخيانة والظلم والقهر ولم تأخذه في الله لومة لائم، وفيما يلي قبس من سيرته:

أشعة كَن

في يوم من أيام عام (١٢٢٠ ه‍) وفي أحد أحياء طهران وتدعىٰ «كن» شمال غرب العاصمة ولد صبي وابتهج والده «قربان علي» فسمّاه «عليا» ليـنشأ عـلى حب علي أمير المؤمنين وسيد الوصيين[١].

دراسته

كانت له ميول للدراسات الدينية منذ نعومة أظفاره ولكن أسرته وقفت ضد هذا التوجه فاضطر للدراسة سرّاً ثم سعىٰ الى ارضاء والديه الذين وافقا وباركا له

---

(١) علماء معاصرون، ملّا علي واعظ خياباني / ٢٦؛ كنوز العلماء، محمد شريف رازي ٤ / ٦٣.

ذلك فاتخذ طريقة للدراسة في حوزة طهران للعلوم الدينية ومنها سافر الى اصفهان لاستكمال دراساته حيث تتلمذ هناك على الاستاذ السيد أسد الله الاصفهاني (المتوفى سنة ١٢٩٠ هـ)[١].

ثم بدأ يستعد للهجرة الى النجف الأشرف والدراسة في واحدة من أكبر الحوزات العلمية لدىٰ الامامية وهكذا وجد ملّا علي كني نفسه تلميذاً لدى عمالقة الفقه الامامي من قبيل الشيخ محمد حسن النجفي المعروف بصاحب الجواهر (المتوفى سنة ١٢٦٦ هـ) والشيخ حسن كاشف الغطاء (المتوفى سنة ١٢٦٢ هـ) والشيخ مشكور حولاوي النجفي (المتوفى سنة ١٢٧٣ هـ)[٢].

واضافة الى دراسته في النجف الأشرف كان ينهل من حوزة كربلاء المقدسة حيث تتلمذ هناك وفي ظلال منائر مرقد سيد الشهداء عليه السلام على يد أساتذة مبرزين من قبيل شريف العلماء المازندراني (المتوفى سنة ١٢٤٥ هـ)، والسيد ابراهيم القزويني المعروف بـ«صاحب الضوابط» (المتوفى سنة ١٢٦٢ هـ) حيث درس لديهما دورة متقدمة في الفقه والأصول[٣].

محف الانس

قدر لملا علي كني أن يعيش في وسط صميمي مع أصدقاء عرفوا بالفضل والعمل وقفوا الى جانبه وأسوه في منعطفات الحياة ودروبها، عاش مع ثلّة مؤمنة متعاضدة متكافلة فكان محفلهم مفعماً بالعلم والمودّة، وكانت حجرتهم في

---

(١) مكارم الآثار، ميرزا محمد علي معلم جيب آبادي، ٣ / ٦٩٦؛ اختران فروزان ري وتهران محمد شريف رازي / ١١٤؛ معارف الرجال، محمد حرز الدين ٢ / ١١٣.

(٢) نقباء البشر، اقا بزرك الطهراني ٣ / ١٥٠٤، معارف الرجال ٢ / ١١٣.

(٣) معارف الرجال ٢ / ١١٣؛ مكارم الآثار ٣ / ٦٩٦.

الحوزة العلمية في النجف الأشرف نموذجاً في التحابب والتوادد وقد شاركه في تلك الحجرة كل من ملّا علي الخليلي (المتوفى سنة ١٢٩٧ هـ) والشيخ عبد الحسين الطهراني (المتوفى سنة ١٢٨٦ هـ) والسيد زين العابدين الطباطبائي الحائري (المتوفى سنة ١٢٩٢ هـ).

وقد سجّل الطباطبائي الحائري بعض ذكرياته عن تلك الفترة الصعبة من حياة تلك الثلة المؤمنة؛ كانت أياماً صعبة تلك التي عشناها نطلب العلم في النجف الأشرف كنا في حجرة واحدة أنا والشيخ عبد الحسين شيخ العراقيين والآخوند ملّا علي كني كنا في غاية الفقر وكان ملّا علي كني أكثرنا فقراً وكان يذهب في كل أسبوع الى مسجد السهلة ليلاً ليجمع ما تناثر عن الخبز اليابس في أطراف المسجد وكان يفعل ذلك سرّاً من دون أن يسمح لأحد أن يكتشف أمره، وهكذا كان يتقوّت طيلة الاسبوع[١].

وعندما تشرف بالحج الى بيت الله الحرام جعل طريق عودته على الشام لزيارة العتبات المقدسة هناك حيث ضريح السيدة زينب في دمشق ولدىٰ دخوله المرقد آلمه منظر الغبار الذي يغطي الضريح فشمر عن ساعديه وراح ينظف المكان بعبائته ليعود الى ألقه[٢].

وكان الشيخ الأنصاري (المتوفى سنة ١٢٨١ هـ) من أصدقائه المقربين أيضاً وقد ذكر عن حياته مع ملّا علي كني في كربلاء فكانت بسيطة جداً حتى أنه لا يملك على مدى عشرين سنة سوى عمامته التي يتخذها في الصيف فراشاً فإذا استيقظ شدّها من جديد واعتم بها[٣].

---

(١) مجلة مشكوة ٤٠ / ٨١.

(٢) كنز العلماء ٤ / ٦٣٤.

(٣) معارف الرجال ٢ / ١١٢.

العودة الى طهران

وبعد سنوات طويلة قضاها في طلب العلم والمعرفة وتحمل ما تحمل في سبيل ذلك نال درجة الاجتهاد حيث أعلن استاذه الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر ذلك من فوق المنبر[١].

وهكذا قرر ملّا علي كني العودة الى الوطن فكان هاجسه التبليغ للدين الحق وكان ذلك سنة (١٢٦٢ ﻫ) عندما غادر العراق متجهاً الى طهران[٢] ولكن أيام بؤسه وفقره رافقناه الى طهران ولكن الله سبحانه لا يهمل عبده المؤمن فلقد تمكن من طبع كتابين من مؤلفاته استطاع أن يشتري من ربحهما أرضاً موات فشق لها قناة ماء وأحياها وراح يعمل فيها مزارعاً من أجل تأمين لقمة العيش.

في رفعة الشمس

أصبح منزله شيئاً فشيئاً مرجعاً يرجع اليه الناس في مسائلهم واستفتائاتهم الشرعية فكان ملاذ الناس الوحيد في تلك المنطقة[٣] فأصبح مرجعاً معروفاً يقلده الكثيرون فأصدر رسالته العملية في سنة (١٢٧١ ﻫ)[٤] يرجع اليها المؤمنون في أخذ الأحكام الشرعية.

كما تولىٰ آية الله كني مهمة الاشراف على «مدرسة مروي» فأدار شؤونها على أحسن وجه وانتعشت برامجها الدينية والعلمية[٥].

استطاع ملّا علي كني تربية تلاميذه وقد أصبح لهم شأن في الحياة العلمية

---

(١) نقباء البشر ٢ / ١٢٠٥ و ٤ / ١٥٠٥.

(٢) مكارم الآثار ٣ / ٦٩٦.

(٣) أحسن الوديعة، محمد مهدي الكاظمي الموسوي ١ / ٨٢.

(٤) الاجازة الكبيرة، المرعشي النجفي / ٤١٦.

(٥) تاريخ بيدكلي، د. غلام حسين بيدكلي / ٩١٤؛ مجلة نداء الثورة العدد الأول / ٤٤.

وفيما يلي أسماء طائفة منهم:

١ - الشيخ موسىٰ شرارة العاملي (المتوفىٰ سنة ١٣٠٦ ﻫ).

٢ - الشيخ محمد باقر نجم آبادي (المتوفىٰ سنة ١٣٤٧ ﻫ).

٣ - الشيخ أسد الله الطهراني (المتوفىٰ سنة ١٣٥٢ ﻫ).

٤ - السيد محمود الحياطشاهي.

٥ - السيد محمد اللواساني.

٦ - السيد محمد المرعشي.

٧ - المولىٰ محمد علي الخوانساري.

٨ - ملّا محمد تقي السنجابي.

٩ - الميرزا حسين نايب الصدر.

١٠ - الشيخ محمد حسين الكركاني (المتوفى سنة ١٣٥٢ ﻫ).

١١ - الشيخ حسين البافقي (المتوفىٰ سنة ١٣١٣ ﻫ).

القدوة

كانت لآية الله كني مكانة رفيعة في قلوب الجميع وكان الناس يـظهرون له فائق حبهم واجلالهم، وقد أشار صاموئيل كرين أول سفير أمريكي في ايران الى ان كني كان أكبر المجتهدين في عصره وهو بمثابة رئيس العدلية، وأشار السفير الى شخصيته ووصفه بالشيخ الوقور الذي يميل الى حياة البساطة، وبالرغم من - املاكه الّا انه لا يحاول اظهار ذلك فقد كان يركب بغلاً أبيض ويتبعه خادم واحد ولكن ما أن يمر في أحد الأزقة حتى تتهاتف عليه الناس من كل حدب وصوب وكانت له هيبة وجلال وتكفي كلمة واحدة ينبس بها أن تخلع السلطان من عرشه، أما الجنود الذين عينتهم الدولة لحماية سفارتنا فقد كانوا يقولون إنّا وان كنا هنا

لحمايتكم ولكن لو أمر الحاج ملّا علي فسنقضي عليكم جميعاً[١].

وكانت رعاية الفقراء وتفقد المحتاجين والمعوزين في طليعة اهتمامات ملّا علي كني، ولقد كان أباً رحيماً كفل العديد من اليتامىٰ وخصص لهم مرتبات لتأمين حياتهم ومستقبلهم وكان ينفق على علاج المرضىٰ ممن لا يستطيعون تحمل نفقات علاجهم فكان يوفر لهم ثمن الدواء[٢].

كما وأنشأ صهاريج للماء وخزانات في خانات القوافل كما في «خاتون آباد» اضافة الى المرافق ذات النفع العام[٣].

وكان ختمه بمثابة سند رسمي معتبر وكان الكثير ممن لديهم معاملات يراجعونه في منزله لختم معاملاتهم بختمه المبارك[٤].

مؤلفاته

ترك آية الله كني آثاراً عديدة وهذه طائفة من عناوينها:

ارشاد الأمة، ايضاحات المشتبهات، تحقيق الدلائل في شرح تلخيص المسائل (ويشتمل على بحوث مستقلة من قبل كتاب البيع، كتاب الخيارات، كتاب القضاء، كتاب الشهادات،[٥] كتاب الطهارة وكتاب الصلاة)، تلخيص المسائل، توضيح المقال في علم الدراية والرجال حاشية على القواعد، رسالة في الاستصحاب رسالة في الأوامر والنواهي، رسالة في المفاهيم والمواعظ الحسنة[٦].

---

(١) ايران والايرانيون، صاموئيل كرين بنجامين / ٤٩٩.

(٢) معارف الرجال ٢ / ١١٢، مجلد نداء الثورة ٧١ / ٤٤.

(٣) الرسائل السياسية، دهخدا / ١٠٣؛ نخبة سيفية، محمد علي قو خانجي صولت نظام / ٦٥.

(٤) تاريخ بيدكلي، د. غلام حسين بيدكلي / ٩١٤؛ مجلة بيام انقلاب ٧١ / ٤٤.

(٥) وقد أشاد بها آقا بزرك الطهراني، انظر نقباء البشر ٤ / ١٥٠٦.

(٦) الذريعة ١١ / ٥٧؛ ريحانة الأدب ٣ / ٣٥٢؛ طرائف المقال، الجابلقي ٢ / ٣٧٥؛ نشرة المكتبة المركزية

سدّ أمام الطغاة

أجمع العديد من المؤرخين على ان ناصر الدين شاه القاجاري كان يخشى نفوذ آية الله كني وهذا ما كان يعكس بجلاء شجاعة الرجل وموقعه الاجتماعي لدى المجتمع الايراني وقد أشار الى هذه الحقيقة التاريخية الميرزا محمد مهدي اللكهنوي، حتى الأمراء لم يكن يجرؤن على التحدث في حضرته أو ابداء أو الاقدام على عمل من دون مشورته، حتى ناصر الدين شاه، كان يقوم بزيارته[(١)].

وجاء في بعض المدونات ان ناصر الدين شاه عزم على أن يقوم برحلة صيد فلما اجتاز بوابة المدينة (طهران) هو وحاشيته التفت الى ورائه بعد أن قطع مسافة والقى نظرة على عاصمة ملكه، ثم استغرق في التفكير لحظات بعدها أمر بالعودة الى قصره وانصرف عن فكرة ورحلة الصيد، ولما عاد الى قصره سأله أحد أفراد حاشيته عن سبب انصرافه، فقال الشاه: اعلم يا هذا اني لما اجتزت بوابة المدينة ونظرت الى العاصمة هجمت علي فكرة ماذا لو ان ملّا علي كني قام باغلاق البوابة دوني فماذا أفعل وملأت الوحشة في نفسي وقلت العودة أفضل لي[(٢)].

وكان ملّا علي كني يقول عن ناصر الدين انه ناصر الكفر لما كان في تعامله مع الأجانب من الذلة والخنوع وحتى الخيانة[(٣)].

وذات يوم سأل الشاه من ملّا علي كني انه ووفقاً للحديث النبوي الشريف: **«علماء أمتي أفضل من أنبياء بني اسرائيل»** ينبغي أن تكون لكم معجزات كمعجزاتهم، فهل تستطيع أن تكون لك عصا تستحيل الى ثعبان؟! فقال الحاج على

← لجامعة طهران رقم ٥ / ١٨٨.

(١) تكملة نجوم السماء، اللكهنوي ٢ / ٢١ – ٢٣.

(٢) مجلة مشكوة ٤٠ / ٨١.

(٣) مجلة نداء الثورة ٧١ / ٤٤.

الفور: أجل، لو أنك ادعيت الألوهية فسأجعل من العصا حية تسعىٰ[١].

ومرّة حضر نائب السلطنة، ونجل الشاه ويدعىٰ كامران ميرزا ووزير الحرب وحاكم طهران في منزل الحاج ملّا علي كني، وقال الحاج بعد الترحيب، اعتذر ان مددت رجلي في حضرتكم انهما تؤلماني كثيراً، وكان كامران رجلاً طائشاً فتصور أن الملّا يقصد اهانتهم فقال: انا أيضاً قدماي تؤلماني وأريد أن تسمح لي بمدهما؟! ونظر كني الى ابن الشاه وأدرك ما يجول في خاطره فأراد تأديبه فقال: انني مضطر الى مدّ رجلي لأنني قصرت يدي فأما أنت فلا أظن انك مضطر لذلك[٢].

مواجهة الماسونية

تمكنت الماسونية أن تنفذ الى كثير من الدول الاسلامية وكانت ايران آنذاك مسرحاً لنشاطاتها المشبوهة وبخاصة تربية عناصر تحاول من خلالها التحكم في مقدرات البلاد وبالتالي التمهيد من أجل أن تحكم الاستعمار ونهبه خيرات الشعوب وكانت المحافل الماسونية تعمل جاهدة على محاربة الثقافة والحضارة في البلدان المستعمرة والترويج لحضارة الغرب وثقافته الاستعمارية من خلال العمل على ابقاء مظاهر التخلف بكل أشكاله ضارباً أطنابه في البلاد[٣]. وقد أفرز وجود المحافل الماسونية عن نتائج كان في طليعتها تيار الاستغراب ومحاولات الانسلاخ عن الهوية الاسلامية ويعد ميرزا ملكم خان في طليعة من تصدوا

---

(١) حكايات منتخبة من حياة العلماء والسلاطين، ناصر باقري بيدهندي / ١١٦.

(٢) مجلة خانواده ٥٢ / ٩.

(٣) انظر: تاريخ الحركأ الماسونية في البلاد الاسلامية، عبد الهادي الحائري / ١١٣؛ الماسونية في ايران، محمود كتيرائي / ٣؛ أسرار الماسونية، آلبرانتون ترجمة جعفر شاهيد / ٨.

للاسلام وعلماء الدين وسوف يذكره التاريخ كواحد من المسنلخين عن الاصالة ومحاولة القضاء على الفكر الاسلامي من خلال تأسيس أول محفل ماسوني تحت اسم: «فراموشخانه»[١] وقد قيل ان ناصر الدين شاه كان يعاضده في ذلك[٢]، ولكن العلماء لم يقفوا مكتوفي الأيدي فقد نهض العديدون منهم وراحوا يفضحون مخططات هذه المحافل القذرة وكان كني أول من تزعم هذه النهضة المباركة حيث بدأ نشاطه بأن بعث رسالة الى ناصر الدين شاه أشار الى خطر ملكم خان وما يبشر به من أفكار خرافية واتبع هذه الرسالة باصدار فتوىٰ شجاعة أعلن فيها تكفيره للماسونيين، الأمر الذي مهد للهجوم الجماهيري على المركز الماسوني واضرام النار فيه مما اضطر الشاه الى اعلانه انحلال هذا المركز الى الأبد.

مواجهته لامتيازات شركة رويتر

في الثامن عشر من جمادى الثانية سنة (١٢٨٩ هـ) وقع ناصر الدين شاه وممثل البارون جوليوس دورويتر - الرأسمالي الانجليزي - عقداً منح بموجبه الشاه بريطانيا امتيازاً يمكنها من السيطرة على عصب الاقتصاد الايراني الأمر الذي يؤدي بعد مدّة وجيزة الى استعمار ايران اذ يمكن تسميته بالانقلاب الاقتصادي[٣].

وكان الذي مهّد لهذا الامتياز الخطير اثنان من المستغربين الخونة وهما ميرزا حسين خان سبهسالار (مشير الدولة) وميرزا ملكم خان (ناظم الدولة) وذلك بعد

---

(١) «دار النسيان».

(٢) تاريخ الحركات الماسونية / ٤٩؛ وانظر نهضة الامام الخميني، سيد حميد روحاني ٣ / ٥٠.

(٣) مقالة الامتياز الاستعماري لرويتر (قتل أتابك) / ٦٩.

أن استلما رشاوىٰ كبيرة فباعا وطنهما بثمن بخس دراهم معدودة[١].

واستناداً الى هذا الاتفاق تقوم شركة رويتر بتأسيس خط سكك الحديد من بحر الخزر الى خليج فارس مقابل أن تضع الشركة يدها على كل الأراضي الواقعة في طريق الخط واستثمار ما فيها من معادن وثروات طبيعية من قبيل مناجم الفحم الحجري، النفط، الحديد، والرصاص وحتى الغابات وحتى الرسوم الجمركية ما يعني كل الثروة الوطنية[٢].

وقد وصف «اللورد كرزن» هذا الاتفاق بقوله: ان الاتفاق أدهش أوربا فلم يحدث ان وقع اتفاق تجاري كهذا على مر التاريخ ولن يحدث وهو أن يقوم ملك بوضع كل ثروات بلاده وكل المصادر الطبيعية بيد متمول أجنبي مقابل ثمن بخس»[٣].

أما «لوسير» السياسي الفرنسي فقد قال: «لم يبق للشاه سوىٰ الهواء»[٤]، من جهة أخرىٰ أثار هذا الاتفاق غضب روسيا وأعلنت اعتراضها الشديد.

وفي هذا السياق كان آية الله كني قد انتبه مبكراً لهذا الاتفاق الخطير فبعث رسالة الى الشاه يحذره من عواقب وخيمة قد ترتب على منح هذا الامتياز لشركة رويتر وتعد رسالة كني وثيقة تشهد على فطنة المرجعية الشيعية واهتمامها بمقدرات ومصير البلاد الاسلامية[٥].

ولقد كان لنفوذ المرجع الجماهيري ان تمكن من تعبئة سكان العاصمة وأعلن الكثير استعدادهم للتضحية وأنهم رهن اشارة المرجع وتلخصت المطالب الشيعية

---

(١) المصدر السابق / ٧١؛ عصر بي خبري / ٣٨.

(٢) تاريخ روابط خارجي ايران، عبد الرضا هوشنكي مهدوي ١ / ٢٨٩؛ مقدمة فكري نهضت مشروطيت، محمد رضا فشاهي / ٤٤١ - ٤٤٢.

(٣) مقالة امتياز استعماري رويتر (قتل أتابك) / ٦٩.

(٤) الانجليز في ايران، دنيس رايت ترجمة غلام حسين صدري / ١٠١.

(٥) انظر: عصر بي خبري / ١٢٤.

بالغاء الامتياز واقالة الصدر الأعظم محمد حسين خان سبهسالار وقد أصرّ علماء الدين على هذين المطلبين بحيث ان الشاه ولدىٰ عودته من زيارته لأوربا ووصوله ميناء أنزلي واجهه رجال الحاشية الذين نظموا له مراسم الاستقبال واجهه بتحذيرات حول خطورة اصطحابه الصدر الأعظم الى العاصمة في موكبه الرسمي لأن ذلك سوف يستفز الجماهير في وضع حساس ينذر بالانفجار في العاصمة وقام ناصر الدين شاه باقالة الصدر الأعظم وطلب من البقاء في رشت شمال ايران وعاد الى طهران[١] وأعقب ذلك أن أصدر الشاه فرمانه بالغاء الامتياز وذلك في رمضان من سنة ١٢٩٠ هـ[٢]، وهكذا تخلصت ايران من ذلك العار وكان للمرجعية المجد والفخر، وقد أثبت المرجع كني انه المحامي القوي عن مصالح الشعب الايراني، وما كادت هذه الملحمة ان تحقق أهدافها في انقاذ الوطن لولا تلاحم الأمة مع قيادتها الواعية.

الرحيل الى المحبوب

في يوم الخميس ٢٧ محرم الحرام سنة ١٣٠٦ لبىٰ المرجع الشيعي آية الله الحاج علي كني دعوة الحق وغادر الدار الفانية الى الدار الباقية[٣] وقام سكان العاصمة طهران بتشييع مهيب للجثمان الطاهر وذلك في غرة صفر حيث ووري الثرىٰ في مرقد السيد عبد العظيم في مدينة الري جنوب طهران وأعلن الحداد على الفقيد الراحل مدّة ثلاثة أيام حيث أقيمت مجالس العزاء في مناطق عديدة[٤].

---

(١) دور علماء الدين في الحركة الدستورية، حامد الغار / ٢٤٨.

(٢) مقالة امتياز استعماري رويتر ٤ / ٦٣٥.

(٣) كنز العلماء ٤ / ٦٣.

(٤) نقباء البشر ٣ / ١٥٠٦؛ كتاب «روزنامه خاطرات اعتماد السلطنة» / ٦٨١.

مير حامد حسين الهندي / المتوفى سنة ١٣٠٦

كان من أعلام حماة المذهب والمدافعين عن ثقافة أهل البيت عليهم السلام وفي طليعة الموالين لآل محمد صلى الله عليه وآله، انه العلّامة المجاهد مير حامد حسين الهندي، عاش في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري وكان من آثاره الخالدة عبقات الأنوار الذي يعد في طليعة ما ألف لدىٰ الامامية في القرنين الأخيرين.

أسرة الفضيلة

العلّامة مير حامد سيد موسوي، جدّه الأكبر الامام موسىٰ الكاظم عليه السلام لا يفصله عنه سوىٰ سبعة وعشرون ظهر فأسرته من الأسر العريقة التي اشتهرت بالعلم والفضيلة والتقىٰ والزهد[1].

جدير ذكره ان أسرته كانت تقطن ايران في الأصل وبالتحديد في مدينة نيسابور وبعد الهجوم المغولي على ايران في القرن السابع الهجري هاجر جده الخامس عشر السيد أوحد الدين الى الهند وأقام في مدينة «كنتور»[2] أما السيد محمد حسين (المتوفىٰ سنة ١٢٨٨ ه) فهو جدّ السيد مير حامد وكان فقيهاً متبحراً وزاهداً عابداً وبلغ من عبادته وورعه وتقواه انه لما بلغ سن الرشد لم يترك الصلاة المندوبة أبداً وتنسب اليه كرامات كما كان خطاطاً خط المصحف الكريم بيده كما

---

(١) نجوم السماء ١ / ٢٥.

(٢) المصدر نفسه.

استنسخ ثلاثة كتب منها: «حق اليقين» للعلامة المجلسي، «تحفة الزائر» للعلامة المجلسي أيضاً و «جامع عباسي» للشيخ البهائي وهذه المخطوطات الجميلة ما تزال موجودة في المكتبة الناصرية في مدينة لكنهو(١).

أما العلّامة السيد محمد قلي (المتوفى سنة ١٢٦٠ هـ) فهو والد السيد مير حامد وهو من علماء القرن الثالث عشر المبرزين وله آراء في علم الكلام، تسنّم القضاء مدّة من الزمن في مدينة «ميرتهه» وقد ألف رسالة في الأحكام القضائية والفتاوىٰ وشروط القاضي سمّاها «العدالة العلوية» وقد ترك وراءه آثار عديدة(٢).

ولادته ونشأته

ولد العلّامة السيد مير حامد حسين الهندي في عام (١٢٤٦ هـ) في مدينة «ميرتهه» الهندية واسمه الأصلي «مهدي» ولكنه اشتهر بـ«مير حامد» وذلك لأن والده رأىٰ في المنام جدّه السيد حامد حسين وذلك قبل ولادة مير حامد فاشتهر الوليد بهذا الاسم.

عندما بلغ الصبي السابعة من عمره أرسله أبواه الى المكتب فدرس المقدمات ثم المرحلة التي تليها.

درس المقدمات «مقامات الحريري» و «ديوان المتنبي» لدى المولوي «السيد بركت علي صاحب»، ونهج البلاغة لدى المفتي «السيد عباس الشوشتري» أما العلوم العقلية فقد تتلمذ فيها على يد «السيد مرتضىٰ خلاصة العلماء» والعلوم الشرعية لدىٰ «السيد محمد سلطان العلماء» وأخيه «السيد حسين سيّد العلماء.

---

(١) عبقات الأنوار، مير حامد حسين الهندي ١ / ١٩؛ نجوم السماء ١ / ٢٢ - ٢٣.

(٢) عبقات الأنوار ١ / ٢١ / ٢٥؛ الفوائد الرضوية / ٥٩٥ - ٥٩٦.

نشاطه العلمي

عاشت المجتمعات الاسلامية ومنها الهند فصلاً صاخباً من التمزق وقد بدأت الهجمة الاستعمارية تطال أجزاء العالم الاسلامي حيث سلاحها الفتاك «فرّق تسد» ان تدمير الأواصر الأخوية بين المسلمين أكثر الأسلحة فعالية في اضعاف المسلمين وهكذا استحالت العلاقة الأخوية بين المسلمين الى علاقات متوترة وخصومات ما ينذر بوقوع نزاعات طائفية، وفي خضم تلك الفترة أوقف السيد محمد قلي والد السيد مير حامد سنوات عمره في الاجابة عن الشبهات وردّ الاتهامات التي تثار ضد المذهب الامامي ومدرسة أهل البيت عليهم السلام؛ ولما مضىٰ السيد الى ربه نهض من بعد نجله وولد السيد مير حامد الذي شهد بكل وجود حجم الشائعات والاتهامات التي كانت تستهدف شيعة أهل البيت عليهم السلام؛ من أجل هذا شمر عن ساعده وجرّد قلمه سائراً في طريق والده مترسماً خطاه فكانت خطوته الأولىٰ في تنقيح كتب ومؤلفات والده الراحل السيد محمد قلي[1] ذلك ان كثيراً من آثار والده كانت في اطار الدفاع عن المذهب الامامي فجدير بابنه أن يصحح وينقح وينشر هذه الكتب القيمة وقد قدم السيد خدمات كبرىٰ في هذا المضمار ثم جاءت الخطوة الأخرىٰ وهي التأليف فكان قلمه سيالاً ويراعه دافقاً بالعلم والمعرفة وظهرت الى النور آثار قيمة فيما يلي عناوين بعضها:

١ - استقصاء الافحام: ويقع في عشرة أجزاء باللغة الفارسية وتدور موضوعات الكتاب حول القرآن الكريم، الامام المهدي (عج) وترجمة حياة كثير من علماء السنّة والأصول والفروع وكذلك ردّ على كتاب «منتهىٰ الكلام» تأليف حيدر علي فيض آبادي الحنفي الذي أورد فيه موضوعات عن الشيعة

---

(١) نجوم السماء ١ / ٢٤ - ٢٨؛ نقباء البشر ١ / ٣٤٧.

لا أساس لها[١].

٢ - شوارق النصوص: ويقع في خمسة أجزاء في علم الكلام.

٣ - افحام أهل المين وهو رد على كتاب «ازالة الغين» من تأليف حيدر علي فيض آبادي الحنفي.

٤ - امضاء الأنوار؛ وهو رحلته الى كربلاء

٥ - كشف المعضلات في حل المشكلات.

٦ - الغضب البتار في مبحث آية الغار.

٧ - النجم الثاقب في مسألة الحاجب: وهو كتاب فقهي في بحث الارث.

٨ - الدرر السنّية في المكاتيب والمنشآت العربية.

٩ - زين الوسائل الى تحقيق المسائل، مسائل فقهية متنوعة.

١٠ - الدرايع في شرح الشرايع للمحقق الحلّي[٢].

١١ - عبقات الأنوار في مناقب الأئمة الأطهار: وهو أكبر وأهم آثاره ويعد من روائع ما ألف في عصره لدى الشيعة الامامية وقد جاء ردّاً على كتاب الف ضد الشيعة اسمه «التحف الاثنا عشرية» الذي ألفه مولوي عبد العزيز الدهلوي (المتوفى سنة ١٢٣٩ هـ) المعروف بـ«سراج الهند» والكتاب ليس قفزة على حقائق قرآنية وتاريخية فحسب بل وتضمن اساءات وبذاءات تخدس الذوق الأخلاقي ولا تليق برجل علم ودين وهو أقرب الى الخطابة الانشائية منه الى كتاب علمي يحترم نفسه والكتاب يعج بالمتناقضات والشائعات والافتراءات ولكنه يصب في اثارة الفتن الطائفية والاساءة الى الاخوة الاسلامية والأواصر الطيبة

---

(١) المصدر السابق ١ / ٢٨ - ٢٩؛ ٢ / ٣١.

(٢) نجوم السماء ٢ / ٣١ ومجلدات مختلف الذريعة على أساس عناوين الكتب.

بين المسلمين[١].

وعبقات الأنوار يُطوي على منهجين يشتمل كل منهما على عدّة مجلدات، فالمنهج الأول حول اثبات دلالات بعض الآيات القرآنية الكريمة في الامامة من قبيل: **﴿انما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾** المائدة / ٥٥. وآية اكمال الدين: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم..﴾** المائدة / ٣. وآيات أخرىٰ عديدة تشير الى امامة أهل البيت وعصمتهم و (الامام علي وأولاده عليهم السلام) وقد بحثت بشكل علمي مفصل وقيل ان هذا الجزء لم يطبع فعلاً وهو ما يزال بنسخته الخطية في مكتبة المؤلف الكبرىٰ في مدينة لكنهو.

أما المنهج الثاني للكتاب فهو يعتمد الأحاديث الأثني عشر التي ساقها مولوي عبد العزيز الدهلوي في كتابه التحفة الاثنا عشرية والتي ينكر أصلها وتواترها ويشكل عليها ويستفرق هذا القسم (المنهج) ثلاثين جزءاً طبع منها اثنا عشر جزءاً في الهند وايران حيث كل حديث يستوعب جزءاً وبعض أجزائه مطبوع طبعة حجرية وهي كما يلي:

- الجزء الأول من المنهج الثاني حول حديث الغدير.
- الجزء الثاني في موضوع حديث المنزلة.
- الجزء الثالث حول حديث الولاية.
- الجزء الرابع حول حديث الطير.
- الجزء الخامس حول شرح وبيان حديث: «أنا مدينة العلم وعلي بابها».
- الجزء السادس حول حديث التشبيه.
- الجزء السابع حول حديث: «من ناصب علياً الخلافة فهو كافر».

---

(١)

- الجزء الثامن: في بيان النور: «كنت أنا وعلي نوراً».
- الجزء التاسع: حول حديث الراية.
- الجزء العاشر: في موضوع حديث: «انك تقاتل على تأويل القرآن».
- الجزء الحادي عشر: في حديث «الحق مع علي».
- الجزء الثاني عشر: في حديث الثقلين.

عبقات الأنوار في رؤىٰ الآخرين

أشار علماء عديدون بـ«عبقات الأنوار» وعدّوه من روائع الكتب والآثار في عصره وفي الوقت الحاضر:

١ - العلّامة الكبير الشيخ عبد الحسين الأميني صاحب موسوعة الغدير الكبرىٰ اعتبره كتاباً معجزاً وأنه يفوح بالعبق والعصر ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وان أعانه كثيراً وهو يكتب ويؤلف كتابه الغدير[(١)].

٢ - العلّامة الشيخ آقا بزرك الطهراني أثنىٰ على كل مؤلفات السيد مير حامد وبخاصّة كتاب «عبقات الأنوار» الذي عدّه كالبحر العميق وانه رد على كل الشبهات التي يثيرها البعض حول مسألة الامامة وذلك من خلال ما ورد لدىٰ فريق أهل السنّة من أحاديث حول هذا الموضوع[(٢)].

٣ - الامام الخميني ﷺ صرّح في عام (١٣٦٣ هـ) وكانت أجزاء العبقات لم يكتمل طبعها بعد. ان من يريد البحث في موضوع حديث الغدير عليه الرجوع الى كتاب «عبقات الأنوار» للسيد الجليل مير حامد حسين الهندي الذي صنف أربعة مجلدات في حديث الغدير.

---

(١) الغدير ١ / ١٥٧.

(٢) نقباء البشر ١ / ٣٤٨.

كما نبّه الامام الى خطورة هذا الكتاب في شأنه وان بعض أهل السنّة المتعصبين يحاولون اتلاف الكتاب فيما الشيعة يغطون في نومهم ولهذا فقد اقترح الامام طبع الكتاب قبل حلول هذه الكارثة.

ويضيف ان ما يتعلق بالغدير قد تم طبعه[١] ولكنه يشدد على ان يهتم الشيعة بهذه الوثيقة الكبرىٰ وعدم التفريط بهذا الكتاب القيّم[٢].

٤ – محمد رضا حكيمي وصفه بالمحيط العظيم الذي لا يدرك له ساحل وانه لا نظير له في الامم الأخرىٰ وانه يعد من الوثائق الكبرىٰ التي قلّما يبدعها انسان ما يعكس همة وجهود السيد مير حامد وشعوره بالمسؤولية[٣].

المعاناة

لم يكن كتاب العبقات ترفاً فكرياً بل كان جهوداً كبيرة ومعاناة وعبء نهض السيد مير حامد به حيث قام بأسفاره من أجل انجاز تحقيقاته وهي أسفار مليئة بالمشاق، كما انه لم يكن يحصل على المصادر السنّية بسهولة.

فمثلاً سافر الى مكّة المكرمة وتزيّا بزيّ الخدم ليدخل بيت أحد علماء السنّة ولم يكن بيت العالم في نفس المدينة بل كان في احدىٰ القرىٰ التابعة لها كل هذا من أجل أن يتسنىٰ له دخول مكتبته والبحث عن الكتاب الذي يريد[٤].

ولما توفي ابنه أوكل القيام بمراسم الغسل والدفن والتشييع الى غيره وحتى اقامة العزاء أيضاً من أجل أن يضيع لحظة واحدة وهو يقوم بانجاز مؤلفه

---

(١) وقد طبعت أجزاء تالية من الكتاب.

(٢) كشف الأسرار، الامام الخميني / ١٧٨.

(٣) مير حامد حسين / ٩٥ – ٩٦.

(٤) كيهان الثقافي ٥٠ / ٣٩.

الموسوعي الكبير[١].

ولما سافر الى مصر وحصل على الكتاب الذي يبحث عنه استغل فترة وجوده في السفينة في مطالعة الكتاب هبّت ريح شديدة اتصلت بالكتاب في عرض البحر فما كان من السيد الاّ أن ألقىٰ بنفسه وراء الكتاب وليقوم بانتشاله من الغرق! ولما انتشل هو الآخر من المياه سأله المسافرون عن سرّ القاء نفسه في البحر فأشار الرجل العالم الى الكتاب وما يزال هذا الكتاب موجوداً في المكتبة الناصرية[٢].

وفاته

في الثامن عشر من شهر صفر الخير سنة (١٣٠٦ هـ) أغمض السيد مير حامد حسين عينيه ورحل عن هذه الدنيا ليوارى الثرىٰ[٣] في حسينية في مدينة لكنهو رحمه الله وحشره مع أجداده الطاهرين.

---

(١) مجلة نداء الثورة ١٥ / ٩.

(٢) مجلة عشاق أهل البيت عليهم السلام محرم وصفر ١٤١٥ / ٣٦.

(٣) علماء معاصرين، ملّا واعظ خياباني التبريزي / ٣١؛ أعيان الشيعة ٤ / ٣٨١.

الميرزا حبيب الرشتي /المتوفى سنة ١٣١٢ هـ

ولادته

هو الميرزا حبيب الله الرشتي نجل الميرزا محمد علي خان بن جهانغير خان القوجاني الكيلاني العالم والمحقق كان من فقهاء العالم الشيعي المبرزين وكـان فريد عصره ووحيد زمانه.

يعود أصل أسرته الى مدينة قوجان التي هاجرت في مطلع القرن الحـادي عشر الى مدينة كيلان حيث قطنت هناك[١].

ولد الميرزا حبيب الله سنة (١٢٣٤ هـ) في مدينة أملش[٢] وقـد ابـتهج والده بمولده وكان الميرزا محمد علي خان حاكماً في تلك المنطقة وكان من الرجـال الأتقياء وكان قدر رأىٰ في منامه ان ابنه سيكون له شأن[٣] وكان والده أيضاً يهتم اهتماماً كبيراً بتعليمه ولهذا كان بصدد العثور على من يشرف على تـعليمه لكـي يخطو ابنه الخطوات الأولىٰ في طريق التكامل من أجل هذا فـقد كـان المـنزل مدرسته الأولى في ذلك[٤].

وفي الثانية عشر من عمره غادر الميرزا حبيب «أملش» الى مدينة «لنكرود»

---

(١) نبذة من تاريخ كيلان، الشيخ بهاء الدين الاملشي / ٣٥.

(٢) حياة وشخصية الشيخ الأنصاري، مرتضى الأنصاري / ٢٦١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) مقدمة كتاب القضاء (الميرزا الرشتي) تحقيق السيد أحمد الحسيني ١ / ٩.

ومنها الى مدينة «رشت» عاصمة اقليم كيلان شمال ايران.

وفي الثامنة عشرة من عمره تلقىٰ والده دعوة من أمين ديوان لاهيجي أحد خوانين في تلك المنطقة، وكان الخان يسعىٰ الى مصادرة حقوق السكان في تلك المنطقة مستغلاً نفوذه الواسع فاعترض ميرزا حبيب وقدم نصائحه ولكن دون جدوىٰ فما كان من العالم الشاب الاّ أن غادر المجلس غاضباً احتجاجاً على خطوة الخان بل وقرر ترك تلك المنطقة نهائياً[١].

في حوزة قزوين

وهاجر الشيخ حبيب الى قزوين لينتظم في سلك حوزتها العلمية وقد رافقه والده في رحلته من أجل مساعدته في اعداد لوازم العيش في تلك المدينة[٢]. وهناك التقى استاذه الشيخ عبد الكريم الايرواني فتتلمذ على يديه في الفقه والأصول وقد ظل تلميذاً عنده مدّة سبع سنين وخلال تلك المدّة التي قضاها هناك تزوج وبناء على طلب من اسرته ثرية معروفة وعلى الصعيد الدراسي كان الشيخ حبيب قد استكمل فترة تتلمذه على استاذه الايرواني ونال درجة الاجتهاد في الخامسة والعشرين من عمره[٣] وأصبح في نظر استاذه في كامل الاستعداد للسفر الىٰ مدينة «أملش».

عرف عن الشيخ حبيب قناعته وحياته التي انطبعت بزهده بمظاهر الحياة وحطام الدنيا وهو سلك اعتاد عليه منذ شبابه وظل وفياً له مدىٰ العمر.

في عام (١٢٥٩ هـ) غادر الشيخ حبيب الله الرشتي قزوين عائداً الى أملش

(١) بالاستناد الى الحاج فتح الله الصوفي.

(٢) حياة وشخصية الشيخ الأنصاري / ٢٦٢.

(٣) كنوز العلماء، الشيخ محمد الرازي ٥ / ١٧٤.

وأمضىٰ فيها أربع سنين كان خلالها مرجعاً لسكان المدينة ويؤم المؤمنين في مسجدها ويرشدهم ويعظهم وقد أحبه أهل أملش أيما حب ولولا حبه لأهل البيت عليهم السلام وعشقه لزيارة العتبات المقدسة ما فارقهم، لقد دفعه حب أهل البيت عليهم السلام الى السفر فاتجه الى أرض العراق والى مدنه المقدسة حيث وصل مدينة النجف ليحط الرحال وينتظم في حوزتها العلمية وكانت مدينته وأسرته قد ودعته ودعت له بالموفقية ان عشقه لآل النبي وظمأه للمزيد من معارف الاسلام في ظلال قبة أمير المؤمنين باب مدينة العلم جعله يودع زوجته وابنه محمد ويتجه شطر النجف الأشرف.

مدينة السماء

وصل الشيخ حبيب الله مدينة النجف الأشرف سنة (١٢٦٣ هـ) وانتظم في حلقة الشيخ محمد حسن النجفي (صاحب الجواهر) حيث ظل هناك حتى سنة (١٢٦٦ هـ) وهي سنة وفاة صاحب الجواهر الذي منحه اجازة في الاجتهاد[١] وبعد ذلك انتقل الى درس الشيخ الأعظم الأنصاري وكان في طليعة تلامذته وبالرغم من استغنائه عن دروس ومحاضرات الشيخ الأنصاري الّا انه ظل يواظب على حضور دروسه الى أن توفى رحمه الله ويذكر الشيخ حبيب الله انه لم يفوت حتى درس من دروسه[٢].

أسرار العشق

من خصائص الميرزا حبيب الله الرشتي انه كان زاهداً تقياً وكان الناس

(١) أعيان الشيعة ٩ / ١٤٩.

(٢) حياة وشخصية الشيخ الأنصاري / ٩٥ - ٢٦٢.

يتحدثون عن ذلك وخلاصة القول انه كان مثالاً يحتذىٰ وفيما يلي جوانب من حياته:

١ - بعد وفاة والده عاد ميرزا حبيب الله الى مدينة كيلان وحدث اختلاف حول الميراث بين الأخوة وقد انزعج حبيب الله الذي آثر العودة الى النجف احتجاجاً على موقف أخوته وسوء تصرفهم وكانت حياته في النجف في غاية الصعوبة حتى انه بدأ ببيع أثاث البيت من أجل امرار معاشه وحتى تعذر عليه فيما بعد شراء ماء الشرب في طقس النجف الملتهب.

٢ - كان دائماً في ذكرالله عز وجل وكان يقرأ القرآن ويسبح الله في كل حال وعندما يتوجه الى الدرس كان يتوضأ ويقرأ سورة «يس» وكان يحفظها عن ظهر قلب فيقرأها في الطريق حتى اذا وصل ختام السورة يجد نفسه قد ورد حلقة استاذه الشيخ الأنصاري(١).

٣ - كان مضرب الأمثال في دقته واحتياطه وهذا ما كان يمنعه من الاجابة السريعة من دون تفحص وتروّي. ومن جهة أخرىٰ كان يقوم بتشجيع الناس في تقديم استفتاءاتهم الى الميرزا الشيرازي، وقد جاء في بعض المدونات انه شهد لديه أربعون على رؤية هلال شوال فقال: «كاد أن يحصل عندي قطع» وهذا يعني انه لم يحصل لديه قطع ويقين كامل(٢).

٤ - وفي لحظات الاحتضار مدت رجلاه باتجاه القبلة فضمّهما ثم مدتا فضمهما فسئل عن علة ذلك فأجاب: الست على وضوء ولست أمدهما الاّ على وضوء(٣).

---

(١) موت في الضوء، عبد الحسين كفائي / ٨٢؛ سيماي فرزانكان، رضا مختاري ٣ / ٢١٦.
(٢) أعيان الشيعة ٤ / ٥٥٩.
(٣) سيماي فرزانكان ٣ / ٢٧٤.

٥ – لم يقبض حقاً شرعياً من أحد مع ان ذلك كان رائجاً وعادياً، وقد روي أن رجلاً ثرياً قدم من الهند لتسديد الحقوق الشرعية فالتقى الميرزا الرشتي ولكن الأخير كان عصبياً الى الحد ان من كان حاضر شعر بالدهشة فلما سئل عن ذلك قال: لقد كنت مضطراً لذلك ولم يكن مناص سوى ذلك كما روي أيضاً ان علاء الدولة[1] جاء الى النجف لدفع الحقوق الشرعية ولكنه واجه عدم اكتراث من قبل الميرزا حبيب الله[2] لقد كان الرجل يريد أن يعلم الأجيال القادمة ان رجال الله لا يكترثون الى حطام الدنيا[3].

٦ – جاء في بعض المدونات ان أربعة نفر من تلامذة الشيخ الأنصاري كانوا أركان الأعلمية والرئاسة ولكن مقام حبيب الله الرشتي ينحصر في التدريس ولا شيء غير ذلك، لم يكن ينشد الزعامة أبداً وحتى تلامذته لم يكونوا يطلبون منه سوىٰ العلم ولم يكونوا يفكروا باجازة الاجتهاد ولم يكن يفكر بأن سيكون مرجعاً لقد انقذ نفسه من مزالق الزعامة[4].

٧ – مزج المحقق الرشتي الدين والسياسة، وبعد رحيل الشيخ الأنصاري كثير من مقلدي راجعوا الميرزا الرشتي، ليكون مرجعاً لهم لكنه رفض ذلك وكان يعوّل على ضرورة وجود مرجع له باع في السياسة ولهذا وجد في الميرزا الشيرازي رجلاً عارفاً بشؤون السياسة وشخصية محببة من أجل هذا اقترح على علماء النجف مساندة الميرزا الشيرازي وقد فوت ذلك على العدو فرصة ايجاد الفرقة والاختلاف في الكيان الشيعي. واننا نكتشف حكمة الميرزا الرشتي من خلال

---

(١) انظر: تاريخ منتظم ناصري، محمد حسن اعتماد السلطنة ٢ / ١٢٢٣.

(٢) أعيان الشيعة ٤ / ٥٥٩؛ رجال العلم في ميدان العمل، سيد نعمة الله الحسيني / ١٩٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ روابط ايران وعراق، مرتضى مدرسي / ٢٠٨.

موقفه عندما سئل من نقلد؟ فقال: «نقلد مرجعاً يكون تقليده جائزاً، واليوم فان الراية يحملها العالم الجليل السيد محمد حسن (الشيرازي) وعلى الجميع اتباعه حتى لا تسقط الراية[١].

٨ – وكان النظام من خصائص المحقق الرشتي وكان برنامجه في المساء أداء صلاة العشائين وأداء المندوبات وبعدها يتناول لقيمات ثم ينام شطراً من الليل حتى اذا اشتبكت النجوم في السماء وتألقت وأصبحت قبة الليل مرصعة بالنجوم نهض يناجي ربّه وخالقه ومحبوبه.

٩ – التواضع وهو من الصفات المتألقة في حياة المسلم وقد كان المحقق الرشتي من يحمل هذه الصفة الكريمة فقد عرف عنه تواضعه الجم.

وقد ذكر انه لما سافر الى ايران تعطلت دروسه لحين عودته فلما أراد السفر مرّة أخرىٰ جاء اليه علماء النجف ليمنعوه وكانت وساطة الشيخ حسن المامقاني في ذلك فقال له المحقق الرشتي: «انت مجتهد وعادل واعتبر حكمك واجب الاتباع» في حين ان المامقاني يعد من تلامذته وكانت العلاقة بينهما علاقة استاذ وتلميذ[٢].

١٠ – وكان ايفاد تلامذته النابغين للتبليغ احدىٰ المهمات فقد كان الرشتي يشجع على أداء وظيفة التبليغ الديني ومن جملة من كان يؤدي ذلك آية الله السيد علي أكبر آقاسيري وهو من تلامذته فقد شجعه الرشتي كما شجعه أيضاً الميرزا الشيرازي عاد الى شيراز وكان له دور في ارشاد الناس وتوعيتهم كما كان له دور هام في نهضة التنباكو وفي تعبئة الناس لاتباع فتوىٰ الشيرازي الشهيرة[٣].

---

(١) مجلة نور العلم، جامعة المدرسين في قم ٤٢ / ٦٥.

(٢) وقد روىٰ هذه القصّة السيد الشبيري الزنجاني عن الشيخ عز الدين الزنجاني عن أبيه.

(٣) نقش مجتهد فارس در نهضت تنباكو، محمد رضا رحمتي / ٦٢ وانظر وقايع اتفاقية سيرجاني.

١١ - كان كثير الدعاء لوالديه وكان دائم الترحم عليهما فهو يعد نفسه مديناً لدعاء والديه وقد أدىٰ عنهما صلاة ثلاث مرّات مرّة بتقليد لأحد المراجع واثنتان باجتهاد منه وهذا موضوع فريد اختص به فقط ولم نجد عالماً على طول التاريخ فعل ذلك.

١٢ - يجب أن ندعوه حامياً لحرمة العلماء في عصره وقد كان رجل يشاغب ويعتدي على حرمة العلماء بالقول السيء فعمل الرشتي على ان يعتقد الناس بكفره فطردوه وقد ظل الرجل مطروداً من المجتمع ولم يستطع أن يستعيد اعتباره.

أجل لقد كان الرشتي شديداً في النهي عن المنكر.

آثاره

ان مؤلفات الميرزا حبيب الله الرشتي تعكس جهوده المضنية لقد كان ينشد الجواهر وكان يستخرج الدرر من أعماق الفكر والمعارف والعلوم ليقدمها الى تلامذته. وفيما يلي طائفة من عناوين تأليفاته:

في علم الأصول

«رسالة في الضد واقتضاء الأمر بشيء النهي عنه وعدمه»، «التعادل والتراجيح»، «بدايع الأفكار»، «اجتماع الأمر والنهي»، «رسالة في مقدمة الواجب»، «رسالة في المشتق» و «التقريرات».

في علم الفقه

كتاب الفقه، الحاشية على المكاسب، كتاب الزكاة، كتاب الاجارة، الالتقاط، كتاب الغصب، كتاب القضاء والشهادات، الوقوف والصدقات، رسالة في اللبَاس

المشكوك، حاشية على منهج الرشاد، حاشية على نجاة العباد، حاشية على النخبة.

في علم التفسير

حواشي على تفسير الجلالين.

علم الكلام

الامامة، كاشف الظلام في حل معضلات الكلام.

وقد ظل غبار الزمن يغطي آثاره الى أن انتقلت الى مكتبة آية الله المرعشي النجفي وهي نسخ مخطوطة أخذت مكانها بين آلاف النسخ المخطوطة في هذه المكتبة الكبرىٰ.

تقريرات

من بين الجم الغفير من تلامذة الرشتي كان كثير منهم يكتب تقريراته وفيما يلي أسماء عدد منهم:

الحاج ميرزا حسن الهمداني، سيد صادق القمي، ميرزا باقر نجل الميرزا محمد علي، الشيخ حسن التويسركاني، الشيخ محمد باقر نجل محمد جعفر البهاري الهمداني، السيد ابو القاسم نجل معصوم الحسيني الاشكوري..

اجازاته

كان المحقق الرشتي يحترز كثيراً من اصدار اجازة الاجتهاد وقد منح عدداً ضئيلاً من تلامذته هذه الاجازة وقد نال بعض من تلامذته اجازة في الرواية

والاجتهاد: حاج آقاي مجتهد رشت (الاجتهاد)، السيد عبد الكريم نجل السيد حسن الأعرجي (الرواية)، الحاج ميرزا أحمد الديلارستاقي اللاريجاني (الاجتهاد)، السيد علي آقا ميري الدزفولي (الاجتهاد).

مع قافلة العلم

كانت الأنظار تتجه الى اسلوب الرشتي النقدي، وقد واكب كثير من العلماء هذه القافلة ليصبح عدد منهم نجوماً في سماء العلم والمعرفة ومراجع وقادة لحركات سياسية وتيارات اجتماعية، وفيما يلي طائفة من أولئك العظماء:

آية الله العظمى السيد محمد كاظم اليزدي، آية الله العظمى السيد ضياء الدين العراقي، آية الله العظمى الحاج ميرزا حسين النائيني، آية الله الشيخ شعبان الديوشلي (اللنكرودي)، آية الله الشيخ عبد الله المازندراني (اللنكرودي)، آية الله الشهيد فضل الله النوري، آية الله الشهيد الحاج السيد بحر العلوم الرشتي، آية الله الشهيد علي الرشتي، آية الله الشهيد الشيخ عبد الغني البادكوبي، آية الله العظمى السيد أبو الحسن الأصفهاني، آية الله العظمى السيد ابو القاسم الاشكوري.

الرحيل

في ليلة الخميس الرابع عشر من جمادىٰ الثانية سنة (١٣١٢ هـ) انتشر خبر عن وعكة صحية ألمّت بالمحقق الرشتي وقد شعر الناس بالقلق جرّاء هذا الخبر وسرعان ما انطلقت آهات الحزن من منزل الرشتي لقد رحل الى الله وحلقت روحه في السماء، فقد بدا وكأنه غارق في نوم عميق وعمّ الحزن الكثير من المدن في العراق وايران وأقيمت مجالس العزاء في طهران وشيراز وجرت الاستعدادات في مدينة النجف الأشرف لتشييع جثمان الراحل الفقيد حيث شيع

في موكب مهيب ليواري الثرى في ظلال المرقد الطاهر للامام أمير المؤمنين باب مدينة علم النبي ﷺ وفي احدى حجرات الصحن العلوي رقد المحقق الرشتي ليغفو بسلام.

أولاده

١ - آية الله محمد الرشتي، نجله الأكبر من زوجته الأولى معصومة أرباب[١] وهو من أهل الفضل والعلم توفي سنة (١٣١٦ هـ) ودفن الى جوار والده.

٢ - آية الله الشيخ اسماعيل الرشتي نجله من زوجته الثانية وكان عالماً فاضلاً توفي سنة (١٣٤٣ هـ).

٣ - آية الله الشيخ اسحاق الرشتي ولد في النجف الأشرف أمه زوجة الرشتي الثانية[٢] درس على يد والده ثم شق طريقه في آفاق العلم والمعرفة الى أن توفاه الله سنة (١٣٥٧ هـ).

---

(١) معارف الرجال ١ / ٢٠٤.

(٢) ريحانة الأدب ٢ / ٣٠٨.

الميرزا محمد حسن الحسيني الشيرازي
المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ

ولادته

ولد السيد محمد حسن الحسيني المعروف بـ«الميرزا الشيرزاي» في الخامس عشر من شهر جمادى الأولى (١٢٣٠ هـ) في أسرة معروفة أنجبت العديد من العلماء. والده الجليل هو الميرزا محمود ويعد من العلماء والفضلاء وكان يعمل في أجهزة في الدولة كاتباً في مدينة شيراز. توفي أبو الميرزا وما يزال ابنه محمد حسن في المهد صبياً فنشأ يتيماً في أحضان خاله السيد حسين الموسوي المعروف بـ«مجد الأشراف» وهو من علماء الدين.

دراسته

وضع الميرزا محمد حسن قدمه في الكتاتيب وهو في الرابعة من ربيع العمر فكانت رحلته الدراسية الطويلة وفي سنّ السادسة من عمره كان قد انتظم في سلك الحوزة العلمية وبدأ تلقيه المعارف الدينية والعلوم الاسلامية وهي رحلة طويلة امتدت الى آخر لحظة من حياته.

امتاز الصبي بحافظة قوية وذكاء حاد حتى انه ارتقىٰ المنبر وهو في الثامنة من عمره وكان ذلك في مسجد «وكيل» وبدأ ذلك واعظاً كشأن الوعاظ يقرأ نصوصاً من كتاب «أبواب الجنان» وهو كتاب أخلاقي يدعو الناس الى نشدان

الحقيقة والسعادة والاتجاه الى الله الخالق سبحانه وبناء النفس الانسانية.

وألف شرحه للكتاب الفقهي المشهور «اللمعة الدمشقية» ليصبح جزءاً من المنهج الدراسي في الحوزة العلمية في شيراز وكان الميرزا الشيرازي شاباً في مقتبل العمر لم يخط شاربه بعد. اسند اليه حاكم شيراز منصباً هاماً عرفاناً لجميل ما قدمه والده من خدمات، فيما كان استاذه الشيخ محمد تقي يشجعه على مواصلة الدراسة وأن يهاجر الى اصفهان من أجل ذلك الأمر الذي جعل الميرزا بين خيارين وكان الخيار الثاني هو المرجح فسافر الى اصفهان سنة (١٢٤٨ ه).

في اصفهان

كانت الحوزة العلمية في اصفهان تعيش ازدهاراً وكانت تعد من المراكز العلمية للشيعة الامامية بحيث كانت تقف على مصاف واحد مع الحوزة العلمية في النجف الأشرف. وشاء له القدر أن يستقر في مدرسة الصدر للعلوم الدينية وأن يكون تلميذاً لدىٰ الشيخ محمد تقي صاحب كتاب «هداية المسترشدين» وبعد أيام من ذلك شعر الميرزا الشيرازي الى دروس استاذه العامة لا تروي ظمأه من أجل تقدم الى استاذه وطلب منه أن ينظم له ولبعض تلامذته دروساً خاصة، وتفرس الاستاذ في وجه تلميذه الجديد فاكتشف نبوغه وقابلياته وترسم فيه الخير فوافق على اقتراح تلميذه على الفور.

وهكذا وجد الميرزا الشيرازي فرصة للرقي العلمي فكان يحضر درس استاذه قبل ساعة من بدء الدرس العام فكان يتشرب من فيض استاذه الكثير لكن القدر لم يكن يترك العنان لأحد فقد وافت المنية استاذه الذي رحل في نفس العام (١٢٤٨ ه). وانتقل الميرزا الشيرازي الى حلقة أخرىٰ وراح يحضر دروس آية الله السيد حسن البيد آبادي المعروف بـ«المدرس» وكانت له ذكريات حلوة في تلك

الفترة وكان الميرزا الشيرزاي لا يفتأ يذكر استاذه بكل خير واكان اذا ذكره قال: «سيدنا الاستاذ» وخلال تلك الفترة كان الميرزا الشيرزاي يحضر دروس لدىٰ آية الله الحاج محمد ابراهيم الكلباسي أيضاً.

وفي سن العشرين نال الميرزا الشيرازي درجة الاجتهاد حيث أيد استاذه البيد آبادي قدرات تلميذه في عملية الاستنباط العلمي.

الى ديار الولاء والشهادة

مكث الميرزا الشيرازي في اصفهان حتى سن التاسعة والعشرين ثم قرر السفر الى العراق لزيارة المراقد الطاهرة في كربلاء والنجف وكان هدفه أيضاً أن يتلقىٰ العلم في حوزة النجف الأشرف في ظلال باب مدينة علم النبي ﷺ وفي ظلال مرقد سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام وقد مكث في مدينة كربلاء مدّة من الزمن تتلمذ خلالها لدى أستاذه عديدين من بينهم آية الله الشيخ حسن كاشف الغطاء، آية الله الشيخ حسن النجفي (صاحب الجواهر)، آية الله السيد ابراهيم القزويني (صاحب الضوابط) وآية الله الشيخ مشكور الحولائي.

وفي تلك الفترة كان صاحب الجواهر قد وصل ذروة مجده العلمي وقد تناهىٰ الى الميرزا الشيرازي ان صاحب الجواهر كتب الى حاكم شيراز رسالة يشيد فيها بشخصية الميرزا الشيرازي ويحثه فيها على الافادة منه. حينئذ غادر الميرزا الشيرازي كربلاء متوجهاً الى النجف الأشرف وراح ينهل من دروسها ولكن ذلك لم يطفيء ظمأه وكان يتطلع في العودة الى اصفهان الى أن التقى الشيخ علي النهاوندي وهو من تلامذة الشيخ مرتضى الأنصاري الذي اطلع استاذه على وجود طالب نابغ اسمه الميرزا محمد حسن الشيرازي وهو ينوي العودة الى اصفهان فاقترح الشيخ الأنصاري ان تعقد جلسة عصر ذلك اليوم في حرم الامام

علي عليه السلام وحصل اللقاء في الموعد والمكان المحدد فسأل الشيخ الأنصاري الميرزا عن مسألة علمية فأجاب الميرزا الشيرازي بجواب أبطله الشيخ بأدلّة وبراهين وطرح فرضية أخرىٰ واقتنع الميرزا الشيرازي بجواب الشيخ الأنصاري واعترف ببطلان رأيه، ومرّة أخرىٰ سأل الشيخ الأنصاري فأجاب الميرزا الشيرازي اجابة فنّدها الشيخ الأنصاري أيضاً ومسألة ثالثة أجاب الميرزا عنها بجواب أبطله الشيخ الأنصاري مرّة أخرىٰ وهكذا الى سبع مرّات وقد دهش الميرزا الشيرازي من قوة استدلال الشيخ الأنصاري وأذعن له وحينئذ انصرف عن فكرة السفر الى اصفهان وتمثل ببيت من الشعر الفارسي للشاعر المعروف حافظ:

چشم مسافر چوبر جمال توافتد   عزم رحيلش بدل شود به اقامت

ومعناه:

ولما وقعت عين المسافر على جمالك

القىٰ رحله بدل الرحيل

وهكذا انتظم الميرزا الشيرازي في حلقة الشيخ الأنصاري وأصبح من مريديه وأنصاره وكان الاستاذ يعتمد على تلميذه النابغ في بعض المهمات العلمية فمثلاً عندما ألف الشيخ الأنصاري كتابه: «فرائد الأصول» أصرّ على الميرزا الشيرازي أن يقوم بتصحيحه وتقويمه.

تلامذته

تربّىٰ في ظلال الميرزا الشيرازي تلامذة عديدون نبغوا وأصبح لهم شأن في الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية وفي طليعتهم:

١ - الميرزا محمد تقي الشيرزاي.

٢ - الشيخ عبد الكريم الحائري (مؤسس الحوزة العلمية في مدينة قم).

٣ – الميرزا حسين النائيني.

٤ – الشهيد الشيخ فضل الله نوري.

٥ – السيد محمد كاظم اليزدي.

أعباء القيادة

العروش لا تبقىٰ لأصحابها والكراسي لا تدوم لأحد والزعامات هي الأخرىٰ ولكن زعامة المرجعية تبقىٰ مجداً لصاحبها لأنه لا يريد فيها الدنيا انما هي الآخرة هدفا يرنو اليه. في عام (١٢٨١ ه) فجع العالم الشيعي برحيل الزعيم الديني الشيخ الأنصاري وحتىٰ لا يبقىٰ هذا الموقع شاغراً اجتمع علماء النجف في منزل حبيب الله الرشتي للتداول في ذلك فلم يجدوا من يليق لهذه الزعامة والمسؤولية سوىٰ الميرزا محمد حسن الشيرازي، ولما أجمعوا على ذلك انطلق وفد منهم الى منزله وفاتحوه لكنه رفض في بادىء الأمر بشدّة قائلاً لست على استعداد على ذلك وفيكم فقيه مثل السيد حسن نجم آبادي فقال السيد نجم آبادي: أقسم بالله أن قبولي للمرجعية حرام، وان المرجعية بحاجة الى فقيه وسياسي عارف بزمانه هو شخصكم كما ان الافتاء بالنسبة لكم أمر في غاية اليسر. لكن الميرزا الشيرازي امتنع عن تحمل هذه المسؤولية وأصرّ على موقفه حينئذ تحدث من بين الجمع رجل فقيه قائلاً: ألا تقول بولاية الفقيه؟

قال الميرزا الشيرازي: نعم.

قال العالم الفقيه: وهؤلاء الذين في حضرتك أليسوا فقهاء؟!

قال الميرزا: نعم.

قال الرجل: انهم اذن ليحكمون عليك بقبول المرجعية حينئذ دمعت عينا الميرزا وقال: أقسم بالله لم يخطر ببالي يوماً أن أتحمل عبء هذه المسؤولية.

اجراءات سياسية

الاسلام دين كامل يستوعب كل حياة الانسان ويؤمن السعادة للمجتمع والفرد في الدنيا وفي الآخرة من أجل هذا فعلماء الدين يتعيّن عليهم الدخول في عمق الحياة الاجتماعية بما في ذلك الشأن السياسي لأن الزهد بمعناه السلبي وهو الانزواء بعيداً عن هموم الناس والاهتمام بمصيرهم لن يكون في صالح المجتمع، ولقد دخل الميرزا الشيرازي أبواب التاريخ في ملحمته في القضية المعروفة بـ «نهضة التنباكو» وأثبت ان باستطاعة الانسان المؤمن الذي يحمل هموم الناس أن يهزم قوىٰ الاستعمار والشر كما أثبت الميرزا الشيرازي انه رجل سياسة وميدان، وفيما يلي بعض ما قام به من خطوات سياسية:

١ - الدفاع عن الشيعة المضطهدين في افغانستان: لقد عمل الاستعمار الانجليزي على ايجاد التفرقة في الوطن الاسلامي وذلك من خلال زرع مرتزقته وعملائه من أجل ضرب الوحدة الاسلامية، ففي افغانستان ظهر فرد يدعى «عبد الرحمن محمد زايى» الذي راح يعمل على ايجاد الفرقة بين الشيعة والسنّة وكانت هذه الخطط الاستعمارية تنفذ من خلال بعض المرتزقة والمخدوعين فكانت المذابح تنفذ بحق الشيعة وكانوا يذبحون لتصنع من رؤوسهم تلال وتلال وما يزال هناك مكان يدعىٰ «تل الرؤوس». وبعد أن اطلع الميرزا الشيرازي على هذه الحادثة الأليمة أبرق الى ملكة بريطانيا يطلب منها طرد هذا المجرم مصاص الدماء وقد وضعت بريطانيا حدّاً لذلك المجرم.

٢ - ايجاد روح الوحدة بين الشيعة والسنّة: ان مجد الأمة الاسلامية ينهض على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة كما ان روح الفرقة والاختلاف هيى المعول الهدّام الذي يقضي على الأمة الاسلامية ويعصف بمجدها. وقد سعى الميرزا الشيرازي بكل ما أوتي من قوة على تعزيز أواصر الأخوة بين المسلمين على

اختلاف مذاهبهم فقام بما يلي:

أ – نقل الحوزة العلمية للشيعة من النجف الى مدينة سنّية هي سامراء.

ب – تعيين رواتب ومعونات للطلاب والعلماء السنّة كما هو الحال للشيعة أيضاً.

جـ – تخصيص وانشاء مرافق مدنية للشيعة والسنّة على حد سواء.

د – احباط المؤامرات التي يحوكها العدو والتي يرمي من ورائها الى احداث الفتنة وقد عانىٰ في ذلك الكثير.

هـ – تصديه لبعض المعممين الجهلة من الذين يعملون على ايجاد الفرقة والاختلاف بين الأخوة بسبب بعض تصرفاتهم اللامسؤولة.

٣ – تربية وايفاد المبلغين وبخاصة الى المناطق الخاضعة للنفوذ الاستعماري الانجليزي.

٤ – وقوفه بوجه الاعتداءات التي يقوم بها اليهود في همدان غرب ايران.

٥ – تحريمه لبيع الأراضي للروس في مدينة طوس وبذلك أحبط مشروع روسيا للتوسه الاستعماري في شمال ايران.

٦ – ارساله آية الله السيد عبد الحسين اللاري ممثلاً عنه الى منطقة الجنوب الايراني، وقد وقف السيد اللاري كالجبل الثابت في وجه المخططات الانجليزية وقاد حركة الجهاد ضد الاستعمار الانجليزي وقد استطاع احباط مخططات بريطانيا وتشكل حكم اسلامي استمر مدّة من الزمن.

نهضة التنباكو

يعتبر العهد القاجاري من أسوأ العهود التي مرّت بها ايران فقد تعرضت الى نهب الناهبين وطمع الطامعين وكانت الدول الأجنبية تتسابق من أجل الحصول

على امتيازات اقتصادية ترهن الاستقلال الوطني للبلاد وكان بعضها بمثابة صك لبيع ايران بثمن بخس. وكان أحد أخطر الامتيازات التي منحها شاهات القاجار للأجانب هو حصر التجارة بالتبغ لشركة أجنبية يمكنها من السيطرة على السوق في ايران وكان الطرف في هذا الامتياز بريطانيا التي اختبئت وراء شركة وهمية وشخص يدعىٰ «ماجور تالبذت» وآنذاك كان خمس المجتمع الايراني يعمل في زراعة التبغ وتجارته ما يعني ان أكثر من خمس سكان ايران سيتحولون الى عبيد لدى الشركة اضافة الى ما يتضمنه الاتفاق من حق للشركة في استخدام مسلحين ووضع نقاط تفتيش للسيطرة على تجارة التبغ داخل ايران، وقد سعت الشركة من خلال استقدام الراقصات الساقطات واقامة الاحتفالات التي تخدش الذوق الأخلاقي سعت الى اضعاف العقيدة الدينية لدى المجتمع الايراني كل هذا الخطر واجهه الميرزا الشيرازي بسطرين كما وصف ذلك الامام الخميني الراحل وقد انقذت الفتوى الخالدة ايران من أن تتحول الى لقمة سائغة في فم الأجنبي[١] وكانت أولىٰ الخطى في تلك الملحمة بدأت في شيراز عندما انتفض أهل شيراز بقيادة عالم ديني يدعىٰ فال أسيري وقد قمعت الانتفاضة وسقط بعض الشهداء وأبعد عالم الدين؛ وفي تبريز نهض أهلها لقيادة آية الله المجتهد التبريزي حيث بعث الى ناصر الدين شاه برقية شديدة اللهجة أعرب فيها عن اعتراضه القاطع لما حصل.

وفي خراسان قاد الاحتجاجات الشعبية آية الله الحاج الشيخ محمد تقي البجنوردي وآية الله السيد حبيب المجتهد الشهيدي وغيرهما من العلماء وأعلنوا اعتراضهم الشديد ضد الامتياز الظالم كما منعوا دخول عناصر الشركة الى مشهد.

---

(١) صحيفة النور ١ / ١١٩.

وفي مدينة اصفهان قام آية الله آقا النجفي وآية الله محمد باقر الفشاركي والسيد منير الدين بتعبئة الجماهير ضد الامتياز.

وفي طهران العاصمة قام الميرزا حسن الأشتياني وآية الله الشيخ فضل الله نوري وهما من تلامذة الميرزا الشيرازي بقيادة الاحتجاجات الشعبية وهكذا الأنظار تتجه الى الميرزا الشيرازي الذي حاول دفع الشاه الى الغاء الامتيازات الأجنبية لما لها من مخاطر على البلاد الاسلامية وعندما لم يجد منه اذناً صاغية أصدر فتواه التاريخية الخالدة: «اليوم استعمال التوتون (التبغ) بأي نحو من كان هو في حكم محاربة الامام المهدي صلوات الله عليه. حرّره محمد حسن الحسيني» واهتزت الأرض تحت أقدام ناصر الدين شاه الذي رأىٰ نفسه وعرشه في مهب اعصار فيه نار وقد وصل زلزال الفتوىٰ الى قصره والى بلاطه حيث كانت سيدات القصر يقمن بتحطيم جميع النارجيلات الثمينة.

وقد حاول البلاط المستحيل لوقف التداعيات الخطيرة واستخدم اسلوب الترهيب والترغيب في كسر الفتوىٰ لكن دون جدوىٰ.

وأخيراً احتشدت الجماهير في مسجد شاه (مسجد المام حالياً) ثم تدفقت نحو قصر الشاه وحدثت اشتباكات مع جلاوزة الشاه وسقط عدد من الضحايا واضطر الشاه في النهاية الى الغاء الامتياز وقد حذر الميرزا الشيرازي من مؤامرة أخرىٰ ولكن الشاه عمد في الخفاء الى تقديم مبالغ طائلة كتعويضات للشركة الانجليزية كما وضعت تحت تصرف الشركة بعض الموانيء في الشمال والجنوب كضمانات.

وخلاصة القول كانت بريطانيا تسعىٰ الى التسلط على مقدرات ايران وتحويلها هند أخرىٰ خاضعة تحت نفوذ شركة الهند الشرقية ولكن الزعامة الدينية أحبطت تلك المؤامرات الخطيرة التي حيكت ضد ايران.

الاجراءات الثقافية

أمضىٰ الامام المجدد الميرزا الشيرازي عمره المبارك في طلب العلم ونشره وقد سعىٰ في ذلك وبذل جهوداً كبرىٰ، والميرزا الشيرازي الذي طلب العلم وهو في الرابعة من عمره ظل حتى آخر لحظة من حياته يواصل ذلك وحتى في لحظات عمره الأخيرة وقد وهن العظم منه سأله بعض تلامذته سؤالاً فلم يسمعوا منه جواباً وظنوا ان استاذهم رحل عن الدنيا فقال أحدهم لنسأله سؤالاً فقهياً فإن كان حيّاً أجاب. فسألوه واذا بهم يفاجأوا بصوت واهن يجيب.

كراماته

لقد ألغىٰ الاسلام كل الامتيازات الجاهلية المغلوطة والتي تنهض على الأنساب والطبقية والثروة؛ ليرسي بدلها قيماً جديدة كان في طليعتها التقوىٰ وتزكية النفس وتربيتها وقد بلغ الميرزا الشيرازي في هذا الطريق مراتب عالية ما يعكس مجد ذلك الانسان العالم المتقي والزاهد المتواضع وهذه اشارة الى بعض كراماته:

١ - الرجل اليائس: يروي آية الله السيد اسماعيل الصدر وهو من تلامذة الميرزا الشيرازي المبرزين: انه التقى رجلاً يبدو عليه الصلاح في سامراء وكان الرجل ادعى انه قادم من اصفهان وانه في أمس الحاجة الى العون وكان يحمل معه رسائل تزكية من علماء اصفهان فطلب من السيد الصدر أن يعرّف حاله الى الميرزا الشيرازي ووافق السيد اسماعيل وأخذ من الرجل رسائل التزكية ولما التقى الميرزا الشيرازي في حرم الامام الهاديعليه السلام قصّ عليه حال الرجل الاصفهاني الميرزا وقبّل يده فقال السيد اسماعيل الصدر هذا الرجل الذي تحدثت لك عنه وكأن الميرزا لم ير شيئاً ولم يسمع شيئاً وانصرف دون أن يقدم شيئاً أو يقول شيئاً

وانصرف الرجل الاصفهاني يائساً فبقي السيد اسماعيل كما يذكر متعجباً لأن الميرزا لا يتردد في تقديم العون للمحتاجين فكيف صرف الرجل الاصفهاني دون أن يقدم له معونة؟! ثم مرّت مدّة عرف السيد اسماعيل الصدر ان الرجل الاصفهاني كان أحد الضالّين من أولئك الذين انتموا الى الحركة البابية وهي ضيعة الانجليز لقد كان الميرزا الشيرازي على حق وكأنه نظر الى أعماق الرجل ورأىٰ ما بها من خبث.

٢ - الحوالة لم تصرف: يذكر الشيخ علي الشروقي وهو أحد تلامذة الميرزا الشيرازي ان أحد تجار النجف المعروفين أفلس وجاء الى سامراء ليساعده الميرزا الشيرازي فقام الشروقي بشرح حالة هذا التاجر لاستاذه فما كان من الميرزا الشيرازي الا أن كتب رسالة الى شخص في البصرة وقال ليسرع التاجر بالسفر ومرّت أيام فقال الميرزا الشيرازي للشروقي: لماذا لم يذهب التاجر المفلس الى البصرة؟ فقال الشروقي: بلىٰ انه ذهب. فقال الميرزا: كلا قل له يذهب. وعندما تحقق الشروقي من أمر التاجر اكتشف ان التاجر لم يذهب الى البصرة وانما ذهب الى مدينة الكاظمية فقال الشروقي له ان الميرزا الشيرازي يقول أسرع بالذهاب الى البصرة ولما التقىٰ الشروقي استاذه أخبره بأمر ذهاب التاجر الى البصرة فقال الميرزا: أخشى أن يكون قد تأخر بالذهاب وقد لا يحصل على شيء، وما هي الاّ أيام حتى توفي الميرزا الشيرازي ورحل عن الدنيا ولم يستطع التاجر من صرف الحوالة لقد كان الشيرازي يشعر بدنو أجله ولهذا كان يحث على اسراع التاجر بالسفر.

٣ - تسديد القرض: ويروي آية الله الشيخ عبد النبي النوري انه كان مديناً أيام طلبه العلم بمبلغ مئة وعشرين توماناً وانه كان في ضيق شديد من ذلك فتوسل الى صاحب الزمان بعد أدائه الصلاة ثم استغرق في النوم فرأىٰ في عالم النوم

سيدنا محمدﷺ معتمّاً بعمامة خضراء فلما أتي قال لي ان المئة والعشرين تومان في الصندوق فخذها وسدّ بها دينك فلما استيقظ صباحاً طرق الباب طارق وحينما فتح الباب ليرىٰ من الطارق اذا به بشخص من قبل الميرزا الشيرازي يدعوه الى الحضور فمضىٰ الى منزله ولما دخل عليه وجده جالساً كهيئة جلوس النبيﷺ في الرؤيا وما ان وقعت عينا الميرزا الشيرازي عليه قال له: يا عبد النبي في هذا الصندوق مئة وعشرون تومان فخذها وسدّد بها دينك فبقي الشيخ مبهوتاً من ذلك وأراد أن يحدثه برؤياه فقال الميرزا الشيرزاي لا ضرورة من ذلك وكأنه كان على علم بالرؤيا!

وداع الأحباب

عاش الميرزا الشيرازي اثنين وثمانين سنة قضاها في طلب العلم والمعرفة وهداية الناس وكان رأسه يشتعل شيباً وقد وهن العظم منه وآن له أن يستريح في عام (١٣١٢ هـ) لبىٰ المرجع المجدد دعوة الحق وأغمض عينيه ليرقد بسلام وسراء كانت وفاته طبيعية بسبب الشيخوخة أو بسبب مرض ولكن البعض يعتقد أن الميرزا الشيرازي مات مسموماً فقد ظهر طبيب في سامراء واستطاع أن يتقرب من المرجع الشيعي الكبير وراح يشرف على علاجه ولما توفي الزعيم الديني الميرزا الشيرازي اختفىٰ الطبيب فجأة ما يعزز من الشكوك في أن الطبيب كان أحد المرتزقة وعملاء الانجليز.

وبهذا يكون المرجع قد توفي شهيداً بعد أن سار على طريق آبائه وأجداده الطاهرين.

نظم تشييع مهيب للجثمان ليواريٰ الثرىٰ في ظلال المرقد الطاهر للامام عليعليه السلام الى جانب باب الطوسي المؤدي الى الضريح الشريف وكان المكان مدرسة أمر بانشائها الفقيد الراحل.

الميرزا ابو الحسن جلوة /المتوفى سنة ١٣١٤هـ

نسبه

الحكيم الالهي الميرزا ابو الحسن جلوة واحد من أعلام العالم الشيعي في العصر القاجاري في ايران لقد كان نجماً ساطعاً في سماء الفكر والمعرفة والحكمة. يعود نسب الميرزا ابو الحسن جلوة الى الأسرة الطباطبائية والتي يرتفع نسبها الى الامام الحسن السبط هذه من جهة والده، أما من جهة الأم فيرتفع نسب ذلك السيد الحكيم الى الامام الحسين عليه السلام. أحد أجداده السيد بهاء الدين حيدر الذي عاش في القرن السابع الهجري وقد عاصر الهجوم المغولي على ايران وقد تصدّىٰ السيد بكل بسالة للهجوم البربري واستشهد في ملحمة الدفاع البطولي حيث دفن في منزله في مدينة زواره[1].

جدّه السادس هو الكلامي والحكيم المشهور الميرزا رفيعاي النائيني وقد أشار ابو الحسن جلوة نفسه في رسالته «دانشوران ناصري» سيرته مشيراً الى هذه المعلومة[2].

نشأته

أبوه هو السيد محمد مظهر شاعر حكيم من العهد القاجاري سافر الى الهند

---

(١) الخواجة نصير الدين وأهل زوارة، محيط الطباطبائي، مجلة يغما سنة ١٩٥٥م.

(٢) دانشوران ناصري ٣ / ٣١.

لاستكمال دراسته في الطب والأدب حيث أقام هناك مدّة. في عام (١٢٣٨ هـ) رزق ولداً في مدينة أحمد آباد في اقليم «كجرات» وقد دعا ولده بـ«ابو الحسن» وأبو الحسن هذا وهو من سيصبح الميرزا أبو الحسن الجلوة الذي نترجم له. وقد عاد «مظهر» بناءً على طلب من أخيه مير محمد حسين الثاني وهو انسان فاضل عاد الى موطنه في اصفهان والى مدينته زوارة مصطحباً اسرته وقد ظل هناك الى أن وافاه الأجل سنة (١٣٥٢ هـ) حيث دفن في جوار والده الفقيه المبرز مير محمد صادق الطباطبائي وكان أبو الحسن قد بلغ الرابعة عشرة من ربيع العمر وقد قطع مرحلة المقدمات في دراسته كما درس الأدب الفارسي وقسماً من علوم العربية كما تعلم الخط. وبالرغم من فقده والده الّا ان ذلك لم يثنه عن مواصلة الدراسة.

دراسته في اصفهان وطهران

بالرغم من قلة الامكانات فقد كان الميرزا يواصل دراسته بكل حماس وقد هاجر من أجل ذلك الى اصفهان وقد أقام في مدرسة أسسها الأمير محمد مهدي المعروف بـ«حكيم الملك» وهو من أحفاد السيد روح الله الطباطبائي الأردستاني[١].

كانت الحجرة التي سكنها هي نفس الحجرة التي كان يقيم فيها السيد حسين الطباطبائي الذي بـ«مجمر الشاعر الزوارئي» وذلك في سنة (١٢٠٩ هـ)[٢]، لقد كان الميرزا ابو الحسن يموج حماساً للدراسة والتحقيق وقد وجد نفسه يتجه الى

(١) تاريخ اردستان، ابو القاسم رفيعي مهر آبادي القسم ٣ / ٥٠٤.

(٢) مجلة دليل الكتاب، مقالة سيد محيط الطباطبائي بقلم السيد عبد العلي التوحيدي سنة ١٩٤١ العدد ٣، ٥.

الحكمة والفلسفة والعرفان وقد أشار الى ذلك في أحد المناسبات[١].

درس الميرزا جلوة في مدينة اصفهان لدىٰ علماء من قبيل حسن النوري، الميرزا حسن جيني والملّا عبد الجواد توني الخراساني وكان طالباً موفقاً خاصة في دروس الحكمة والفلسفة والعرفان، وفي عام (١٢٧٣ هـ) وقد بلغ جلوة الخامسة والثلاثين من عمره غادر اصفهان نحو طهران حيث أقام في مدرسة «دار الشفاء» وكان فتح علي شاه قد أسسها لتكون مشفىً ثم أصبحت مدرسة[٢] وقد مكث جلوة أكثر من أربعين سنة استغل فيها بتدريس الحكمة والفلسفة والرياضيات وقد عاصر أساتذة معروفين منهم محمد رضا القشمائي وعلي المدرسي وكانا يشكلان مع جلوة طليعة الأساتذة في تلك الفترة في تدريس العلوم العقلية ومع رحيل الأستاذين انحصر التدريس بجلوة[٣] الى ان ظهر ملّا هادي السبزواري ليضخ الحياة في مدرسته حيث ازدهرت الفلسفة. وقد عاش الحكيم حياته بسيطة بعيدة عن صخب الحياة زاهداً متواضعاً وقد ظل اسمه متألقاً حدود نصف قرن متألقاً عبر تلامذته الذين أصبحوا علماء مشهورين.

تلامذته

على مدى نصف قرن تقريباً كان الميرزا أبو الحسن يشتغل في التدريس وقد تربىٰ في ظلاله تلامذة كثيرون أصبح لبعضهم شأن كبير وفيما يلي اشارة الى طائفة منهم:

١ - الميرزا محمد طاهر التنكابني وقد تتلمذ على يد الميرزا ابو الحسن بعد

---

(١) تاريخ الحكماء والعرفاء المتأخرين، منوجهر الصدوقي / ١٦٠.

(٢) تاريخ مدارس ايران، حسين سلطان زاده / ٣٠٩.

(٣) أفضل التاريخ، الميرزا غلام حسين أفضل الملك / ٢٧٤.

وفاة الآخوند محمد رضا صهبا القمشئي وقد درس على يد الميرزا أبو الحسن كتاب: «تمهيد القواعد» لابن تركه وقد أشار التنكابني الى طريقة التدريس لدى استاذه الميرز ابو الحسن جلوة في ان من عادته الاّ يشرع في تدريس أي كتاب حتى يقوم بتصحيحه وعندما شرع بتدريس كتاب «تمهيد القواعد» كان قد أكمل تصحيحه تماماً[١].

كان التنكابني في طليعة أساتذة الفلسفة في عصره وكان مذهلاً في احاطته العلمية بالآراء الفلسفية للسلف[٢] كما كان عالماً في الرياضيات والهيئة والنجوم والطب. وقد بدأت معاناة التنكابني منذ عام (١٩٣٠) فقد بدأ يعاني من وطأة الاعتقالات والسجون والابعاد وهي الفترة التي حكم فيها رضا خان ايران بالحديد والنار في عام (١٩٤٠ م) توفي أبو الحسن جلوة ليوارىٰ الثرى في جوار أستاذه جلوة[٣].

٢ - آية الله العظمى الميرزا محمد علي الشاه آبادي: وقد درس هذا الفقيه العارف المقدمات على يد والده وأخيه آية الله الشيخ أحمد البيد آبادي والعلّامة الميرزا محمد هاشم الجهارسوقي في حين كان والده يتعرض لمضايقات ناصر الدين الشاه القاجاري حيث أبعد سنة (١٣٠٤ هـ)، وقد أصطحبه أبوه الى طهران وهناك درس العلوم الدينية والفلسفة والعرفان على يد أستاذه جلوة وبعد اقامة امتدت الى ستة عشر عاماً في طهران غادرها متوجهاً الى النجف الأشرف حيث تتلمذ هناك على يد العلّامة الآخوند ملّا محمد كاظم الخراساني.

وفي مدينة سامراء درس على يد الميرزا الشيرازي ليعود الى ايران بعد ثمان

---

(١) أحوال العظماء، مرتضىٰ مدرسي الجهاردهي؛ مجلة يادكار السنة الثالثة العدد الأول سنة ١٩٥٥.
(٢) ايران والاسلام، مرتضىٰ مطهري / ٦١٩.
(٣) تاريخ الحكماء والعرفاء / ٩٨.

سنوات أمضاها في العراق ولدىٰ عودته الى طهران سكن في شارع «شاه آباد» فعرف بالشاه آبادي، وخلال اقامته التي امتدت الى سبعة عشرة سنة راح ينشر المعارف الاسلامية الحقة لمذهب أهل البيت عليهم السلام وواجهه حكام الجور وكانت دروسه -تتضمن التطرق الى هموم الناس ونشر الوعي وقد قام بفضح شخصية الشاه رضا خان قبل أن يصل الى سدّة الحكم ويتربع على العرش، وكانت محاضراته ودروسه مدرسة كبرىٰ تربىٰ فيها علماء كبار في طليعتهم الامام الخميني الراحل قدس سره، وكذا آية الله العظمى المرعشي النجفي وآية الله الميرزا هاشم الآملي في مدينة قم المقدسة.

ومن مؤلفات هذا العارف الكبير «شذرات المعارف»، «رشحات البحار» و «مفتاح السعادة»[١].

٣ - السيد حسين البادكوبي: ولد سنة (١٢٩٣ هـ) في احدىٰ قرى بادكوبة في جمهرية آذربيجان، وبعد أن تلقىٰ دراسته الابتدائية والمقدمات قدم الى مدينة طهران ودرس الرياضيات والفلسفة لدى استاذه الميرزا ابو الحسن جلوة بعدها سافر الى مدينة النجف الأشرف ليتتلمذ على يد الآخوند الخراساني والشيخ حسين المامقاني حيث درس الفقه والأصول، وكان الفيلسوف الكبير والمفسر العلّامة الطباطبائي قد درس الرياضيات والالهيات على يد هذا الحكيم أثناء اقامته في مدينة النجف الأشرف[٢].

٤ - الملّا محمد الآملي: وهو من الفقهاء والمجتهدين والعلماء الأتقياء الزاهدين ومن مشاهير المراجع الروحانيين وقد وقف الى جانب الشهيد الشيخ فضل الله نوري في الدفاع عن الحركة الدستورية المشروعة. نشأ في مدينة آمل

---

(١) ريحانة الأدب ٣ / ١٦٧.

(٢) نقباء البشر ٢ / ٥٨٤ - ٩١٨.

شمال ايران ثم قدم الى طهران حيث تتلمذ على يد الحكيم أبو الحسن جلوة ليصبح استاذاً يقوم بنشاطه العلمي والديني ويصبح أحد المراجع المعروفين. توفي رحمه الله سنة ١٩٥٦ م وقد شيع جثمانه في موكب مهيب ودفن الى جوار أستاذه جلوة[١].

٥ - الميرزا حسن الكرمنشاهي: وهو من تلامذة الميرزا ابو الحسن جلوة المبرزين، وبعد حلقة وصل هامّة في انتقال الفلسفة الى من تأخر عن عصره، تربىٰ في ظلاله علماء كبار في طليعتهم الفيلسوف الفاضل السيد موسىٰ الزرابادي. من مؤلفاته: شروحه على كتب: «الاشارات»، «الأسفار» و «الشفاء» لابن سينا[٢].

اضافة الى عدد كبير آخر نذكر منهم: الحكيم الميرزا ابراهيم الحكمي الزنجاني، الحكيم الملّا محمد الهيدجي الزنجاني، عبد الرسول المازندراني، ضياء الحكماء الزوارئي، الميرزا مهدي الاشتياني، الميرزا علي أكبر الحكيم اليزدي، الميرزا محمود مدرس الكهكي القمي، الحاج الشيخ عبد النبي النوري، السيد عباس الشاهرودي، السيد محمود الحسني المرعشي النجفي (والد آية الله المرعشي)، الحاج الميرزا عبد الكريم السبزواري نجل الحاج ملّا هادي السبزواري و...

آثاره وأفكاره

منذ شبابه كانت نفسه تندمج بالحكمة والفلسفة وقد كان مصداق الآية الكريمة في قوله تعالى: **﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾** لقد أشرقت شمس الحكمة على

(١) اختران فروزان، محمد شريف الرازي / ٣٦٥ - ٣٦٦.
(٢) كنز الحكمة، المرحوم الدري ٢ / ١٥٦.

قلبه وعقله وأضاءت روحه بالمعرفة وكان قد سبر أغوار الفلسفة وأحاط بأفكار الحكماء والفلاسفة وكانت حلقته الدراسية الأكثر ازدحاماً وحماساً وكان يزداد تواضعاً كلما زاده الله رفعةً، ويعود في طليعة من يشرح أفكار ابن سينا والفلسفة المشائية[١] وكان يفخر بتدريسها كما كان يدرس أفكار وآثار ملّا صدرا الفيلسوف الكبير وبخاصّة «الأسفار الأربعة»[٢].

أمضىٰ عمره المبارك في المطالعة والبحث والتأمل، فإذا لم يكن في أحد هذه الحالات تجده يناجي ربّه وخالقه وكان يدعو الله في أن يسدده في كل ما يكتب حتى لا تشوب كتاباته شائبة من شبهة أو خطأ. يعد أبو الحسن جلوة من المتحمسين للفلسفة المشائية وكان يعرض عن الفلسفة الاشراقية بل ويعارضها أيضاً، هكذا عرف الّا ان التنقيب في آثاره وأشعاره يكشف عن روح عرفانية وطمأنينة وسكينة وكان همّه البحث عن الحقيقة الى أن تشرق على روحه وقلبه ففي بعض أشعاره يقول:

العقل أنفس سلعة في سوق العالم غير ان العشق أعرف هذه السلعة

لقد غادرنا السفينة شوقاً للوصال وألقينا أنفسنا في البحر

وأشعار أخرىٰ يترنم فيها العشق الالهي، وما يعزز ما نذهب اليه شرحه «فصوص الحكمة القيصرية» ولدىٰ المؤلف صورة عن الشرح[٣].

ومن أهم آثار الميرزا أبو الحسن جلوة ما يلي:

١ – الحاشية على الشفاء.

---

(١) كوشه اي از سيماي تاريخ تحول علوم در ايران، وزارت علوم وآموزش عالى سابق / ٢٥.

(٢) أعيان الشيعة ٤.

(٣) وأصل النسخة مخطوطة باللغة العربية مودعة في مكتبة آية الله المرعشي النجفي تحت رقم ٧٠٢١.

٢ – حواشي على كتاب الأسفار لملّا صدرا[١].

٣ – اثبات الحركة الجوهرية: وهي رسالة باللغة العربية في اثبات الحركة الجوهرية[٢].

٤ – رسالة في بيان ربط الحادث بالقديم: وقد طبعت في طهران مع حواشي شرح الهداية لملّا صدرا.

٥ – حواشي على مشاعر ملّا صدرا: وقد طبعت مع الرسالة العرشية لملا صدرا.

٦ – حواشي على المبدأ والمعاد: طبعت سنة (١٣١٣ ه).

٧ – رسالة في التركيب وأحكامه.

٨ – رسالة في الوجوه وأقسامه: وهي من تقريرات جلوة وتحرير تلميذه الحاج السيد عباس الشاهرودي.

٩ – حاشية على شرح الهداية الأثيرية للأبهري (المتوفى سنة ٦٦٠ ه).

١٠ – تعليقة على رسالة الدرة الفاخرة: وتوجد نسخة منها مخطوطة بخط النستعليق قام بخطها تلميذه الحاج السيد عباس الشاهرودي وقد ألفت سنة (١٣٠٦ ه) وهي موجودة في مكتبة القدس الرضوية (مكتبة الأستانة في مشهد).

١١ – تعليقات على مقدمة شرح الفصوص القيصرية[٣].

١٢ – حاشية على شرح ملخص الجغميني (طبعت سنة ١٣١١ ه).

١٣ – حاشية على شرح منظومة السبزواري وتوجد نسختها المخطوطة في

---

(١) الذريعة ٦ / ١٩.

(٢) فهرست الكتب المخطوطة في الأستانة الرضوية ١ / ٣٨١.

(٣) الذريعة ٦ / ١٢٦.

مكتبة مجلس الشورىٰ الاسلامي[١].

١٤ - الجسم التعليمي: وهي رسالة في الحكمة قام بخطها السيد علي أكبر الطباطبائي في شعبان سنة (١٣١١هـ)[٢].

١٥ - وجود الصور النوعية: رسالة في اثبات الفلسفة وطيّها حيث يثبت جلوة الصدر النوعية في الأجسام، الجوهر والموجود.

١٦ - انتزاع مفهوم الواحد: حيث يبحث فيه مفهوم انتزاع الواحد من الحقائق المتباينة.

١٧ - القضية المهملة هي القضية الطبيعية: وموضوعها في المنطق وهو يستدل في هذه الرسالة على ان القضية المهملة هي القضية الطبيعية.

١٨ - بيان استجابة الدعاء: وفي هذه الرسالة يقسم جلوة الماهية ابتداءً الى ثلاثة أقسام حيث يصنف الدعاء ضمن القسم الثاني ويقول ان أكثر الوسائل تأثيراً في استجابة الدعاء هي المعرفة الكاملة للخالق تبارك وتعالى[٣].

١٩ - ديوان جلوة: ويشتمل على أشعاره وآثاره المنظومة وقد قام بجميع ما نظمه الميرزا أبو الحسن جلوة أحد تلامذته وهو الميرزا علي خان عبد الرسولي، وذلك سنة (١٣٤٨ هـ)، وفيها قصائد في الغزل العرفاني والمثنويات الديوان في طهران.

أخلاقه وسلوكه

كان جلوة مديد القامة نحيفاً تجلله مهابه ووقار وجلالة يجتذب اليه كل من

(١) فهرست الكتب المخطوطة في المجلس الوطني، عبد الحسين الحائري ٥ / ١٥٨.

(٢) فهرست الكتب المخطوطة في كلية الالهيات، د. فاضل، ٣ / ١٣٣٧ - ١٣٣٨.

(٣) وتوجد مخطوطة هذه الرسالة في مكتبة المرعشي النجفي.

رآه فهو محبوب لدىٰ الناس محترم عندهم كان لباسه بسيطاً ولكنه كان نظيفاً جداً وفي أواخر عمره كان يتوكأ على عصا، طيب المعشر وحلو الكلام[١] وكان يكلم الناس كل حسب فهمه[٢] وحدود أدراكه وكان مصداق القول المأثور: «**كلّم الناس على قدر عقولهم**» وكان يترك في نفس من يلقاه بلهجة وشعوراً بالسعادة وفارق الدنيا ولم يترك من حطامها شيئاً ما عدا كتبه وكانت متعته الوحيدة كان يعيش في حجرة في مدرسة الشفاء وهي بسيطة الأثاث لقد كان ناهداً قانعاً فعاش حرّاً من أسر الدنيا وأغلالها ويجد لذته في عزة نفسه وكرامته، لم يطلب من أحد شيئاً ولم يكلف أحداً في قضاء حاجة من حوائجه مع تهافت الناس على ذلك[٣] مع هذا المتاع البسيط من الدنيا فقد كان مباركاً وكان مدرسة تتخرج من خلالها الأجيال.

كانت روحه منعمة بحب أهل البيت عليهم السلام وكان يعتقد ان الحبّ الحقيقي لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ومودتهم تطهر الانسان من كل ما يلوثه من شوائب الذنوب وتعصمه من الخطل والخطأ.

الرحيل

كان يتقدم في السن وكان الرأس يشتعل شيباً وقد وهن العظم ويتسرب الى الجسم الضعف والوهن ليلزم الفراش مريضاً، ويكتشف تلميذه عبد الرسولي أن لا أحد يقوم على تمريضه قام بنقله الى منزله وراح يرعاه كما يرعىٰ الابن البار أباه، وشيئاً فشيئاً كانت حذوة الحياة تخبوه قليلاً قليلاً لقد كان يودع الحياة بصمت مسلماً أمره الى الله الذي يتوفي الأنفس حين موتها، وأخيراً وفي ليلة الجمعة

---

(١) شرح حال رجال ايران، مهدي بامداد ١ / ٤٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أفضل التواريخ / ١٠٦.

السادس من ذي القعدة من سنة (١٣١٤ هـ) وفي تلك الليلة شعر الميرزا بدنو الأجل فطلب من والد تلميذه أن يجلس عند فراشه وبعد صلاة المغرب كانت حالته تتدهور لقد كان يودع الحياة وقد فقد القدرة على الكلام وكانت تمتمات الدعاء والتضرع تتكسر فوق شفتيه الى أن سلم الروح الى بارىء الروح.

وفي الصباح نقل جثمان الفقيد الراحل الى المسجد ليشيع من هناك في موكب مهيب ليوارى الثرىٰ في جوار «ابن بابويه»[1].

وأقيمت على الراحل مجالس العزاء ليس في طهران فقط بل في مناطق عديدة[2].

جدير ذكره انه أجريت ترميمات على الضريح حديثاً فقد جدد بناء الضريح مع الحفاظ على الطراز القديم وما يزال الضريح مزاراً للمؤمنين الذين يقصدون زيارة الشيخ الصدوق[3].

---

(١) أفضل التواريخ / ١٠٦.

(٢) روز شمار تاريخ ايران مشروطة تا انقلاب اسلامي، باقر العاملي / ١١.

(٣) أجريت مراسم تكريم للراحل في زوارة بمناسبة مرور مئة عام على رحيل ذلك الحكيم حضرها العلّامة حسن زادة الآملي وذلك بتاريخ ٣١ / ٢ / ١٣٧٣ هـ ش.

السيد جمال الدين الأسد آبادي /المستشهد سنة ١٣١٤ هـ

ولادته ونسبه

في «أسد آباد» في محافظة همدان ولد السيد جمال الدين وليد مبارك من نسل النبي ﷺ[١]، يرتفع نسب السيد جمال الدين الى الامام زين العابدين عليه السلام، سكنت أسرته محلة «سيدان» في أسد آباد منذ سنة (٦٧٣ هـ) وأسرته أسرة علمية نبغ فيها قضاة وخطاطون من قبيل «مير زكي» وهو أخ «السيد صفدر». وكانت تعرف الأسرة بـ«شيخ الاسلامي» وكانت الأسرة تحظىٰ باحترام واجلال الناس لخصالها الأخلاقية وما يتحلىٰ بها أفرادها من مزايا نبيلة[٢]، والسيد صفدر وزوجته «سكينة بيكم» من أصل واحد فكلاهما من جد واحد هو «مير أصيل الدين» نجل «مير زين الدين الحسيني» وولداهما هما: «مير رضي الدين» و «مير شرف الدين». كانت أمهما «سكينة بيكم» أمرأة متعلمة ومثقفة قرآنياً كما هو الحال زوجها حيث ربيا أبناءهما تربية صالحة وكانت حياتهما حياة طيبة دافئة.

في عام (١٢٥٤ هـ) ولد السيد جمال الدين ليفتح عينيه في أجواء هذه الأسرة الطاهرة[٣].

---

(١) شرح حال وآثار السيد جمال الدين الأسد آبادي، لطف الله الجمالي.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) اسناد ومدارك در باره سيد جمال الدين، صفات الله جمالي.

اللؤلؤة الفريدة

ظهرت على السيد جمال الدين إمارات النبوغ والفطنة والذكاء الحاد منذ نعومة أظفاره، وكان منذ طفولته يفكر بهموم كبيرة وكان يستشعر آلام أمته ومعاناة شعبه وأهله، وحتى في ألعابه البريئة مع أقرانه يختار لعبة السفر الى الآفاق البعيدة فهو يشدّ أمتعة السفر على حصانه الخشبي لينطلق في خياله الوثاب باتجاه الآفاق البعيدة فهو يتطلع الروم ومصر والهند وافغانستان وحتى بلاد الفرنجة أو أوربا، كان ينتخب رفيقاً أو رفيقين في أسفاره الخيالية ويودع والديه وأخواته حتى اذا عاد من أسفاره من أرض الخيال راح يقص على والديه ما شاهد من العجائب وما صادفه من المتاعب في رعناء السفر(١).

دراسته

بدأ دراسته تلميذاً لدىٰ والديه فتعلم منهما القرآن والمقدمات في آداب العربية، وكان يتشرّب المعارف بسرعة مذهلة، وبسبب الاختلافات بين القبائل في مسقط رأسه اضطر والده الى النزوح والسفر الى مدينة قزوين ليمكث هناك أربع سنين(٢)، وانتظم السيد جمال الدين في سلك الحوزة العلمية في قزوين وراح ينهل من العلوم والمعارف بحماس وجدّ واجتهد فدرس آداب العربية، المنطق، الفقه والأصول، ولم يكن يشعر في طلب العلم بالكلل أو الملل فكان يتقدم في دراسته سريعاً حتى أصبح بامكان تدريس كثير مما تعلمه أقرانه، وزاره والده ذات مرّة وكان الوباء قد عصف بالمدينة فرآه يحدق في أعضاء وجوارح بعض الموتىٰ فسأله بدهشة قائلاً: ان الناس يفرون من الوباء وأنت تنظر الى هؤلاء

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه / ٢٠٥ - ٢٠٦.

الموتىٰ فقال السيد جمال الدين: أريد أن أعرف ماذا يفعل الوباء بجوارح الانسان وأعضاء جسمه(١).

في العاصمة طهران

في عام (١٢٦٦ هـ) وصل السيد جمال الدين بمعية والده مدينة طهران وكان «أمير كبير» يومها هو الصدر الأعظم، وبعد أن التقط السيد أنفاسه بصدر حلته راح يتعرف على هذه المدينة فهي عاصمة البلاد وقادته قدماه الى أكبر مجتهده آنذاك وهو السيد محمد صادق الطباطبائي الهمداني، فانتظم السيد جمال الدين في حلقته الدراسية بغية طلب المزيد من العلم والمعرفة وكذا التعرف على بيئته الجديدة اضافة الى اكتشاف مدىٰ نفوذ ذلك السيد ومن خلال حوار علمي بين السيد الطباطبائي وتلميذه الجديد اكتشف الاستاذ مدىٰ ما يتمتع به تلميذه من قابليات فقام بوضع أول عمّة على رأسه(٢).

وكما الورد الفواح بالعطر انتشر اسم السيد جمال الدين في أجواء طهران وراح الكثير من الناس ينثالون على هذا السيد وبخاصّة العلماء الذين شغفوا به حبّاً، وعندما لبّىٰ السيد جمال الدين دعوة الحاج ميرزا محمود الطباطبائي أصبح منزله مقصداً للناس يأتون لزيارته والتعرف عليه(٣).

الهجرة الى النجف الأشرف

كان السيد صفدر والد السيد جمال الدين أعرف الناس ما بشأن ابنه وما

---

(١) السيد جمال الدين مؤسس النهضات الاسلامية / ٢٤.

(٢) شرح حال وآثار السيد جمال الدين الأسد آبادي / ٢٩ - ٣٠.

(٣) المصدر السابق / ٣١؛ السيد جمال الدين مؤسس النهضات الاسلامية / ٢٥.

تنطوي عليه روحه عن أسرار لقد أصبح في مستوىٰ العلماء الكبار وهو ما زال في أول شبابه، لقد أوتي ابنه بسطة في العلم والفهم وفصل الخطاب من أجل هذا عزم السيد صفدر على اصطحاب نجله الى النجف الأشرف وكانت يومئذ مركزاً كبيراً للعلم والمعرفة وكان الشيخ الأنصاري يومئذ علمها الكبير.

في سنة (١٢٦٦ هـ) سافر السيد جمال الدين بمعية والده لكنه توقف في مدينة بروجرد مدّة ثلاثة أشهر ليغادرها مستأنفاً رحلته الى مدينة باب مدينة العلم الامام أمير المؤمنين عليه السلام. وهناك تعرف على الشيخ مرتضىٰ الأنصاري طاب ثراه؛ فانتظم في حلقته الدراسية أربع سنوات حيث درس التفسير، الحديث، الفقه، الأصول، الكلام، المنطق، الفلسفة، الرياضيات، الطب، التشريح، الهيئة والنجوم وكان الشيخ الأنصاري خلال هذه المدّة قد تكفل بكل نفقات ومصاريف السيد جمال الدين الى أن حصل على اجازته في الاجتهاد وأصبح بمقدوره الافتاء بالشؤون الدينية.

ولقد أصبح السيد جمال الدين ظاهرة مدهشة للعلماء في النجف، كربلاء وسامراء وقد جرّ ذلك الى حسد الحاسدين وحقد الحاقدين ولهذا أوصاه أستاذه وشيخه الشيخ الأنصاري بالسفر الى بومبي في الهند فشدّ الرحال سنة ١٢٧٠ هـ[١].

جمال الدين في الهند وأفغانستان

كان في السادسة عشرة من عمره كان برفقة أحد العلماء الموثقين عندما وصل مدينة بومبي عن طريق البحر حيث انطلق من مدينة بوشهر الايرانية، وكانت بومبي يومذاك مدينة تجارية بسبب مينائها التجاري الكبير ولم تعرف

(١) شرح حال وآثار السيد جمال الدين الأسد آبادي / ٣١ - ٣٢.

كمدينة علمية ولهذا لم يطب المقام لسيد جمال الدين في هذه المدينة فانطلق نحو مركز البلاد الى أن وصل مدينة تلكتا في الحدود الشرقية من البلاد، وهناك مكث مدة عامين التقىٰ خلالها مع العديد من العلماء وكانت له معهم حوارات وقد شاهد بأم عينيه كيف يمسك الانجليز بمصير هذا الشعب الكبير وكيف تسيطر أمة صغيرة مثل الانجليز على أمة كبيرة مثل الهند تتصرف بمقدرات البلاد وكنوزها ومحاصيلها وحتى مصير أرواح أبنائها، ومن تلك اللحظات ربما بدأ يفكر بمشروعه الاصلاحي الطموح، وربما ولدت أولى أفكار الاصلاح في تلك اللحظات فراح يتعرف في البداية على قدرات وامكانات العدو المستعمر ودراسة نقاط قوته ونجاحه ثم استغرق في تحليل أسباب وعوامل ضعف وانحطاط المسلمين ليكتشف طرق الحل والعلاج لأوضاع المجتمعات الاسلامية وهكذا راح يسهر الليالي وأصبحت هذه القضية همّه الدائم وكانت أفغانستان قد انفصلت حديثاً عن ايران بل وأصبحت عدوة لايران من خلال تحريض انجليزي، من أجل ذلك قرر السيد جمال الدين التوجه نحو أفغانستان لبحث الصحوة والوعي في صفوف المجتمع المسلم.

في عام (١٢٧٢ - ١٢٧٣ هـ) ذهب الى زيارة بيت الله الحرام فغادر الهند وامتدت رحلته حتى سنة (١٢٧٥) حيث جاب بعض البلدان الاسلامية ومرّ بالعديد من حواضرها ومدنها فمن مكة الى المدينة ومنها الى الاردن فدمشق الى حمص وحلب والموصل فبغداد والنجف الأشرف ليعود بعد ذلك الى مدينته ومسقط رأسه همدان وبسبب الأوضاع القلقة في ايران فانه لم يعد بامكانه التوقف فتوجه الى خراسان ومنها الى هرات وكابل حيث أقام مدة خمس أو ست سنين وبدأ بعمله الاسلامي الذي يتمحور حول بث الوعي بين صفوف الناس وبخاصّة نخبة البلاد عن خطط الانجليز ويمكن الاشارة الى بعض ما قام به من فعاليات

خلال تلك المدّة:

١ - تأليف ونشر كتاب «تتمة البيان في تاريخ الأفغان».

٢ - تأسيسه لجريدة «شمس النهار».

٣ - قيامه باجراءات اصلاحية قبل تشكيل الوزارة، تنظيم الجيش وتأسيس مدارس داخل الجيش وعموم البلاد للشباب، التشجيع على الاهتمام باللغة الوطنية وبناء مستشفيات ومراكز بيطرية ومؤسسات للبريد ومحطات للقوافل.

وقد انتبه الاستعمار الانجليزي لنشاط السيد جمال الدين وبدأ يتوجس منه خيفة ولهذا بدأ يضيق الخناق على السيد جمال الدين ما اضطره للسفر الى الهند ولكن ما ان وصل الهند حتى وجد له من يكمن له ومع ذلك فقد بدأ المواجهة والصراع وراح يلهب وجدان الناس باحلماس والوعي وتعبئة الرأي العام ضد الاستعمار الانجليزي: عندما تتحولون أنتم مئات الملايين الى بعوض يطنطن في أذن بريطانيا وعندما تتحدون وأنتم مئات الملايين أو تمسخون الى سلاحف تغرق بريطانيا حينئذ سنكون أحراراً[1].

ولم تبق بريطانيا مكتوفة الأيدي بل عملت على محاصرته فقد حددت اقامته لمدة شهرين لكنها لم تتحمل ذلك أيضاً فقد صدر أمر باخراجه من الهند بعد شهر واحد فغادرها الى مصر.

في مصر

في عام (١٢٨٥) وصل السيد جمال الدين مصر عن طريق البحر والتقىٰ علماء مصر في جامع الأزهر، وراح يلقي المحاضرات والدروس حيث التف

---

(١) خاطرات سيد جمال الدين.

حوله الشباب الذين وجدوا في خطابه الحماسي ما يتناغم مع نفوسهم التواقة للتحر لكن السيد جمال الدين لم يستطع من الاستمرار أكثر من أربعين يوماً فقد أصدر خديوي مصر أمراً بابعاده من مصر ووجد السيد نفسه في الطريق الى اسلامبول عاصمة الدولة العثمانية، وقد سرّ المسؤولون العثمانيون بقدومه وبادرت شخصيات رفيعتان لاستقباله هما «عالي باشا»، الصدر الأعظم و «فؤاد باشا» وقد وجد السيد جمال الدين ترحيباً كبيراً في البلاط العثماني لكنه واجه حسداً مريعاً من قبل «شيخ الاسلام» الذي راح يحوك الدسائس ضده ما جعل السلطان العثماني يأمر بابعاده من مدينة اسلامبول، وهكذا غادر السيد جمال الدين اسلامبول عائداً الى مصر سنة (١٢٨٧ هـ) بذريعة مشاهدة الآثار القديمة وقد أعجب رياض باشا رئيس الحكومة المصرية بشخصية السيد جمال الدين بعد لقائه به وطلب منه الاقامة في مصر. وقد أفاد السيد جمال الدين من هذه الفرصة وبدأ سلسلة دروس يلقيها في منزله وكان الطلاب الجامعيون يرتادون بيته للاصغاء والافادة من أفكاره ثم انتقل الى الأزهر ليجد عشرات الطلاب الذين شغفوا به ولم ينحصر نشاطه بين الطلبة والنخبة بل راح يخاطب عموم المجتمع المصري حتى المقاهي كان يطرقها السيد جمال الدين ويطرح فيها أفكاره لينشرها بين الناس وهو ينشر بذلك الوعي وخلال اقامته التي لم تتعد بضع سنوات استطاع أن يحدث تحولاً كبيراً في صفوف المجتمع أضف الى ذلك مقالاته التي كان ينشرها في الصحافة المصرية يومذاك من قبيل: «مصر والتجارة» والتي أسسها الأديب اسحاق باقتراح منه، لقد شهدت مصر تغيراً جذرياً في الأفكار وظهرت حركة وعي متنامية اثر تلك الجهود المخلصة وكان الشعب المصري يعي جيداً الألاعيب الاستعمارية والخطط والمؤامرات التي تحاك ضده وقد اضطر رياض باشا الى توقيف الصحيفة في ما بعد ولكن السيد ظل يجاهد ويناضل ضد

الوجود الأجنبي الخارجي والاستبداد الداخلي الى أن تم توقيفه في ليلة (١٧ رمضان ١٢٩٦ هـ) وترحيله الى السويس وثم اعادته الى ايران[١] ولم يكن السيد جمال الدين يملك في مصر شيئاً سوىٰ مكتبته وقد قام «رجرس» المستشار الانجليزي في الشؤون المالية بمصادرتها أولاً ثم اضطر الى شحنها الى ميناء بوشهر خلف صاحبها في ايران[٢].

طلوع آخر في الهند

ويقوم السيد جمال الدين برحلته الى الحجاز مع تلميذه «ابو تراب عارف افندي» حيث وصل مدينة جدّة ومنها الى مكة ولقاء بعض الشخصيات هناك. ومن مكة توجه الى الهند[٣] مستأنفاً حركته المناهضة ليس ضد الغرب فقط بل وقام بفتح جبهة أخرىٰ ضد المستغربين أيضاً فقد بدأ يهاجم أفكار «السيد أحمد خان الهندي» الذي يدعو الى التعاون مع الانجليز ومساومتهم وكان قوياً في كلا الجبهتين[٤]، وقد قامت السلطات ابتداءً بابعاد السيد جمال الدين الى «حيدر آباد الدكن» وحرمته من الظهور في المحافل العامّة فانصرف الى تأليف كتابه المعروف بالردّ على الطبيعيين والمستلبين وقد ألفه بالفارسية ثم ترجم الى الاردو كما ترجم أيضاً الى العربية حيث قام تلميذاه محمد عبده وأبو تراب عارف بهذه الترجمة[٥] وعلاوة على ذلك قام بتشكيل جمعية سرّية تدعىٰ «العروة الوثقى» في حيدر آباد

---

(١) دور السيد جمال الدين في صحوة الشرق / ٦١.
(٢) المصدر السابق / ٦٢.
(٣) السيد جمال الدين مؤسس النهضات الاسلامية / ٩٢.
(٤) الحركات الاسلامية في القرن الأخير، مرتضىٰ مطهري، ٢٠.
(٥) مفخرة الشرق، غلام رضا سعيدي / ٦٢.

الدكن[١] حيث تربىٰ فيه شباب شجاع ومتحمس لدينه ووطنه من قبيل محمد اقبال، شوكت علي ومحمد علي جناع وهكذا أخرج مرة أخرىٰ من الهند مرّات ومرّات[٢].

المواجهة في قلب أوربا

في عام (١٣٠٠ ﻫ) غادر السيد جمال الدين الهند الى أوربا كان في البدء قد عزم السفر الى أمريكا لكنه انصرف عن ذلك حيث وصل لندن في جمادى أو رجب من نفس العام سافر الى باريس حيث اختار السكنىٰ فيها[٣].

أصبح السيد جمال الدين في فترة مبكرة شخصية عالمية ذلك انه استطاع لوحده أن يخيف قوة كبرىٰ مثل بريطانيا العظمىٰ ومن باريس راح يمطر الصحافة والمنتديات بمقالاته وكلماته اللاهبة، لقد كان يكافح من أجل انقاذ الشرق كله من الجهل والأمية والعبودية والتبعية. وأصبح أمنية الكثيرين أن يتعرفوا على هذا الرجل الاسطورة وأن يروه عن قرب وقد أعجب الشعب الفرنسي بشخصيته وكان العلماء وكل الذين يتطلعون الى الحرية من سائر الدول يلتفون حوله ويطوفون به كما تدور الفراشات حول الشموع ويمكن الاشارة الى أبرز نشاطات السيد في أوربا بما يلي:

١ - تأسيسه المجلة المعروفة بـ«العروة الوثقى» وكانت مقالاته الحماسية الملتهبة تستند الى العقل والدليل ولم تكن مجرّد عاطفة فقط من أجل هذا كانت تجد طريقها الى القلب والعقل والروح.

---

(١) دور آية الله جمال الدين في النهضات الاسلامية، ٩٣.

(٢) درو السيد جمال الدين في صحوة الشرق ٧٢٧؛ سير في الفكر السياسي الغربي / ٩٨.

(٣) دور السيد جمال الدين في النهضات الاسلامية، ٩٣.

لقد كان يفضح الوجه الحقيقي للاستعمار البريطاني وكان يبث الوعي في روح النخبة المتعلمة والمثقفة في البلدان المستعمرة وكان في نفس الوقت يدين ويستنكر هذه الغفلة في العالم الاسلامي من أجل هذا مارست بريطانيا ضغوطاً كبيرة على فرنسا من أجل توقيف «العروة الوثقى» عن الصدور وحجبها عن النور[١].

٢ - لقاءاته مع الفيلسوف الفرنسي «ارنست رينان» وكانت اللقاءات والحوارات تدور حول العالم والاسلام وحقيقة القرآن وقد اطلع رينان على كثير من الحقائق وأظهر قناعته الكاملة بالثقافة الاسلامية وتراجع عن كثير من تصوراته الخاطئة في اعتبار القرآن والاسلام على خلاف ومتناقظ مع الحضارة المدنية[٢].

٣ - حواراته مع شخصيات انجليزية بصدد التفاهم مع هيئة التحرير في العروة الوثقىٰ ولهذا أرسل الشيخ محمد عبدة ممثلاً عنه الى لندن[٣] كما كانت له لقاءات مع «تشرتشل» و «سير در ندولف» واللورد ساليسبرى» حول حل مشكلة السودان وقد أعجب الساسة الانجليز بشخصيته وعرضوا عليه تتويجه ملكاً على السودان فقال: انه عرض مدهش وهذا ما يدل على جهلكم في الشؤون السياسية ليسمح لي سيادة اللورد أن أسأله: هل أن السودان ملك لكم لكي تجعلوني ملكاً عليها ان مصر للمصريين والسودان جزء منها[٤].

---

(١) شرح حال وآثار السيد جمال الدين / ٣٧ - ٣٨.
(٢) زندكاني وفلسفة اجتماعي وسياسي سيد جمال الدين / ٣٨.
(٣) مفخرة الشرق / ٨٦ - ٨٧.
(٤) زندكاني وفلسفه اجتماعي سيد جمال الدين / ٣٨.

العودة الى الوطن

بعد ثلاثة أشهر فشلت المفاوضات مع المسؤولين الانجليز وانتهت الى طريق مسدود. لقد كان السيد جمال الدين يطمح الى ايجاد مركز للخلافة فى جزيرة العرب لهذا غادر باريس متجهاً الى القطيف وفي تلك الفترة تلقىٰ السيد جمال الدين دعوة ناصر الدين شاه نقلها اليه كل من اعتماد السلطة والحاج سياح المحلاتي وكانت البرقيات تترىٰ عليه كما بدأت الاستعدادات لاستقباله في طهران استقبالاً كبيراً[١] من أجل ذلك انصرف السيد عن فكرة السفر الى الحجاز وتوجه الى طهران حيث وصل شيراز ومنها الى طهران حيث دخلها ٢٣ ربيع الأول سنة (١٣٠٤ هـ) ونزل ضيفاً في منزل الحاج أمين الغرب[٢] ولكن سرعان ما أثار وجوده في طهران الرعب في قلب الشاه وحاشيته؛ فأوعز الى الحاج أمين الغرب بالاعتذار في قلب الشاه وحاشيته؛ فأوعز الى الحاج أمين الغرب بالاعتذار عن ضيافته وفي نفس الوقت تلقىٰ السيد دعوة من السياسي والصحافي الروسي لزيارة موسكو فسافر اليها حيث وصلها في ٩ شعبان سنة (١٣٠٤ هـ). وقد امتدت اقامة السيد جمال الدين في روسيا الى عامين وكانت له لقاءات مع رجال السياسة ورجال الدين وقد عرض عليه منصب شيخ الاسلام للمسلمين لادارة شؤون المسلمين في روسيا فاعتذر قائلاً: انني أعتبر نفسي مدافعاً عن كل المسلمين في العالم، وكان السيد جمال الدين قد استثمر تدهور العلاقات بين بريطانيا وروسيا فراح يمطر الصحافة الروسية بمقالات شديدة ضد الانجليز وسياساتهم. وصادف ان سافر ناصر الدين شاه الى أوربا للاشتراك في احتفالات الجمهورية في باريس وكان يتعين عليه المرور بروسيا، وقد فوجيء بموقع السيد

(١) دور السيد جمال الدين في صحوة الشرق / ٢٢.

(٢) مجموعة مقالات سواد وبياض، ايرج افشار ٢ / ٢٢٦ - ٢٣٢.

جمال الدين في روسيا لقد كان يتألق كجوهرة ثمينة حتى عندما وصل فرنسا واوربا بشكل عام كان يجد للسيد جمال الدين أثراً لقد عمت شهرته الآفاق ولهذا شعر بالندم ازاء ما فعله بحق السيد جمال الدين، وحاول أن يجبر ما صدر عنه من قبل ولذا عرض عليه العودة الى ايران خلال لقاء ضمهما في مدينة ميونيخ، وقد حث الشاه القاجاري السيد على العودة الى ايران واصلاح الوضع السياسي والاقتصادي في البلاد. وقد لبى السيد ذلك بعد أن أدرك المصلحة في عودته واصلاح ما يمكن اصلاحه في أرض الوطن، وبدأ وهو في روسيا التفاوض مع المسؤولين الروس للكف عن مطالبة ايران بالامتيازات كان ذلك في محرم الحرام سنة (١٣٠٧ هـ) وفي السابع من ربيع الثاني عاد الى ايران لاستئناف برنامجه الاصلاحي، ولم تمض سوى ستة شهور فقط حتى تمكن الانجليز من اثارة ذات المخاوف التي ساورت الشاه ازاء السيد جمال الدين فجأة عثر السيد على رسالة الشاه الى الحاج أمين الغرب وعندما أطلع السيد على قرار طرده قام بحركة احتجاجية وذلك بالاعتصام داخل مرقد السيد عبد العظيم الحسني في مدينة الري جنوب طهران ومن داخل المرقد أعلن اعتصامه وبدأ هجومه من خلال القاء خطب ملتهبة فاستمال المرقد الحسني الى قلعة للمقاومة وضاعفت بريطانيا من ضغوطها على الشاه الذي أصدر قراراً بتوقيفه وابعاده من ايران وعندما أطلع مختار خان حاكم مدينة الري الذي تسلم رسالة الشاه فأسرع بارسال مجموعة من الرجال لتهريب السيد جمال الدين الى غرب ايران وقد حصل ذلك في ٢٨ جمادى الأولى سنة (١٣٠٨ هـ).

غروب الشمس

في النصف من شعبان سنة (١٣٠٨ هـ) دخل البصرة جنوب العراق ومن هناك

بعث برسالة الى الميرزا الشيرازي غاية في الأهمية ومن البصرة غادر السيد جمال الدين الى لندن وراح يفضح خفايا الأوضاع في ايران في الصحافة البريطانية مشيراً الى خطر الاستبداد في الداخل والاستعمار من الخارج، كما قام بارسال رسائل الى زعماء في الشرق والعالم الاسلامي وكان من ضمنها رسالة الى علماء ايران تحت عنوان «حَمَلة القرآن» أوضح فيها خيانة ناصر الدين شاه في ادارته البلاد كما قام باصدار نشرة جديدة سماها «ضياء الخافقين» حيث صدر العدد الأول منها في رجب سنة (١٣٠٩ هـ) وقامت الحكومة البريطانية بايقافها ومنع انتشاراها وراحت تضيق على شخص السيد[١]، وفي تلك الظروف الصعبة تسلم السيد جمال الدين رسالة من «السلطان عبد الحميد» عبر مبعوثه رستم باشا سفير الدولة العثمانية في لندن، وكانت الرسالة تتضمن دعوة من الباب العالي لزيارة الأستانة من أجل المساعدة في اصلاح الأوضاع السياسية وقد وجدت هذه الرسالة أصداءً في نفسه اذ ان السيد جمال الدين كان يتطلع الى اقامه جبهه اسلامية متحدة للوقوف بوجه الاستعمار الغربي البريطاني، في سنة (١٣١٠ هـ) وصل السيد جمال الدين مركز الخلافة الاسلامية وقد ظل أربع سنوات يعمل على تحقيق هذا الطموح والهدف المقدس وراح يبعث الرسائل الى الشخصيات السياسية والدينية والثقافية في مختلف أنحاء العالم الاسلامي وقد وجه السيد تجاوباً واسعا، من جهة أخرىٰ كان السلطان الحميد يتصور نفسه سيكون الخليفة ألقوي والمقتدر في العالم الاسلامي اذا ما تعاون مع السيد جمال الدين، ولكنه ما إن شعر بأن عرشه في خطر راح يتذرع بالذرائع الواهية معرضاً عن ذلك الهدف الكبير. ويبدو انه لم يجد وسيلة يتخلص بها منه سوىٰ دس السم وقد نفذ البلاط

---

(١) السيد جمال الدين مؤسس النهضات الاسلامية، ٢٣١.

هذه الجريمة في سنة (١٣١٤ هـ) ليغادر الدنيا ويلقىٰ المحبوب.

نظم لجثمانه تشييع مهيب ليوارى الثرىٰ في مقبرة «شيخ لرمزاري» في مدينة اسلامبول عاصمة الدولة يومئذ.

آثاره

بالرغم من أسفاره العديدة التي تكاد تستغرق عمره وبالرغم من ملحمة الصراع التي بدأها في سنوات مبكرة من شبابه الّا ان ذلك لم يشغله أيضاً عن مهمته الأساسية في جهاده بالقلم فقد راح يؤلف ويصنّف ليترك وراءه ارثاً ثقافياً ومعرفياً يضيء طريق الأجيال، وفيما يلي طائفة من مؤلفاته وآثاره:

أ - مؤلفاته في حقول مختلفة:

١ - تتمة البيان في تاريخ الأفغان.

٢ - القضاء والقدر.

٣ - الاسلام والعلم.

٤ - نيجرية أو ناتور اليسم.

٥ - الوحدة الاسلامية.

٦ - الواردات في سر التجليات.

ب - رسائله وخطبه، ومقالاته وحواراته ومفاوضاته:

وقد جمع الكثير منها تحت عناوين مختلفة من قبيل «مقالات جمالية»، «رسائل السيد جمال الدين»، أحوال وآثار السيد جمال الدين» اضافة الى الدراسات العديدة التي ألفت عنه وتطرقت الى مختلف شؤون حياته السياسية وأفكاره الاجتماعية وعموم تجربته التاريخية.

المحدّث الميرزا حسين النوري / المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ

آل نوري

في أسرة النوري تألقت أسماء عديدة، فكانت أعلاماً في العلم والفضل والدين ومن بين تلك الأسماء كان لآية الله النوري النصيب الأوفر؛ والده هو العلّامة الميرزا محمد تقي النوري الطبرسي (١٢٠١ - ١٢٦٣ هـ) كان من كبار العلماء في مازندران وحمل ثقة أهلها ومرجعها دينها ودنياها[1] كان للعالم النوري أربعة أخوة كلهم من أهل الفضل والعلم وهم:

١ - الحاج الميرزا هادي: عاد من النجف الأشرف بعد مدّة مديدة قضاها في طلب العلم وكان مرجعاً في مدينة نور مدّة ثلاثة عشر عاماً توفي سنة (١٢٩٠ هـ).

٢ - آقا ميرزا علي: وكانت له المرجعية في المدينة (نور) بعد وفاة أخيه الأكبر.

٣ - الميرزا حسن النوري: من الفقهاء المبرزين وأساتذة الفقه والأصول.

٤ - الميرزا قاسم النوري: وهو أيضاً من أساتذة الفقه والأصول.

وتشير المدونات عند هذه الأسرة الكريمة الى وجود أختين للعلامة النوري وكان لهما دور، أحداهما هي زوجة الملّا فتح الله النوري ووالدة الشيخ موسى النوري، والأخرىٰ زوجة ملّا عباس النوري وهو من كبار الزهاد في عصره وقد

---

(١) الكرام البررة ١ / ١٢٢ - ١٢٤؛ مكارم الآثار، معلم حبيب آبادي ١ / ١١٦.

اكتسبت هذه المرأة الفاضلة شهرتها من خلال تربيتها ابنها الشهيد الشيخ فضل الله النوري صهر خاله المحدث النوري والذي كانت مواقفه وحياته وجهاده وثباته ملحمة كبرىٰ في العصر الحديث وما تزال شهادته شنقاً حتى الموت اذانة كبرىٰ لكل المستلبين الذين خانوا بلادهم وباعوا شرفهم للأجنبي.

مولد النور

في قرية خضراء في اقليم مازندران شمال ايران ولد المحدث النوري تدعىٰ قريته «يالو» وهي احدىٰ قرى مدينة «نور» وسجل تاريخ ولادته بتاريخ ١٨ شوال (١٢٥٤ هـ) وقد أشاعت ولادته الفرحة والبهجة في أسرته وفي تلك القرية الجميلة ولد وترعرع وفي ظلال أسرة عرفت بالعلم والفضل.

خضر الطريق

ان من يريد سلوك طريق الكمال الانساني يحتاج فيما يحتاج الى دليل ومعلم يرشده الى الطريق ذلك ان الانسان محكوم في أغلب الأحيان بالنظرة السطحية الظاهرية وهي نظرة لا تصيب في كثير من الأحيان لأن الحقيقة ربما تكون في وراء ظاهر خدّاع من أجل نجد في حياة العباقرة والعظماء وبخاصة في مرحلة الطفولة والنشوء أناس كان لهم دور في تربيتهم وترشيدهم وتعليمهم، ولقد قدّر للميرزا حسين النوري أجواء مساعدة اضافة الى ما حباه الله من نعمة الذكاء والنظرة الثاقبة والفطنة والوعي ذلك انه فقد أباه وهو ما يزال في نعومة أظفاره ولقد حرم نعمة الحنان الأبدي لكن الله سبحانه عرضه بإرادة قوية وعزم راسخ لقد كان في الرابعة عشرة من عمره عندما أصبح من مريدي الفقيه والمثقف الملّا محمد علي المحلاتي فلا يكاد يفارقه وراح يتعلم من هذا المربي الكثير ويتشرب من

أخلاقه وسلوكه ما جعله يضع قدميه في طريق قويم أدىٰ به الى الكمال والرقي الأخلاقي والانساني.

سفير الأسفار

الرجال الواعون هم رجال الميدان في حركتهنم وسعيهم ومثابرتهم من أجل هذا فلم يكن اعتباطاً أن يكون التاريخ الهجري وليد حركة انسان وخطوة انسان نحو هدف كبير وغاية سامية، ولهذا نجد في حياة المحدث النور هاجس السفر والهجرة والحركة، وهكذا بدأ سياحته في ايران والعراق يوطف المدن الواحدة تلو الأخرىٰ ويستكشف ما في مكتباتها من كنوز، فتراه يطالع كتاباً قيماً أو يستنسخ مؤلفاً نفيساً أشبه بالنحلة التي تنشد الرحيق بين مختلف الزهور. وكان يجد لذته في الدراسة والبحث والتحقيق وخلال أسفاره كان يتحرك في مثلث سوف يؤثر في حركته التكاملية، لقد كانت حركته دائماً إما الى مكة المكرمة حيث بيت الله العتيق ومشهد في أقصىٰ شرق ايران ومنها الى مدن العراق، كربلاء والنجف الأشرف في عام (١٢٧٣ هـ) غادر طهران بمعيته أستاذه ووالد زوجته وكان القصد العراق وبعد أربع سنين الى أن يغادر النجف الأشرف عائداً الى ايران ثم ما لبث أن عاد مرّة أخرى بعد أن مكث مدّة قليلة وذلك سنة (١٢٧٨ هـ) وهذه المرّة عاد مع استاذه الجديد العالم الجليل آية الله الشيخ عبد الحسين الطهراني المعروف بـ«شيخ العراقيين» سافر الى كربلاء ومنها الى الكاظمية حيث أمضىٰ عامين في ظلال الامامين الكاظم والجواد عليهما السلام. وكان المحدث النوري يواصل دراساته وتحقيقاته وكان قد بلغ السادسة والعشرين من عمره عندما شدّ الرحال لحج بيت الله الحرام والاشتراك في المؤتمر الانساني العظيم حيث يجتمع المسلمون القادمون من كل حدب وصوب ويؤدوا مناسك الحج في أيام معدودات وللمرّة الثالثة يتوجه الى

العراق لينتظم في حلقة آية الله الشيخ مرتضىٰ الأنصاري في النجف الأشرف عدّة أشهر ذلك ان الشيخ الأنصاري لبى نداء ربّه في عام (١٢٨١ ﻫ) وبعد ثلاث سنين أي عام (١٢٨٤) عاد المحدث النوري الى أرض الوطن ليتوجه الى زيارة ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام الامام الرضا عليه السلام وهناك يشعر بالألم لما يعاني منه الناس ضيم بسبب انحراف الحاكمين واستغراقهم في اللذائذ. وفي عام (١٢٨٦ ﻫ) شدّ الرحال الى العراق ليصل مدينة النجف الأشرف ليواجه رحيل استاذه شيخ العراقيين عن هذه الدنيا فيشعر بالحزن العميق يعتصر قلبه. وفي نفس العام عزم على حج بيت الله الحرام ليعود الى النجف الأشرف لينتظم في حلقة الميرزا الكبير ليبدأ فصل جديد من حياته من النجف الى سامراء وهناك سيكتب التاريخ أحد فصوله المثيرة[١].

أساتذته

درس الفقيه والمحدث النوري على أيدي أساتذة عديدين، وفيما يلي اشارة الى طائفة منهم:

١ - الفقيه الفاضل ملّا محمد علي المحلاتي (١٢٣٢ - ١٣٠٦ ﻫ)[٢].

٢ - العالم الجليل الشيخ عبد الرحيم البروجردي (المتوفى سنة ١٣٠٦ ﻫ) وهو والد زوجته أيضاً[٣].

٣ - شيخ العراقيين عبد الحسين الطهراني (المتوفى سند ١٢٨٦ ﻫ)[٤].

---

(١) نقباء البشر ٢ / ٥٤٤.

(٢) خاتمة مستدرك الرسائل ٣ / ٨٧٧.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر السابق، الفائدة ٣.

٤ - الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري (١٢١٤ - ١٢٨١ هـ).

٥ - جمال السالكين، الآخوند ملّا فتح علي السلطان آبادي (المتوفى سنة ١٣١٢ هـ)[١].

٦ - الفقيه الكبير الشيخ علي الخليلي (١٢٢٦ - ١٢٧٩ هـ)[٢].

٧ - معز الدين السيد مهدي القزويني (١٢٢٢ - ١٣٠٠ هـ)[٣]

٨ - الميرزا محمد هاشم الخوانساري (١٢٣٥ - ١٣١٨ هـ)[٤].

٩ - آية الله الحاج ملّا علي كني (١٢٢٠ - ١٣٠٦ هـ)[٥].

في رحاب المجدّد

تابع المحدث النوري استاذه الكبير الميرزا الشيرازي في هجرته من النجف الى سامراء. فبعد هجرة الميرزا سافر المحدث النوري برفقة شيخه الآخوند سلطان آبادي وصهره الشيخ الشهيد فضل الله النوري وكانوا أول من هاجر الى سامراء بعد هرجة الميرزا الشيرازي وبعد ذلك لم يفارق المحدث النوري أستاذه الكبير حتى لحظة واحدة لقد كان الساعد الأيمن للميرزا وعلى حد تعبير آقا بزرك الطهراني كان من كبار أصحاب الميرزا المجدد وأقدمهم وكان الميرزا يبحث معه الأعمال الهامّة ويأخذ بآرائه فيها ولم يعرف من بين تلامذة الميرزا الشيرازي كما عرف النوري ولم يشتهر كمثل شهرته، وكانت الرسائل التي تتدفق على الميرزا غالباً تصل اليه وكان هو الذي يحرر أجوبة معظمها لقد كان سفيراً للميرزا في

---

(١) كيهان انديشه ١٣٧١ هـ ش العدد ٤٥ / ٩٧ - ٩٩.

(٢) ماضي النجف وحاضرها، آل محبوبة ٢ / ٢٣٩ ط بيروت.

(٣) أحسن الوديعة، اعتماد السلطنة ١ / ٨٩ ط بغداد.

(٤) المصدر السابق ١ / ١٤١.

(٥) المصدر السابق ١ / ١٠١.

الأوساط الاجتماعية وكان سفيراً للناس للمرجعية وكان نشاطه في بيت المرجعية يتمحور حول:

١ - لقاء واستقبال من الأشخاص الذين يقصدون بيت المرجعية ويتطلب عملهم بعض اللقاءات المتكررة مع المرجع.

٢ - توديع ومشايعة الضيوف

٣ - اعداد برامج الطلاب ومتابعة شؤونهم المرجعية.

٤ - عيادة المرضىٰ.

٥ - تنظيم وتشكيل مجالس العزاء الحسيني وأعمال كثيرة جمة تتناسب ومستوىٰ مرجعية المجدد الشيرازي[١].

آثاره

لقد كان مؤيداً بروح القدس[٢] هذا ما قاله صاحب الذريعة في كتاب نقباء البشر وهو يستعرض آثاره العديدة ومن الناحية التاريخية يمكن الاشارة الى هذا التسلسل وهو يستعرض آثاره العديدة ومن ناحية التاريخية يمكن الاشارة الى هذا التسلسل في آثاره ومؤلفاته:

١ - مواقع النجوم وهو عملية تشجير في سلسلة الاجازات التي حصل عليها النوريون وقد أعد هذا الجهد في الحادية والعشرين من عمره.

٢ - نفس الرحمن في فضائل سيدنا سلمان حديث حول حياة سلمان الفارسي وفضائله وقد ألفه في كربلاء سنة (١٢٨٣ هـ).

٣ - دار السلام ويقع في جزئين؛ الجزء الأول حول تفسير الأحلام والجزء

---

(١) نقباء البشر ٢ / ٥٤٩.

(٢) المصدر نفسه.

الثاني في الأخلاق وهو مرتب ترتيباً الفبائي وقد ألف في سنة (١٣٩٢ ه) في سامراء.

٤ - فصل الخطاب: ألف سنة (١٢٩٢ ه) وطبع سنة (١٢٩٨ ه).

٥ - معالم العبر: ألف سنة (١٢٩٦ ه) في سامراء.

٦ - ميزان السماء: مؤلف في سنة (١٢٩٩ ه) طهران.

٧ - الكلمة الطيبة: تأليف سنة (١٣٠١ ه) طبع أول مرّة في بومبي سنة (١٣٥٢ ه)ويقع في ٦١٦ صفحة.

٨ - جنة المأوىٰ: تأليف سنة (١٣٠٢ ه) وهو حول الامام المهدي عليه السلام.

٩ - الفيض القدسي تأليف سنة (١٣٠٢ ه) في سامراء وهو أول كتاب موثق حول حياة العلّامة المجلسي وقد ترجم الى الفارسية قام بالترجمة السيد جعفر النبوي وتم طبعه.

١٠ - البدر المشعشع تأليف سنة (١٣٠٨ ه) ويدور حل ترجمة لحياة أولاد موسى المبرقع ابن الامام الجواد عليه السلام وقد طبع مصدراً بتقريظ من قبل الميرزا الشيرازي.

١١ - كشف الأستار تأليف سنة (١٣١٨ ه) أضواء من حسن سيدنا الامام المهدي عليه السلام[١].

١٢ - الصحيفة الثانية العلوية تأليف (١٣٠٣ ه).

١٣ - الصحيفة الرابعة السجادية.

١٤ - سلامة المرصاد تأليف سنة (١٣١٧ ه).

١٥ - مستدرك مزار البحار.

---

(١) كشف الأستار / ٢٤٦ ويشتمل الكتاب في طبعته الثانية رقم على ترجمة لحياة المحدث النوري.

١٦ - حاشية على منتهىٰ المقال.

١٧ - ظلمات الهاوية في معايب معاوية و..

١٨ - النجم الثاقب (١٣٠٣ هـ) وهو أكثر كتب المحدث النوري انتشاراً.

١٩ - مواليد الأئمة.

٢٠ - ماغض طوبىٰ.

٢١ - ديوانه الشعري «المولوية».

٢٢ - مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، وهو من أكبر مؤلفات المحدث النوري وأكثر المؤلفات الروائية تفصيلاً بعد وسائل الشيعة، ويعد مرجعاً معتبراً لدىٰ المجتهدين لا يستغني عنه الفقيه[1].

٢٣ - اللؤلؤ والمرجان (١٣١٩ هـ) وهو ردّ على الخرافات التي الصقت بملحمة عاشوراء من قبل بعض الذين اتخذوا من المنبر الحسيني وسيلة للعيش والكسب.

٢٤ - تحية الزائر وهو من نصوص الزيارات.

٢٥ - تقريرات بحوث أستاذه شيخ العراقيين.

٢٦ - تقريرات دروس أستاذه الميرزا الشيرازي.

٢٧ - الأربعونيات وقد طبعت في حاشية الكلمة الطيبة.

٢٨ - أخبار حفظ القرآن.

٢٩ - رسالة في شرح حال المولىٰ أبي الحسن الشريف العاملي الفتوني والذي ألف في سنة (١٢٧٦ هـ).

٣٠ - كشكول، ويتألف من موضوعات منوعة.

---

(١) انظر نقباء البشر ٢ / ٥٥٣؛ مكارم الآثار ٥ / ١٤٧.

٣١ - حواشي على توضيح المقال للحاج ملّا علي كني والذي طبع في خاتمة رجال أبي علي.

٣٢ - رسالة بالفارسية في جواب شبهات فصل الخطاب وفي الرد على القول بتحريف القرآن المجيد، جدير ذكره ان المحدث النوري وعلاوة على كتابالقرآن في مستدرك الوسائل قد ألف ثلاثة كتب أخرىٰ في علوم القرآن ولذا من الاجحاف اتهام المحدث النوري بأنه يقول بتحريف القرآن من دون الاطلاع على مؤلفاته جميعاً لأن الحكم سيكون ناقصاً.

٣٣ - ترجمة الجزء الثاني من دار السلام الى الفارسية.

٣٤ - اجوبة المسائل.

٣٥ - حواشي على رجال أبي علي ولم يتم العمل فيه.

٣٦ - فهرسة مكتبة الفريدة حسب الترتيب الألفبائي[1].

٣٧ - رسائل واجازات وبيانات اذا ما جمعت فانها ستشكل سفراً جليلاً فهناك عشرة رسائل جوابية على رسائل مير حامد حسين الهندي مؤلف الكتاب المشهور «عبقات الأنوار» وقد طبعت ناقصة في مجلة «نور علم»[2] اضافة الى عشرات الرسائل في طيات الكتب. وقد طبعت معظم آثاره باستثناء بعضها كما ترجم بعضها الى الفارسية أو العربية، وقد طبع مؤخراً كتابه «النجم الثاقب» بعد ترجمته من الفارسية الى العربية في جزئين كبيرين كما طبع ١٩ جزءاً من مستدرك الوسائل.

---

(١) نقباء البشر ٢ / ٥٤٩.

(٢) مجلة نور علم العدد ٤٨ الدورة الرابعة / ٨٦ - ١٠٨.

تلامذته

تتلمذ على يد المحدث النوري الكثيرون وفيما يلي طائفة ممن درس على يديه:

١ - الشيخ آقا بزرك الطهراني مؤلف دائرة المعارف الكبرىٰ للكتاب الشيعي وهو «الذريعة الى تصانيف الشيعة» ويقع في ٢٦ جزءاً وكتب أخرىٰ لا تقل قيمة عن هذا المؤلف.

٢ - الحاج الشيخ عباس القمي المحدّث الثقة وما يزال اسمه متألقاً اذ يكفيه فخراً جهده في اعداد الكتاب الجليل: «مفاتيح الجنان».

٣ - المصلح المجاهد آية الله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (١٢٩٤ - ١٣٧٣ هـ).

ويكفيه مجداً قصيدته العصماء حول الامام المهدي ويجد القارىء خلاصة لها في كشف الأستار لاستاذه المحدث النوري.

٤ - العلّامة آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي (١٢٩٠ - ١٣٧٧ هـ).

٥ - الشيخ اسماعيل الاصفهاني

٦ - الشيخ مرتضى بن محمد العاملي.

٧ - السيد جمال الدين العاملي الاصفهاني.

٨ - الحاج الشيخ محمد باقر البرجندي (١٢٧٦ هـ - ١٣٥٢ هـ) مؤلف الكبريت الأحمر.

٩ - الحاج الشيخ علي أكبر النهاوندي.

١٠ - الحاج الشيخ علي زاهد القمي (١٢٧٣ - ١٣٧١ هـ).

١١ - الحاج الشيخ محمد تقي القمي.

١٢ – العارف آية الله الميرزا جواد آقا ملكي التبريزي.

١٣ – الحاج ميرزا ابو الفضل الطهراني المعروف بالكلانتري النوري مؤلف: «شفاء الصدور في زيارة العاشور».

١٤ – الشيخ جعفر نوري النجمي.

١٥ – السيد علم الهدىٰ النقوي الكابلي (ولد سنة ١٢٨٨ ه) مؤلف دستور العمل للنسوان.

١٦ – الميرزا محمد الطهراني (المولود سنة ١٢٨١ ه).

١٧ – الشيخ مهدي النوري نجل الميرزا هادي النوري وابن أخ المحدث النوري درس لدىٰ عمه الرسائل والمكاسب وكتباً أخرىٰ ويعد من تلامذة الميرزا الشيرازي.

١٨ – الشيخ الجليل محمد حسن آل كبة (١٢٦٩ – ١٣٣٣ ه).

١٩ – صدر الاسلام الحاج ميرزا علي أكبر الهمداني المعروف بـ«دبير» وأبو المكارم.

٢٠ – المرحوم الحاج محمد ميرزا ارباب القمي (١٢٧٣ – ١٣٤١ ه) وكان في طليعة مريدي المحدث النوري.

٢١ – الشيخ علي أكبر الهمداني(١٢٧٠ – ١٣٢٥ ه) مؤلف ناسخ التفاسير[١].

٢٢ – آية الله الشيخ محمد تقي البافقي (١٢٩٢ – ١٣٢٥ ه) وقد اشتهر بمعارضته رضا خان في مسألة خلع الحجاب[٢].

٢٣ – ابن اخته وصهره الشيخ الشهيد آية الله فضل الله نوري (١٢٩٥ – ١٣٢٧ ه).

---

(١) انظر نفس الرحمن / ١٤؛ معارف الرجال ١ / ٢٧١؛ نقباء البشر ٢ / ٥٦٦؛ ٤ / ١٠٦١، حماسة حسيني ١ / ١٣؛ هدية الرازي الى الامام المجدد؛ ريحانة الأدب.

(٢) دانشنامه جهان اسلام، حرف ب ٤ / ٦٢٣ ط ١.

رواة النور

عرف المحدث النوري بأنه خاتمة المحدثين اذ قلما نجد عالماً في عصره لم يأخذ عنه الحديث فهو شيخ الرواية وما أكثر ما أجاز في الرواية عنه وهم علماء مبرزون ومراجع مشهورون، وفيما يلي طائفة منهم:

١ - آية الله السيد محسن الأمين العاملي (١٢٨٤ - ١٣٧١ هـ).

٢ - آية الله الميرزا النائيني.

٣ - الحاج الشيخ محمد هادي البيرجندي (١٢٧٧ - ١١٣٦ هـ) المعروف بـ «هادوي».

٤ - الحاج الشيخ محمد باقر الهمداني (المتوفى سنة ١١٣٣ هـ) من تلامذة العارف الملّا حسين قلي الهمداني.

٥ - فدا حسين الكهنوئي المشهور بـ«نظير حسن» المولود سنة (١٢٧٨ هـ).

٦ - منير الدين البروجردي (١٢٦٩ - ١٣٤١ هـ) حفيد الميرزا القمي (صاحب قوانين الأصول) من ابنته.

٧ - العلّامة المجاهد الحاج الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢ - ١٣٥٢ هـ) مؤلف تفسير آلاء الرحمن.

٨ - الشيخ محمد علي كجوئي الأردستاني (المتوفى حدود ١٣٣٥ هـ).

٩ - السيد ابو طالب الشيرازي.

١٠ - الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري، مؤسس الحوزة العلمية في قم المقدسة (١٢٧٦ - ١٣٥٥ هـ).

١١ - السيد أبو محمد حسن صدر الدين الموسوي الكاظمي، مؤلف «تأسيس الشيعة لفنون الاسلام».

١٢ - السيد هبة الدين الشهرستاني، مؤلف «الهيئة والاسلام».

١٣ - العلّامة السيد شمس الدين محمود الحسيني المرعشي (١٢٦٠ - ١٣٣٨ هـ).

١٤ - شريف الاسلام السيد اسماعيل المرعشي النجفي مؤلف «القانون في علم الطب».

١٥ - الحاج ميرزا علي الحسيني المرعشي الشهرستاني شارح وجيزة الشيخ البهائي في علم الحديث.

١٦ - الشيخ محمد حرز الدين النجفي مؤلف «علم الرجال».

١٧ - الشيخ مهدي الحكيمي القمي المشهور بـ«بايين شهري».

١٨ - الحاج ميرزا حسن العلياري التبريزي نجل الحاج ملّا علي العلياري السردرودي.

١٩ - الحاج الشيخ عبد النبي النوري الهمداني.

٢٠ - السيد ضياء الدين العراقي (المتوفى سنة ١٣٦١ هـ)[1].

لقاء المحبوب

كان المحدث النوري من عشاق الامام الحسين عليه السلام وفي آخر زيارة لمرقد سيد الشهداء وحين عودته أصيب بوعكة صحية وكان يخفي ذلك عن رجال القافلة حتى لا يعرقل سيرهم وعودتهم وكان يتحمل الألم بصبر، ولما وصل النجف الأشرف حيث يقيم تدهورت صحته وشعر بدنو الأجل. وفي ليلة الأربعاء ٢٧ جمادى الثانية سنة (١٣٢٠ هـ) وعن عمر ناهز السادسة والستين غربت شمس حياته ولبىٰ نداء المحبوب ليوارى الثرىٰ في أحد أواوين المرقد الطاهر لأمير

(١) مجشرة مواضع النجوم، المحدث النوري / ٢٠؛ الذريعة ١ / ١٨١؛ علماء معاصرين، واعظ خياباني التبريزي / ٢١٣؛ دائرة معارف التشيع ٢ / ٦٥؛ ٤ / ٥٦٨.

المؤمنين علي عليه السلام بناءً على وصيته، وتعطلت الدراسة في الحوزة العلمية حداداً على وفاته وقد رثاه الشعراء وأبّن رحيله الأدباء والعلماء وكان في طليعة من رثاه الشيخ محمد آخوند الشوشتري (المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ)[١].

وقد وصفه العلّامة الشيخ كاشف الغطاء بـ«علامة الفقهاء والمحدثين» والذي لن تنجب النساء نظيراً له لقد كان عابداً زاهداً أواه[٢].

(١) انظر نقباء البشر ٢ / ٥٤٨.

(٢) نفس الرحمن / ٨؛ كشف الأستار / ٢٤٥.

الشيخ الشهيد فضل الله نوري /المستشهد سنة ١٣٢٧ هـ

ولادته ودراسته

في قرية «لاشك» في مطنقة كجور في اقليم مازندران شمال ايران كان ملّا عباس كجوري من العلماء الصالحين الذين حازوا ثقة الناس وحبهم وشاء الله سبحانه أن يشيع في منزله الفرحة اذ رزق بصبي أسماه «فضل الله» بدأ مرحلة تعليمه في نعومة أظفاره حيث بدأ دراسته الابتدائية في «بلدة» مركز منطقة «نور»[١] وبعدها سافر الى طهران لاستكمال دراسته هناك حيث بلغ مرحلة السطوح ومن طهران هاجر الى مدينة النجف الأشرف ليتتلمذ على أيدي بعض أساتذتها المبرزين من قبيل الميرزا حبيب الله الرشتي والشيخ راضي وأعقب ذلك تتلمذ على يد الميرزا الشيرازي وقد شغف التلميذ باستاذه لقد كان الشيرازي يمثل القدوة للعديد من طلبة النجف يومئذ؛ من أجل ذلك عندما هاجر الميرزا الشيرازي من النجف الى سامراء التحق فضل الله نوري باستاذه وقد مضت ثمانية أعوام من الدراسة في جدّ وحماس واخلاص من فضل الله مجتهداً بارزاً وفقيهاً عالماً بل يمكن القول ان فضِل الله نوري ورث عن استاذه الرشتي العلم ومن الميرزا الشيرازي السياسة.

---

(١) بايداري تا باي دار، علي ابو الحسني (منذر) / ١٣٩.

العودة

وبالنظر الى الظروف الحساسة في ايران سياسياً واجتماعياً فقد أشار الميرزا الشيرازي على الشيخ فضل الله بالسفر الى ايران وهكذا شدّ الرحال اليها في سنة (١٣٠٣ هـ) وقد حلّ الشيخ في طهران وبدأ نشاطه الثقافي والاجتماعي والديني وبسبب علميته وهتمامه بالشأن الاجتماعي وما يدور حوله سياسياً فقد احتف به الكثيرون وخاصّة الطلبة وكانت حلقته الدراسية الأكثر اتساعاً وحضوراً وتأثيراً وكان العلماء أيضاً يحضرون تلك الدروس لما لها من أهمية[١] وقد درس في حلقته كثير من العلماء البارزين من قبيل الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية في مدينة قم والحاج حسين القمي، السيد محمود المرعشي (والد آية الله السيد شهاب الدين المرعشي) والسيد اسماعيل المرعشي، الملّا علي المدرس، الميرزا ابو القاسم القمي، الشيخ حسن الطهراني، العلّامة محمد القزويني و..[٢].

منزلته العلمية

لقد أجمع الأصدقاء والأعداء على منزلته العلمية الرفيعة لقد كان عالماً بزمانه ويتمتع بنظرة عميقة لما يدور حوله ولهذا جاءت مواقفه السياسية في غاية الذكاء، فالشيخ فضل الله لم يكن عالماً في الفقه والأصول بل كان عالماً بحقول علمية عديدة[٣].

وتذكر بعض المدونات ان مجلساً ضمه مع السيد الطباطبائي وكان الحديث

(١) شيخ فضل الله ومشروطيت، مهدي أنصاري / ٢٦.

(٢) بايداري تا بايه دار (صمود حتى الاعدام)، ٣٠٥.

(٣) رسائل وبيانات وتقارير حول دور الشيخ فضل الله نوري، محمد تركمان ٢ / ٣٢٦.

يدور حول دور علماء الدين فقال السيد الطباطبائي ضمن حديثه عن ملّا ما قبل ثلاثمئة سنة لا ينفع اليوم فردّ الشيخ فضل الله قائلاً ان ملاّ ما قبل ثلاثين لا ينفع اليوم الملّا في الوقت الحاضر يجب أن يكون عالماً بمقتضيات زمانه وشؤون الدول[١].

ويقول المؤرخ والباحث ادوارد براون لقد بلغ الشيخ الذروة في الكمال لقد كان فقيهاً معروفاً ومجتهداً مبرزاً وعالماً متبحراً وكان في طليعة المجتهدين[٢] وكان من الناحية العلمية يفوق كلا السيدين الطباطبائي والبهبهاني وقد احتف به الطلاب دونهما[٣] ويقول مؤرخ آخر ان الشيخ فضل الله نوري من علماء الطراز الأول وقد برّ جميع المجتهدين في عصره[٤] فهناك ما يشبه الاجماع التاريخي على هذه الناحية حتى الذين يخالفونه بالرأي إذ اذعنوا لهذه الحقيقة وقد اكتسب شعبية واسعة لدىٰ الجماهير التي كانت تعتبر بياناته وحياً منزلاً[٥].

آثاره العلمية

بالرغم من نشاطه الاجتماعي والسياسي الواسع وما كان يقوم به الشيخ فضل الله نوري من ممارسة فعاليات أخرىٰ من قبيل التدريس والتبليغ الاّ ان ذلك لم يمنع من أن يقوم بتأليف العديد من الآثار العلمية وفيما يلي اشارة الى بعضها:

١ – رسالة فقهية منظومة (الدرّ النظيم) باللغة العربية.

---

(١) تاريخ اليقظة الايرانية (تاريخ بيداري ايرانيان)، ناظم الاسلام الكرماني / ٢٥٦.

(٢) انقلاب ايران (ثورة ايران) ادوارد براون، ترجمة أحمد بزوه / ٣٥٥.

(٣) خاطرات وخطرات، مهدي قلي هدايت / ١٥٥.

(٤) تاريخ مشروطة ايران، ابو الحسن العلوي / ٨١.

(٥) انظر ايدئولوجي نهضت مشروطيت، فريدون هدايت / ٤٢٩؛ تاريخ مشروطة ايران، أحمد كسروي / ٣١؛ بيرم خان سردار، اسماعيل رائين / ٢٥٢.

٢ – البياض (كتاب دعاء).
٣ – رسالة فقهية في قاعدة ضمان اليد.
٤ – رسالة في المشتق.
٥ – الصحيفة القائمية (الصحيفة المهدوية).
٦ – ملحقات على كتاب تحفة الزائر للعلّامة المجلسي في خاتمة الكتاب.
٧ – توضيحات حول كتاب الاقبال للشيخ ابن طاووس.
٨ – رسالة في تحريم استطراق الحجاج من طريق الجبل الى مكة المكرمة.
٩ – روزنامه الشيخ (لوائح الشيخ فضل الله).
١٠ – تحريم المشروطة.
١١ – حاشية على كتاب شواهد الربوبية لملّا صدرا.
١٢ – حاشية على كتاب فرائد الأصول للشيخ الأنصاري[١].

نهضة التنباكو

كان الشيخ فضل الله نوري في طليعة من نهض في ما عرف في التاريخ بنهضة التنباكو اذ أعلن دعمه ومساندته الكاملة لحركة الميرزا الأشتياني[٢] وكان بمثابة ممثل للميرزا الشيرازي في طهران وكان حلقة الوصل بين العلماء والميرزا الشيرازي منذ صدور فتوىٰ التحريم الشهيرة وكان الشيخ فضل الله نوري هو معتمد الميرزا الشيرازي في مراقبة الحوادث في ايران والتأكد من الغاء الامتياز ومن ثم الغاء فتوى التحريم من قبل الميرزا الشيرازي يعدان تحقيق الأهداف المرجوة من تلك الحركة والنهضة الكبرى[٣].

---

(١) الشيخ فضل الله نوري والمشروطة / ٢٩ – ٣٠.
(٢) ذكرياتي ١، حسن قدسي / ٦٢.
(٣) تحريم التنباكو، ابراهيم تيموري / ١٧٩.

المشروطة أو الحركة الدستورية

بعد اغتيال ناصر الدين شاه تربع على العرش القاجاري ابنه مظفر الدين شاه الذي لم يكن يتمتع بارادة قوية وكان ساذجاً الى حد ما، ولم يكن لديه أية ملكة من ملكات الادارة والحكم ولهذا غرقت ايران في عهده في الفوضىٰ وكان المجتمع الايراني الذي ذاق حلاوة النصر في نهضة التنباكو بدأ يرنو الى التغيير ولهذا تشكلت جمعيات واتحادات سرّية لترشيد الصراع مع الحكومة وكان آية الله الطباطبائي وراء هذه الحركة وفي محرم الحرام ١٣٢٣ بدأت الانتقادات المرّة تستهدف الحكومة من فوق منابر مجالس العزاء الحسيني وفي تلك الفترة ظهرت صورة «للمسيو نوز» البلجيكي يرتدي زي علماء الدين في حفلة تنكرية ما فجر الغضب في المؤسسة الدينية ذات النفوذ الجماهيري الواسع فاندلعت مظاهرات صاخبة في البازار وفجر الغضب في العاصمة الأوضاع في المدن الأخرىٰ التي سارعت الى تسيير مظاهرات تأييد لما يجري في طهران، فقد تحركت كرمان وخراسان وقزوين وسبزوار وقام التجار وسائر طبقات الشعب بالاعتصام داخل أحد المساجد في العاصمة والتحق آية الله الطباطبائي والبهبهاني بالمعتصمين وتعرف المعتصمون لهجوم الشرطة وأزلام البلاط حينئذ لجأ كثير من العلماء والشعب الى مرقد السيد عبد العظيم الحسني في مدينة الري جنوب طهران وأعلن المعتصمون من هناك مطالبهم في تطبيق الشريعة الاسلامية وانشاء ديوان للعدالة، وصدرت موافقة الشاه ازاء المطالب مما حدا بالمعتصمين الى العودة الى منازلهم وانهاء الاعتصام، ولكن «عين الدولة» الذي وجد في ذلك تحديداً لصلاحياته ونفوذه اعترض على ذلك وبدأت الاعتقالات الواسعة والنفي والابعاد يطال العديد من الشخصيات، ولكن الشعب الايراني كان قد انتفض ولا يمكن أن توجد قوة لتوقف مسيرته وأثناء احدىٰ المسيرات الجماهيرية سقط أحد طلاب العلوم الدينية شهيداً وحمل جثمان الشهيد سيد عبد الحميد على أيدي المتظاهرين الذي

راحوا يطوفون به شوارع العاصمة ثم بدأت حركة الاعتصام في المسجد الجامع وهنا قام الطباطبائي والبهبهاني بالاتصال مع الشيخ فضل الله نوري لما له من نفوذ واسع ولبى الشيخ نداء الاستغاثة والتحق بالمجاهدين وأعلن منذ البداية ان هدفه هو الدفاع عن الشريعة الاسلامية فقط وانه لن يرضىٰ ومن أي جهة توجيه اهانة للشريعة[١].

السفارة البريطانية

ولاعلان اعتراضهم واحتجاجهم على ما يجري من جانب الحكومة أقام علماء الدين الهجرة الى قم وتعطلت الحياة في المدينة وكانت الأوضاع تنذر بوقوع فوضىٰ، وفي الفترة الحساسة انتهزت السفارة البريطانية الفرصة ودخلت على الخط لتحصل على المزيد من النفوذ والتنافس مع روسيا التي كانت تسيطر بشكل واسع على البلاط الايراني ومقدرات البلاد وبدأت المحافل الماسونية باطلاق شائعات حول نية الحكومة في سحق الحركة الشعبية بالقوة حيث قام ما يعرف بالمتنورين وبعضهم أعضاء بارزون في الماسونية بالتأكيد هذه الشائعات وفي الأثناء أعلنت السفارة البريطانية انها تفتح أبوابها لأية حركة من أجل مساعدة الشعب الايراني في صراعه وطرحت فكرة الاعتصام داخل السفارة البريطانية وكان الحاج أين ضرب في طليعة من لجأ الى السفارة البريطانية يصحبه حاجي شاهرودي وآخرون وكانوا معروفين بأنهم من «أهل الماسونية»[٢] وكان بينهم رموز يتعارفون بها واتفاقات وخطط سرّية[٣].

---

(١) مقدمات المشروطة، هاشم مجيد مافي / ٩٢.

(٢) المحافل الماسونية تنظيمات يهودية بالغة التعقيد رفعت شعارات انسانية في الظاهر لكنها تعمل في الحقيقة على تحطيم أخلاق وقيم وأديان الشعوب.

(٣) تاريخ اجتماعي وسياسي ايران زمان ناصر الدين شاه، عبد الله بهرامي / ٦٩ - ٧٠.

وقد اتخذت الحركة طابعاً غريباً بالرغم من جذورها الدينية وبدأ الحديث عن المشروطة أو الدستور، كانت المطالب قد بدأت بتطبيق الشريعة الاسلامية ثم جرىٰ الحديث فيما بعد عن دستور يقيد الشاه والحكومة وتأسيس مجلس شورى وطني وهكذا بدأت الشعارات تنطلق بقوة تطالب بـ«المشروطة»[١] فيما يتصور البعض يتصور المشروطة امرأة تصبح ملكاً[٢].

وهكذا طغت الضجة حول مسألة المشروطة من دون أن ينتبه أحد الى ما تتطلع اليه السفارة البريطانية من أهداف من وراء حركة لا يفهم الكثيرون حتى معناها الحقيقي أو يستطيع تلفظها بشكل صحيح وهكذا بدأت حركة المشروطة تسير وفق خارطة بريطانية التصميم وتصدر الماسونيون والمستلبون المتغربين هذه الحركة وقادوها في نحو ما يصبون اليه من أهداف.

أعلن البلاط موافقته على مطالب العلماء المجاهدين المعتصمين في قم المقدسة فعادوا الى طهران وتشكل مجلس الشورى الاسلامي بعد صدور فرمان مظفر الدين شاه وكان المعتصمون في السفارة البريطانية بدأوا يطبخون طعامهم في ساحة السفارة[٣] واصلوا اعتصامهم مطالبين بتغيير تسمية مجلس الشورى الاسلامي الى مجلس الشورى الوطني[٤]، وبعد محادثات تم تغيير اسم المجلس الى الوطني وحينئذ غادروا السفارة وبعد انتخاب النواب افتتح المجلس يوم الأحد ١٨ شعبان (١٣٢٤ هـ)، وكانت قوة المجلس وأركانه هم علماء الدين وعلى رأسهم البهبهاني والطباطبائي والشيخ فضل الله نوري[٥].

---

(١) تاريخ بيدايش مشروطيت، أديب هروي الخراساني / ١٣٧ - ١٣٨.

(٢) اسلام ومقتضيات زمان، مرتضى مطهري / ١٥٩.

(٣) كان الشيخ الشهيد يقول: ان مشروطة يطبخ طعامها في سفارة بريطانيا لا تنفعنا نحن الايرانيون.

(٤) تاريخ بيداري ايرانيان / ٤٨٤.

(٥) زمينه انقلاب مشروطيت ايران (سه خطابه) سيد حسن تقي زاده / ٤٤.

القانون الأساسي (الدستور)

وكان في طليعة أعمال المجلس تدوين الدستور والقانون الأساسي وقد طرحت رؤيتان مختلفتان. وكان علماء الدين وعلى رأسهم الشيخ فضل الله نوري يرى تحكيم الشريعة الاسلامية فيما يرىٰ المتنورون من المتغربين ان يكون القانون مستورداً من الغرب أسوة بالدول الأخرى وكان هذا الاختلاف يتبع اختلاف الفريقين في المتبنيات الفكرية، وقد بدأ النزاع بين الفريقين وكان المتغربون والمتنورون ومن ورائهم الماسونيين يشكلون الأغلبية وكان من بين ستة عشر نائباً عن مدينة طهران يشكل الماسونيين ثلاثة عشر منهم[1] ومن الأعضاء الآخرين حاج أمين الغرب، حاج سيد نصر الله سادات أخوي، سيد نصر الله تقوي وتقي زاده وكلهم من الماسونيين؛ وهذه التشكيلة من الأعضاء النواب قاموا بعملية التدوين والمصادقة على الدستور، وكان الشيخ فضل الله نوري يعلم جيداً المؤامرات التي يحوكها الماسونيون فكان يشترك في اجتماعات مجلس الشورى الوطني بمعية السيد الطباطبائي والسيد البهبهاني وتقديم النصائح والحؤول دون المصادقة على القوانين المنافية للعقيدة الاسلامية ولكن الأعضاء الماسونيون كانوا يتمادون في طريقهم في تغريب ايران. وكانت التقارير الخاطئة تصل علماء النجف الأشرف فتكونت قوة علمائية بزعامة الآخوند الخراساني، الشيخ عبد الله المازندراني والميرزا حسين الطهراني ماسندة لحركة المشروطة فيما كان الشيخ فضل الله نوري يسعىٰ جاهداً لتصحيح المسيرة فاقترح على المجلس سن قانون مفاده اعتبار المذهب الجعفري المذهب الرسمي للبلاد وتعيين لجنة من العلماء الفقهاء لمراقبة القوانين التي يتشرعها المجلس ولقد كان الشيخ

---

(١) فراموشخانه وفراماسونري در ايران، اسماعيل رائين ٢ / ٢٠٨.

فضل الله نوري يستبق الحوادث وكان يتمتع بحسّ سياسي قوي، وقد اعترض المجلس على الاقتراحات فغادر المكان احتجاجاً.

ومن ذلك الوقت بدأت الحملات القاسية تستهدف الشيخ فضل الله نوري واشترك فيها السذج والبسطاء ممن انطلت عليهم الدعاية الماسونية وفي المداولات بشأن الشيخ فضل الله نوري داخل المجلس قال أحدهم: ان الشيخ يتطلّع الى الزعامة في المجلس وعندما لم يحصل عليها انتهج طريق المعارضة لتحقيق أهدافه[١]. ثم بدأت الصحافة تعلن حربها ليس على الشيخ وحده بل وحتى على رموز اسلامية ومذهبية مقدسة فمثلاً نجد في صحيفة «كوكب درّي» وفي العدد ١٣ من السنة الأولى هذا النص: «لماذا تؤمنون ايها الرجال بهؤلاء قبل الف وثلاثمئة سنة حدث تمرد على يزيد بن معاوية وأدىٰ الى مصرعه (الامام الحسين) ورفاقه والآن أنتم تنوحون وتبعثرون أموالكم، جماعة تؤمن بتربة كربلاء ما هي خصائص هذه التربة ولماذا هي أفضل من سائر التراب؟!»[٢].

الاعتراض على المشروطة

وبالرغم من أن مساعي الشيخ ودعم علماء النجف قد حققت بعض أهدافها في اضافة أشراف الفقهاء كأصل ثاني ومتمم للقانون الأساسي[٣] ولكن الشيخ فضل الله نوري الذي عاش تلك التجربة وشهد ما تقوم به الصحافة من أعمال منافية وما تتضمنه مقالاتها من اهانة للرموز الدينية وفي طليعتها الأئمة من أهل البيتعليهم السلام أدرك انه لا توجد أية ضمانات على تطبيق الأصل الثاني في أشراف

(١) رسائل وبيانات ٢ / ١٤٨.
(٢) المصدر السابق / ٢١١.
(٣) قانون اساسي ومتمم آن / ٢٩.

الفقهاء ولهذا استمر في معارضة الحكومة معتقداً ان الشريعة الاسلامية هي التي يجب أن تحكم على أساس اسلامية الشعب الايراني ومن هنا يجب أن تكون كل القوانين الجزائية والحقوقية منسجمة مع الشريعة الاسلامية ولهذا طالب أن تكون المشروطة مشروعة وأصبح شعاره المشروطة المشروحة وقد صرح مراراً قائلاً: «والله أنا لست معارضا للمشروطة انني أعارض الملحدين والفرق الضالة المضلّة من الذين يريدون ضرب الاسلام.. وأنتم تقرأون الصحف وكيف تكيل الاهانات للأنبياء والأولياء(١).

واحتدم الصراع بين المشروطة والمشروعة ولم تنحصر المعركة في طهران بل امتدّ لهيبها الى المدن الكبرىٰ، ففي رشت نهض آية الله الحاج ملّا الخمامي الرشتي وفي زنجان الآخوند ملّا قربان علي الزنجاني وفي تبريز الميرزا محمد حسن المجتهد التبريزي ومير هاشم دوجي كل هؤلاء وقفوا يساندون الشيخ فضل الله نوري في معركته، أما في طهران فقد كان الآخوند رستم آبادي، السيد أحمد الطباطبائي، الملّا محمد الآملي، الشيخ عبد النبي النوري، السيد محمد اليزدي، الشيخ محمد البروجردي، الحاج ميرزا لطف الله، الحاج نور الله مجتهد العراقي، الشيخ علي أكبر مجتهد، السيد علي بيشنماز، السيد جمال الدين اللافجيء، الشيخ علي أكبر الطالقاني، و.. كانوا في صف الشيخ فضل الله النوري يساندون حركته في المطالبة بمشروطة مشروعة ولكن الدعاية القوية لخصوم الشيخ ونفوذهم في الأوساط الاجتماعية فقد أصبح الجوّ السياسي السائد آنذاك في صالحهم وانطلقت صيحات تطالب باقتحام منزل الشيخ وأخرىٰ تدعو الى ابعاده ونفيه. ومن أجل أن يوصل الشيخ نداءه من دون تشويش أو تعتيم فقد قرر اللجوء

---

(١) تاريخ بيدايش مشروطيت.

الى جرم السيد عبد العظيم الحسني في مدينة الري جنوب العاصمة والاعتصام هناك، وانتقل الشيخ وبعض رفاقه الى المرقد ليعلن بياناته ومطالباته ويكون الشعب الايراني على بيّنة مما يجري أو يحاك في الظلام ففي أول خطاب أوضح موقفه من المشروطة وأعلن تأييده للحركة الدستورية عموماً وتقييد «السلطنة» والبلاط والحكومة عموماً بدستور لكنه أكد على اسلامية الدستور باعتبار ان الشعب الايراني مسلماً وايران بلد مسلم، ثم أخرج من جيبه مصحفاً وأقسم أمام الملأ انه لا يعارض المشروطة من حيث المبدأ بل انه كان في طليعة من طالبوا بالدستور وكرر مطالبته بأن يكون القانون الأساسي والدستور موافقاً للشريعة الاسلامية[1].

ومن مكانه بدأ الشيخ باصدار جريدة سماها «الأئمة» لفضح الدعاية التي يقوم بها خصومه من المتغربين وقد اضطر مجلس الشورى الوطني الذي خشي من تأثير الشيخ في تعبئة الرأي العام لصالحه الى اصدار بيان تضمن توضيح للمشروطة باعتباره ان المفردة نفسها لا يمكن أن تتضمن شيئاً مخالفاً للدين والأحكام الشرعية وعد البيان طمأنة لهواجس المعتصمين وتبديداً لمخاوفهم فغادروا المرقد عائدين الى المدينة ثم ظهر ان بيان المجلس لم يكن سوىٰ مناورة سياسية بغية تمزيق جبهة الشيخ فضل الله نوري تشتيت أنصاره.

وعاد الشيخ لاستئناف نشاطه في التدريس مستمراً في انتقاد المشروطة بنهجها الأوربي الغربي ولم يكن له ولا لأتباعه وأنصاره من نشاط سياسي معارض للمشروطة ولكن بقاءه ووجوده ظل شوكة في أعين الماسونيين والمستلبين فكرياً والمتغربين؛ فاقدموا على حياكة مؤامرة دنيئة وذلك بتزوير

(١) تاريخ انقلاب ايران، ابن نصر الله مستوفي التفرشي ١ بالاستناد الى: مكتوبات و.. ٢ / ١٩٤ - ١٩٧.

برقيات على لسان بعض العلماء في النجف الأشرف جاء في احداها ان الشيخ قد بات مخلّاً بالاستقرار ومفسداً في الأرض، كما ورد في برقية أخرى ان الشيخ وبسبب اخلاله ووقوفه ضد مصالح المسلمين قد سقط عن درجة الاجتهاد وقد غفل المتآمرون عن ان الاجتهاد لا يسقط عن أحد ولا أحد يسقط منه وانه درجة علمية لا علاقة لها بالمواقف السياسية والسلوك الاجتماعي، غير ان الأمة آنذاك ما كانت لتدرك هذه الألاعيب فانساقت وراء المتآمرين الى النهاية وفي فورة الغضب الشعبي الذي أثارته الدعايات المغرضة والجوّ المحموم بسبب الشائعات طرحت فكرة تصفيته جسدياً من خلال اقتحام منزله فهوجم في منزله وجرح.

سقوط وظهورالمشروطة مرّة أخرىٰ

توفي مظفر الدين شاه وتربع على العرش ابنه محمد علي شاه وكان يميل بطبعه الى الاستبداد ولم يكن يخضع للقانون وقد تربىٰ في احضان الروس ما جعله صعب المراس يرفض وجود حكومة تخدم المصالح الانجليزية وهكذا أصدر أوامره الى جنوده بالهجوم على المجلس تساندهم فرقة من القوازف الروس وفي الهجوم قتل بعض النواب واعتقل آخرون فيما نفي وأبعد بعض آخر وانتهى أمر المشروطة، وقد أثار هذا الهجوم حفيظة بعض القادة فتحركت قوات من الشمال بقيادة سبهدار تنكابني وقوات من عشائر البختيار بقيادة سردار أسعد وتم احتلال طهران فيما لجأ محمد علي شاه الى السفارة الروسية وقد شكل الفاتحون لطهران مجلساً أعلى في منطقة بهارستان فقام المجلس بخلع محمد علي شاه من السلطنة وانتخاب أحمد شاه ملكاً جديداً كما تم توزيع المسؤوليات الحكومية فيما بينهم وهم في الغالب إما عملاء للروس أو الانجليز بعبارة أخرى

«كانوا اقطاعيين وخدم للامبريالية»[١] ولم تكن الحكومة المشكلة حكومة دستورية وفقاً للمعايير الغربية بل انه قادتها لم يكونوا ليؤمنون حتى بحكومة وطنية ذلك ان «من العناصر الأساسية في الحركة الدستورية هو الاطاحة بالنظام الشبه الاقطاعي الايراني والقضاء على القوى التقليدية من قبيل سبهدار وسردار أسعد»[٢].

الأيام الأخيرة

وبدأت الحكومة التي تدعي انها «مشروطة» بحملة تصفيات للمعارضين الذين ساندوا الشاه والاستبداد وقد فر الذين وقفوا الى جانب الاستبداد فرار الجرذان والمذعورة، أما الشيخ فضل الله نوري الذي كان ينادي لمشروطة مشروعة ولم يكن في يوم من الأيام مسانداً للاستبداد فقد ظل يقاوم كالجبل ولكن الموجة والتقييم والدعاية القوية قد خلط الحابل بالنابل وأصبح التقسيم بين مناصرين للـ«مشروطة» ومناصرين للـ«المستبدة» أو الاستبداد ولم يكن هناك من يصغي الى وجود فريق ثالث، وقد صُنّف الشيخ بطبيعة الحال الى عناصر موالية للاستبداد وأصبح مصيره واضحاً في ظل الرعب الذي سيطر على العاصمة، فانهالت عليه اقتراحات في اللجوء. وقد عرض عليه الانجليز فكرة اللجوء الى السفارة البريطانية كما عرض الروس أيضاً هذه الفكرة وبحماس حتى أنصار الشيخ رحبوا بذلك لكنه رفض وكان يكرر قول: «لا حول ولا قوّة الّا بالله»[٣] كما عرضت عليه هولندا وهي دولة محايدة أن يرفع علمها على منزله فابتسم ساخراً

(١) تشيع ومشروطيت در ايران ونقش ايرانيان مقيم عراق، عبد الهادي جابري / ١٢٢.
(٢) فكر دمكراسي اجتماعي در نهضت مشروطيت ايران، فريدون أدميت / ١٣٣.
(٣) فاجعة قرن، جواد بهمني / ١٣٩ بتصرف.

وقال انني أطمح الى رفع علمنا على سفاراتهم (الأجانب) وهل يسمح لي صاحب الشريعة (سيدنا محمدﷺ) أن ألجأ الى الأجنبي»[١] وفي مناسبة قال: هل يليق بي وقد أبيضت لحيتي من أجل الاسلام أن ألجأ تحت علم الأجانب.

وسيطرت روح الانتقام على مؤيدي وانصار المشروطة وتقرر الهجوم على منزله، فاعتقل وأخذ مخفوراً الى مركز للشرطة حيث ظل أياماً هناك قبل أن يتم نقله الى عمارة «كلستان» لمحاكمته. وقد نقل مدير نظام نوابي أحد المسؤولين في الشرطة جانباً من وقائع المحاكمة فذكر ان عدد أعضاء هيئة المحكمة كانوا ستة أشخاص جلسوا مقابل الشيخ وقد بدأ الشيخ ابراهيم الزنجاني مسؤول الادعاء استجواب الشيخ فضل الله وكان يتعمد اهانته وفي كل مرّة كانوا يخاطبه بوقاحة: أنا أعلم منك يا شيخ. فسأله عن نفقات الاعتصام فأوضح له الشيخ ذلك وقال لقد نفدت الأموال ولو كان عندنا مال، لواصلنا الاعتصام، وأثناء المحاكمة طلب الشيخ السماح له بأداء الصلاة فسمح له ففرش الشيخ عباءته في قاعة المحكمة وأدىٰ صلاة الظهر ولم يسمح له بأداء صلاة العصر، ثم سئل مرّة أخرى عن الاعتصام. وفي أثناء المحاكمة دخل بيرم خان بهدوء وجلس على كرسي خلف الشيخ فضل الله ولم ينتبه له الشيخ ولم تمض سوىٰ دقائق حتى حدث ما يغير وضع قاعة المحكمة. وقد أبدىٰ الشيخ شجاعة فريدة: «لم أر في عمري شجاعة كهذه» وهنا سأل الشيخ من هيئة المحكمة اتاكم بيرم خان؟ وبمجرد أن سمعوا اسمه نهضوا جميعاً وقال رجل كان خلف الشيخ: هذا هو بيرم خان، والتفت الشيخ الى الخلف نصف التفاتة محافظاً على جلسته وسأل:

- أنت بيرم خان؟ قال بيرم خان: نعم ثم أردف: أنت شيخ فضل الله؟ أجاب

---

(١) مكتوبات. / ٣٦٢ - ٣٦٣ بتصرف.

الشيخ: نعم وقال بيرم: أنت الذي حرّمت المشروطة؟ أجاب الشيخ: نعم أنا وهي حرام الى أبد الدهر. ان مؤسسي المشروطة كلّهم ملحدون وقد خدعوا الناس.

ثم عاد الشيخ الى من التفاته وقد هيمن صمت مهيب وقد شعر الحضور بالخوف «وكنت أرتجف وقلت في نفسي ما الذي تفعله يا شيخ بنفسك؟ ان بيرم هو القائد العام للشرطة لم يكن موضوع المحاكمة سوىٰ السؤال عن الاعتصام».

سرابداري آخر[١]

وبدأ الاعداد لاعدام الشيخ قبل ليلة من تنفيذ الحكم وتقرر ذلك في ميدان التوبخانه (المدفعية)، وعندما اقتيد الى هناك نظر الى الجموع المحتشدة ثم رمق السماء وقال: «وأفوّض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد»[٢].

كان ميدان المدفعية يموج بالناس وكانت القوات الحكومية تدفع الجموع الى الخلف لفتح الطريق والتفت الشيخ الى الخلف ليقع بصره على خادمه الوفي فصاح: ناد علي! وأسرع الخادم اليه وأصغت الجموع لما سيقول ويفعل في لحظاته الأخيرة دس الشيخ يده في جيبه ليخرج كيساً فيه أختام وقال لخادمه فتت هذه الأختام لقد كان الشيخ ينظر الى الأفق البعيد.. سوف يستغل أهل المشروطة هذه الأختام لتزوير وثائق ضد الشيخ وكذلك تزوير هذه المرحلة التاريخية الحساسة.

وبعدها صعد الشيخ خشبة الاعدام وألقىٰ خطاباً أكد فيه موقفه المبدئي: اللهم أنت الشاهد على ما قلت وما أقول هؤلاء الملحدون خدعوا الشعب وأن ما فعلوه

---

(١) ظهر السرابداريون في سبزوار في خراسان وأسسوا دولتهم بعد أن هزموا المغول ودامت دولتهم خمسين سنة قبل أن يقضي عليها تيمورلنك السرابداريون رفعوا شعارهم الحماسي الموت شنقاً أفضل من الحياة ذلاً ولهذا عرفوا بذلك. المترجم.

(٢) المؤمن / ٤٤.

مخالف للاسلام.. ان محاكمتي ومحاكمتكم ستكون أمام نبي الاسلام. وبالرغم من شيخوخته ومرضه فقد جاء خطابه قوياً شجاعاً ولم يكن متهيباً لما سيحلّ به حتى كأن المشنقة بدت ترتجف خوفاً وهيبة[١] وقبل أن يوضع حبل المشنقة في رقبته جاء أحد أنصار المشروطة بورقة تتضمن تأييداً للمشروطة وقال للشيخ وقّع على هذه الورقة وانقذ نفسك من القتل! فقال الشيخ فضل الله: لقد رأيت بالأمس النبيﷺ وقال لي أنت ضيفي غداً في المساء، لن أوقع[٢]، وبعد لحظات التف الحبل حول رقبته ونفذ الحكم وحينئذ علا التصفيق احتفالاً!! ومضىٰ الشيخ فضل الله شهيداً من أجل موقفه المبدئي فكانت شهادته على هذا النحو درساً للأجيال.

بعد الشهادة

بعد تنفيذ حكم الاعدام نقل جثمان الشيخ الشهيد الى مركز الشرطة ليوضع على «رحلة» في وسط ساحة المركز وحتى الجسد المسجىٰ لم يسلم من حقد أعداء الدين فقد تعرض للعدوان بأعقاب البنادق والركلات حتى سال الدم! ورفض تسليم الجسد الى أسرته مدّة ثم وافقوا على ذلك، وقد اضطرت أسرته الى مواراته الثرى داخل البيت لينقل بعد ثمانية عشر شهراً ليدفن في احدىٰ حجرات مرقد السيدة فاطمة المعصومة. وقد فضح اعدام الشيخ الشهيد الوجه الحقيقي لأدعياء الحرية والعدالة، ولم تكن المشروطة سوىٰ سراب ظنه الشعب الايراني ماء، وشيئاً فشيئاً اقصى علماء الدين من مجلس الشورى الوطني والمواقع الحكومية وبدأت علمنة البلاد، وقد تأثر علماء الدين وفي طليعتهم النائيني، الآخوند الخراساني، الطباطبائي، البهبهاني والطباطبائي اليزدي اثر هذه الجريمة

(١) شاهين (نهيب أدبي جنبش) شمس الدين تندركيا / ٢٢٩ - ٢٣٤ بتصرف.
(٢) سيد جمال الدين وشيخ نوري، برقعي بالاستناد الى «فاجعة قرن» / ١٦٣.

التي ارتكبت بحق الشيخ فضل الله نوري وأدركوا ان هناك واقعاً مريراً يكمن وراء الظواهر والخداعة، ولكن الأوان قد فات ولات حين مناص.

في ذمة التاريخ

للشهيد من زوجته السيدة سكينة ابنة خاله المحدث النوري أربعة ذكور هم: مهدي، ضياء الدين، هادي وجلال وثمانية أناث هن: زينة، أنسية، اقدام، زكية، خديجة، منيرة، أقدس وأنور[1].

كان الشهيد منظماً في حياته اليومية يرتدي ثياباً نظيفة أنيقة ولم يكن مرائياً وكان صريحاً جداً وفي غاية الشجاعة وكان سخياً كريماً وأبواب منزلة مشرعة للجميع يساعد الفقراء والمحتاجين ما أمكنه ذلك، وكان يمنع من يريد أن يقسم انه فقير، ولم يكن الشهيد من أولئك الذين يجمعون المال أو يحبونه أنفق كل ما يملك في عملية الاعتصام وحتى انه رهن بيته لتغطية نفقات هذه العملية ولم يستطع حتى لحظة استشهاد من فك بيته من الرهن وبعد شهادته اسقط بعض من الدائنين ديونهم عنه وبعض آخر قام بتسديد ديونه الأخرى. وقد أنشر الفقر ظلاله على أسرته وذاقوا مرارة الحياة بعد استشهاد عمود خيمتهم وقد عيّنت الدولة حارسين لحراسة منزل الشهيد وأسرته ولكنها كان يضايقان الأسرة وقد استدانت الأسرة مرّة ميرزا هادي مبلغ ٢٠٠ تومان وهو مبلغ ولم يكن بمقدور الأسرة تسدسد هذا الدين وبدأ الالحاح يتزايد على تسديد المبلغ واضطر الحاج ميرزا هادي الى بيع أثاث البيت وجمع مبلغ ١٠٠ تومان وفي تلك الفترة العصيبة جاءهم شخص يدعى كريم دوائكر وهذا الشخص هو الذي حاول اغتيال الشيخ الشهيد

---

(١) شاهين (نهيب أدبي جنبش) / ٢٢٢.

وقد عفا عنه الشيخ جاء هذه المرّة يطالب بالسلاح قائلاً: انه تركه في المنزل (منزل الشهيد) فقالت زوجة الشيخ الشهيد ان الشرطة أخذوا الى المركز ولكن الرجل النذل ظل يطالب بالسلاح ويهددهم وخافت المرأة على ولدها فطوت سجادتهم الوحيدة ودفعتها اليه[١].

الامام الخميني والمشروطة

يؤيد الامام الخميني الراحل موقف الشيخ الشهيد في المطالبة بمشروطة مشروعة (دستور داخل اطار الشريعة الاسلامية) وقد حيّا في أكثر من مناسبة جهاد الشيخ الشهيد في المصادقة على دستور يوافق الدين الاسلامي واعتبر استشهاد الشيخ فضل الله نوري على ذلك النحو المؤسف نتيجة التآمر الأجنبي ومرتزقة النفوذ الاستعماري في داخل البلاد، وعدّ اعدام الشيخ الشهيد على مدى ما وصل اليه النفوذ الأجنبي في تشويه الحقائق بحيث ينخدع الشعب ويصفق لاعدام عالم مجاهد مخلص ذنبه الوحيد المطالبة بدستور وقانون يحترم الاسلام ويستقي منه مواده القانونية[٢].

---

(١) المصدر السابق / ٢٦٩.

(٢) انظر صحيفة نور ١٨ / ١٧٥.

الآخوند محمد كاظم الخراساني /المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ

اشارة

الآخوند الخراساني واحد من الذين صنعوا الملاحم في تاريخ ايران الحديث كان مرجعاً كبيراً واستاذاً في الحوزة العلمية في النجف الأشرف فريداً ويعدّ في نظر الجميع ممن أرخو للمشروطة في ايران، ان الخراساني كان زعيمها بلا منازع، ولكن المدهش حقاً وعند الحديث عن تلك الفترة العاصفة من تاريخ ايران ما نراه من تجاهل لهذه الشخصية الكبرىٰ.

ولادته

ولد الآخوند الخراساني سنة (١٢٥٥ هـ) في مدينة مشهد أبوه المـلّا حسـين الهراتي كان مبلغاً للاسلام ويعمل في نفس الوقت في تجارة الحرير، كان عالماً تقياً اتخذ مما عرف بالتاريخ من طريق الحرير للكسب والعيش فهو دائم السفر بين مشهد وهرات وخلال أسفاره كان يبلغ للدين الحنيف ويبيّن للناس أحكامه وأركانه وفي أحد أسفاره الى مدينة كاشان تزوج فكان ثمرة زواجه أربعة أولاد هم كل من نصر الله، محمد رضا، غلام رضا، ومحمد كاظم (الآخوند الخراساني) وبعدها هاجر الى مدينة مشهد ليقيم هناك[1].

---

(١) موت في الضوء، عبد الحسين كفائي / ١٤؛ دائرة المعارف الاسلامية الكبرىٰ ط ٢ / ١٥١؛ أعيان الشيعة ٩ – ٥؛ الاعلام، الزركلي ٩ / ١١.

هجرته ودراسته

في ربيعة الثاني عشر انتظم محمد كاظم في الحوزة العلمية في مدينة مشهد فدرس آداب العربية، المنطق، الفقه والأصول. تزوج وهو في الثامنة عشرة من عمره وكان في الثانية والعشرين من عمره عندما هاجر الى العراق في قافلة من الزوار ولم يصطحب الآخوند أسرته في هجرته بسبب مصاعب السفر ومشكلات السكن في مدينة النجف الأشرف فأوكل رعايتها الى والده.

وعندما وصلت القافلة مدينة سبزوار وألقت أثقالها لالتقاط الأنفاس قرر الآخوند الانفصال عن القافلة لقد شدّه ملّا هادي السبزواري صاحب المنظومة الشهيرة، ومكث الآخوند في سبزوار بضعة أشهر هي رجب وشعبان ورمضان من عام (١٢٧٧ هـ) حيث انتظم في حوزة سبزوار والانتهال من فيض العالم والفيلسوف ملّا هادي السبزواري[١].

ومن سبزوار الى طهران شدّ الآخوند الرحال وانتسب الى مدرسة الصدر للدراسة الدينية مدّة ثلاثة عشر شهراً حيث تتلمذ على يد الملّا حسين الخوئي والميرزا أبو الحسن جلوة[٢]. ومن طهران هاجر الآخوند الى مدينة النجف الأشرف ليتتلمذ على يد كل من الشيخ مرتضىٰ الأنصاري والميرزا حسن الشيرازي[٣].

وقد عرف عن الآخوند الخراساني جدّه وحماسه في الدراسة لقد كان يسعىٰ ليل نهار في انتهال العلم وكان في نفس الوقت يحرص على تربية نفسه تربية اسلامية وقد ذكر مرّة في احدىٰ المناسبات: لقد كان طعامي الوحيد هو الفكر ولم

---

(١) موت في الضوء ٢١ / ٣٥.

(٢) كفاية الأصول، الآخوند الخراساني، مقدمة جواد الشهرستاني ط آل البيت لاحياء التراث.

(٣) أعيان الشيعة ٩ / ٥.

أكن قانعاً ولم أكن أنام أكثر من ست ساعات في اليوم أحيي الليل مساءً للنجوم، النوم ببطن خاوية مشكلة كبيرة[١].

كان الآخوند الخراساني مستغرقاً في دراسته عندما تسلّم رسالة شتت أفكار [illegible] بوفاة ابنه الصغير، فكتب الآخوند الى والده يطلب منه أن يصطحب زوجته ويأتي بها [illegible] ملّا حسين بذلك حيث أوصل كنته الى النجف ليمكث في المدينة [illegible] من نسل [illegible] [illegible] [illegible] الأسرة تحظىٰ باحترام واجلال الناس لخصالها الأخلاقية وما يتحلىٰ بها أفرادها من مزايا نبيلة[٢]، والسيد صفدر [illegible] بيكم» من أصل واحد فكلاهما من جد واحد هو «مير أصيل الدين [illegible] يحيي الليل [illegible][٣] سيد الشهداء، وفي احدىٰ رحلاته الى كربلاء تتلمذ عند آية الله الآخوند الأردكاني المتوفى سنة (١٣٠٢ هـ) وكان استاذه قد أشكل على الشيخ الأنصاري

---

(١) [illegible] جمال الدين الأسد آبادي، لطف الله الجمالي.

(٢) المصدر السابق / ٤٧ - ٤٩.

(٣) [illegible] سيد جمال الدين، صفات الله جمالي.

في مسألة البيان وكان اشكاله الأول صحيحاً ولكن الشيخ الأنـصاري رد عـلى الاشكال الثاني، وراح الآخوند يدافع عن اشكال الأردكاني ولكن الأنصاري لم يقبل وأصر على رد الاشكال بجواب لم يقنع الآخوند واستمر الحوار بين الاستاذ والتلميذ وكان المئات من الطلبة يصغون بحماس وينظرون باعجاب الى التلميذ ذي الخمس والعشرين سنة يشكل على استاذه فقال أحد انظر الى هذا الآخوند كيف يشكل على استاذه ولم يمض على قدومه سوىٰ ثلاث سنين ومن ذلك الوقت عرف محمد كاظم في النجف الأشرف بـ«الآخوند الخراساني»[1].

من عام (١٢٧٨ هـ) وحتى سنة (١٢٩١ هـ) أي أكثر من ثلاثة عشر سنة شارك الآخوند الخراساني في دروس الخارج لدىٰ أبرز أساتذة النجف الأشرف يومئذ قضىٰ عامين في حلقة الشيخ الأنصاري وبعد وفاته سنة (١٢٨١ هـ) شـارك فـي حلقة آية الله السيد علي الشوشتري (المتوفى سنة ١٢٨٣ هـ) عامين أيـضاً كـما تتلمذ مدّة على يد أستاذه آية الله الشيخ راضي بن محمد النجفي المـتوفى سـنة (١٢٩٠ هـ) وآية الله السيد مهدي المجتهد القزويني وخلال هذه الثلاثة عشر سنة انتظم في حلقة الميرزا الشيرازي وعندما هاجر الأخير الى مدينة سامراء التحق به معظم تلامذته غير ان الآخوند فضل البقاء في النجف الأشرف وخلال هذه الفترة أيضاً اشتغل في التدريس[2] غير ان بعض المدوّنات التي أرخت له أو أرخت لهذه الفترة ذكرت انه هاجر الى سامراء ولكنه عاد بعد فترة قصيرة بتوصية من الميرزا الشيرازي وقد ورد أيضاً ان الآخوند الخراساني وبعد زيارته الامـامين الهـادي والعسكري عليهما السلام في سامراء حضر درس أستاذه وأورد اشكالاً على نظرية الميرزا

---

(١) كفاية الأصول، المقدمة.

(٢) دائرة المعارف الاسلامية الكبرىٰ ١ / ١٥١؛ أعيان الشيعة ٩ / ٥؛ تاريخ رجال ايران، مهدي بامداد ٤ / ١؛ كفاية الأصول، المقدمة.

الشيرازي، فأجاب الاستاذ وكرر التلميذ الاشكال مرّة أخرىٰ فأجابه وهنا التزم التلميذ الصمت احتراماً له وفي اليوم التالي وقبل أن يبدأ الميرزا الشيرازي درسه الجديد قال: في بحث يوم أمس كان الحق مع الآخوند! وشيئاً فشيئاً تألق اسم الآخوند علمياً في أوساط الحوزات العلمية وبخاصّة النجف الأشرف وكان تلامذته يزدادون يوماً بعد آخر، وأصبح الآخوند أحد المجتهدين البارزين والأساتذة المعروفين وأحد ألمع تلامذة الميرزا الشيرازي وأجمع الطلاب والأساتذة على احترامه واجلاله. ولكن الآخوند لم يرتق منبر التدريس اجلالاً لأستاذه الكبير وظل يدرس مفترشاً الأرض.

في عام (١٣١٢ هـ) توفي الميرزا الشيرازي وسافر الآخوند الى سامراء وذلك بعد وفاة استاذه بمدة قصيرة فأدىٰ مراسم الزيارة للمرقدين الطاهرين الامام الهادي والحسن العسكري عليهما السلام ثم عرّج على منزل أستاذه فقبل الباب ووضع جبينه عليه ثم أجهش بالبكاء.

يعد الآخوند الخراساني واحداً من أبرز أساتذة الحوزات العلمية في تاريخها الطويل وقد وصل عدد تلامذته الى ثلاثة آلاف طالب، وقد تخرج على يديه علماء بارزون في طليعتهم: السيد أبو الحسن الأصفهاني، الشيخ ابو القاسم القمي، السيد ابو القاسم الكاشاني، الميرزا أحمد الخراساني، السيد محمد تقي الخوانساري، السيد جمال الدين الكلبايكاني، الشيخ محمد جواد البلاغي، الشهيد السيد حسن المدرس، الحاج حسين القمي، السيد صدر الدين الصدر، السيد ضياء الدين العراقي، الشيخ عبد الكريم الحائري، السيد عبد الله البهبهاني، السيد عبد الهادي الشيرازي، الشيخ محمد علي الكاظمي، الشيخ محمد حسين النائيني، آقا بزرگ الطهراني، الحاج حسين البروجردي والسيد محمود

[illegible] عن أسرار لقد أصبح في مستوىٰ العلماء الكبار وهو ما زال في
أول [illegible]
[illegible]
[illegible] قريباً من الآخوند
و [illegible]
بو [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الفلسفة، الرياضيات، الطب، التشريح، الهيئة والنجوم وكان
الشيخ [illegible]
[illegible]
[illegible] في نفس شيخ الاسلام حتى انه ظل يذكرها في أكثر من مناسبة[2].

ولقد أصبح السيد جمال الدين ظاهرة مدهشة للعلماء في النجف، كربلاء
[illegible] ذلك الى حسد الحاسدين وحقد الحاقدين ولهذا أوصاه أستاذه
و [illegible] [1] [illegible] زيارة
مرقد الامام أمير المؤمنين عليه السلام وبعد يتجه نحو مسجد الهندي للتدريس هناك وفي
[illegible] في الصحن الثاني ينطلق الى منزله حيث تنتظم
حلقة [illegible]
[illegible] الايرانية،
وكانت بومبي يومذاك مدينة تجارية بسبب مينائها التجاري الكبير ولم تعرف

(١) كفاية الاصول، المقدمة، موت في الضوء / ١٠٢، ١١٩، ١٢٢؛ شمس في منتصف الليل، محمد رضا السماك الأماني / ٩٧.

(٢) [illegible] جمال الدين الأسد آبادي / ٣١ - ٣٢.

[illegible]

[illegible]

[illegible] حوارات وقد شاهد

[illegible]

[illegible]. أمة كبيرة مثل الهند تتصرف بمقدرات البلاد وكنوزها

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ضعف وانحطاط

المسلمين ليكتشف طرق الحل والعلاج لأوضاع المجتمعات الاسلامية وهكذا

[illegible] أصبحت هذه القضية همّه الدائم وكانت أفغانستان قد انفصلت

[illegible]

[illegible]

[illegible] الرجل لشرائه فاشترط توقيعاً من الآخوند، فاضطر

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible](١) رأسه همدان وبسبب الأوضاع القلقة في ايران فانه لم يعد بامكانه التوقف

فتوجه الى خراسان ومنها الى هرات وكابل حيث أقام مدة خمس أو ست سنين

وبدأ بعمله الاسلامي الذي يتمحور حول بث الوعي بين صفوف الناس وبخاصّة

(١) [illegible] بعض ما قام به من فعاليات

مؤلفاته

للآخوند مؤلفات عديدة في الأصول، والفقه وفي الفلسفة وهذه قائمة في بعض آثاره:

١ - حاشية مفصّلة على الرسائل تحت عنوان: درر الفوائد وقد طبعت أكثر من مرّة.

٢ - الفوائد: طبع في طهران سنة (١٣١٥ هـ).

٣ - حاشية موجزة على الرسائل وهو أول مؤلفاته.

٤ - حاشية على الأسفار.

٥ - حاشية على منظومة ملّا هادي السبزواري.

٦ - حاشية على المكاسب.

٧ - رسالة في المشتق.

٨ - رسالة في الوقت.

٩ - رسالة في الرضاع.

١٠ - رسالة في الدماء الثلاثة.

١١ - رسالة في الاجارة.

١٢ - رسالة في الطلاق.

١٣ - رسالة في العدالة.

١٤ - رسالة في الرهن وقد طبعت جميع رسائله في مجلد واحد.

١٥ - القضاء والشهادات.

١٦ - روح الحياة في تلخيص نجاة العباد: طبع في بغداد سنة (١٣٢٧ هـ).

١٧ - تكملة التبصرة: طبع في طهران سنة (١٣٢٨ هـ).

١٨ - ذخيرة العباد في يوم المعاد: وهي رسالة الآخوند العملية طبعت

بالفارسية لأول مرة في بومبي وفي طهران سنة (١٣٢٩ هـ).

١٩ - اللمعات النيرة في شرح تكملة التبصرة.

٢٠ - كفاية الأصول: وهو من أهم مؤلفات الآخوند وقد طبع عدّة مرّات، وما يزال حتى الآن في طليعة المنهج الدراسي في الحوزات العلمية وهو فريد بين كتب الأصول وقد شرحه أكثر من مئة مجتهد وحشىٰ عليه.

تأسيس المدارس

قدم أحد المحسنين الى الآخوند مبلغاً من المال لتغطية نفقات مدرسة علمية، وقد نهض الآخوند بالأمر وبذل كل ما بوسعه لبناء مدرسة دينية في «الحويش» في النجف الأشرف وأصبح اسم المدرسة «مدرسة الآخوند الكبرىٰ» وتشتمل مكتبة المدرسة على أنفس الكتب والآثار المخطوطة. وفي عام (١٣٢٦ هـ) أسس الآخوند مدرسة في محلّة «البراق» وقد عرفت بـ«مدرسة الآخوند الوسطىٰ»، وثالث مدرسة بناها الآخوند عرفت بـ«مدرسة الآخوند الصغرىٰ» وذلك سنة (١٣٢٨ هـ).

وقد أسهم الآخوند في بناء مدارس دينية في النجف، كربلاء وبغداد وكانت الآداب الفارسية تدرس في تلك المدارس حيث ينطلق منها مبلغون الى مناطق العشائر والأرياف والقرىٰ العراقية، واضافة الى ذلك كان يدعم بعض المجلات من قبيل «الاخوة» «درّة النجف» «العلم» و «النجف الأشرف»[١].

(١) موسوعة العتبات المقدسة، جعفر الخليلي ط ٢ مدرسة الأعلمي ٧ / ١٤٦ - ١٤٧، ١٥٠ - ١٥٤؛ موت في الضوء / ٣٧٣ - ٣٧٤.

الشركة الاسلامية الخارجي والاستبداد الداخلي الى أن تم توقيفه في ليلة (١٧ رمضان ١٣٢٩هـ) وترحيله الى ايران[1] ولم يكن السيد جمال الدين يملك شيئاً سوى مكتبته وقد قام «رجرس» المستشار الانجليزي في الشؤون المالية بمصادرتها أولاً ثم اضطر الى شحنها الى ميناء بوشهر خلف صاحبها في ايران.

... الصناعات في العهد الصفوي ... حاجات الشعب الايراني ولكن مع ... القاجاري الحكم في ايران بدأت تلك الصناعات في الأفول، وقد انتبه أحد علماء الدين الى ظاهرة الافلاس في الصناعات الايرانية ويدعى «ملك المتكلمين» ونبه الى المشكلات الاقتصادية في البلاد فتحدث الى التجار والأثرياء حول امكانية انعاش الصناعات الايرانية واعادة الانتاج الوطني الى سابق عهده.

طلوع آخر في الهند

ويقوم السيد جمال الدين برحلته الى الحجاز مع تلميذه «أبو تراب عارف افندي» حيث وصل مدينة جدّة ومنها الى مكة ولقاء بعض الشخصيات هناك ومن مكة توجه الى الهند مستأنفاً حركته المناهضة للغرب ...

وبعد نشاط استغرق منه وقتاً طويلاً أفلح في اقناع مجموعة من التجار وجمع رأسمال بقيمة مليون تومان وهو مبلغ كبير جداً آنذاك وتأسست أول شركة وطنية في ايران عرفت باسم «الشركة الاسلامية» وتعد أول شركة مساهمة في البلاد وبدأت نشاطها في اصفهان سنة (١٣١٦هـ) ببناء مصنع للنسيج وبدأت الانتاج[3] ...

[illegible] «السيد أحمد خان الهندي» ... [illegible]

... الشركة ... الانتاج ... السيد ... في «حيدر آباد الدكن» ... [illegible]

... ومنعته من الظهور في المحافل العامّة فانصرف الى تأليف كتابه المعروف بالردّ على الطبيعيين والمستلبين وقد ألفه بالفارسية ثم ترجم الى الأردو وكما ترجم أيضاً الى العربية حيث قام تلميذاه محمد عبده وأبو تراب عارف بهذه الترجمة وعلاوة على ذلك قام بتشكيل جمعية سرّية تدعى «العروة الوثقى» في حيدر آباد

وكان ملك المتكلمين والحاج نور الله الاصفهاني والسيد جمال الواعظ يشجعون الناس ويحثونهم على شراء الأسهم، ثم شراء أسهم بقيمة تسعمئة ألف تومان. وألف السيد جمال الواعظ كتاباً تحت عنوان «لباس التقوى» وضح فيه الهدف من وراء تأسيس الشركة الاسلامية وقد قام الآخوند الخراساني وسبعة مراجع بتقريظ الكتاب ودعوا الى اسناد ودعم هذه الشركة: وان على المسلمين أن يخلعوا اليوم لباس الذلّة (الانتاج الأجنبي) وارتداء لباس العزّة (الانتاج الوطني)

(٢) المصدر السابق / ٦٢.

(٣) السيّد جمال الدين مؤسس النهضات الاسلامية / ٩٢.

(٤) الحركات الاسلامية في القرن الأخير، مرتضىٰ مطهري، ٢٠.

(٥) ... ملك زاده ١ / ١٣٦ – ١٣٨ تشيع ومشروطيت در ايران / ١٣١.

[illegible] شجاع ومتحمس لدينه ووطنه من قبيل محمد
اقبال [illegible]
[illegible] لاستعداد الناس في التضحية في طريق المشروطة وكان الكثير منهم
خاطئاً في التقييم عندما طرحوا فكرة ان الاسلام لا ينسجم مع المشروطة أو ان
[illegible] الثورات والتغيرات السياسية في الغرب أو بعض الدول
الآسيوية [illegible]
[illegible]
[illegible] للعلماء فقد
تحر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] كان كبيراً ليس في طهران بل كل المدن الايرانية التي شاركت في
ذلك [illegible]
[illegible]
[illegible] العلماء المجتهدين الذين كانوا يطالبون
بمشروطة مشروعة ضمن القسم الثاني (المستبدّة) وقد شهدت تلك الحقبة
[illegible] من تاريخ ايران عشرات المؤامرات وزوّدت كثير من الوثائق التاريخية.

(١) دور آية الله جمال الدين في النهضات الاسلامية: ٩٣.
(٢) دور السيد جمال الدين في صحوة الشرق ٢٢٧؛ سير في الفكر السياسي الغربي / ٩٨.
[illegible] بعيداً عما يجري داخل ايران الأثر

الكبير في عدم وضوح الرؤية وحصل انقسام خطير في تحرك العلماء وكان قادة المشروطة في طهران من المتنورين والماسونيين قد تمكنوا من خلال بث الشائعات وتزوير بعض الوثائق من الامساك بخيوط الحركة واكتساح من يقف في طريقهم في الاتجاه بالبلاد نحو الانسلاخ من هويتها الدينية.

وقد دافع الامام الخميني الراحلرحمه‌الله عن موقف العلماء الذين وقفوا ضد الاستبداد الأسود لأنهم كانوا ينشدون الحرّية للمجتمع وسن القانون. وقد أنحىٰ الامام باللائمة على المجتمع الذي وقف على الحياد ولام بعض العلماء الذين لم تفرقوا ففسحوا المجال للأيدي الأجنبية للنفوذ واقتطاف ثمار التضحيات الكبرىٰ فى تلك النهضة الخالدة، فجاءت تجربة المشروطة في النهاية أسوأ من الاستبداد[١].

بداية النهضة

جاء العهد القاجاري في ايران في عصر كانت فيه البلاد تشهد انتعاشاً اقتصادياً من خلال انتعاش الصناعة الوطنية ولكن ملوك القاجار الذين كان همهم اللذائذ والبذخ راحوا يعرضون البلاد في سوق الامتيازات الأجنبية فباعوا البلاد بثمن بخس لمذهب ودبّ مقابل ثمن بخس، ولم تمض سوىٰ فترة وجيزة من ذلك العهد الأسود حتى ضرب الفقر أطنابه في البلاد، وكانت الدول الأجنبية تزجّ بجيوشها الى داخل ايران تحت ذرائع واهية وكانت القنصليات البريطانية والروسية هي التي تقود البلاد وتدير شؤونها الداخلية من وراء حكام الأقاليم التافهين، الذين ينصبون ويعزلون بأوامر من سفارتي تلك الدولتين.

(١) صحيفة نور ١ / ٦٨؛ ١٥ / ٢٠٢.

كان الشعب الايراني ينطوي على غضب ازاء ما يجري وكان علماء الدين وفي طليعتهم السيد عبد الله البهبهاني وآية الله الطباطبائي في طليعتهم من حمل هموم الشعب فأقدما على تأسيس اتحادات سرّية للتحضير من أجل نهضة جماهيرية كبرىٰ وقد شهد العامان (۱۳۲۲ - ۱۳۲۳ هـ) نشاطاً كبيراً من خلال اجتماعات نظمها الطلاب في بث الوعي وبرعاية من البهبهاني والطباطبائي وكان علماء طهران على ارتباط مع المرجعية الدينية في النجف الأشرف المتمثلة بالآخوند الخراساني، الشيخ عبد الله المازندراني والميرزا حسين الطهراني في الثامن من ربيع الأول سنة (۱۳۲۳ هـ) وصلت رسالة من المرجعية في النجف الأشرف الى طهران تخاطب آية الله السيد عبد الله البهبهاني تطلب منه العمل على طرد مسيو «نوج» البلجيكي الذي كان يعمل على ضرب الاستقلال الثقافي والاقتصادي للبلاد واهانة علماء الدين.

واطلع شرائح المجتمع المختلفة من علماء وطلاب وتجار على الخلافات القائمة بين المسؤولين في الحكومة وعلماء النجف وكذا الرسائل التي وصلت من المرجعية الدينية في النجف. وقام العلماء بفضح الوجه الحقيقي للحكومة وكان البهبهاني يقوم كحلقة وصل بين المرجعية في النجف والشعب الايراني وبخاصّة في طهران. وكانت الحكومة تمارس البطش بكل قوّة وشدّة لاخماد النهضة التي بدأت تنذر بوقوع الانفجار الشعبي، واستهدفت الحكومة بحرابها علماء الدين والتجار ذلك انهما ركنا الثورة واتخذت من قضية بيع السكر بأعلى من قيمته ذريعة للبطش بالتجار؛ كما قامت الحكومة بابعاد السيد جمال الواعظ الذي يعد خطيب الثورة واثنين من رفاقه خارج العاصمة ولكن الثورة كانت قد عبرت حدود العاصمة طهران.

وفي ۱۹ جمادى الأولى سنة (۱۳۲٤ هـ) اعتقل الشيخ محمد الواعظ وهو من

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible][1] بحركة

[illegible]

[illegible]

[illegible][2] المرقد الحسني الى قلعة للمقاومة وضاعفت بريطانيا من

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] على العرش ابنه محمد علي شاه وخلال ذلك

---

(١) تاريخ سياسي معاصر ايران، جلال الدين مدني ١ / ٧١؛ تاريخ تحولات سياسي؛ جلال الدين مدني ٨ / ٥٦؛ واقعات اتفاقية، شريف كاشاني ١ / ٢٤ – ٢٥.

(٢) [illegible] (١٨ - ١٤٣٢ هـ) دخل البصرة جنوب العراق ومن هناك

بعث كما بعث رسالة [illegible] غاية في الأهمية [illegible]
المادية والمعنوية [illegible] الأوضاع في [illegible] البريطانية
أضف إلى هذا [illegible] الاستعمار [illegible] كما قام [illegible]
للتواقيع [illegible] الشرق [illegible] العالم الإسلامي فكانت [illegible] علماء
إيران تحت العنوان في «[illegible]» أوضح فيها [illegible] ناصر الدين شاه [illegible]
البلاد كما قام [illegible] العدد
الأول منها [illegible] تاريخ ١٣٠٩ هـ فقامت الحكومة البريطانية بإيقافها ومنع
انتشارها [illegible] الرأي(١) عن «[illegible]» [illegible]
[illegible] السلطان عبد الحميد [illegible]
الدولة العثمانية [illegible] من
الأستانة أن [illegible] وقد وجدت هذه
الرسالة [illegible] السيد جمال الدين [illegible]
الإسلامية(٢) للوقوف بوجه الاستعمار الغربي البريطاني، في سنة (١٣١٠ هـ)
وصل [illegible] مركز الخلافة الإسلامية [illegible]
[illegible] الإيراني
السياسية [illegible] والثقافية في مختلف أنحاء العالم الاسلامي وقد وجه السيد
[illegible] السلطان عبد الحميد [illegible] الخليفة
[illegible] في العالم الاسلامي [illegible]
[illegible] عند ذلك [illegible]
[illegible] وقد نفذ البلاط

---

(١) تاريخ تحولات سياسي وروابط خارجي ايران ٢ / ٢٠٨.
(٢) السيد جمال الدين، مؤسس النهضات الاسلامية، ٢٣١.

وفي الثامن والعشرين من ذي الحجة سنة (١٣٢٥) بعث الآخوند الخراساني برسالة الى مجلس الشورى الوطني دعا أعضاءه فيها الى تطبيق القوانين الاسلامية وتسديد القروض الحكومية ومكافحة الفقر[1].

غير انه لم تمض سوىٰ فترة وجيزة حتى ظهر ان المتغربين والماسونيون كانوا يمسكون بالخيوط وقد عملوا على تهميش وحذف دور العلماء في الساحة السياسية.

وقد هب الشيخ فضل الله نوري وهو من روّاد حركة المشروطة هب لتصحيح الأوضاع ومواجهة المتغربين والماسونيين الذين أصبحوا يمسكون بمفاتيح الحكومة والمجلس فأعلن اعتصامه بحرم مرقد السيد عبد العظيم الحسني جنوب العاصمة وكانت مبرراته في هذه الخطوة ما يلي:

١ - اهانة الصحافة للمعصومين الأربعة عشر واهانة القيم الاسلامية واهانة العلماء.

٢ - اعتقال واضطهاد بعض رموز حركة المشروطة في المدن الايرانية.

ولهذا اقترح أن تدرج رسالة الآخوند الخراساني في محاربة الكفر والتي أرسلها الى مجلس الشورى الوطني ضمن مواد الدستور وكان محمد علي شاه يعارض بين الحين والآخر حركة المشروطة فنصحه الآخوند بما يلي:

١ - أن يهتم بالدين أكثر.

٢ - أن يروّج للصناعة الوطنية، أسوة بـ«اليكادو» امبراطور اليابان الذي انقذ بلاده من الأزمة الاقتصادية.

٣ - أن يعمل على نشر العلوم والصناعات الحديثة.

٤ - أن يحول دون تدخل الأجانب في شؤون البلاد.

---

(١) تاريخ سياسي ايران ١ / ٧٢ - ٧٣.

الاستبداد الصغير

كان الشاه يخطط في الخفاء للقيام بانقلاب عسكري ولهذا كان يقوم بمضايقة زعماء المشروطة وانتهى الأمر الى أن يأمر بقصف مجلس الشورى الوطني بالمدافع والاعلان عن قيام حكومة عسكرية فسقط خلال تلك الحوادث العديد من قادة المشروطة شهداء كما اعتقل الكثير منهم أو أبعدوا.

ولم يقف الآخوند الخراساني مكتوف الأيدي بل بعث برسائل الى الشعب الايراني والى زعماء المشروطة واعتبر المعارضة للمشروطة محاربة للامام المنتظر. وكانت رسائل الآخوند تترىٰ على اقليم اذربيجان خلال فترة الحصار الذي فرضته القوات العسكرية من ٢٣ جمادى الأولى (١٣٢٦) وحتى ٢٧ جمادى الثانية (١٣٢٧ هـ) ودعا الناس الى مواجهة الاستبداد وخلال ذلك أعلن ستار خان وهو من أبرز قادة المشروطة انه سيعمل على اجراء حكم علماء النجف.

كما قام الآخوند بمهامة الشاه في رسالة ذكر فيها ما قام به القاجار من ويلات جرّت على الشعوب الاسلامية الدمار وحمل هذه الأسرة أراضي الاسلام وسقوط العديد من البلدان بأيدي الكفار من قبيل القفقاز، شيروانات بلاد التركمان وبحر الخزر، هرات، افغانستان، بلوجستان، البحرين، مسقط ومعظم جزر خليج فارس وعراق العرب والتركستان. وكل هذه الأقاليم كانت جزءاً من ايران أضاع القاجار ثلثين من ايران في ظل الثلث الثالث تتنافس عليه الدول الأجنبية فتارة يرهن بسبب القروض التي تنفق على لذائذ الشاه وحاشيته وبطانته.

كما أشار في رسالته الى الشاه الى خطر الامتيازات التي تمنحها الدولة الايرانية للشركات الأجنبية والتي تؤدي الى سيطرة الأجانب على

[illegible] المرأة الفاضلة شهرتها من خلال تربيتها ابنها الشهيد الشيخ فضل الله
النوري [illegible] والذي كانت مواقفه وحياته وجهاده وثباته
[illegible]
[illegible] بعثت رسولك الى
النجف لشرائنا لأنك تجهل ان سعادة الشعب لاتباع ولا تشترى أنت عدو الدين
[illegible] وسوف آتي الى ايران وأعلن الجهاد.

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الدفاع عن المشروطة
وناشدوا المسلمين في العالم للعمل ضد الاستبداد والمتمثل بمحمد علي شاه،
[illegible] أمير وطرابوزون (في تركيا) استفتاءً حول هذا الموضوع فجاء
الجواب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] أناس كان لهم دور في تربيتهم وترشيدهم وتعليمهم، ولقد
قدّر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وصول أنباء سقوط العاصمة طهران بأيدي قوات المشروطة توقفت القوات الشعبية العراقية عن مواصلة طريقها الى ايران وكان فيها آية الله العظمى السيد محمد كاظم اليزدي. وقد تناهت الى الآخوند الخراساني أنباء عن مضايقات بعض زعماء المشروطة للشيخ فضل الله نوري فأعرب عن قلقه ازاء ذلك في برقية أرسلها الى طهران وقد حذر فيها من المساس بشخص الشيخ فضل الله نوري ولكن قادة المشروطة من المتغربين أفضوا البرقية وتم اعدام الشيخ الشهيد شنقاً حتى الموت. وقد صدم الآخوند بالنبأ الفجيع وأجهش بالبكاء ورمىٰ بعمامته على الأرض ثم أقام مجلساً للعزاء وقراءة الفاتحة على روح الشهيد المظلوم في منزله.

وقد عمت الفوضىٰ في طهران وبعض المدن والتي حولها زعماء المشروطة الى مسارح لعمليات دموية فقد أعدم من العلماء من أعدم واعتقل منهم من اعتقل وأبعد عن ديار أحبته من أبعد. وقد أراد بعض رموز المشروطة من الماسونيين محاكمة آية الله ملّا قربان علي البالغ من العمر ۹۲ عاماً فاعتقل وأحضر الى طهران من مدينة زنجان ولكن الآخوند بعث ببرقية شديدة اللهجة الى رموز المشروطة وحذرهم من ذلك فأفرج عنه. وراحت الأنباء المحزنة تصل الى الآخوند فكان يتأثر أشدّ التأثّر ويعتصر قلبه ألماً فقد سمع نبأ اغتيال السيد عبد الله البهبهاني بأوامر من الماسوني والنائب في البرلمان تقي زادة. كما تم ابعاد آية الله الطباطبائي وكان الآخوند يشعر بالألم جرّاء الانتهاكات التي يقوم بها زعماء المشروطة ولكن لم ييأس من هذه الحركة الدستورية. توفي رفيق جهاده الميرزا حسين الطهراني سنة (١٣٢٦) فظل مع رفيقه الآخر الشيخ عبد الله المازندراني يواصل الطريق وقد بعث الآخوند برسالة الى المجلس يطلب فيها منع تقي زادة من دخول مجلس الشورى الوطني بسبب عدائه السافر للاسلام وقد استجاب المجلس فصدر أمر بطرده من طهران. وقد قدم للآخوند ورفيق دربه المازندراني

استفتاء حول حقوق الأقليات الدينية فجاء الجواب الآتي: ان ايذاء واهانة الزرادشتيين وسائر أهل الذمة حرام.. وعلى جميع المسلمين اتباع وصايا سيدنا خاتم النبيين ﷺ في حسن السلوك وتأليف القلوب والحفاظ على النفوس والأعراض والأموال لأهل الذمة ورعايتها».

وكان الآخوند والمازندراني قد أيدا بشدّة كتاب «تنبيه الأمة وتنزيه الملّة» لآية الله محمد حسين النائيني وذلك في تقريظهما للكتاب. وهو كتاب غاية في الأهمية تعرض لحل اشكالات الحكم في عصر الغيبة ويمنع المشروعية للحركة الدستورية.

في العشرين من محرم الحرام سنة (١٣٢٧ هـ) أصدر آية الله الشيخ محمد اسماعيل المحلّاتي بياناً عرف فيه المشروطة وأشار فيه الى انها تعني تحديد صلاحيات الشاه وأن تشريع القوانين يتم بواسطة نواب ينتخبهم الشعب يكون منهجاً لعمل الحكومة وعلى هذا فان وكلاء الأمة هم من يحدد مصالح ومضارّ البلاد واذن فهي لا تتنافىٰ مع الاسلام وان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جزء من الشريعة وعمل المجلس أحد مصاديق ذلك. ان المراد من المشروطة ليس ارتكاب الحرام ان المشروطة تعني حربة الشعب من قيد استبداد الشاه اننا نريد تطبيق أحكام الاسلام على الشاه والشحاذ على سواء. وقد أبد كل من الآخوند والمازندراني هذا البيان وأصدرا بياناً بهذا الشأن:

في أواخر سنة (١٣٢٨ هـ) صادق مجلس الشورى الوطني على استقدام مستشار مالي من أمريكا، ووفقاً لذلك عين «مورغان شوستر» مسؤولاً للخزانة العامّة مدّة ثلاثة أعوام واثر ذلك قامت روسيا باحتلال مناطق في الشمال الايراني وانذرت روسيا ايران مطالبة ايّاها بطرد المستشار الامريكي والّا فانها ستقوم باحتلال طهران. وقد رفض المجلس التهديدات الروسية فيما ردت روسيا

بتحديد ٤٨ ساعة مهلة لطرد المستشار الأمريكي وتقديم تعهد من الحكومة الايرانية بأنها لن تستخدم مستشارين في الشؤون المالية الّا من روسيا وبريطانيا والّا فان روسيا سوف تقوم بالزحف نحو طهران، وقام رئيس المجلس باطلاع الآخوند على التهديدات الروسية بتاريخ (١٣ ذو الحجة ١٣٣٩ هـ) فيما كانت القوات الروسية تتقدم نحو قزوين وقد رفضت بريطانيا الى جانب روسيا وأنذرت الحكومة الايرانية بأنها اذا لم تؤمن طرق الجنوب للتجار الانجليز فسوف تقوم قواتها بالاستيلاء على هذه المناطق للقيام بهذه المهمّة.

وفي غمرة تلك الحوادث قام الآخوند الخراساني بتعطيل دروسه فتعطلت الدراسة في كل الحوزات العلمية في النجف الأشرف ومشهد منزل الآخوند الخراساني اجتماعات للتداول في ما يجري داخل ايران وكيفية الدفاع عن وحدة واستقلال ايران.

وتمخضت تلك الاجتماعات عن قرارات وفتاوىٰ بتحريم السلع الروسية واعلان الجهاد ضد روسيا وتعبئة المتطوعين من الطلاب والعلماء والعشائر العراقية وارسالهم الى ايران، وأصدر الخراساني حكماً بالجهاد كما بعث برسالة الى رئيس مجلس الشورى الوطني يحيطه بالقرارات.

النهاية

كانت الاستعدادات تجري على قدم وساق وكان العلماء في طليعة من استعدوا للسفر الى ايران والدفاع عن بلاد الاسلام وكان المقرر أن يتحرك الآخوند الخراساني ورفاقه في ليلة الأربعاء (٢١ ذو الحجة ١٣٢٩ هـ) حيث ينتقل من النجف الى مسجد السهلة للدعاء والمناجاة من أجل نصرة جيش الاسلام ومن ثم الانطلاق الى ايران.

كان منزل الآخوند في أصيل الثلاثاء مزدحماً وكان الميرزا مهدي نجل الخراساني يقوم بترتيب مقدمات السفر وقال الخراساني لمن حوله الأفضل أن نصلّي الفجر في حرم الامام ثم نتحرك.

كان الآخوند مستيقظاً شطراً من الليل منهمكاً باعادة الأمانات الى أهلها وترتيب برنامج ليوم غد وقد وزع جزءاً من الأعمال على معاونيه وفي منتصف الليل نهض لصلاة الليل وقبل الفجر شعر بألم شديد في بطنه وما ان أدى صلاة الفجر حتى لفظ أنفاسه.. هكذا رجل قائد وزعيم الحركة الدستورية.. لقد كان رحيله غامضاً حدث في ظروف مريبة ما يعزز نظرية اغتياله بالسم على أيدي جواسيس روس وانجليز[١].

---

(١) شمس في منتصف الليل.

السيد محمد كاظم اليزدي / المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ

كان الرجال الالهيون يخلدهم التاريخ في صفحاته الذهبية.. انّهم كالشموس المضيئة التي تهب الدفئ والنور. فبالرغم من شعار المستعمرين في فصل الدين عن السياسة الّاانه حملوا مسؤولية الدفاع عن حقوق المحرومين والمقهورين وواجه بعضهم الاستعمار الكافر الى ان استشهد في خطوط الصراع فامتزجت دماؤهم مع صبر أقلامهم.

كان آية الله العظمى السيد محمد كاظم اليزدي يقاتل في جبهتين فهو يقاتل المستعمر الكافر من جهة ويقاتل الجهل من جهة أخرىٰ يشهد على فقهه كتابه «العروة الوثقىٰ» وعلى عرفانه مناجاته: بستان الأسرار وعلى سياسته مواقفه المبدئية في مساندة نهضة «المشروطة» ودعمه وتأييده للشيخ الشهيد آية الله فضل الله نوري وكذا استشهاد نجله في ميادين القتال.

ولادته ودراسته

ولد آية الله العظمىٰ السيد اليزدي في قرية «كسنويه»[١] من قرى مدينة يزد في عام (١٢٤٨ هـ) وسمّاه والده محمد كاظم تيمناً باسم النبي صلى الله عليه وآله وحفيده الامام الكاظم عليه السلام. واتجه منذ نعومة أظفاره الى الدراسة الدينية، وما إن أمضىٰ فترة

---

(١) أعيان الشيعة ١٠ / ٤٣.

طفولته في مسقط رأسه حتى انتقل الى مدينة يزد لينتظم في أكبر حوزاتها العلمية وتدعى «دومنار» (المنارتان) وقد تتلمذ على يد أساتذة مبرزين من قبيل ملّا محمد ابراهيم الأردكاني وزين العابدين العقدائي، ولقد لفت اليه الأنظار في جدّه وحماسه لطلب العلم والمعرفة وبعد اتمامه آداب العربية راح ينهل من دروس الفقه والأصول تلميذاً لدى الآخوند ملّا هادي اليزدي وهو من كبار العلماء في عصره فأنهى مرحلة السطوح لديه[١] وبسبب تقدمه في الدراسة فقد أصبح من المقربين جداً الى أستاذه وأصبح مدرساً لآداب العربية بتوصية من أستاذه ولم تمض فترة حتى عرف كأحد أساتذة الحوزة العلمية وهو ما يزال في مطلع شبابه[٢].

وبعد تشاور مع أستاذيه الأردكاني والعقدائي شدّ الرحال الى مدينة مشهد للاستزادة من فيض المعرفة والعلم والنور، وفي فترة وجيزة تعلم الهيئة والرياضيات وأصبح من أساتذة هذين العلمين[٣]. وبعدها ذهب الى اصفهان ليصبح أحد تلامذة الحوزة العلمية هناك حيث سكن في مدرسة الصدر[٤].

وقد تتلمذ ابتداءً لدى العلّامة الشيخ محمد باقر النجفي نجل الشيخ محمد تقي النجفي مؤلف كتاب: «هداية المسترشدين» وقدمه على سائر الأساتذة[٥].

كما أفاد كثيراً من دروس أساتذة آخرين في طليعتهم آية الله السيد محمد باقر الموسوي الخوانساري وآية الله محمد جعفر آبادئي[٦].

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) مجلة نور العلم، دورة ٢ العدد ٣ / ٨٧.
(٣) أعيان الشيعة ١٠ / ٤٣.
(٤) مجلة نور العلم دورة ٣ العدد ٣ / ٧٨.
(٥) الفوائد الرضوية ٢ / ٥٩٦.
(٦) الفقهاء الأعلام، الحقيقي البخشايشي، ٤٠٢.

في عام (١٢٨١ هـ) حصل السيد محمد كاظم على اجازة من أستاذه آية الله الشيخ محمد باقر النجفي الذي زوده أيضاً برسالة تعريف ليرافق عدة من العلماء في رحلة الى مدينة النجف الأشرف. وهناك تتلمذ على أيدي أساتذة في الحوزة العلمية في طليعتهم آية الله السيد محمد حسن الشيرازي (الميرزا الشيرازي) صاحب فتوى تحريم التنباكو الشهيرة وآية الله الشيخ راضي وآية الله الشيخ مهدي الجعفري وآية الله الشيخ مهدي آل كاشف الغطاء[١] وبعد هجرة الميرزا الشيرازي الى مدينة سامراء تصدّىٰ السيد اليزدي الى التدريس مؤلفاً حوزة علمية فكان يدرس الفقه والأصول للمراحل النهائية ولم تمض فترة حتى بلغ عدد تلامذته المئتين أو أكثر[٢].

المرجعية

كان السيد محمد كاظم اليزدي متبحراً في بحوث الفقه وكان يبيّن أعقد المسائل الفقهية باسلوب سهل واضح مستنداً الى أقوىٰ الأدلّة وقد اجتذب اسلوبه هذا عشرات الطلاب. كان السيد اليزدي لا يتجاوز بحثاً فقهياً ما حتى يبيّن أدلته القوية فكانت بحوثه الفقهية غنيّة بالأمثلة أما الاشكالات التي يوردها الطلاب فقد كان يواجهها بنفس علمي واحترام كامل وربما قال لمن يشكل عليه لقد خطر في بالي مثل هذا الاشكال وجوابه كالآتي وعندئذٍ يسوق له الدليل المقنع[٣].

لقد انتهج آية الله السيد محمد كاظم اليزدي سيرة السلف الصالح في مسألة المرجعية، وبالرغم من بروزه الواضح علمياً فقد كان يجتنب التصدّي للمرجعية،

---

(١) مجلة نور علم الدورة الثانية العدد ٣ / ٧٨.

(٢) أعيان الشيعة ١٠ / ٤٣.

(٣) أحسن الوديعة ١ / ١٥٢ - ١٥٣.

ولقد بات واضحاً ضرورة تصديه لهذا المقام الخطير خاصّة بعد رحيل آية الله العظمى الميرزا الشيرازي سنة (١٣١٢ هـ) ولهذا مارست الأوساط العلمية والشعبية إصرار على تصديه للمرجعية[1].

واستجاب السيد اليزدي احساساً بالمسؤولية ازاء مصير الاسلام والمسلمين فكان جزءاً من المرجعيات الدينية المعروفة من قبيل آية الله العظمى الآخوند الخراساني المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ، وآية الله الشيخ محمد طه نجف المتوفى سنة (١٣٢٣ هـ) الزعيم الكبير وقد ظهر السيد اليزدي في فترة عاصفة من تاريخ الاسلام حيث العدو كان يخطط للقضاء على الدين الحنيف.

حركة المشروطة

في عام (١٣٢٤ هـ) انتصرت الحركة الدستورية (المشروطة) وتأسس أول مجلس وطني في ايران وقد حددت صلاحيات الشاه وأخذ المجلس على عاتقه مهمة تشريع القوانين لحل المشكلات السياسية والاقتصادية والثقافية.

وكان مراجع التقليد في النجف الأشرف من قبيل الآخوند الخراساني، الشيخ عبد الله المازندراني والميرزا حسين الطهراني قد ساندوا المشروطة منذ البداية؛ وفي ايران كان قادة المشروطة من علماء الدين كل من السيد محمد الطباطبائي وآية الله السيد عبد الله البهبهاني، غير ان بعض مراجع التقليد والمجتهدين انتبهوا الى نشاط بعض المستغربين وعدد من النوّاب في المجلس الذين كانوا ينشطون ضد الدين ولهذا طالبوا بالمشروطة المشروعة أي دستور في اطار الشريعة الاسلامية وقد كان الشيخ فضل الله نوري زعيم هذا التيار الذي يتمثل في عشرين

---

(١) النجوم الساطعة، الشيخ ذبيح الله المحلاتي ١ / ٣٨٩.

شخصية وكان آية الله العظمىٰ السيد محمد كاظم اليزدي جزءاً من هذا التيار حيث كان يطالب باقامة حكم اسلامي ودستور ينسجم مع الشريعة الاسلامية. وقد التزم بداية الأمر بالسكوت ذلك ان ثلاثة من كبار مراجع التقليد كانوا يساندون نهضة المشروطة ولقد كان موقف كل من الآخوند الخراساني، البهبهاني، الطباطبائي، عبد الله المازندراني والميرزا حسين الطهراني حالة من الصراع مع الظلم ولهذا ساندوا المشروطة لأنها كانت ضد الاستبداد وتدعو الى سند دستور للبلاد.

وبسبب هذا الموقف من علماء الدين هب الشعب مسانداً لهذه النهضة من أجل الدستور، ولولا حضور علماء الدين بهذا الثقل لم يكن بمقدور ما يدعىٰ بالمتنورين في تعبئة الشارع والرأي العام ضد الحكومة. وبالرغم من موقف بعض كبار علماء الدين المساند لحركة المشروطة الّا ان بعضاً آخر كان ينظر الى ما وراء هذه الحركة من أيادي خفية ولهذا فقد اكتشفوا مبكراً تيار الحركة كان يتجه بالمشروطة بعيداً عن الدين يعني كان قطار المشروطة يتجه نحو الغرب، ولهذا فقد قال السيد اليزدي في جمع من تلامذته ان مستقبل هذه الحركة سيكون مظلماً ذلك ان بعض «السادة» فيها لا يرحمون بالاسلام ولا بعلماء الدين وسأرىٰ أن العمائم ستلقىٰ وستحذف من الساحة[1]، وقد استغل أحد مؤيد المشروطة فأبرق الى اسطنبول بعد أن افترى على السيد اليزدي وألصق به بعض الاتهامات على أمل أن تقوم الحكومة العثمانية بمضايقته[2]. وقد حاول أحد المسؤولين الأتراك كسب تأييده للدستور العثماني ولهذا بادر الى زيارة السيد اليزدي في النجف الأشرف وطلب منه تأييد القانون الأساسي العثماني عبر فتوىٰ يصدرها فردّ السيد قائلاً: ان شعاركم شعار غربي وقانونكم مأخوذ من الغرب، هؤلاء يتحدثون عن الحرية

---

(١) رواية أحد المراجع المعاصرين.

(٢) دور علماء الدين في مواجهة الاستعمار.

والديمقراطية في مظاهر غربية لا تحمل للاسلام سوىٰ الدمار[١].

وكان السيد اليزدي أعلن معارضته للقانون الأساسي الذي أعلنته الحكومة العثمانية كما اعترض على سياسة الاضطهاد التي تنتهجها الحكومة العثمانية ضد المسلمين وقد ردّت الحكومة بالتهديد بطرده من العراق[٢].

المجاهد اليقظ

عندما قامت ايطاليا باحتلال ليبيا أصدر آية الله العظمى السيد محمد كاظم اليزدي فتواه الشهيرة التي استعرض فيها مآسي العالم الاسلامي والتي أشار فيها الى احتلال طرابلس الغرب بأيدي الاحتلال الايطالي فيما يقوم الروس مهاجمة ايران من الشمال والانجليز ينزلون قواتهم في جنوب ايران. ان الاسلام في خطر وأن على عموم المسلمين عرب وايرانيين طرد الكفار من الممالك الاسلامية وأن يبذلوا أرواحهم لطرد قوات ايطاليا من طرابلس الغرب والروس والانجليز من ايران وأن لا يدخروا جهداً في ذلك لأن هذا العمل من أهم الفرائض الاسلامية وبعون الله نحمي البلدان الاسلامية من الهجوم الصليبي[٣].

وفي عام (١٩١٤ م - ١٣٣٢ هـ) أعلنت بريطانيا الحرب على الامبراطورية العثمانية وامتد لهيب الحرب الى العراق حيث قامت القوات الانجليزية بعملية انزال على شواطىء البصرة في شط العرب، فأصدر السيد اليزدي فتواه بوجوب الجهاد ضد الكفار وتضمن نص الفتوى موقف السيد محمد كاظم اليزدي من

---

(١) نقلاً عن السيد عبد العزيز الطباطبائي.

(٢) دور علماء الدين في مواجهة الاستعمار.

(٣) دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار.

الاستعمار بكل أشكاله[١]، وقد هبّ العديد من العلماء الى جبهات القتال وكان في طليعتهم نجل السيد محمد كاظم اليزدي السيد محمد الذي هوىٰ شهيداً في خطوط القتال[٢].

آثاره

ترك الفقيه الكبير آية الله العظمى اليزدي آثاراً عديدة، جمع بعضها في حياته وبعضها الآخر بعد وفاته حيث تصدىٰ عدّة من تلامذته الى هذا الجهد وفيما يلي اشارة الى بعض آثاره:

١ - العروة الوثقىٰ

٢ - حاشية على المكاسب.

٣ - رسالة في التعادل والتراجيح.

٤ - الصحيفة الكاظمية[٣].

٥ - السؤال والجواب.

٦ - رسالة اجتماع الأمر والنهي.

ويعد كتابه «العروة الوثقى» أهم مؤلفات السيد اليزدي على الاطلاق بل أعظم ما ألف في عصره حتى انه اشتهر بـ«صاحب العروة» والكتاب يشتمل على أبواب مختلفة في الفقه ويضم ما يناهز الـ ٣٢٦٠ مسألة متنوعة على ثلاثة مجلدات[٤]. وقد رتبت المسائل ترتيباً يسهل على الباحث الاهتداء الى المسألة

---

(١) انظر فقهاي نامدار شيعة، ٤٢٠.

(٢) أعيان الشيعة ١٠ / ٤٣.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) مجلة نور علم، الدورة ٢ العدد ١٢.

المطلوبة وقد حشى على الكتاب مراجع كبار عديدون. وقد أشاد السيد محسن الحكيم بالكتاب في مقدمة كتابه «مستمسك العروة الوثقى» الذي يعدّ أول شرح على كتاب «العروة الوثقى» واصفاً إياه بالقيّم جداً من حيث الدقة والتحقيق حيث أصبح محور الدروس في الحوزات العلمية بعد أن كان «شرايع الاسلام» و «تبصرة المتعلمين» هما محورا الدروس الحوزوية[١].

آثار الخير

قام السيد اليزدي بأعمال الخير فقد كان محسناً للناس وكان يحنو على اليتامىٰ والمساكين ويقدم لهم المعونات اللازمة، وكان ينفق الكثير على بناء المساجد في القرىٰ والأرياف، كما أسهم في بناء الحمامات العامة وخانات للقوافل اضافة الى بناء المدارس الدينية، وفي طليعتها المدرسة العلمية وتقع المدرسة التي تعرف بـ«مدرسة السيد» في شارع بين شارع الرسول وسوق الحويش كما بنىٰ مدرسة أخرىٰ في محلة العمارة[٢].

أولاده

للسيد اليزدي ستة أولاد كلهم ذكور وكلهم أصبح من العلماء والفضلاء وهم:

١ – العالم المجاهد الشهيد السيد محمد اليزدي الذي استشهد في المعارك ضد المحتلين الانجليز.

٢ – السيد أحمد.

٣ – السيد محمد.

---

(١) مستمسك العروة الوثقى، المقدمة.

(٢) موسوعة العتبات المقدسة ٧ / ١٦٧ – ١٦٩.

٤ - السيد محمود.

٥ - السيد علي.

٦ - السيد أسد الله.

أوصياؤه

أوصىٰ السيد محمد كاظم اليزدي في حضور أعيان النجف الأشرف وفي حضور أولاده وأقاربه الى أربعة أوصياء هم كل من:

١ - آية الله الشيخ أحمد كاشف الغطاء.

٢ - العلّامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.

٣ - آية الله الميرزا محمود التبريزي.

٤ - آية الله الشيخ علي المازندراني[١].

ووفقاً للوصية يقوم هؤلاء الأربعة بتحويل كل المبالغ والأموال من حقوق شرعية وسهم الامام، والسادة، والكفارات والمظالم الى المرجع المقلّد الذي سيخلفه بعد رحيله. جدير ذكره أن أحفاده قال له: ان بعض أحفادك يتامىٰ وهم تحت كفالتك ومن الأفضل أن تخصص لهم شيئاً، وكان السيد يعاني من ضعف شديد وكان صوته واهناً يعكس قرب رحيله لكنه قال: اذا كان أحفادي متديّنين فان الله سبحانه هو الرزّاق وإن كان غير ذلك فكيف لي أن أعطيهم ما ليس لي[٢].

(١) معارف الرجال، محمد حرز الدين ٢ / ٣٢٦.

(٢) المصدر السابق.

نحو الحبيب

وهكذا أزفت ساعة الرحيل، ها هو الآن طريح الفراش كان شهر رجب قد أحل وكان السيد يكثر من تلاوة القرآن الكريم، وكانت شمس حياته قد جنحت نحو المغيب وفي ليلة الثلاثاء (٢٨ رجب سنة ١٣٣٧ هـ) وقريب الفجر أغمض آية الله السيد اليزدي عينيه ليرقد بسلام. صلّىٰ على جثمانه الطاهر نجله آية الله السيد علي اليزدي ليوارى الثرىٰ في الايوان الكبير الى جانب باب الطوسي الى جوار ابنه الشهيد لقد رحل عن الدنيا ولكن ما يزال فكره حيّاً لا يموت.

الميرزا محمد تقي الشيرازي /المتوفى سنة ١٣٣٨ هـ

أسرته

اشتهرت أسرة الشيرازي برجالها من أدباء وعلماء وأيضاً بمراجعها الشيعية في ايران والعراق والميرزا محمد تقي الشيرازي من أحفاد أبو الحسن ميرزا محمد علي الشيرازي (المتوفى سنة ١٢٢٩ ه)، وأبو الحسن ميرزا (والد قاآنى) الشاعر والأديب هو الجدّ الثاني للشيرازي (محمد تقي) ومن رجالات هذه الأسرة:

١ - الميرزا حبيب الله (١٢٢٢ - ١٢٧٢ ه) نجل محمد علي الشيرازي المشهور بـ«قا آني) شاعر معروف وهو عم الميرزا محمد تقي الشيرازي.

٢ - الميرزا محب علي (المتوفى سنة ١٢٩٠ ه) نجل أبو الحسن ميرزا محمد علي الشيرازي الحائري.

٣ - الميرزا محمد علي (المتوفى سنة ١٣١٩ ه) نجل الميرزا محب علي الشيرازي الأخ الأكبر للميرزا محمد تقي الشيرازي وهو أحد من العلماء المبرزين ومراجع التقليد في شيراز.

٤ - آية الله العظمى الميرزا محمد تقي نجل الميرزا محب علي المعروف بـ «الميرزا الثاني» والميرزا الصغير قائد الثورة في العراق.

نجم شيراز

ولد الميرزا محمد تقي في مدينة شيراز سنة (١٢٥٨ هـ) والده العالم الصالح والعارف الكامل الميرزا محب علي الشيرازي[١].

أمضىٰ فترة صباه في مسقط رأسه ثم اصطحبه والده الى كربلاء من أجل دراسة العلوم الدينية. وهناك في تلك المدينة المقدسة بدأ محمد تقي يتلقىٰ مقدمات العلوم الدينية حيث تتلمذ على يد السيد علي نقي الطباطبائي (المتوفى سنة (١٢٤٩ هـ) ثم انتقل الى درس آية الله الفاضل الأردكاني (المتوفى سنة ١٣٠٢هـ) وهو من أساطين علم الأصول وبعدها هاجر مع زميله في الدراسة والمباحثة آية الله فشاركي الاصفهاني الى مدينة سامراء شمال بغداد حيث تتلمذ في حلقة الميرزا محمد حسن الشيرازي (الميرزا الكبير) ليصبح من زبدة تلامذته وفي تلك الفترة مارس التدريس أيضاً.

وبعد وفاة الميرزا الشيرازي سنة (١٣١٢ هـ) أصبحت له حلقته الدراسية حيث انتظم فيها الكثير من التلاميذ والطلاب[٢] وفي تلك الأيام عرف بالميرزا الثاني.

المرجعية

بعد وفاة آية الله السيد محمد كاظم اليزدي تصدّى للمرجعية آية الله الميرزا محمد تقي الشيرازي وكان الميرزا قد اتخذ من مدينة سامراء سكناً له حيث سافر الى كربلاء في (جمادى الأولى ١٣٣٧ هـ) حيث استقبل بحفاوة بالغة من قبل السكان. وبالرغم من تقدم الميرزا في السن (٨٠ سنة) لكنه كان يتمتع بروحية عالية تشهد له بذلك مواقفه الصلبة ازاء بريطانيا. وكان الانجليز يعرفون جيداً نهج

(١) نقباء البشر ١ / ٢٦٣.

(٢) ريحانة الأدب ٤ / ٣٤٠ - ٣٤١.

الميرزا في الصراع ويدركون مدى ثقله ومواقفه ولهذا فهم يعتبرونه سدّاً منيعاً يحول دون تنفيذ ما يريدون وتحقيق ما يخططون له، ولهذا أيضاً راحوا يخططون للتساوم معه ولكنهم فشلوا في كل محاولاتهم، وراحوا يتلقون الضربات الماحقة منه في سبيل انهاء الاستعمار في البلاد. ولم تكن ثورة العشرين (١٩٢٠ م) الّا استجابة لفتواه الشهيرة حيث تدفقت جماهير الشعب العراقي لمواجهة الانجليز في كل شبر في العراق.

ومع تقدمه في السن الّا انه لم يتوقف عن مسيرته العلمية ولم يتوقف أيضاً عن التدريس ساعياً الّا توجد فاصلة بين الجهاد وطلب العلم.

تلامذته

لقد عرف الميرزا محمد تقي الشيرازي بعمق الرؤية في المسائل المعقدة ولهذا تحلق حوله عشرات الطلاب حيث تخرج على يديه الكثير من العلماء والفضلاء وبلغ بعضهم درجة الاجتهاد وفيما يلي اشارة الى بعضهم:

١ - آية الله الشيخ آقا بزرك الطهراني (١٢٩٣ - ١٣٨٩ هـ).

٢ - آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري (١٢٧٦ - ١٣٥٥ هـ) مؤسس الحوزة العلمية في قم.

٣ - آية الله الشيخ محمد جواد البلاغي النجفي (١٢٨٢ - ١٣٥٢ هـ).

٤ - آية الله الحاج حسين الطباطبائي القمي (١٢٨٢ - ١٣٦٦ هـ).

٥ - السيد جمال الدين الموسوي الكلبايكاني (١٢٩٥ - ١٣٧٧ هـ).

٦ - آية الله الشيخ محمد كاظم الشيرازي (١٢٩٢ - ١٣٦٧ هـ).

٧ - آية الله الشيخ محمد علي الشاه آبادي استاذ الأخلاق (استاذ الامام الخميني).

٨ - آية الله السيد شهاب الدين المرعشي النجفي.

آثاره

للميرزا محمد تقي الشيرازي العديد من الآثار العلمية وقد طبع بعضها ومن جملة آثاره:

١ - حاشية على مكاسب الشيخ الأنصاري.

٢ - حاشية على فرائد الأصول للشيخ الأنصاري.

٣ - شرح الارجوزة الرضاعية.

٤ - القصائد الفاخرة في مدح العترة الطاهرة.

٥ - حاشية على «العروة الوثقى».

٦ - ذخيرة العباد ليوم المعاد[1].

سجاياه الأخلاقية

أ - زهده وقناعته

قال عنه آقا بزرك الطهراني كان الميرزا محمد تقي الشيرازي في غاية الفطنة وله خصال حسنة ويذكر من يراه بالله سبحانه وجهه تحيطه حالة من نور لم يسأل أحداً حتى لو كان ظامئاً فانه ينهض ويشرب الماء بنفسه، وكان قنوعاً في مأكله وملبسه زاهداً في حطام الدنيا بالرغم مما ترد عليه من أموال من أفريقيا، ايران، العراق، الحجاز، وامارات الخليج ونقاط أخرىٰ من العالم. وقد ذكر أحد العلماء انه لما رأىٰ قميص الميرزا وقد خيط من هنا وهناك قال لابنه عبد الحسين لماذا قميص والدك هكذا؟ انه زعيم وقائد الثورة الكبرىٰ في العراق وهذا لا يناسب موقعه فقال نجله: كان لأبي مزرعة في شيراز ورثها عن أجداده وهي تدرّ عليه

---

(١) انظر الذريعة ٦ / ٢١٨؛ نقباء البشر ١ / ٢٦٣.

سنوياً ١٠٠ تومان وهو ينفق من هذا المبلغ على أسرته ويدفع اجار المنزل ومصاريف المأكل والملبس وهذا لا يغطي متطلبات الحياة لهذا فان أبي يرتدي الرث من الثياب.

ب - العدالة

سئل أحد تلامذة الميرزا وهو آية الله الشيخ محمد كاظم الشيرازي عن عدالة الميرزا فأجاب: سلني عن عصمته لا عن عدالته.

ج - غيرته الدينية

وذكر تلميذه أيضاً: لقد كان الميرزا محمد تقي الشيرازي إمام الثورة ومن أوقد شعلتها لقد كان في الطليعة وأشهر الشخصيات في العلم والتقوى والغيرة الدينية. ولقد كان لفتواه الشهيرة الأثر الأكبر في اشعال لهيب الثورة ضد الانجليز. لقد وهب كل ما يملك في سبيل الله ولم يكن يبخل بالمال والنفس والولد وكان على استعداد للتضحية بكل شيء من أجل استقلال العراق وحرّيته وقد اعتقل ابنه ابان تلك الحوادث[١].

د - حلمه وتواضعه

لقد كان الميرزا محمد تقي الشيرازي متواضعاً حليماً حتى أولئك الذين يتجاوزون ويسيئون الأدب معه وكانت الابتسامة لا تفارق محياه.

وحتى عندما يرتقي المنبر لم يكن ينظر في وجوه تلامذته بل كان ينظر الى الأسفل وكان مصداقاً للعالم العامل.

هـ - صلابته

كان في تعامله مع الناس كل الناس في غاية الأدب والاحترام ينهض بكل

---

(١) بيدار كران اقاليم قبله، محمد رضا حكيمي، ٩٧؛ نقباء البشر ١ / ٢٦٢.

قادم يطرق بيته لكنه كان في غاية الشدّة والصلابة أمام الأعداء، كان مصداق قوله تعالى ﴿**أشدّاء على الكفار رحماء بينهم**﴾ ولهذا لم يسمح لأي مسؤول انجليزي بمقابلته مهما كانت مسؤوليته ورتبته، حتى المندوب السامي البريطاني الذي يعد الحاكم الفعلي للعراق ابان الاحتلال طلب اللقاء به مرّات عديدة وكان يجابهه في كل مرّة بالردّ. وعندما يئس السير بيرس كوكس من الحصول على اذن باللقاء قرر زيارته دون اذن وعندما دخل عليه فجأة دون موعد على اللقاء لم يرحب به ورأىٰ في وجه الميرزا علامات الغضب فخرج من بيته مدحوراً، ولم يكن موقف الميرزا محمد تقي الشيرازي بسبب كون كوكس أجنبياً بل لأنه يمثل الحالة الاستعمارية تحتل بلداً اسلامياً.

في طريق الاتحاد

لقد كان الشيرازي يدرك ان الغرب وبخاصّة بريطانيا العظمىٰ آنذاك تريد نهب البلدان الاسلامية وقد وجدت الفرصة في ذلك من خلال التفرقة بين البلدان والشعوب المسلمة وهي تخشىٰ وحدة المسلمين واتحادهم ولهذا تبث الفرقة بينهم فكانت المسألة الطائفية احدىٰ وسائل المستعمرين من أجل تنفيذ ما يصبون اليه.

الحياة السياسية

كانت قيادته لثورة عام (١٩٢٠ م) في العراق أعظم انجاز في حياته السياسية. ففي ٢٩ تشرين الأول (١٩١٤ م) المصادف (١٣٣٢ هـ) أعلنت بريطانيا الحرب ضد الدولة العثمانية وفي السادس من تشرين الثاني قررت احتلال البصرة جنوب العراق وعندما سمع السكان هذه الأنباء عم الرعب واستنجدوا بالعلماء

وقد لبّوا النداء وصدرت فتاوى بوجوب الدفاع ومواجـهة المـحتلين الانـجليز وراحوا يحثون العشائر للتحرك نحو ميادين القتال وراح آية الله العظمى الميرزا محمد تقي الشيرازي الساكن في كربلاء وينفح روح الجهاد في جسد الأمّة فأعلن الثورة ضد الانجليز وأصدر فتواه بالجهاد ضد الاحتلال وهكـذا بـدأت الثـورة الكبرىٰ فيما عرف في تاريخ العراق الحديث بـ«ثـورة العشـرين» وكـان عـلى استعداد تام للتضحية بالمال والولد من أجل هذا الهدف في طرد المحتلين وتحرير العراق.

في النصف الأول من سنة ۱۹۱۹ م استدعىٰ الميرزا محمد تـقي الشـيرازي الشيخ مهدي الخالصي - وهو من أشدّ المستجلين في مواقفه ضد الانجليز - الى كربلاء للتشاور معه كما استدعى أيضاً آية الله ابو القاسم الكاشاني، السيد محمد علي الشهرستاني الميرزا أحمد الخراساني وكذا نجله الميرزا محمد رضا للتداول في الشؤون السياسية وقيادة النهضة فكان هؤلاء الخمسة أنصار الميرزا في كـل الشدائد التي مرّ بها اعلان الثورة والجهاد.

الجمعية الاسلامية

إثر اجراء الانتخابات في العراق وبدء المعارضة في المدن من قـبل بـغداد وكربلاء ضد الانجليز، قام الميرزا محمد رضا بانشاء الجمعية الاسـلامية وكـان الهدف من وراء ذلك مقاومة الهيمنة البريطانية على العراق وتحقيق الاستقلال من أجل اقامة حكم مسلم ومن أجل تعزيز هذه الحركة أصدر الميرزا فتواه: «لا يحق لأي مسلم انتخاب غير المسلم للحكم والسلطة على المسلمين» ولم تمض فترة قصيرة حتى قرر الانجليز اعتقال وابعاد اعضاء الجمعية فاعتقل بعضهم في عـام (۱۳۳۷ ه) وسيقوا الى بغداد ومنها تم ابعادهم الى الهند.

وقد بعث الميرزا برسالة الى ويلس يطلب منه الافراج عن أعضاء الجمعية المعتقلين فجاء الرد سلبياً فقرر الميرزا حينئذ الهجرة الى ايران واصدار فتوىٰ الجهاد ضد الانجليز وعندما وصلت التقارير الى الانجليز حول نوايا الميرزا شعرت بالخوف وأفرجت عن المعتقلين المنفيين ليعودوا الى وطنهم.

الفتوى الشهيرة

أصدر الميرزا محمد تقي الشيرازي فتواه الدفاعية التي أعطت الضوء الأخضر للجهاد المسلّح ضد الاستعمار الانجليزي في العراق يجب على العراقيين وانه يتوجب عليهم التزام الهدوء في تقديم طلباتهم وفي حالة رفض الانجليز لمطالبهم فانه يجوز لهم التوسل بالقوّة الدفاعية[١].

وبالرغم من شيخوخته والوهن في جسمه فقد كان يتابع مسار الثورة من أجل تحقيق الأهداف العليا ولهذا ما إن تصله الحقوق الشرعية حتى كان يرسلها الى جبهات الصراع والقتال وقد وصله ذات مرّة من الذهب والفضة الشيء الكثير وقد طلبت أسرته منه أن يخصص جزءاً من هذه الحقوق لها لحاجتها الماسّة لكنه رفض ذلك وقام بارسال تلك الحقوق الشرعية الى الجهات.

الغروب الحزين

وبعد جهاد طويل ومرير وفيما كانت الثورة في أوج عنفوانها توفي فجأة قائد هذه الثورة الكبرىٰ فكان ذلك انتكاسة في مسارها وقد سجل السيد هبة الدين الشهرستاني وهو من المقرّبين للمرجع القائد ظروف الوفاة قائلاً ذات وكان آية

(١) نقباء البشر ١ / ٢٦٣.

الله الشيرازي في طريقه الى الصلاة في المرقد الطاهر لسيد الشهداء وأبي الأحرار الامام الحسين عليه السلام رأى في طريقه عدداً من نعوش الشهداء في جبهات القتال وقد أثر المشهد كثيراً في نفسه وقد ظهرت عليه بوضوح آثار الألم وفي اليوم التالي لم يخرج من منزله للصلاة لقد سقط صريع الفراش وكانت صحته تتدهور بسرعة ولم يمكث بعد ذلك الّا فترة قصيرة جداً ليلبّي دعوة الحق تعالى. أما آية الله السيد مرتضى الطباطبائي فانه يهتم بصراحة الانجليز في دس السم حيث استطاع أحد عملائهم من التظاهر بالتديّن والتقدّس وكان يعمل في طب الأعشاب(١).

وقد توفي آية الله الشيرازي ليلة الأربعاء الثالث عشر من ذي الحجة الحرام سنة (١٣٣٨ هـ) وفي وقت كانت الثورة بأمس الحاجة الى من يقودها وهي تحقق انتصاراتها على الاستعمار(٢).

لقد استطاع هذا العطار المندسّ أن يدسّ السم في مستحضراته لعلاج المرجع الشيرازي وكانت الأسرة قد راجعته حول علاج الراحل الكبير، وقد دفن الجثمان الطاهر في صحن المرقد الحسيني الى الشرق من القبلة(٣).

وقد نعيٰ وفاته آية الله الشهرستاني في بيان صدر بهذه المناسبة: ننعيٰ الى قادة الثورة والى مسلمي العالم وفاة حجة الاسلام ورئيس العلماء الأعلام وركن النهضة العربية وروح الحركة الاسلامية الميرزا محمد تقي الشيرازي طهّر الله روحه ونوّر ضريحه.. لقد أفلت شمس حياته مع غروب شمس الثلاثاء الثالث عشر من ذي الحجة سنة (١٣٣٨ هـ) بعد عمر أمضاه في احياء العلم والدين ومكافحة الخطط الشيطانية للكفار، ويسلي قلوب أتباعه قوة المبادئ التي جاهد

---

(١) أسرة المجدد الشيرازي، نور الدين الشاهرودي، ١٠٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) نقباء البشر ١ / ٢٦٣؛ الامام القائد، ٤٤.

من أجلها[١].

وقد أحدثت وفاة المرجع الكبير تأثيراً واسعاً في العراق وايران حيث أقيمت على روحه مجلس العزاء.

وبعد وفاة المرجع الشيرازي انتخب قادة النهضة آية الله الشيخ فتح الله الاصفهاني لقيادة الثورة[٢].

«وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا».

(١) نكاهي به تاريخ انقلاب اسلامي ١٩٢٠ عراق، محمد صادق طهراني، ٧٢.

(٢) المصدر نفسه.

الشيخ محمد خياباني /المستشهد سنة ١٣٣٨ هـ

تعد نهضة الشيخ محمد خياباني في تبريز واحدة من أكبر الملاحم في تاريخ ايران الحديث وقد انطلقت هذه النهضة الخالدة من أجل خلاص ايران وانقاذها من ويل المؤامرات الشيطانية التي تحوكها الدول الاستعمارية في الشرق والغرب وتنفذها داخل البلاد عناصر باعت نفسها ووطنها للأجنبي، لقد كانت ايران في تلك الفترة تعاني طمع الطامعين في الشمال والغرب الروسي والامبراطورية العثمانية وكانت تعاني توغل النفوذ البريطاني في الجنوب بينما الحكومة المركزية كانت ضعيفة جداً بسبب نفوذ العناصر العميلة لهذه الدولة أو تلك، وهكذا كانت الأوضاع في ايران تتدهور باستمرار. في تلك الظروف المأساوية انطلقت صرخة خياباني لترتفع عالياً راية الاستقلال تلهم الأجيال معاني الحياة والحرّية والوطن.

ولادته

ولد الشيخ المجاهد والشهيد محمد خياباني نجل الحاج عبد الحميد التاجر الخامنئي في سنة (١٢٩٧ هـ) في مدينة خامنه على بعد عشرة كيلومترات من مدينة شبستر[١] أمه بانو رقية سلطان.

بدأ درساته الابتدائية في مسقط رأسه. وكان لوالده مركز تجاري في مدينة

---

(١) شرح حال واقدامات شيخ محمد خياباني، الحاج محمد علي آقا بادامجى تبريزي،ط برلين سنة ١٣٠٤ هـ ش / ٢٣.

«بتروفسكي» (مخاج قلعة، مخاج كالا) وهي العاصمة، عاصمة جمهورية داغستان التي تتمتع بالحكم الذاتي.

وفي سنوات فتوته كان أبوه يصطحبه الى بتروفسكي وقد علمه أصول التجارة السائدة يومذاك غير ان روح هذا الشاب كانت تتوق الى طلب العلم من أجل ترك بتروفسكي ليعود الى مسقط رأسه ليسافر الى تبريز من أجل الانتظام في سلك الدراسة الدينية، فانتسب الى المدرسة الطالبية في تبريز ليدرس فيها آداب العربية، المنطق، الأصول، الفقه، النجوم، الرياضيات، التفسير، الحكمة، الكلام، الحديث، التاريخ، الرجال والعلوم الطبيعية.

درس دورة عالية في الفقه والأصول على يد المرحوم آية الله العظمى السيد أبو الحسن انكجى كما درس الهيئة والنجوم لدى الفلكي المعروف المرحوم ميرزا عبد العلي[١].

كان الشيخ محمد خياباني جادّاً في طلب العلم متحمساً للمعرفة، ولهذا راح ليطوي مراحل الدراسة بنجاح وأصبح واحداً من العلماء خاصّة في علم النجوم حيث كان يحلّ مسائل هذا العلم المعقدة ويكتب التقاويم الرقمية، وبدأ يمارس التدريس للطلبة، وقد عرف الشيخ بخطاباته وفصاحته وخاصّة في لغة الأم (التركية) وقد أدهش بذلك أساتذته بفصاته وبلاغته وقوّة التعبير.

حتى خصومه اعترفوا بقوّته في هذا الميدان فقد اعترف أحمد كسروي بهذه الحقيقة على الرغم من خلافه معه.

عرف الشيخ بـ«خياباني»[٢] لسكنه في محلّة «خيابان» في تبريز، وكان يؤم المؤمنين في مسجد المحلّة وكان يعظ الناس ويرشدهم وكان يشدّ الجميع الى

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) شيخ محمد خياباني خروش حماسه ها، مصطفى قلي زاده، ٤٢.

خطابه بحيث كانوا ينتظرون حديثه ببالغ الشوق، وما يزال مسجد «كريم خان» الذي كان يصلّي فيه ويرتقي منبره قائماً حتى اليوم في محلة «جهار راه منصور» في تبريز.

وقد تعرّف خياباني على عالم مشهور في تبريز هو المرحوم آية الله السيد حسين الخامنئي المعروف بـ«سيد حسين بيشنماز»[١] وقد انسجم الشيخ معه للتشابه الكبير في طريقة تفكيرهما وتطابق رؤاهما وسرعان ما وجد الشيخ خياباني يخطب ابنته «خير النساء»[٢]، وكان السيد حسين الخامنئي يؤم المصلّين في جامع تبريز فكان الشيخ خياباني ينوبه في ذلك حال غيابه[٣]، وهذا ما ساعد على شهرته فقد كان يصلّي خلفه ما يناهز الألف من المصلّين.

ولهذا فقد توفرت للشيخ محمد خياباني أسباب الارتباط بالناس في سن الشباب وأصبحت له نشاطاته الثقافية والاجتماعية الواسعة.

من حركة المشروطة الى المجلس

بعد انتصار حركة المشروطة في سنة (١٣٢٤ هـ) وتأسيس اتحاد ولاية أذربيجان بدأ فصل جديد في حياة الشيخ محمد خياباني ولقد كان لهذا الاتحاد الذي دام ست سنوات (١٣٢٤ - ١٣٣٠ هـ) عاصر فيها الاستبداد الصغير وحصار القوات الحكومية لتبريز بقيادة عين الدولة وحرب الأحد عشر شهراً (من جمادى الأولى ١٣٢٦ - ربيع الثاني ١٣٢٧ هـ) دوراً هاماً وقد أخذ على عاتقه ادارة شؤون الاقليم بعد أن قرر محمد علي شاه ارسال قوات الى تبريز وتأليب الأشرار في

---

(١) جدّ مرشد الجمهورية الاسلامية السيد علي خامنئي.
(٢) الشيخ محمد خياباني خروش حماسه ها، ٤٢.
(٣) المصدر السابق ٢٤.

الاقليم للقضاء على قاعدة المشروطة الوحيدة يومذاك في تلك الظروف الحساسة نهض الاتحاد لقيادة الشعب في الاقليم وقاد المجاهدين ومؤيدي حركة المشروطة في الصراع المصيري اضافة الى مسؤولياته الثقافية والاجتماعية والادارية والاقتصادية. ومن نشاطاته اصدار جريدة الاتحاد لاطلاع الناس على ما يجري وبث الوعي[١].

وكان الشيخ محمد خياباني من أعضاء الاتحاد البارزين ومن أركانه القيادية وكان له دور أساسي في تعبئة الرأي العام لموقعه كعالم دين كسب ثقة الناس وولائهم.

وكانت خطبه الحماسية تزيد من مقاومة المجاهدين وتحمل اعباء الحصار، قال في إحدى خطبه:

«يا أنصاري لقد نهضنا ضد الحكومة الرجعية المستبدّة وعلينا ألّا نشعر بالكلل واليأس أبداً انها مسؤولية أمّة. ليكن موقفكم مجيداً يحفظه التاريخ لكم من أجل أن تذكر الأمّة الايرانية أن تبريز هي التي أنقذت ايران»[٢]، واستمرت الحرب وكان المجاهدون يدافعون عن المدينة بقيادة رجال شجعان من قبيل ستار خان، باقر خان وخياباني وقد استطاعوا من الحاق الهزائم المتتالية بقوات الاستبداد ثم أقدم محمد علي شاه على ارسال جيش جرار قوامه أربعون ألف جندي واشتدت الحرب في فصل الشتاء سنة (١٣٢٧ هـ) وكانت تبريز ما تزال تستبسل في المقاومة، ورأىٰ الشاه ان نفقات الحرب قد باتت باهظة الثمن وأن لا مناص من الاقتراض من الدول الأجنبية من أجل الاستمرار في حصار المدينة البطلة وبالتالي لابد من الاقتراض من الدول الأجنبية كفرنسا، وانتبه المجاهدون

---

(١) قيام اذربيجان ستار خان، اسماعيل أمير خيري، ٩ - ١٤٨.

(٢) دو قهرمان جنبش مشروطة، رحيم رئيس نيا، ٩٦.

الى هذه الخطط فأبرق خياباني الى المجلس الوطني الفرنسي يحذره من الاستجابة لمطالب الشاه وأن الأمة الايرانية لن تلتزم بتسديد هكذا قروض وامتنعت فرنسا من اقراض الشاه[1].

وبعد خلع محمد علي شاه من العرش بدأت المرحلة الثانية من انتخابات مجلس الشورى الوطني. وبسبب تاريخ خياباني الناصح والحافل بالأعمال وموقعه الاجتماعي وتحمله المسؤولية في أحرج الظروف وقيادته المقاومة في خنادق القتال والحصار فقد انتخب نائباً عن مدينة تبريز وكان في الثلاثين من عمره الى جانب ميرزا اسماعيل نوبري النائب الآخر للمدينة وهكذا وجد طريقه الى مجلس الشورى في دورته الثانية والذي افتتح في غرة ذي الحجة سنة (١٣٢٧ هـ).

وكان خياباني وبسبب معاناة شعبه وأمته من قهر الاستبداد قد تحلّى بأعلىٰ درجات المسؤولية ووجد نفسه يقف الى جانب نواب الشعب المخلصين من قبيل الشهيد حسن مدرس ونوبري في الدفاع عن حقوق الأمة الايرانية المقهورة. ولعل أعظم ما قام به مجلس الشورى الوطني في دورته الثانية رفضه القاطع للانذار الروسي ذلك ان روسيا وجهت انذاراً لايران تتضمن مايلي:

١ - تقوم الحكومة الايرانية بتنصيب مستر شوستر مسؤولاً للخزانة العامة بعد طرد مستر لكوفر.

٢ - تتعهد الحكومة الايرانية بأن لا تقدم على استخدام مستشار من دولة أجنبية دون علم وموافقة روسيا وبريطانيا.

٣ - تقوم الحكومة الايرانية بدفع كافة النفقات التي تكبدتها روسيا خلال

(١) المصدر السابق، ٧ - ١٩٦.

انزال حشودها العسكرية في ميناء أنزلي ومدينة رشت (شمال ايران) وقد أمهلت روسيا بتأييد من بريطانيا الحكومة الايرانية مدّة ٤٨ ساعة لتقديم جواب والّا فان روسيا ستدفع بقوات القوزاق للزحف احتلال ايران وفي حالة امتناع الحكومة الايرانية عن دفع النفقات العسكرية فانها ستتضاعف[١].

لقد عدّ الانذار الروسي لابتزاز ايران عاراً في حال الموافقة عليه. كانت الحكومة الايرانية قد استلمت الانذار في (٧ ذي الحجة سنة ١٣٢٩ ﻫ) وفي اليوم الثاني تدفقت الجماهير الغاضبة الى الشوارع في العديد من المدن مثل طهران وتبريز ورشت؛ وتعطلت الأسواق وكانت الدوائر الرسمية شبه معطلة وحتى النسوة الايرانيات خرجن الى الشوارع لمعاضدة رجال الدين، لقد كانت الجماهير غاضبة جداً[٢]، وفي العاصمة طهران وقف خياباني وسط الجماهير خطيباً: ان استقلال كل أمّة هو شرفها وكرامتها، واذا لم نستطع انقاذ بلادنا ونعيش كراماً فاننا نستطيع أن نموت كراماً وان الحياة في هكذا ظروف يعني الفناء». وارتفعت صيحات التأييد لخياباني ولتملأ الفضاء والتاريخ[٣].

وفي يوم الجمعة ٩ ذي الحجة كان المجلس يجتمع في جلسة علنية وكان وثوق الدولة وزير الخارجية وبعض رفاقه حاضرين في المجلس وبعد أن قرأ نصر الانذار الروسي قال في حالة من الانهيار: ان مجلس الوزراء أجمع على الموافقة على الانذار الروسي وانتظار رأي النواب المحترمين[٤].

وساد صمت قاتل وكان النواب يتبادلون النظرات الشاردة أو ينظرون الى

---

(١) شرح حال واقدامات شيخ محمد خياباني، ٢٨.
(٢) تاريخ انقلاب مشروطيت، د. ملك زادة ٧ / ٨٧.
(٣) دو قهرمان جنبش مشروطة، ٢٠٩.
(٤) قيام شيخ خياباني، علي آذري، ٢٩.

وثوق الدلوة الذي كان على استعداد لبيع ايران بثمن بخس، فيما غادر نائبان قاعة المجلس في حركة جبانة، فجأة نهض خياباني وتقدم نحو المنصة ليعلن بصوته الجهوري المدوّي: «لا يحق لأي فرد أو حكومة أن تسلب فرداً أو حكومة استقلالها وعندما تقوم بذلك فهذا يعني العودة الى العصور البربرية والوحشية وأدرك الجميع انه يرفض الانذار الروسي جملة وتفصيلاً.. وحبس الجميع أنفاسهم للاصغاء: انني ونيابة عن الأمة التي تعتبر استقلالها وحرّيتها حقاً مشروعاً لها منذ آلاف السنين.. أعلن الرفض الكامل للانذار الروسي لأنه يشكل ضربة لاستقلال ايران».

وجاءت هذه الكلمات المدوّية لتجدد روح الخوف والوهن التي سيطرت على نواب الشعب وانتهت كلمات النواب الى رفض كامل للانذار الروسي لقد استطاع هذا الشاب المؤمن أن يفجّر روح الثورة ومواجهة الظلم في نفوس شعبه وامته.

وبعد خمسة عشر يوماً من ذلك التاريخ اتصلت السفارة الروسية مرّة أخرىٰ مع الحكومة الايرانية برئاسة (ناصر الملك) لتطلعه على الحشود الروسية في قزوين وانها تمهل الحكومة الايرانية ستة أيّام فانها ستزحف صوب طهران. بعد خمسة أيام انعقدت جلسة «مجلس الشورى الوطني وتحدث النواب وكانت نتيجة التصويت الرفض أيضاً. بعد ثلاثة أيام من ذلك عقد الحكومة برئاسة ناصر الملك جلسة ضمت الوزراء والنواب المساومين واقترح وثوق الدولة غلق أبواب مجلس الشورى فوافق ناصر الملك على الفور وأصدر أمراً بحل المجلس وعهد الى يغرم خان الأرمني[1] مسؤولية الاجراء والتنفيذ، وفي اليوم التالي أغلقت أبواب مجلس الشورى الوطني وتشتت النواب وطويت صفحة الحكم الدستوري

(١) قائد الشرطة وقاتل الشيخ الشهيد فضل الله نوري.

وظل خياباني وحيداً، لكن دماءه كانت تفور بالثورة وفي منطقة «سبزه ميدان» حيث احتشدت الجماهير اعتلى خياباني المنصّة ليلقي خطاباً ملتهباً استنكر فيه غلق أبواب المجلس وتشتيت النواب وطلب من قوىٰ الثورة عدم السكوت على هذه الاجراءات التعسفية وقوبل خطابه بالتصفيق الحاد وهتفت الجماهير: «تعيش ايران» وتعيش المشروطة، و «يعيش خياباني» وبعد مضي شهرين على تعطيل المجلس والحياة النيابية وعودة الهدوء النسبي اصطحب خياباني أسرته وسافر الى مشهد حيث أدى مراسم الزيارة ليغادر مشهد متوجهاً الى روسيا، جمهورية تركمنستان، اذربيجان وجورجيا وداغستان وكانت فرصة لزيارة دول الجوار[١] ثم ليكون بمقدوره العودة الى تبريز عن هذا الطريق، ذلك ان حمد خان شجاع الدولة أصبح حاكماً على تبريز من قبل الروس وقد ارتكبت مذابح بحق الأحرار والثوار كما تم تدمير مقر اتحاد ولاية اذربيجان ويبدو انه كان ينتظر عودة خياباني ورفاقه ولو كانت عودة خياباني من طهران أو مشهد الى تبريز لكان من المحتم القاء القبض عليه من قبل جلاوزة حمد خان ولكن قد قتل.

وكان خياباني قد رأى الكثير في دول الجوار ولكن ما ألمه وجود العمال من مواطنيه يعملون في أشق الأعمال مقابل اجور بخسة وقد اضطرتهم الظروف والبحث عن عمل الى الغربة والهجرة من الوطن والأحبة والديار.

من داغستان اتصل خياباني بأحد أقاربه وطلب منه الحضور الى «جلفا» حيث سلمه أسرته ليعود بمفرده الى «بتروفسكي» ليمكن مدّة ثم يقرر العودة الى تبريز، وكانت هذه المدينة تضج من قهر الروس وظلم حمد خان شجاع الدولة، وكانت شوارع المدينة تفوح برائحة الدم وقد القى الرعب على سكان المدينة[٢].

---

(١) تاريخ ١٨ سنة من آذربيجان (أحمد كسروی) ١٠ / ٧٥.

(٢) شيخ محمد خياباني خروش حماس ها، ١٠٦.

في أرض الوطن

استطاع خياباني أن يمكث في منزله في تبريز عدة أشهر دون أن يشعر بوجود أحد فالذين كانوا يعرفون ذلك مجموعة من أصدقائه المقربين وفي طليعتهم الحاج محمد علي آقا بادامجي وسرتيب زادة وكانا يتصلان به على حذر؛ ولكن الخطر كان يتهدده في كل لحظة. ذلك أن حمد خان سوف لن يتردد اذا علم بوجود خياباني في تبريز.

وبعد مداولات بين خياباني وأصدقائه تم الاتفاق على اعلام حمد خان بوجود الشيخ حتى لا تكون هناك ذريعة في إيذائه، وقد تم التفاوض مع حمد خان الذي أصدر أمراً بعدم التعرض لخياباني شريطة أن يقتصر نشاطه على امامة المصلّين في المسجد ومزاولة عمله التجاري.

كان انقاذ الوطن وخلاص الأمّة مما تعاني منه هاجس خياباني الوحيد وهمه الكبير كان يبحث عن الطريق وأدرك بعد تفكير طويل ان دين الله لا يحفظ ولا يصان والحرّية لا تحصل الاّ من خلال الصراع والجهاد والتوافر على أسباب القوّة[چ] وآمن الشيخ ان الموعظة وحدها والنشاط السياسي بمفرده لن يفعل شيئاً من دون وجود القوّة.

نسيم الحرّية

في خريف سنة (١٢٩٣ هـ ش) تم عزل حمد خان عن حكومة تبريز ليهب نسيم الحرّية. وفي ربيع سنة (١٣٣٥ هق) انتصرت الثورة البلشفية في روسيا وانتهت الى الأبد حكم القياصرة. وقامت الحكومة الجديدة في روسيا بسحب

(چ) بيدار كران اقاليم قبلة، محمد رضا حكيمي، ١٥٤.

قواتها من ايران وتنفست تبريز واذربيجان الصعداء وابتهج السكان في اذربيجان بخروج المحتلين من أرض ايران.

التجدد

وأفاد خياباني من بحبوحة الحرية ليجمع أصدقاء من الأحرار والمجاهدين وهم في الغالب من الديمقراطيين ليؤلف لجنة انبثق عنها دعوة لجميع النواب الديمقراطيين ودعاة الحرّية في اقليم اذربيجان للحضور في تبريز وعقد مؤتمر فاجتمع ما يناهز أربعمئة وثمانين شخصية ليستأنف الديمقراطيون نشاطهم بعد توقف دام خمس سنين وكان من ثمار المؤتمر اصدار جريدة «التجدد» حيث عيّن خياباني مديراً لها وصاحب الامتياز فيها[١].

وقد صدر أول عدد منها في (٨ رجب سنة ١٣٣٥ ﻫ)[٢]، وقد كتب الشيخ فيها مقالاً تحت عنوان: «سيشرق نور الحقيقة طالب فيه بتنفيذ قوانين الدستور (المشروطة) واحيائها.

وفي نفس العام انتخب الشيخ محمد خياباني قائداً للحركة الديمقراطية واستطاع أن يجري اصلاحات أساسية فيها[٣]. والى جانب نشاطه الديني ومسؤوليته السياسية فقد تمكن الشيخ من العمل على اتخاذ بعض الاجراءات من أجل رفاه الناس في الاقليم والاسهام في تعيين حاكم للاقليم يعكس تطلعات الجماهير وبالتالي اعداد المنطقة لحركة كبرىٰ.

وفي هذا العام ضرب الجفاف الاقليم وساءت الأمور مع حلول فصل الشتاء فشكل خياباني لجاناً للاغاثة والاعانة، ودور لايواء المساكين و... وبالتالي أسهم

(١) شرح حال واقدامات شيخ محمد خياباني، ٢٨.
(٢) تاريخ ١٨ سنة من اذربيجان ٢ / ٦٧٨.
(٣) شرح حال واقدامات شيخ محمد خياباني، ٢٨.

الشيخ محمد خياباني في حل الكثير من معضلات الناس خاصّة في مواجهته للانتهازيين والمحتكرين.

المعاناة

كان اقليم اذربيجان يمرّ بأيام صعبة وكان خياباني في الخطوط الأولى من الصراع مع الأشرار في الداخل والخارج وأعداء الحرية والاستقلال وكان يقود الناس نحو الأفق المشرق. وبالرغم من الجفاف والقحط، والمرض وما أفرزته الحرب العالمية الأولى من مشكلات دفعت ايران جزءاً كبيراً من ثمن الحرب بالرغم من حيادها الكامل وبالرغم من كل ذلك فقد كانت اذربيجان تقاوم ببسالة.

وفيما كانت الحرب العالمية تلقي بظلالها القاتمة وتفرز آثارها المدمّرة اذا بالجيوش العثمانية تجتاح الاقليم وتقوم باحتلاله بذريعة معاقبة المسيحيين الآشوريين وقد حصل ذلك في أواخر شعبان سنة (١٣٣٧ ه) وقد عاون الروس العثمانيين في ارتكاب مذابح في ارومية التي نهبت واضرمت النار في أسواقها. وقد كان العثمانيون يهدفون من وراء ذلك التعويض عن الأراضي التي خسرتها في الحرب إذ فقدت العراق وسوريا ولبنان ولو كان الهدف معاقبة الآشوريين فما الذي كانوا يفعلونه في تبريز من غارات ونهب ومحاولات بث الفرقة وتنفيذ طموحاتها في ما عرف بمشروع ال«بان تركيزم».

وقد نهض خياباني لمواجهة العدوان العثماني وقام العثمانيون باعتقاله مع رفاقه ليسجن في أرومية وبعد شهرين من الاعتقال وقرار العثمانيين بالانسحاب من ايران اصطحبوه مع رفاقه أيضاً ليسجن في «قارص» خمسة عشر يوماً ثم يطلق سراحه ليعود الى أرض الوطن[1].

---

(١) المصدر السابق، ٣٠.

معاهدة ١٩١٩

في صيف عام (١٩١٩) أجريت الانتخابات الدورة الرابعة لمجلس الشورى الوطني وأصبح خياباني نائباً عن مدينة تبريز بعد أن حاز تسعة آلاف صوت، وأثناء ذلك كانت حكومة وثوق الدولة قد وقعت معاهدة مع بريطانيا حصلت فيها الأخيرة على امتيازات تعزز من النفوذ الانجليزي في البلاد. وكان وثوق الدولة رئيس الوزراء قد خضع أمام الانذار الروسي ووجه ضربة قاضية للحكم الدستوري في البلاد ثم جاء ليوقع هذه المعاهدة المذلّة حيث حصلت بريطانيا بموجبها على امتيازات جديدة على صعيد الشؤون المالية والتعرفة الجمركية وعلى الصعيد العسكري أيضاً أصبح البلد تحت نفوذ المستشارين الانجليز وتابعاً بالنهاية لبريطانيا وعلى أثر نشر نص المعاهدة تدفقت مسيرات غاضبة في شوارع البلاد، وقامت الحركة الديمقراطية بقيادة خياباني باحتجاجات واسعة وكتبت جريدة «تجدّد» انه ما لم تعرض المعاهدة على مجلس الشورى الوطني وتتم المصادقة عليها فانها لا تعدو سوى أوراق لا أكثر»[١].

كان وثوق الدولة يدرك جيداً ان وجود خياباني ورفاقه في المجلس الرابع سوف يحول دون المصادقة ليحل محلهم اناس مرتزقة باعوا أنفسهم للشيطان ومن خلال هؤلاء تم التلاعب بالانتخابات في اقليم اذربيجان وكانت النتيجة قطع الطريق على خياباني من الدخول في مجلس الشورى[٢]. ولم تمثل تبريز في المجلس في دورته الرابعة.

وفي تلك الظروف الحساسة سافر خياباني الى طهران لمراقبة الأوضاع عن كثب وعن قرب، وكان هدفه اقامة حوار مع بعض الشخصيات البارزة وحشد

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) شيخ محمد خياباني خروش حماسه ها، ١٣٧.

التأييد لمواقفه ضد اتفاقية (١٩١٩ م) لكنه لم يحصل على استجابة مناسبة وكان وثوق الدولة قد اقترح على خياباني ان يحصل على ستين الف تومان مقابل سكوته وأدرك خياباني ما يجري في العاصمة من شراء للذمم. رفض خياباني هذا الاقتراح بشدّة ليقفل عائداً الى تبريز بعد أن أدرك جيداً أنه لا يمكن التعويل على رجال طهران وفيها نهاية شتاء سنة (١٩٢٠ م) دعا خياباني الى تشكيل المجلس المحلي في مدينة تبريز حيث انتخب رئيساً له وبسبب منع النواب عن مدينة تبريز من الدخول الى المجلس فقد كانت قرارات المجلس المحلّي تتخذ وتعلن عن طريق النشر في جريدة «تجدّد» ومع بدء السنة الايرانية الجديدة (١٢٩٩ هـ ش) أعلن عن تشكيل ميثاق تعاون يضم جميع الوطنيين ليكون سنداً للجنة المجلس.

الثورة

وفي عصر يوم الثلاثاء (١٦ رجب سنة ١٣٣٨ هـ) وفي باحة بناية «تجدّد» بلغ الغليان ذروته كان أنصار الشيخ خياباني يحملون السلاح وقد بدت ألسنة الغضب، وفجأة صدر أمر القائد خياباني بالهجوم على مركز الشرطة واطلاق سراح «ميرزا باقر» الذي أعتقل لمعارضته الميجر «بيور لنغ» مدير الشرطة وهو فرد أجنبي عينه وثوق الدولة!. وقام خمسون مسلّح بمهاجمة مركز الشرطة وتم اطلاق سراح ميرزا باقر حيث نقل الى بناية تجدد وقام رجال الشرطة بمحاولات لاسترداد السجين ولكن دون جدوى، وهكذا بدأت أولى الخطى في طريق الثورة، وكان ذلك يحمل في طياته مخاضاً للكثير من الحوادث.

كان صباح اليوم التالي هو فجر الحرّية (١٧ رجب ١٣٣٨ هـ) وكان المشهد الملحمي رائعاً فقد تعطّلت الأسواق وكان التلاميذ قد نظموا مسيرات تطوف حول عمارة «تجدد» وارتفعت شعارات ضد حكومة وثوق الدولة وأزلامه وتدفقت

الجماهير الى الشوارع بتأثير واضح من الرمز المقاوم والمجاهد الشيخ خياباني وكان مركز الشرطة هدفاً لهجمات الجماهير ليتم اطلاق سراح المعتقلين، فيما وقعت دوائر الدولة بأيدي الثائرين وأطلق الشيخ خياباني انذاراً لعملاء وثوق الدولة بمغادرة تبريز حيث غادروا المدينة مساء الأربعاء متجهين نحو طهران. وهكذا تطهرت مدينة تبريز من لوث الخونة والمرتزقة[١] وأمسك ورفاقه بزمام الأمور في ادارة مؤسسات الدولة.

وتجلّت القابليات القيادية في شخصية خياباني الذي أثبت جدارة واضحة في ادارة الأمور ومتابعة شؤون الشعب سياسياً واجتماعياً وثقافياً.

وأشرقت شمس الحرية الى جانب استتباب النظام والأمن وقد قام خياباني بتشكيل هيئة لادارة شؤون المجتمع وقد أصدرت الهيئة بياناً جاء فيه ان الهيئة تهدف الى تطبيق الدستور والقانون الأساسي وأن ما قامت به من انتفاضة جاء للتصدّي لبعض الرجعيين والمعارضين للمشروطة. وانها أي الهيئة تبذل كل ما بوسعها من أجل استقرار الأوضاع واعادة النظام وأن أهدافها تتخلص في عبارتين:

١ - ارساء دعائم الأمن والاستقرار.

٢ - الانتقال بالمشروطة من مرحلة القوّة الى الفعل.

واستمرت الانتفاضة الظافرة لأهالي تبريز بقيادة الشيخ خياباني خمسة أشهر، وكان خياباني يقاوم ويقاتل على عدة جبهات وقد أثبت جدارة فريدة في القيادة[٢].

كانت الحكومة المركزية تسعىٰ جاهدة لاجهاض الثورة والقضاء على رمزها

---

(١) المصدر السابق، ٢٦٣؛ تاريخ ١٨ سنة آذربيجان ٢ / ٧٦٧.

(٢) تاريخ ٢٠ سنة من ايران، حسين مكي ١ / ٣٥ - ٣٦.

وخلال تلك المدّة صدر أمر بعزل وثوق الدولة وتعيين مشير الدولة رئيساً للوزارة، وقد قام مشير الدولة بتعيين مهدي قلي خان المعروف بـ«مخبر السلطنة» والياً على اذربيجان وكان وزيراً للمالية حيث كلّف بالقضاء على الثورة في تبريز.

كان مخبر السلطنة يتمتع بوجه وطني ولهذا دخل تبريز بدون حماية من شرطة أو جنود، وقد حاول مرّات عديدة ثني خياباني عن مواصلة معارضة الحكومة من خلال الحوار مع رفاقه ولكن خياباني كان لا يكترث لذلك وفي نفس الوقت لم يكن خياباني ليشك في وطنية مخبر السلطنة أو يظن بخيانته. ولكن مخبر السلطنة وبعد أن قطع الأمل بالمفاوضات اتفق سرّاً مع قائد فرقة القوزاق وهو روسي برتبة عقيد حيث بحث خطة للقضاء على الثورة في تبريز؛ وأخيراً وفي فجر الأحد ٢٨ ذي الحجة سنة (١٣٣٨ هـ) وفيما كان أنصار خياباني المسلحون يقومون بمهام من أجل إقرار الأمن والقضاء على الأشرار في تبريز وضواحيها، تدفق عشرات الجنود والقوزاق ليحتلّوا شوارع مدينة تبريز بأوامر من قائد الفرقة الروسي ومخبر السلطنة وتحت تصفية الثوار قتلاً أو اعتقالاً كما تم احتلال الدوائر الرسمية التي كانت بأيدي الثوار وبما في ذلك «عالى قابو» مقر حكومة خياباني حيث تمت السيطرة عليه بعد مقاومة ضارية[١].

استشهاده

هاجم القوزاق بأمر مخبر السلطنة منزل الشيخ المجاهد واستطاع الشيخ الافلات من قبضتهم اذ تمكن الفرار من فوق سطح الدار ليلجأ الى منزل جاره الشيخ حسين علي الميانجي الذي حاول التوسط له لدى مخبر السلطنة ولكن

---

(١) شرح حال واقدامات شيخ محمد خياباني، ٣٧.

الشيخ رفض ذلك وفي عصر يوم ٢٩ ذو الحجة (١٣٣٨) اكتشفوا مخبأ الشيخ في سرداب منزل الشيخ حسين علي الميانجي حيث قام اسماعيل القوزاق باطلاق عدّة رصاصات أردته قتيلاً ونقل جثمان الشيخ الشهيد الى مقبرة «سيد حمزة» في تبريز ليوارى الثرىٰ هناك ثم حولت المقبرة الى مدرسة وبعد تهدم المدرسة اندثرت آثار قبر الشهيد المظلوم[١].

أهداف ثورة خياباني

يمكن وعي الأهداف التي ثار من أجلها الشيخ محمد خياباني من خلال دراسة تلك الحقبة التاريخية لمدينة تبريز واقليم اذربيجان ويمكن تلخيصها بما يلي:

١ – اعادة الاستقرار الى ربوع اقليم اذربيجان.

٢ – قطع الأيادي الأجنبية عن الاقليم وعن كل ايران.

٣ – التعاون مع الثوار في غابات الشمال بقيادة الزعيم ميرزا كوجك خان وتوسيع رقعة الثورة واصلاح الأوضاع في البلاد ونشر الوعي والصحوة في الشعب الايراني.

٤ – حماية استقلال ووحدة التراب الايراني وتوفير الحرّية السياسية، الاقتصادية، والعسكرية، والثقافية للبلاد.

٥ – احياء وتنفيذ القانون الأساسي والدستور.

٦ – ايجاد حالة من الثورة الثقافية والعودة للذات والهوية.

---

(١) قيام الشيخ محمد خياباني في تبريز، ٤٩٢.

أسباب اخفاق الثورة

اجتمعت عوامل عديدة أدت الى اخفاق الثورة وهو كما يلي:

١ – وجود فرقة القوزاق وانتشارها في ضواحي تبريز وتعاونها مع الحكومة المركزية.

٢ – ضآلة القوة المسلحة للثورة وعدم وجود جيش دائمي لها.

٣ – اهتمام الشيخ الشهيد وتركيزه على بث الوعي بين الناس وايجاد الصحوة السياسية واهماله الجانب العسكري لحراسة الثورة.

٤ – خيانة بعض من وعدوا الشيخ خياباني بالتعاون معه وتقديم العون له.

٥ – بقاؤه وحيداً بسبب رفضه القاطع التعاون مع الأجانب من انجليز وروس والقوىٰ المرتبطة بهما ومناصبة الحكومة المركزية العداء له ولثورته ثلاثون حكمة للشهيد[١].

١ – الاستقلال هو أول ضرورة للكرامة الوطنية.

٢ – الشجاعة والبطولة هما الضمان لاستقلال الأمة أية أمة.

٣ – الاستقلال لا تحفظه الاّ الفضائل والأخلاق العالية.

٤ – لا تستطيع أية أمة أن تحفظ حرّياتها من دون العلم والمعرفة.

٥ – في طريق الكرامة يجب التضحية بالمال والنفس.

٦ – الحرية تستلزم المساواة.. مساواة الجميع أمام القانون.

٧ – ايران لا يحررها الاّ الايراني.

٨ – لا نكون أحراراً الاّ عندما نكون ملتزمين.

٩ – أولى وسائل الرقي امتلاك روح التجدّد.

---

(١) انتخبت الكلمات من كتاب: شرح حال واقدامات شيخ محمد خياباني ٨٥ – ٦٤.

١٠ – الفرد الذي لا يفكر بالمجتمع هو أقل درجة من الحيوان.

١١ – المهمات الكبرىٰ لا تنهض الّا على الفكر.

١٢ – كل زمان له استحقاقاته من التغيير تتناسب مع مستوى العلم والمعرفة.

١٣ – الحركة العامة تقود كل الناس الحضاريين نحو هدف واحد.

١٤ – لا يمكن اصدار حكم قطعي باسم الأكثرية.

١٥ – الانضباط والنظام هو الشرط الأساس في النجاح.

١٦ – على الانسان أن ينهمك في عمله وكأنه لن يموت الى الأبد.

١٧ – الحصول على شيء سهل والحفاظ عليه أصعب.

١٨ – من أجل الحياة والبقاء في هذا العالم يستوجبان الابتعاد عن الضعف والعجز.

١٩ – يجب أن نبني على أنقاض الماضي صرح المستقبل.

٢٠ – الثقة بالنفس هي الشرط الرئيسي في النجاح.

٢١ – الشجاعة شرط هام في النجاح.

٢٢ – كونوا لقمة غاصّة حتى لا يبلعكم العدو.

٢٣ – الأمة التي لا تهاب الموت لن تموت أبداً.

٢٤ – الموت في طريق الأهداف العليا هو عين الانتصار.

٢٥ – الخوف هو السبب الأكبر في ذل الأمم.

٢٦ – أظهر نفسك واحداً متحداً ليهابك الآخرون.

٢٧ – الشجاعة المادّية تستلزم شجاعة معنوية.

٢٨ – لا تركن الى اليأس والكلل أبداً خاصّة في عصر تكون مسؤولية الأمة معلقة بشعرة.

٢٩ – كل انسان يشارك في شؤون مجتمعه بقدر ما يفهم وبقدر ما يقدر.

٣٠ – في كل الأمور يجب التفكيك بين ما هو الواجب وغير الواجب.

المصادر والمنابع

١ – شرح حال واقدامات، شيخ محمد خياباني، بقلم مجموعة من المهتمين ط برلين (١٣٠٤ هـ ش).

٢ – قيام شيخ محمد خياباني في تبريز، علي آذري ط ٤ طهران (١٣٦٢ هـ ش).

٣ – قيام اذربيجان وستار خان، اسماعيل أمير خيزي (١٣٣٩ هـ ش).

٤ – تاريخ ١٨ سنة من اذربيجان، أحمد كسروي ٢ / ٨٥٨ وما بعدها.

٥ – بيدار كران أقاليم قبلة، محمد رضا كليمي / ١٣١ – ١٧٥.

٦ – دور قهرمان، رحيم رئيس نيا وعبد الحسين ناهيدي.

٧ – تاريخ ٢٠ سنة من ايران، حسين مكي ٢ / ٣٤ – ٤٢.

٨ – شيخ محمد خياباني خروش حماسه ها، مصطفى قلي زاده، طهران (١٣٧٢ هـ ش).

ملّا فتح الله الأنصاري / المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ

ولادته

في شتاء عام (١٢٢٨ هـش) المصادف ١٢ ربيع الأول سنة (١٢٦٦ هـ)[١].

ولد في منزل محمد جواد نمازي الاصفهاني صبي مبارك سماه والده «فتح الله».

وتربّى فتح الله في أحضان طاهرة دافئة وكانت والدته لا ترضعه الّا على وضوء أما والده فكان يرعاه ويلقنه من خلال سلوكه أخلاقاً حسنة وخصالاً حميدة، أرسله والده الى الكتّاب لتعلّم القرآن الكريم وهو ما يزال صبياً.

في حوزات النور

بدأ دراسته الحوزوية في حوزة اصفهان وكان يتقدم في دراسته بسرعة فتعلم مقدمات العلوم الاسلامية وانتظم في حلقات الدراسة الفقهية لدى أستاذه مبرزين ومع ذلك لم يكن ليرتوي من العلم والمعرفة وكان احساسه بالظمأ يشتدّ ما جعله يرتو الى مدينة مشهد وحوزتها العلمية، فهاجر الى مشهد ليتتلمذ آية الله الحاج ميرزا نصر الله مدرّس، وآية الله محمد ابراهيم البروجردي والسيد مرتضى الحائري وقد تقدم في دراسته الى أن أصبح أستاذاً يشار اليه بالبنان وحينئذ عاد

---

(١)

الى مدينة اصفهان وفي ذلك الوقت كانت نظريات وآراء الشيخ مرتضى الأنصاري غير معروفة ولكن شيخ الشريعة قام ببيان منهج الشيخ الأنصاري[١].

وفي عام (١٢٩٥ هـ) شدّ الرحال الى مدينة النجف الأشرف لينتظم في الحلقات الدراسية لكبار مراجع التقليد في عصره من قبيل: الشيخ محمد حسين الكاظمي والميرزا حبيب الله الرشتي كما قام هو بتنظيم حلقة دراسية حضرها الكثير من علماء الحوزة آنذاك.

وفي عام (١٣١٣ هـ) شدّه الشوق الى حج بيت الله الحرام فسافر الى أرض الحجاز وربوع الوحي ولقاء المحبوب، وفي مكة دخل في حوارات ومناقشات مع علماء أهل السنّة الذين فوجئوا باطلاعه الواسع حول مذاهبهم وأفكارهم[٢].

وبعد عودته من الحج تملق حوله طلاب المعرفة فتألفت حلقات الدراسة التي كان يحضرها مئات الطلاب فكان يدرس ما يلي:

١ - الدروس العالية في الفقه والأصول.

٢ - الرجال والدرية.

٣ - التفسير وعلوم القرآن.

٤ - الفلسفة والكلام.

٥ - درس في المسائل الخلافية.

حيث كان يتناول في هذه الدروس أسباب الخلاف بين النظريات والفتاوىٰ الفقهية.

واضافة الى كونه خطيباً واعظاً فقد تعلّم الطبابة والرياضيات. وقد ورد في بعض المدوّنات انه مرض يوماً فزاره الطبيب وقد تحدث شيخ الشريعة عن طبيعة

---

(١) أعيان الشيعة ٨ / ٣٩٢.

(٢) علماء معاصرين، ١٢٤.

مرضه وما ورد حوله في كتاب القانون لابن سينا وتصوّر الطبيب انه لا يعرف من ذلك الكتاب الاّ ما يخص هذا المرض فقط ولكن ما ان استمر الحديث حول الطب والطبابة حتى أيقن الطبيب ان شيخ الشريعة يعرف الكثير في هذا المجال العلمي.

أساتذته

تتلمذ شيخ الشريعة على أيدي أساتذة عديدين من بينهم:

١ - ملّا حيدر علي الاصفهاني.

٢ - آية الله نصر الله مدرس.

٣ - الشيخ محمد صادق التنكابني.

٤ - ملّا أحمد السبزواري.

٥ - الشيخ عبد الجواد الخراساني.

٦ - آية الله ملّا محمد باقر الاصفهاني.

٧ - الشيخ حسين علي التويسركاني الملايري.

٨ - آية الله الشيخ محمد تقي الهروي.

٩ - آية الله الشيخ محمد ابراهيم البروجردي.

١٠ - آية الله الشيخ محمد حسين الكاظميني.

١١ - آية الله ميرزا حبيب الله الرشتي.

تلامذته

تخرج على يد شيخ الشريعة العشرات من العلماء برز من بينهم نوابغ فنذكر منهم ما يلي:

١ - الشيخ عبد الكريم الحائري.

٢ – السيد محمد حسين البروجردي.

٣ – السيد ابو القاسم الخوئي.

٤ – السيد ضياء الدين العراقي.

٥ – السيد شهاب الدين المرعشي النجفي.

٦ – السيد محسن الطباطبائي الحكيم.

٧ – السيد محمد الكوكمرئي (حجت).

٨ – السيد عبد الهادي الحسني الشيرازي.

٩ – السيد محمد تقي الخوانساري.

١٠ – محمد علي الشاه آبادي.

براع النور

ترك شيخ الشريعة وراءه آثاراً قيّمة في مختلف الحقول العلمية من تفسير وفقه وأصول، والفلسفة والأدب العربي.

مرجعيته

بعد وفاة آية الله ميرزا حبيب الله الرشتي وآية الله الشيخ محمد حسين الكاظميني اتجه الكثيرون الى تقليد شيخ الشريعة ولكن بعد وفاة الميرزا محمد تقي الشيرازي أصبح شيخ الشريعة الاصفهاني المرجع الوحيد للعالم الشيعي، وقد سمع شيخ الشريعة بعد ذلك يناجي ربّه باكياً وهو يقول: اللهم لا تبتلني بالرئاسة في أواخر أيامي وعمري اللهم لا طاقة لي على حمل هذا الأمر الكبير.. وأنت يا الهي تسألني عن غداً يوم القيامة.

أسفاره

ومن أجل مواجهة أسفاره الثقافية للعدو أسس شيخ الشريعة مكتبة كبرىٰ وضعها تحت تصرف الباحثين والمحققين وكان لا يفتأ بصدر البيانات تلو البيانات من أجل بث الوعي بين الناس وكان يركز على فضح الوجه الحقيقي الكريه للاستعمار الأجنبي وكان يدعو المسلمين الى الوقوف صفاً واحداً لمواجهة الخطط الاستعمارية والعدوان الخارجي[١].

قراصنة الثقافة

عندما خضع العراق للنفوذ البريطاني سعى الانجليز الى اصطياد الكتب النفيسة النادرة وشحنها الى مكتبة لندن وكان علماء الدين يقفون ضد هذه المساعي المحمومة معتبرين ذلك قرصنة ثقافية وكانوا يعتقلون من يحاول شراء بعض الكتب النادرة كما حصل مع المرعشي النجفي الذي زجّ في السجن بسبب ذلك وقام شيخ الشريعة بمساعدة طلابه باطلاق سراحه من السجن.

تقسيم ايران

بعد مرور عام واحد على المشروطة (١٩٠٧م) توصلت بريطانيا وروسيا الى اتفاق سرّي حول تقاسم النفوذ في ايران فأصبحت المناطق الجنوبية من حصة بريطانيا وشمال ايران من نصيب روسيا ولكي لا يحصل بين الطرفين خلاف فقد اتفقا أيضاً على اعتبار المناطق المركزية في ايران مناطق محايدة وهكذا أصبح استقلال ايران على كف عفريت.

---

(١) ايران والعالم الاسلامي، ٢٠٠.

وعندما تسربت أنباء الاتفاق الاستعماري حول ايران قام شيخ الشريعة بتعطيل الدراسة في الحوزة العلمية في النجف الأشرف احتجاجاً وأعلن استعداده للجهاد كما أصدر بياناً بهذه المناسبة جاء فيه: ان علماء الدين يتلقون أنباء الاتفاق المشؤوم بقلق وانهم يستعدون للجهاد كما وتم اقتراح مشروع للوحدة الاسلامية تضم كل البلدان الاسلامية في جهة واحدة ولكن لا ايران ولا الدولة العثمانية تحمست لهذا الاقتراح أو تفاعلت معه.

ايران وسط النيران

في عام (١٣٣٠ هـ ش) الروس هجوماً كبيراً على ايران لتسقط العديد من المدن الايرانية في طليعتها تبريز، جيلان، رشت، مشهد المقدسة ومدن أخرىٰ. وكانت ايران تتجه نحو السقوط في هذه الظروف العصيبة نهض علماء الدين وعلى رأسهم المراجع الكبار في العراق للمقاومة والجهاد ضد العدوان.

في الحادي عشر من محرم الحرام سنة (١٣٣٠ هـ) استعدت مئات الطلاب في النجف الأشرف اضافة الى مئتي ألف من العشائر العراقية للزحف صوب ايران من أجل تحريرها من العدوان الروسي، وكان المقرر التوقف في مدينة الكاظمية لاستكمال الحشود المجاهدة قبل التحرك نحو ايران كما يمكن من مدينة الكاظمية ارسال عدة وفود الى بعض الدول الاسلامية واطلاع الشعوب المسلمة على ما يجري اضافة الى تحضير العشائر الايرانية للجهاد من خلال ارسال برقيات تحثها على الجهاد وتحذيرهم من السكوت على العدوان لما لذلك من آثار وخيمة على الدين وعلى عموم المسلمين[1].

---

(١) انظر: وثائق حول الهجوم الانجليزي الروسي على ايران الفصل السادس.

وعندما استكملت العشائر في ايران استعدادها للدفاع ولكن وثـوق الدولة الذي كان يرأس الحكومة آنذاك تمكن مـن خـلال الدسـائس أن يـحول دون مواصلة العلماء حركتهم باتجاه ايران، كما حذر العشائر الايرانية مـن التـصرف حيال التدخل العسكـري الروسـي أو مـعارضة السـياسة الانـجليزية وتـقدمها العسكري وما أوقف هذه الحركة الشعبية بقيادة العلماء قرار روسيا سحب قواتها كما ان علماء الدين ساورتهم مخاوف وقوع حرب أهلية ما جعلهم ينصرفون عن قرارهم التوجه الى ايران.

الصراع الاقتصادي

قام شيخ الشريعة الاصفهاني ومعه بعض العلماء الواعون باجرائـين حـيال الهجوم الاقتصادي:

١ - تشجيع الناس على تأسيس الشركات التعاونية.

٢ - تحريم المتاجرة بالبضائع الأجنبية (الروسية الانجليزية) بيعاً وشراءً.

وقد قامت السفارة البريطانية بمخاطبة وثوق الدولة وطـلبت مـنه التـدخل لالغاء هذه الفتوىٰ.

المجتهد المجاهد

وقع العراق في الحرب العالمية الأولى تحت نير الاحتلال البريطاني، وقـد أصدر شيخ الشريعة الاصفهاني فتواه بالجهاد وبادر شـخصياً الى جـبهة القـتال ليتسلم القيادة العامة في مدينة القرنة شمال البصرة، وقد حدث مـرّة ان اسـتقل احدى السفن التي تحطمت وغرقت وكاد أن يغرق هو لولا وصـول نـجدة مـن المجاهدين، واستطاع العلماء ومن ورائهم العشائر العراقية المجاهدة في مقاومة

تقدم قوات الاحتلال ثمانية عشر شهراً ولكن الدولة العثمانية كانت تتراجع في كل الجهات وكذا حلفاؤها من دول المحور ولولا ذلك ما تمكن الانجليز من مواصلة التقدم واستكمال احتلال العراق[1].

ارهاصات الثورة

دخل الانجليز العراق تحت شعار تحرير العراق؛ جئنا محررين لا فاتحين، وتحت هذا الشعار تمكنوا من السيطرة على البلاد العربية وقد حاول الانجليز ترسيخ وجودهم من خلال القيام باستفتاء شعبي ليمنحوا احتلالهم للعراق صبغة قانونية، من جهة أخرىٰ قاموا بابعاد واعتقال العديد من الشخصيات التي تطالب بالحرية والاستقلال. وكان شيخ الشريعة ما انفك يبرق للمحتلين يطالب باستقلال العراق لكنهم كانوا يعطونه أذناً صماء، وفي تلك الظروف صدرت عن الميرزا محمد تقي الشيرازي فتواه الشهيرة في جواز استخدام القوة من قبل العراقيين اذا لم تلبّ مطالبهم المشروعة في الحرية والاستقلال، وهكذا اشتعل لهيب الثورة، وفيما كانت الثورة تعمّ العراق من أقصاه الى أقصاه توفي المرجع الكبير في ظروف غامضة ومريبة وعندما هوت راية الثورة تصدّىٰ شيخ الشريعة ليحمل هذه الراية ليقود مسار الثورة بعد أن أصدر فتواه بالاستمرار وبالرغم من تقدمه في السن انه حضر الحشود الجماهيري المجتمعة في صحن المرقد الطاهر لأمير المؤمنين عليه السلام وارتقىٰ المنبر بمساعدة البعض ألقى كلمته التي بدأها بنعي رحيل المرجع الشيرازي قائد الثورة كما دعا المجاهدين الى الاستقامة ثم انتخب ابو الحسن الاصفهاني كممثل له ليسلّمه راية الثورة والجهاد.

---

(١) نظرة في التاريخ...، صادق الطهراني، ١٦.

وفي تلك الأيام بعث ويلسن المندوب السامي البريطاني في العراق بـرقية تعزية ليفتح باب الحوار مع شيخ الشريعة فقد يستطيع خداعه كما يـظن ولكـنه أخفق واستمرت الثورة[١].

وأعقب ذلك ان القوات المتمركزة في ايران والهند تحركت صـوب العـراق ليصل عددها مئة وخمسين ألف مجهزة بأحدث الأسلحة بما في ذلك سلاح الجو والطائرات الحربية. وهكذا أدّىٰ تضاعف القوات البـريطانية وجـفاف المـصادر المالية للمجاهدين اضافة الى تغيير الانجليز سياستهم واقتراحهم تشكيل حكومة وطنية في العراق أدىٰ كل ذلك الى بروز الاختلافات بين قادة الجهاد وبـالتالي انتهاء الثورة؛ وقد أعلنت بريطانيا تغيير سياستها رسمياً وهكذا حصل العراق الى استقلال ناقص ولو ان الثورة حققت أهدافها عسكرياً وانتصرت لاستطاع العلماء تشكيل حكومة اسلامية وبالتالي اعادة بناء العراق ان العوامل المذكورة اضـافة الى بدء الموسم الزراعي مكن البريطانيين من التقدم العسكـري والوصـول الى المدن المقدسة مثل كربلاء والكوفة اضافة الى احتلال مدينة النجف الأشرف.

واثر احتلال النجف القى القبض على سبعة عشر من العلماء من بينهم نـجل شيخ الشريعة وتم سوقهم الى البصرة تمهيداً لابعادهم.

أسرته

كان شيخ الشريعة قد اقترن باحدى حفيدات آية الله الشيخ محمد حسـين الاصفهاني مؤلف كتاب «الفصول» وكان ثمرة هذا الزواج ثلاثة أولاد هم:

١ - الشيخ حسن: وهو النجل الأكبر لشيخ الشريعة وكان له دور في الثورة.

---

(١) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ٥ / ٣٠٩.

٢ - الشيخ مهدي: وكان يقرر دروس والده وله كتاب: اعلام الاعلام بمولد خير الأنام.

٣ - الشيخ محمد شريعت (١٢٨٣ - ١٣٥٧ ﻫ) درس في النجف وفي عام (١٣٣١ ﻫش) أرسله آية الله البروجردي ممثلاً عنه الى مدينة اصفهان وبعد رحيل البروجردي اعتبر الامام الخميني هو المرجع الأعلم واثر ذلك تابعه علماء باكستان في انتخاب الامام الراحل مرجعاً لهم في التقليد[1].

الصباح الحزين

وأخيراً عرجت روح شيخ الشريعة الاصفهاني الى الملكوت الأعلى بعد عمر مبارك أمضاه في خدمة الاسلام والقرآن. وذلك يوم الأحد ٨ ربيع الثاني (١٣٣٩ ﻫ)، لقد غادرت الروح قفص الجسد الطيني ليوارىٰ الجثمان الطاهر في جوار مرقد الامام علي عليه السلام وفي عام (١٣٦٦ ﻫ) وعندما رحل آية الله الحاج حسين القمي وتقرر دفنه الى جوار شيخ الشريعة وتهدم جزء من القبر فوجئ الحاضرون بأن جسد الاصفهاني الراحل ما يزال سالماً وكأنه دفن للتو.

---

(١) تذكرة العلماء الامامية، ٣١٣.

ميرزا كوجك خان جنكلي /المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ

في عام (١٢٩٨ هـ) وفي منزل ميرزا بزرك في محلة «استاد سرا» في مدينة رشت شمال ايران ولد صبي دعاه أبوه «بونس»[١].

تعلم بونس القراءة والكتابة وانتظم في سلك الحوزة العلمية في مطلع شبابه في مدينة رشت وراح ينهل من علوم الاسلام، كما امضىٰ سنوات في مدرسة «حاجي حسن» في صالح آباد ومدرسة جامع رشت حيث تلقى علوم العربية، المنطق، الفقه، الاصول[٢] وسكن مدّة من الزمن حجرات مدرسة نائب الصدر الواقعة في «بازار زركشان»[٣].

وفي عام (١٣٢٢ هـ) شارك في الدورة العالية للدراسة الحوزوية في دراسة «كفاية الأصول»[٤] وكان استاذه آية الله السيد عبد الوهاب صالح ضيابري (١٢٩٤ - ١٣٥٧ هـ) ويعد ميرزا كوجك خان من أصغر المجتهدين في منطقة «صومعة سرا» في اقليم جيلان حيث بلغ مرحلة الاجتهاد وهو في الثامنة والعشرين من عمره وكان تلميذ الآخوند الخراساني[٥].

وقد تأثر بأفكار أستاذه في حركة المشروطة فتزعم حركة الدين في مدينة

---

(١) سردار جنكل، ابراهيم فخرائى، ٣٥.

(٢) المصدر نفسه؛ قيام جنكل، اسماعيل رائين، ٥٤.

(٣) از استارا تا استار آباد، منوجهر ستوده ١ / ٢٥٩.

(٤) قيام جنكل، ٥٤.

(٥) دايرة المعارف تشيع ١ / ١٨١.

رشت، وهكذا بالنسبة ليونس الذي وقع تحت تأثير أستاذه منذ بدء نهضة المشروطة.

درس يونس الذي عرف بـ«ميرزا كوجك خان» في الحوزة العلمية في مدينة قزوين وطهران ويمكن القول من خلال بعض القرائن التاريخية ان ميرزا كوجك خان كان في مدينة قزوين عندما سقطت طهران بأيدي ثوار المشروطة عام (١٣٢٦ هـ) وقد رافق قوات المشروطة التي تحركت من قزوين باتجاه طهران مكث مدّة في مدرسة «صالحية» في قزوين[١] كما درس لفترة ما في مدرسة «محمودية» في طهران[٢] ولعل انتسابه الى هذه المدرسة حصل بعد فتح طهران (١٣٢٧ هـ) أو بعد اغلاق مجلس الشورى الوطني والاحتلال الروسي لشمال ايران (١٣٣٠ هـ) حيث أبعد الى طهران ويمكن القول ان دراسته خارج الفقه والأصول كانت بين سنة (١٣٢٤ - ١٣٣٤ هـ).

يونس في بطن الحدث

كانت نذر الثورة تلوح في الأفق بسبب ظلم شاهات القاجار وعدم أهليتهم لادارة شؤون البلاد، وكان استبداد الأمراء القاجار وهم حكام الولايات والمدن والأقاليم في البلاد وبذخهم الذي أرهق خزانة الدولة وراء مديونية ايران للدول الأجنبية وبالتالي ارتفاع الضرائب التي باتت تقصم الظهر كل هذا هيّأ الأجواء لانفجار الثورة الدستورية بقيادة علماء الدين.

كان أهالي رشت في طليعة المشاركين في تلك الحركة الشعبية وكان لآية الله

(١) سردار جنكل، ٣٥؛ تاريخ ٢٠ سنة من ايران، حسين مكي ١ / ٤١٩.
(٢)

السيد عبد الوهاب ضيابري نائب رئيس الاتحاد في اقليم جيلان[1] ويونس الطالب الشاب يومذاك دوراً قيادياً في ثورة المشروطة وقد تعدّىٰ نشاطه الى الخطابة في صفوف الطلبة وتعبئة الرأي العام اضافة الى تعليم الطلاب فنون القتال.

وتشكل مجلس الشورىٰ الوطني بدماء مئات الشهداء وذلك بتاريخ ١٨ شعبان (١٣٢٤)، وبعد أقل من عامين قصف المجلس بالمدفعية بأمر من محمد علي شاه واعتقل قادة المشروطة وفي طليعتهم آية الله البهبهاني والسيد محمد الطباطبائي. كما أبعد العديدين وتمت تصفية الكثيرين وظهرت صورة مشوهة من الاستبداد الذي واجهته المرجعيات الدينية في النجف الأشرف في المطالبة باعادة الحكم الدستوري.

ولم يكن اقليم جيلان بمنأىٰ عن الأحداث فقد كان أهالي الاقليم يستعدون لمواجهة الاستبداد وانفجر الوضع باغتيال حاكم الاقليم «سردار افخم» في محرم سنة (١٣٢٦) وبالتالي السيطرة على كل المؤسسات الحكومية جيلان بما في ذلك لثكنات الجيش.

وتحركت قوات المشروطة صوب قزوين كخطوة من أجل التقدم نحو طهران وكان ميرزا كوجك يقود قوات المشروطة التي اشتبكت في الطريق مع القوات الحكومية في أكثر من نقطة بين طهران ورشت. ونجح ميرزا كوجك خان من الوصول بقوات المشروطة الى قزوين بعد اشتباكات ضارية وفي قزوين تصاعدت الاستعدادات للزحف نحو طهران وقد انتخب ميرزا كوجك خان زعيماً للمجاهدين في جيلان وفي كرج على مقربة من طهران حدثت اشتباكات مع قوات الحكومة المركزية كان النصر حليفاً لقوات المشروطة وفي أثناء ذلك

---

(١) تاريخ معاصر ايران، كتاب ٩ / ٢٨٣.

وصلت قوات المشروطة من مدينة اصفهان، وفي ٢٥ جمادى الآخرة (١٣٢٧ هـ) تمكنت القوتان (اصفهان، جيلان) من احتلال طهران وكان ذلك التاريخ نهاية للاستبداد حيث فر الشاه لاجئاً في السفارة الروسية فتم خلعه وتنصيب نجله أحمد ميرزا على عرش القاجار[1].

ولم يكن ميرزا كوجك خان راضياً عن أداء مؤيدي المشروطة بسبب بعض الممارسات ونفوذ المتغربين والماسونيين وحتى الاقطاعيين في الحكم الجديد فقد تعرض عشرة مجتهدين للاغتيال في العديد من المدن الايرانية وكان ذنبهم الوحيد انهم كانوا يؤيدون المشروطة المشروعة (الدستور في اطار الشريعة الاسلامية).

وقد بلغت المأساة ذروتها عندما تم اعتقال آية الله الشيخ فضل الله نوري الذي حوكم صورياً ويحكم بالاعدام في ميدان توبخانه (المدفعية).

ولعل هذا ما دعا كوجك خان الى العودة الى مدينة رشت وقد تسنم العديد من الاقطاعيين والماسونيين وعملاء الغرب مناصب حساسة في البلاد، فقد كان ميرزا كريم خان الرشتي من قادة المشروطة في جيلان جاسوساً يعمل لصالح الانجليز، وكذا سبهدار التنكابني اقطاعياً كبيراً تسنم منصب قائد الشرطة في جيلان، ويبرم خان الأرمني قاتل الشيخ فضل الله نوري أصبح قائداً للشرطة في طهران.

في الأول من ذي القعدة افتتح المجلس دورته الثانية الذي سنّ بعض القوانين لاعادة الهدوء والاستقرار الى البلاد كما ان مراجع النجف الأشرف كان لهم دور في ترشيد الحركة الدستورية من جهة ثانية كان محمد علي شاه عاد ومعه قوات

---

(١) سردار جنكل، ٤٠.

روسية من أجل احتلال العاصمة وقد سقطت بأيدي الروس «كمش تبه» في جرجان وراحت تتأهب للتقدم نحو طهران، أما المؤيدون للمشروطة وفي طليعتهم ميرزا كوجك خان فقد اشتبكوا مع الروس في كمش تبه وقد جرح بشدّة وأخذ أسيراً وقد أصدر محمد علي شاه أمراً بالقائه في البحر ولكن الله سبحانه أنقذه كما أنقذ يونس النبي من بطن الحوت عندما ألقي في البحر.

في أواخر سنة (١٣٢٨ هـ) صادق المجلس على قرار استقدام مستشار امريكي في الشؤون المالية ليكون مسؤولاً عن الخزانة العامة ولم تكن أمريكا يومئذ قد تورطت في التوجه الاستعماري، وهكذا صدر قرار حكومي بتعيين مورغان شوشتر رئيساً للخزانة العامة مدّة ثلاث سنين. وهذا الاجراء أثار حفيظة الروس الذين وجهوا انذاراً الى الحكومة الايرانية في الغاء قرارها وطرد المستشار الامريكي اضافة الى تقديم تعهد رسمي باستخدام مستشارين الّا من روسيا وبريطانيا والّا فان روسيا ستقوم باحتلال طهران.

وقد أحدثت هذه المواقف الروسية في التدخل في شؤون ايران الداخلية غضباً عارماً داخل المجلس وفي الشارع الايراني، ولكن ذلك لم يمنع الروس من دفع قواتهم لاحتلال ميناء أنزلي ومدينة رشت لتوجه انذاراً شديد اللهجة وأمهلت الحكومة الايرانية ٤٨ ساعة فقط لتقديم الرد على المطالب الروسية والّا فانها ستنفذ تهديدها وستقوم باحتلال طهران ومرّة أخرىٰ رفض مجلس الشورىٰ الوطني مطالب روسيا وكان للشهيد حسن مدرس وللشهيد خياباني دوراً كبيراً في دفع المجلس الى التصويت على رفض مطالب روسيا، ونهض الشعب الايراني بقيادة علماء الدين في طهران وتبريز ورشت، كما أعلن الآخوند الخراساني فتواه بالجهاد ضد الاحتلال الروسي، وترجمت الفتوىٰ باعلان الخراساني عزمه على السفر الى ايران فتدفقت عشرات الألوف من عشائر العراق ومن طلبة الحوزة

العلمية والتفوا حول المرجع وأعلن الجميع عزمهم على الجهاد ضد العدوان وتحرير ايران.

ولكن المرجع الخراساني توفي عشية التحرك في ظروف غامضة وذلك يوم الأربعاء ٢١ ذو الحجة سنة (١٣٢٩ هـ) وهذا ما عرقل القوات المجاهدة في استكمال تحركها نحو ايران وفجأة أعلنت الحكومة الايرانية موافقتها لمطالب روسيا ورافق ذلك اغلاق المجلس الوطني واعتقال المئات من رجال المشروطة وزعمائها وابعاد العديدين منهم، وكان ميرزا كوجك من بين الذين أبعدوا وكان القرار ابعاده الى مدينة يزد ولكن أجبر وهو ورفاقه في البقاء عدة أشهر في قم لينقل بعدها الى طهران.

وارتكب الجنود الروس في أنزلي، رشت وتبريز مذابح بحق الشعب وبأوامر من الروس وأبعد آية الله السيد عبد الوهاب ضيابري الى خارج البلاد مدّة خمس سنوات ثم تم اعدام شيخ الاسلام لنكرودي في رشت وثقة الاسلام في تبريز في محرم سنة (١٣٣٠) شنقاً[١].

وكان الروس والانجليز قد توصلا الى اتفاق سرّي سنة ١٩٠٧ حول تقسيم ايران حيث تكون منطقة الشمال الايراني لروسيا والجنوب لبريطانيا فيما تكون المناطق المركزية من ايران مناطق محايدة. وبعد اشتعال الحرب العالمية الأولى سنة (١٣٢٣ هـ) قام الانجليز باحتلال مدينة بوشهر على الشواطئ الجنوبية من ايران سنة (١٣٣٣ هـ) ودفعوا بقواتهم نحو شيراز ليبسطوا سيطرتهم على الجنوب والوسط من ايران. كان ميرزا كوجك خان ما يزال يمضي فترة النفي من سنة (١٣٣٠ - ١٣٣٣) حيث لا يحق له العودة الى مسقط رأسه لكنه عاد سنة (١٣٣٣)

---

(١) الآخوند الخراساني، شمس في منتصف الليل، ٨٨ - ٩٢؛ تاريخ ١٨ سنة من اذربيجان، أحمد كسروي ٢ / ٤٧٦؛ تاريخ ٢٠ سنة في ايران ١ / ٤٩١.

الى رشت سرّاً وقد قام له السيد محمود الروحاني صهر آية الله ملّا محمد حمامي بالتوسط له لدى القنصلية الروسية في رشت التي وافقت على عودته الى رشت شرط الكف عن أي نشاط سياسي[١].

فكرة الثورة

كان كوجك خان يفكر بالثورة منذ الأيام الأولى لعودته الى رشت وكان أحمد شاه ما يزال قاصراً وكان نائب السلطنة رئيس الوزراء هو الحاكم الحقيقي للبلاد وكان هو وعدد كبير من وزرائه ينتمون الى المحافل الماسونية ذات النشاط المشبوه وفي طليعة تنفيذ سياسة الانجليز. وكان الحكام في جيلان لا يفكرون الّا في بذخهم ولذائذهم فيما كان الروس ما يزالون يحتلون أجزاء من الشمال الايراني.

وكان ميرزا كوجك يسعى الى توحيد جهود المجتهدين وعلماء الدين لمواجهة المحتلين الأجانب والنهوض بوجه الاستبداد في الداخل ولهذا السبب تأسست «هيئة اتحاد الاسلام» حيث جميع أعضائها من علماء الدين وقد انتخب السيد عبد الوهاب ضيابري رئيساً للاتحاد[٢] وكانت هذه الخطوة النواة الأولى لثورة الغابة التي بدأت سنة (١٣٣٣) في «نرجستان»[٣].

وأصدر الاتحاد «مرامنامة» (الأهداف العليا) التي تضمنت السعي الى تحقيق قلم دستوري في البلاد كما اشتملت ٣٤ مادة حقوقية، مدنية، الانتخابات،

(١) سردار جنكل، ٢٧ – ٢٨.
(٢) تاريخ معاصر ايران، الكتاب التاسع، ٢٨٤.
(٣) قرية في الشمال الايراني / نهضت جنكل واتحاد اسلام / وثائق وطنية.

الزراعة والتربية والتعليم[١].

قام ميرزا كوجك بالتفاهم مع دكتور حشمت الذي كان يمارس مهنته في مدينة لاهيجان وتم الاتفاق على تأسيس قاعدة داخل الغابات الكثيفة في جيلان للانطلاق منها في عمليات عسكرية ضد الوجود الروسي في الاقليم. وقد بدأت ثورة الغابة بعدد لا يبلغ المئة ثائر مع بنادق قديمة وقليلة جداً أما بقية السلاح فقد كان عبارة عن فؤوس ومناجل وبنادق صيد ولكن الثوار بدأوا يجهزون أنفسهم بالسلاح من خلال غارات شنّوها على معسكرات الروس.

ومارس الروس ضغوطاً على الحكومة المركزية من أجل ضرب الثوار، كما قام المحتلون باستخدام المدفعية لقصف بعض المواقع التي يعتقد انها مراكز للثوار. ومع ان كفتي الصراع كانتا غير متكافئة الّا ان الثوار استطاعوا تكبيد الروس خسائر كبيرة وقد احرزوا انتصارات أثارت حماس الشعب الايراني وبدأ الشباب بالالتحاق بالثورة، الأمر الذي دفع الحكومة الى توزيع منشورات لتحذير كل من يلتحق بثوار الغابة.

وكان أول اشتباك واسع حدث بين الثوار وقوات الحكومة المركزية حدث في ٢٦ محرم (١٣٣٥ هـ) في «كسما» واستطاع الثوار من الحاق هزيمة ساحقة بالقوات الحكومية.

هذه الهزيمة دفعت الروس الى أن تحسم الموقف فتحركت قوّة من القوزاق الروس مؤلفة من ثلاثمئة اضافة الى خمسين جندي من القوزاق الايراني مجهّزين بالأسلحة وحدث الاصطدام المسلح في «ماكلوان» وكان النصر لثوار الغابة. وقد أثارت الهزيمة غضب الروس التي جهزت جيشاً من أربعة آلاف جندي من

---

(١) سردار جنكل، ٥٨ - ٨٦.

الروس والقوات الحكومية مجهزين بالمدفعية وقد اضطر الثوار الى التراجع والانسحاب[١].

أصبحت «كسما» مركزاً لثوار الغابة ومنطقة «كوراب زرمخ» مركزاً وقاعدة عسكرية لاستقبال المتطوعين وتزايد عدد الثوار.

في سنة (١٩١٧ م) ألحقت المانيا هزيمة ساحقة بروسيا وقد أدت بعض الظروف الى انتصار الثورة الشيوعية البلشفية ولكن مع وجود جنرالات وضباط كبار ما يزالون يناصرون الحكم القيصري وظلوا يقاومون «الثورة الحمراء». كان الانجليز والروس يمثلون قوات الحلفاء في الحرب العالمية الأولى. هاجم البريطانيون العراق من الجنوب وتحركوا باتجاه جنوب ايران أيضاً ووصلت قواتهم الى همدان ثم تمكنت بريطانيا من الوصول الى قزوين واحتلالها وكان من ضمن أهدافهم اسناد الجنرالات المؤيدين للحكم القيصري ومن ثم التوجه معاً الى مدينة باكو. ومن أجل ذلك وجه الانجليز رسالة الى ميرزا كوجك خان انه في حالة السماح لهم بالعبور من اقليم جيلان فانهم سوف يعترفون بحكومة ميرزا كوجك خان في الاقليم. وقد رفض ميرزا كوجك خان هذا الطلب وانه لا يريد أن يؤسس حكمه بمعونة من الاستعمار الانجليزي[٢].

وحضر الجنرال دنسترويل، قائد القوات البريطانية في ايران للتفاوض مع «هيئة اتحاد الاسلام» في قزوين ولم تسفر المفاوضات عن اتفاق وكان بيتشراخوف قائد القوات الروسية متواطئاً مع الانجليز وكان هو الآخر يريد التوجه الى باكو للاطاحة بحكومة الثورة البلشفية، وحدثت معركة ضارية بين الروس والانجليز من جهة وبين ثوار الغابة من جهة أخرى ولم يكن ميزان القوى

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) رجل من الغابة، ١٣٦ - ١٣٧.

متكافئاً بين الطرفين، وكانت النتيجة أن تحمل ثوار الغابة مرارة الهزيمة فاضطروا للتراجع بعد خسائر فادحة[1].

بعد الانتصار الذي أحرزه الروس والانجليز في معركة «منجيل» واصلوا تقدمهم نحو ميناء أنزلي وتمكنوا من احتلال مدينة رشت مركز اقليم جيلان وكانت الطائرات الانجليزية تقوم بقصف مواقع الثوار يومياً في «فومن» و «صومعة سرا».

في شوال عام (١٣٣٦ هـ) هاجم الثوار معسكراً انجليزياً كبيراً في رشت ولكن الانجليز صدوا الهجوم بمعونة الطائرات الحربية غير ان الثوار ما انفكوا يهاجمون الانجليز والروس وكانت هجماتهم تتخذ شكلاً فدائياً جريئاً.

واضطر الانجليز ومن أجل استكمال مشروعهم في التوجه نحو روسيا من الدخول مع ثوار الغابة في مفاوضات لوقف اطلاق النار وتوصل الطرفان الى اتفاق يقضي بأن يسمح هيئة اتحاد اسلام للقوات الانجليزية بالعبور الى روسيا على أن يتعهد الانجليز بعدم التدخل في شؤونن ايران وجيلان[2] وألقت الحرب العالمية الأولى أوزارها وقد خرج الانجليز من هذه الحرب منتصرين ومتغطرسين وعيّن وثوق الدولة العميل الانجليزي رئيساً للوزراء في ايران وقام الأخير ومن أجل القضاء على ثورة الغابة بدعوة ميرزا كوجك خان الى السلام، وهو أمر كان مرفوضاً في ظل تلك الظروف لقد كانت دعوة الاستسلام. وحنيئذ عيّن وثوق الدولة رجلاً دموياً هو «تيمور تاش» حاكماً على اقليم جيلان لمواجهة قوات الثورة في غابات الشمال. كان تيمور تاش جلاداً قاسياً بدأ

---

(١) سياسة الحكومة الوطنية في ايران، ٣٦؛ المذكرات السياسية، سيد مهدي فرخ (معتصم السلطنة) / ٢٦ - ٣٤.

(٢) المصدر نفسه؛ ايران في الحرب الكبرى، مؤرخ الدولة سبهر / ٣٨٩؛ سردار جنكل، ١٥٣.

بتجفيف مصادر الثوار المالية، فقد قام باعدام العديد من الفلاحين بسبب تعاونهم مع الثوار كما زجّ المئات منهم في السجون، وكان ثوار الغابة يقاسون الأمرّين وساءت أوضاعهم بشدّة فالقوازق الروس والايرانيين ومن ورائهم الانجليز يتمركزون في مواقع استراتيجية تشرف على الممرات الحيوية وهذا ما حد من حركة الثوار ووضعهم داخل دائرة ضيقة من الحصار.

وفي تلك الظروف العصيبة قام الحاج أحمد كسمائي وهو من معاوني ميرزا كوجك خان ومن قادة الثورة بتسليم نفسه للقوات الحكومية وكذا الدكتور حشمت الذي اعدم على الفور وهذا ما قصم ظهر الثورة. لقد خسر ميرزا كوجك خان صديقه الوفي الدكتور حشمت.

وفي غمرة هذه الحوادث ظلت جريدة «جنكل» (الغابة) تواصل صدورها وتقوم بفضح خيانات وثوق الدولة وبات واضحاً الدور الخطير الذي يقوم به وثوق الدولة في تحويل ايران الى مستعمرة انجليزية خاصّة بعد اقدام الحكومة الايرانية على توقيع اتفاقية (١٩١٩ م) التي تكون نتيجتها اخضاع ايران للنفوذ البريطاني ورهن استقلال البلاد، وتصدّت الجريدة للاتفاقية المذلّة وفي مجلس الشورى الوطني نهض الشهيد حسين مدرس والشهيد خياباني لمواجهة الاتفاقية الخطيرة واشتعلت الثورة في تبريز بزعامة خياباني الذي أرسل ممثله الى جيلان للتنسيق مع ثوار الغابة وتكوين جبهة عريضة لمواجهة الحكومة المركزية الخائنة وفيما كانت المفاوضات تجري بين الطرفين للتنسيق توفي مبعوث خياباني في ظروف غامضة.

وفي استفتاء من السيد حسن مدرس في جمادى الثانية سنة (١٣٣٩) حول دعم ثورة الغابة أجاب الشهيد مدرس في فتواه التاريخية التي تضمنت تأييداً قوياً لأنه حؤول دون تدخل الأجانب وقطع الطريق على النفوذ الخارجي، وان

العمليات التي تجري في جيلان هو عمليات مقدسة وان على المسلمين ان يحذو حذوهم، وفق الله الايرانيين في متابعة هذه النوايا الصادقة ودعم العمليات[١].

لكن ثورة الغابة كانت تمر بأحرج ظروفها وفي أدق مراحلها وقد تعب الثوار من حالة المطاردة المستمرة منذ شهور وكان عدد الثوار يتضاءل يوماً بعد آخر وفي هذه الظروف بعث قائد القوزاق الروسي برسالة الى ميرزا كوجك اتهم فيها الثوار باعانة الفساد في البلاد كما حمّله مسؤولية ما يحصل من قتل للأهالي! وتضمنت الرسالة وعداً وكلمة شرف بأنه سوف يؤمن له حياة هانئة في حالة تسليم نفسه. وجاء جواب ميرزا كوجك خان كالآتي:

هو الحق

بتاريخ ليلة ٢٢ ذي الحجة الحرام (١٣٣٧ ﻫ)

جناب رئيس اترياد طهران - رتمستركيكا جينكوف

وصلت متأخراً أيها الثمل..

قرأت رسالتك وانني لن أخدع بوعود حكومة مكروه من الشعب، ان وعود الانجليز للآخرين مقابل ابتلاع ايران كلها هي التي تدفعني ان الّا استسلم.. ان ضميري يملي علي انقاذ وطني من براثن الأجنبي.

ذكرت لي: ان النظام لا يعرف حقاً ولا باطلاً وانه يجب سحق المعارضين للحكومة أياًكانوا، أما أنا فأقول: ان تاريخ العالم يسمح لكل أمة بالثورة اذا ما عجزت حكومة البلاد عن انقاذ الوطن.

---

(١) قيام جنكل (ثورة الغابة)، ٤٨.

ان الحكومة الحالية لا تفكر الّا بمنافعها الخاصّة حتى لو باعت البلاد في أسواق لندن بثمن بخس؛ ان دستور الاسلام المدوّن يوجب على المسلمين النهوض للدفاع اذا ما داهم الكفار بلاد الاسلام.

أما بريطانيا فأنها لا تعرف الاسلام ولا العدالة ، انها مع قانون الأقوىٰ.

ان ضميري يدعوني لأعمل من أجل سعادة وطني.. اني سأجيب بما يجيب موسى في ثورته على فرعون ومحمد في قيامه ضد أبي جهل وبكل ما يجيب به الأحرار في محكمة العدل الالهية.

إنني أقف مع رفاقي ، كما تقف مع أتباعك في خطين متقاطعين ، وسنرىٰ هل سيضحك العالم على أجساد قتلانا أم سيمجّد فتوحاتكم؟

وأضاف في رسالته:

انه على افتراض كذب ما ورد في الرسالة يعني انني لا أعدو أن أكون فرداً ينشد الجاه وتتبع الهوى ، وانني أميل الى وعودكم ، فما هي جدوىٰ ورقة حكومية ممهورة بأيدي الجلّادين الذين شنقوا من صدق وعودهم.

كيف تطلب مني الاستسلام بعد هذا الكفاح الطويل؟!

وفي الختام لا أرىٰ قيمة في لقاء من لا يعرفون شرف الكلمة

الله بيننا وبينكم وهو الحاكم

كوجك جنكلي

في فجر يوم الثلاثاء ٢٩ شعبان سنة (١٣٣٨ هـ) قصفت السفن الحربية الروسية ميناء أنزلي، فيما قامت القوات البريطانية التي كانت في طريقها لضرب الثورة الشيوعية بالانسحاب من أنزلي ليسقط الميناء في أيدي الروس.

وكان انسحاب البريطانيين يثير شكوكاً حول وجود خطة مبيّتة بين الروس والانجليز وتفاهم مع الاتحاد السوفيتي حول احياء اتفاقية سنة (١٩١٩ م) في تقسيم ايران. كان يعلقون آمالاً على ثوار الغابة من أجل الاصطياد في الماء العكر، وجه الشيوعيون الروس دعوة الى ميرزا كوجك خان من أجل التعاون ولقيت الدعوة الروسية أصداءً ايجابية أثناء الاجتماع حول بحث هذا الموضوع، وبادر كوجك خان شخصياً الى السفر من أجل التفاوض مع الروس في أنزلي، وقد استقبل ميرزا كوجك خان استقبالاً شعبياً حافلاً ثم بدأت المفاوضات التي أسفرت عن اتفاق حول ثلاثة نقاط أساسية هي:

١ - الاعلان عن تأسيس حكومة جمهورية ثورية في جيلان.

٢ - عدم تدخل السوفيت في ايران.

٣ - عدم القيام بأية اجراءات لتطبيق المبادئ الشيوعية ومنع الدعاية الشيوعية في جيلان وفي فجر يوم الجمعة ١٦ رمضان (١٣٣٨ هـ) دخل ثوار الغابة مدينة رشت بعد انسحاب الانجليز ليتم الاعلان عن قيام الجمهورية في جيلان(١) وقد جاء قيام الجمهورية في جيلان ثمرة لكفاح وجهاد ثوار الغابة بعد أن اتفق ميرزا كوجك خان والروس في تشكيل لجنة مؤلفة من الثوار والروس حيث أصبح ميرزا كوجك خان رئيساً أعلىٰ لها ومسؤولاً عن لجنة الحرب وقد استطاع الشيوعيون من النفوذ داخل الثورة وراحوا يمسكون بأزقتها الرئيسية كما

---

(١) سردار جنكل، ٢٣٣ - ٢٤٤.

أصبحت للبعض من الزعامات ميولاً نحو الشيوعية مثل احسان الله خان وخالو قربان الذي كان يقود الفرقة الكردية داخل الغابة.

ولم يكن الروس أوفياء للاتفاق كما لم يلتزموا ببنود الاتفاق المبرم في انرلوا وراحوا يبثون الدعاية الشيوعية على نطاق واسع داخل اقليم جيلان، وصدم أهالي جيلان بذلك وفقدوا حماسهم لثورة الغابة.

وبسبب المدّ الشيوعي المتفاقم في اقليم جيلان انسحبت هيئة اتحاد اسلام ممثلة بعلماء الدين من الثورة ولجأوا الى المساجد فيما كان الشيوعيون الروس يتدفقون بكثافة الى الاقليم، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل خطط الشيوعيون لاغتيال ميرزا كوجك خان وبعض رفاقه الأمر الذي دفع ميرزا كوجك خان الى ترك رشت والعودة الى أعماق الغابة احتجاجاً وذلك يوم الجمعة ٢٢ شوال (١٣٣٨ هـ) الى أن يوقف الشيوعيون اجراءاتهم ونفذ الشيوعيون انقلابهم الأحمر وتم اعتقال أنصار ميرزا كوجك خان وتشكيل هيئة ثورية جديدة في رشت وانتخاب احسان الله خان رئيساً أعلى للّجان وخالو قربان رئيساً للجنة الحرب وبيشورى رئيساً للجنة الدولة. وراح الشيوعيون يمضون قدماً في تنفيذ الشيوعية في ايران وتأسيس جمهورية اشتراكية في جيلان. وكان الانقلابيون يسعون الى القضاء على جميع رفاق ميرزا كوجك خان ومؤيديه ولهذا حشدوا قواهم للهجوم على قوات ميرزا كوجك خان في غابات «فومن» الكثيفة.

ومن مقره في عمق الغابات بعث ميرزا كوجك خان الى زعامات الشيوعية في الاتحاد السوفيتي وأطلعهم على الجرائم التي يرتكبها الشيوعيون الايرانيون في جيلان وكذا حركتهم الانقلابية وجاء في الرسالة انه صدم من تصرفات الزعامة الشيوعية وأنه سيضطر الى أن يشرح للأحرار في الدنيا عن كذب وعود الاشتراكيين وبعدها كل البعد عن الصدق وان الاشتراكيين يقومون بأعمال يترفع

عنها حتى جنود نيقولا المسند وجيوش الرأسماليين الانجليز[١].

وشن الانقلابيون الحمر هجومهم على أنصار ميرزا كوجك خان وقتلوا العديد منهم وأسروا آخرين كما قاموا بنهب ممتلكات الناس والعبث بدوائر الدولة وانتهزت الحكومة المركزية هذا الشرخ داخل ثورة الغابة فدفعت بقواتها واحتلال مدينة رشت بعد اسبوعين من الانقلاب الأحمر ولكن الشيوعيين عادوا واستردوا المدينة باسناد من القوات السوفيتية.

مكث ميرزا كوجك خان أربعة أشهر في الغابة بعث خلالها برسائل الى قادة الشيوعية في الاتحاد السوفيتي. وخلال ذلك وصلت من الانقلابيين رسالة تدعو ميرزا كوجك خان الى المصالحة وقد أجاب كوجك خان على الرسالة برسالة جوابية استعرض فيها أخطاء الشيوعيين السياسية وأعمالهم التي أوصلت ثورة الغابة الى وضع لا تحسد عليه وانتقدهم بشدّة بسبب نهبهم لأموال الناس وممتلكاتهم ولكن تصرفات الشيوعيين قضت حتى فرصة التوجه الى العاصمة وانقاذ البلاد من الحكومة الخائنة.

وكانت الأحداث في تتابع سريع وقد تم التفاهم بين الانجليز والاتحاد السوفيتي ونتج عن هذا التفاهم صعود رضا خان الذي قاد فرقة القوازق (٣٠٠ جندي) من قزوين نحو طهران التي سقطت بعد مقاومة، وأدىٰ ذلك الى انقلاب عسكري حيث أصبح سيد ضياء الدين رئيس تحرير جريدة الرعد وعميل الانجليز المعروف رئيساً للوزراء ورضا خان قائداً للجيش، وتزامن ذلك عقد مصالحة بين رفاق ميرزا كوجك خان الذين انضموا لقادة الانقلاب الأحمر في جيلان وتشكلت لجنة جديدة لقيادة ثورة الغابة كان ميرزا كوجك خان رئيساً لها

---

(١) المصدر السابق، ٢٩١.

ولم يكن للروس أي حضور فيها.

وفيما كان ميرزا كوجك خان يحاول اعادة تنظيم قوات الثورة بعد الأحداث العاصفة التي طالتها قتلاً واعتقالاً فيما فضل قسم من الثائرين حياة الدعة والراحة.. في هذه الظروف قام أحد الشيوعيين الذي يدعى حيدر خيان عموأدغلي وخالوقربان بمحاولة لاغتيال ميرزا كوجك خان ولكن الأخير تمكن من احتواء هذه المحاولة ليعود مرّة أخرىٰ الى أعماق الغابة ومعه عدد ضئيل جداً من رفاقه.

وفي هذه الظروف العصيبة زج رضا خان كل ما يستطيع حشده من قوات لقمع الثورة فسقطت مدينة رشت وسلّم خالو قربان نفسه الى رضا خان حيث منحه الأخير رتبة عقيد وقد سلّم آخرون أنفسهم للقوات الحكومية من بينهم سيد جلال جمشي وسيد محمد تولمي وتوفرت لرضا فرصة معلوماتية كبيرة من خلال هؤلاء الأشخاص الذي رافقوا ميرزا كوجك سنوات الثورة ويعرضون غابات الشمال وزوارها ومخابئ الثوار فيها وفي خريف عام (١٣٠٠ هـ ش) كان ميرزا كوجك وحيداً الّا من نفر ضئيل من رفاقه الأوفياء وأدرك قائد الثورة أن لا أمل بعد ذلك فكل شيء حتى الطبيعة بدأ يحارب ولم يبق له الّا الله:

«انني أتوكل أنا ورفاقي على الله.. لقد دافعت عن وطني.. وأنني أشعر بالحسرة على ان شعب ايران لا يعرف قدر هذه المجموعة» كما ورد في رسالة بعث بها الى أحد أصدقاه ويعود تاريخ هذه الرسالة الى ٢٨ تشرين الأول سنة (١٩٢١ م) كلمات تطفح بالألم والحسرة وشكوىٰ من أولئك الذين لا يعرفون قدر هذه الثورة التي لا تنشد سوىٰ الخلاص للشعب والحرّية للوطن المقهور.

في تلك الفترة العاصفة من تاريخ الثورة كانت الآفاق تبدو مظلمة الرياح تعصف بعنف وقد بدأت الثلوج تنهمر في مرتفعات جيلان على طريق خلخال

حيث قرر ميرزا كوجك خان التوجه الى هناك.

كانت العاصفة الثلجية تزداد جنوناً وكانت خطا القائد الثائر تزداد وهناً على وهن، وهو ميرزا كوجك خان وسط الثلوج كان ذلك في الثاني من ذي القعدة سنة (١٣٤٠ هـ) الحادي عشر من أيلول سنة (١٩٢١ م) وبعد ساعات عثر على جسد المتجمد ولكن أحد الدمويين المدعو خان طالش أصدر أمر بقطع رأس الثائر الكبير ليحمل الى رشت فيما قام خالو قربان أحد رفاق ميرزا كوجك خان يحمل الرأس الى طهران ليقدمه هدية الى رضا خان.

وتم دفن الرأس في مقبرة حسن آباد في طهران، وبعد مدّة قام أحد رفاقه الأوفياء باخراج الرأس ليحمله الى منطقة سليمان داراب في رشت ليلحق بالجسد حيث قبره اليوم قائماً ومزاراً أما جلّاده في ضاع في مجاهل التاريخ[١].

(١) المصدر السابق، ٣٢٩ - ٣٩١؛ تاريخ اجتماعي واداري دور قاجاريه عبد الله مستوفي ٣ / ١٢٤ - ١٢٥؛ ايران في الحرب الكبرى، ٣٦٩ - ٣٩١.

ملّا حبيب الله شريف الكاشاني /المتوفى سنة ١٣٤٠ هـ

ولادته

ولد حبيب الله شريف الكاشاني في عام (١٢٦٢ هـ)[١] أبوه آية الله ملّا علي مدد الساوجي ولد في ساوة وأمضىٰ الجزء الأكبر من مدّة دراسته في قزوين ومنها انتقل الى كاشان ثم عاد الى ساوة في سنة (١٢٦٦ هـ) يمضي بقية عمره هناك.

أما والدة ملّا حبيب فهي كريمة ميرزا حبيب الله (المعروف بميرزا باباي الحسيني النطنزي).

دراسته

بعد وفاة والده سنة (١٢٧٠ هـ) تكفله في كاشان مسقط رأسه آية الله السيد حسين الكاشاني سنة (١٢٩٦ هـ) وانتظم في سلك الحوزة العلمية فيها.

نشأ ملّا حبيب الله يتيماً وقد أتاه الله فطنة وارادة فتقدم في دراسته ليطوي مراحل الدراسة في عشرة أعوام وحصل على اجازة في الرواية وهو في السادسة عشرة من عمره.

وكان آية الله السيد حسين الكاشاني من تلامذة والد ملّا حبيب وقد لعب دوراً في تربية ابن استاذه وبناء شخصيته العلمية وفي اجازته للرواية التي منحها

(١) لباب الألقاب، ملّا حبيب شريف الكاشاني، ١٤٩.

ملّا حبيب وصفه تلميذه بـ«الابن الروحي» والعالم الرباني والاستاذ والفقيه الكامل والذي حاز شروط الفتوى ونال درجة الاجتهاد كما وصفه بالعدالة والسداد والعمل بالعلم[١].

وقد ذكر ملّا حبيب في بعض مؤلفاته أنه تلقى علومه من أستاذه السيد حسين الكاشاني وكان يريد من وراء ذلك أداء حق التلميذ لاستاذه[٢].

واضافة الى استاذه الجليل السيد حسين الكاشاني فقد تتلمذ على أيدي أساتذة آخرين في أسفاره الى اصفهان وطهران وهذه اشارة الى طائفة منهم:

١ - آية الله الميرزا محمد مهدي الكلباسي[٣].

٢ - آية الله مير محمد علي الكاشاني (المتوفى سنة ١٢٩٤ هـ) وهو والد زوجته[٤].

٣ - الشيخ محمد الاصفهاني[٥].

٤ - الحاج ملّا هادي مدرسي الطهراني (المتوفى سنة ١٢٩٥ هـ).

٥ - ملّا عبد الهادي الطهراني[٦].

٦ - ميرزا محمد الاندرماتي[٧].

٧ - الحاج ميرزا ابو القاسم الطهراني «كلانتر» (١٢٣٦ - ١٢٩٠ هـ)[٨].

---

(١) المصدر السابق: ٧٥ - ٧٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣)

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه، ١٥١.

(٦) المصدر نفسه، ١٠٨.

(٧) المصدر نفسه، ١٥١.

(٨) المصدر نفسه، ١٥٠.

البحث عن الشمس

بعد حصوله على اجازة في الاجتهاد شدّ الرحال الى العراق لزيارة العتبات المقدسة والاستزادة من العلم والمعرفة في مدينة باب مدينة العلم النجف الأشرف حيث الشيخ مرتضىٰ الأنصاري العلم الذي على رأسه نار ولكن القدر كان له شأن آخر فقد توفي الشيخ الأنصاري فشعر بالحزن الشديد، أقام في مدينة كربلاء ليتتلمذ على يد الفقيه المعروف آية الله المولىٰ محمد حسين المشهور بالفاضل الأردكاني[١].

وبعد مدّة ذهب الى النجف الأشرف ليعود من هناك الى ايران والى مسقط رأسه كاشان ولكن ما إن سمع بوجود عالم في كلبايكان حتى شدّ الرحال الى هناك، حيث تتلمذ على يد المرحوم ملّا زين العابدين الكلبايكاني، وكان المرض قد أقعده حتى انه لم يكن يقدر على مغادرة المنزل، وكانت استفادته من أخلاقه أعظم من فيض علمه فلم يكن المرض يسمح له بالتدريس والمباحثة ولكن أحاديثه ووصاياه كانت مشاعل مضيئة أنارت درب ملّا حبيب الكاشاني[٢].

وبعد أن استقر في مدينة كاشان وبالرغم من قلة الامكانات الّا انه انصرف الى التأليف والتصنيف والبحث والتحقيق.

وكان يمارس التدريس الى جانب نشاطه التحقيقي اضافة الى الوعظ والارشاد والافتاء، وما يزال المسجد القديم (ميرزا مقيم) الذي يعرف الآن بـ «مسجد ملّا حبيب الله شريف» يذكر بنشاطه ومساعيه ومناجاته في جوف الليل.

كانت حياته تمتاز بالبساطة مطبوعة بالزهد في حطام الدنيا وهذه وصيته

(١) المصدر نفسه / ١١٢.

(٢) المصدر نفسه، ١٠٦ - ١٥١.

تشهد على زهده واعراضه عن حب الدنيا بكل بهارجها وزخرفها[١].

وعندما توفي لم يخلف وراءه ذهباً ولا فضة ولا أرضاً ولا مزرعة ولا دكاناً الّا كتبه التي لا يحب في الدنيا شيئاً سواها وعلى ما ورد في آخر وصيته من شعر: العالم وما فيه عدم في عدم وخواء في خواء[٢].

في ميدان السياسة

كان آية الله شريف الكاشاني يولي أهمية فائقة للمسائل العلمية بعيداً عن ضوضاء الحياة وصخبها لكنه لم يكن منزوياً بعيداً عن هموم السياسة لكنه كان يستند الى مبادىء الاسلام في تحديد مواقفه من قضايا لبلاده، فقد شارك مثلاً في حركة المشروطة بقيادة علماء الدين، أوعز الى تلميذه وصهره ملّا عبد الرسول المدني الكاشاني أن يؤلف كتاباً حول المشروطة تحت عنوان «رسالة الانصافية» وقدم آية الله شريف الكاشاني بالتقديم للكتاب الذي فُرغ منه في محرم سنة (١٣٢٨ ﻫ) وقد أيد ما ورد فيها من أفكار وأنها تطابق الشريعة[٣].

ومن الوثائق التي تعزز اهتمام ملّا حبيب الله الشريف الكاشاني بالسياسة كتابه «المسائل» الذي تضمن اجوبته ومواقفه وفتاوىٰ حول مسائل مهمة في طليعتها الحركة الدستورية (المشروطة) غير انه وبعد أن ظهر الانحراف في المشروطة حدد أية صلاحيات حبيب الله موقفه منها واصطف مع المعارضين وله أشعار يذكر فيها معارضته تلك[٤].

---

(١) انظر مجلة نور علم العدد ٥٤ آية الله رضا استادي.

(٢) المصدر السابق.

(٣) رسالة الانصافية طبعة حجرية / ١.

(٤) رباعيات المرحوم آية الله شريف، ١٦.

وكان له حضور فاعل في تشكيل مجلس مدينة كاشان ما يعزّز البعد السياسي في شخصيته[١].

والى جانب البعد العلمي والبعد السياسي في شخصيته فقد كان هناك بعد عرفاني انعكس في أشعاره التي يتفنىٰ فيها بالمحبوب، وشوقه اليه معتبراً الحياة مجرد قيود وأغلال، ومجرد أوهام لا يكترث لها أهل العلم[٢].

حروف ونقاط

١ - ذات ليلة دخلت المسجد قبل صلاة الفجر أناجي ربّي وأتضرع اليه فإذا أنا أسمع صوتاً «الهي ما الذي ستفعله بعاقبة حبيب»[٣].

٢ - رزق الله شرف الكاشاني من الذرية فقد جاء في وصيته أسماء أحد عشر ولداً وهذه عائلة كبيرة ولم يكن يأخذ من الحقوق الشرعية لأسرته وكان يأبىٰ ذلك[٤] وقد جاء في مقدمة كتابه «جل النواهي» ان ترجمة هذا الكتاب برأسمال علمي ضئيل وضيق ذات اليد وعاديات الزمن ابتلتنى بالفراق، وقد أصابني فقدان اثنين من ولدي في ليلتين متتاليتين والمشكلات تستهدفني بسهامها ولله الحمد على كل حال ولا يحمد على العقبىٰ سواه.

٣ - عاصر شريف الكاشاني فترة من ظلم الظالمين في كاشان وكان يستدعي ما شاء الله خان فكان يعظه بين المدّة والأخرىٰ لعله يخفف من ظلم الظالمين[٥].

---

(١) تاريخ اجتماعي كاشان حسن النراقي، ٣٠٣ - ٣٠٥.

(٢) انظر: مثنوي تشويقات السالكين، ٩١؛ مجموعة أشعار، ٤٢٣؛ مثنوي تنبيهات الغافلين، ١٦٢؛ مجموعة شكايت نامه، ٤٥٥.

(٣) أحمد شريف.

(٤) أحسن التراتيب، ١١.

(٥) راجع الفهرست، آية الله شريف، ١٧.

٤ - كان شريف الكاشاني أسوة في العلم والحلم، وكان يجادل بالتي هي أحسن وله كتاب «النجم الثاقب» يردّ فيه على فرقة «الشيخوخة» يعكس فيه أخلاق في الحوار وأدبه في النقاش والجدال(١).

٥ - كان حرّاً في التفكير، ولم يكن يجامل في مناقشة أفكار عمالقة الفكر مهما بلغت مرتبتهم فكان يبدي رأيه بصراحة، كما انه يوصي بتأمل أفكار العلماء مهما كانت أسماءهم دون رهبة، فقد ناقش أفكار الفيض الكاشاني في كتابه «المفاتيح» ليقول صراحة ان حسن الظن بأفكار السلف يصرف الانسان عن التأمل في ما كتبوه، وأن الخطأ يأتي من عدم التأمل(٢).

تلامذته ومريدوه

التف حوله جمع من الطلاب والتلاميذ نبغ منهم العديد من الأعلام وهذه طائفة منهم:

١ - السيد محمد العلوي البروجردي الكاشاني (المتوفى سنة ١٣٦٢ هـ).

٢ - السيد محمد حسين الرضوي (١٢٩١ - ١٣٥٨ هـ).

٣ - الميرزا أحمد العاملي الآراني (١٢٨٠ - ١٣٦٩ هـ).

٤ - ملّا عبد الرسول المدني الكاشاني (١٢٨٠ - ١٣٦٦ هـ). (وهو من أبرز تلامذته وصهره الأكبر).

٥ - مير سيد خليل الله الفقيه (المتوفى سنة ١٣٩٠ هـ).

٦ - محمد الغروي الكاشاني (١٣١٣ - ١٣٩٨ هـ).

٧ - السيد فخر الدين امامت (١٢٩٢ - ١٣٩٢ هـ).

---

(١) النجم الثاقب، ٥.

(٢) ألباب الألقاب، ١٠ - ١١.

٨ - الشيخ محمد السليماني (١٢٨٧ - ١٣٧٨ هـ).
٩ - رضا المدني الكاشاني (١٣٢١ - ١٤١٢ هـ)[١].

آثاره

من خصائص آية الله شريف الكاشاني تنوع مؤلفاته وكثرتها فقد ألف ما يربو على الثلاثمئة كتاب ورسالة ضبط منها ما يناهز المئتي كتاب، فقد جاء في كتابه «لباب الألقاب» الذي ألفه قبل ٢١ سنة من وفاته أسماء ١٣٥ كتاباً[٢].

وفيما يلي قائمة بأسماء بعض مؤلفاته:

١ - منتقد المنافع في شرح المختصر النافع: وهو في طليعة ما ألف حتى عدّه بعض الفقهاء موسوعة في الفقه الشيعي[٣].

وهو يشتمل على الروايات الفقهية لأنها تشكل قاعدة أساسية في الاستنباط ولذا فهو يختلف عن الكتب الفقهية الأخرىٰ التي تستند الى القواعد الأصولية حيث لا يرى مؤلفوها حاجة الى الروايات.

ومعظم الروايات في الكتاب واردة مع سندها مع اشارة الى قوتها وضعفها مع ذكر لآراء الفقهاء ما أمكن ذلك مع عدم الاكتفاء بالتقوّلات عنهم[٤].

أما سائر مؤلفاته فهي كما يلي موزعة موضوعية:

---

(١) انظر تذكرة الشعراء، ١٢٠؛ سيماي كاشاني، الآراني، ١٧٧.
(٢) لباب الألباب، ١٥٣.
(٣) جريدة كيهان، مقابلة مع السيد حسين شريف ١٨ / ٩ / ١٣٧٤ هـ ش.
(٤) منتقد المنافع، المقدمة.

في الأخلاق

- نصحيت نامه «شعر».
- شكايت نامه «شعر».
- الوقاعد البانية.
- صراط الرشاد.
- البارقات الملكوتية.
- حكم المواعظ.
- جوهر المقصود.
- مصابيح الصائمين.
- مقدمة التعليم والتعلم.

في الأصول

- النخبة الرفيعة.
- تعليقات على مقدمة الفصول.
- رسالة في الاستصحاب.
- رسالة في حجة الظن.
- شرح مفتاح الأصول.
- شرح منظومة اصول الفقه.
- مراحل الأصحاب.

في التراجم

- لباب الألقاب.

في الأدب

- منتخب المقالات من كتاب المقامات.
- بدر البلاغة «في الخطب».
- شرح قصيدة الحميري.
- شرح لامية العجم.
- منتخب درة الغواص.

في التفسير

- درّة الدّرر «تفسير سورة الكوثر».
- الأنوار السانحة «تفسير سورة الفاتحة».
- بوارق القهر «تفسير سورة الدهر».
- تفسير سورة التوحيد.
- تفسير سورة الجمعة «عربي».
- تفسير سورة الجمعة «فارسي».
- تفسير سورة الفتح.
- تفسير سورة الأعلى.
- تفسير سورة الملك.

في التاريخ

- تذكرة الشهداء.

في الكلام

- تعليقات على اعتقادات صدوق.
- شمس المشارق «شرح الباب الحادي العشر».
- رجوم الشياطين.
- رسالة في الرجعة.
- الجوهر الثمين «شعر».

في الفقه

- شرح على قصاص وديات مفاتيح الفيض.
- منظومة في الفقه.
- رسالة في أفعال الحج.
- منتقد المنافع ج ١.
- منتقد المنافع ج ٢.
- منتقد المنافع ج ٣.
- منتقد المنافع ج ٤.
- منتقد المنافع ج ٥.
- منتقد المنافع ج ٦.

- منتقد المنافع ج ٧.
- منتقد المنافع ج ٨.
- منتقد المنافع ج ١٣.
- مغانم المجتهدين.
- القول الفصل.
- القصاص والديات.
- مجمع الحواشي.
- مسائل الأحكام.
- مسائل الأفعال.
- مستقصى مدارك القواعد.
- المكاسب.
- منتخب القواعد.
- ذريعة الاستغناء في مسألة الغناء.
- رسالة في أفعال الصلاة.
- رسالة في تحقيق حكم العصير.
- رسالة في الرضاع.
- رسالة في الشكيات.
- رسالة في الشكيات.
- رسالة في عدم جواز الصلح عن حق الرجوع مطلقاً.
- رسالة في مسائل الاجتهاد والتقليد.

- رسالة في المعاطاة.
- رسالة في المعاملات الفضولية.
- رسالة في الارث.
- انتخاب المسائل.
- ايضاح الرياض.
- تسهيل المسالك.
- تعليقة على تمهيد القواعد.
- حاشية على رسالة زينة العباد.
- حاشية على رسالة مجمع المسائل.
- حاشية على رسالة الشيخ جعفر الشوشتري العملية.
- حاشية على رسالة آقا باقر البهبهاني.

في العرفان

- أسرار العارفين.
- ساقي نامه «شعر».
- الكلمات الجذبية.
- تشويقات السالكين.
- درة اللاهوت.
- رياض العرفان «شعر».
- ترجيح بند.
- تنبيهات الغافلين «شعر».

في الأدب والعرفان

- الدر المكنون «شرح ديوان مجنون».

في النحو

- الوجيزة في الكلمات النحوية.
- منظومة في النحو.
- مصابيح الظلام.
- مصابيح الدجى «شرح السيوطي».
- حديقة الجمل.
- حقائق النحو.
- درة الجمان «منظومة».
- التذكرة في النحو.
- حاشية على شرح قطر الندى في النحو.

في شروح الأدعية

- تبصرة السائر.
- مفتاح السعادة.
- معارج (مصاعد) الصلاح.
- جذبة الحقيقة.
- شرح دعاء السحر.
- شرح دعاء العديلة.
- جنة الحوادث «شرح زيارة وارث».

- شُعل الفؤاد.
- عقائد الايمان.
- الملهمة القدّوسية.
- السرالمستسر «طلسمات».
- شرح دعاء الجوشن الصغير.
- شرح دعاء صنمي قريش.
- شرح زيارة عاشوراء.
- شرح الصحيفة السجادية.
- اكمال الحجة في المناجاة.

في الملل والنحل

- توضيح السُبُل.

في العلوم الغريبة

- القواعد الجفرية.
- رسالة في علم الجفر.
- اصطلاحات أصحاب الجفر.

في التجويد

- العشرة الكاملة.

في الشعر

- ساقي نامه «مدح أمير المؤمنين».
- القصائد.
- حديقة الأسرار.

في فضائل أهل البيت عليهم السلام

- ذريعة المعاد.
- وسيلة المعاد.
- مجالس الأبرار.
- شرح الأربعين.

متفرقة

- كشف السحاب «شرح الخطبة الشقشقية».
- النخبة المجموعة.
- قواميس الدرر ج ١.
- قواميس الدرر ج ٢.
- لباب الفكر (منطق).
- هداية الضبط (في الخط).
- نخبة البيان (علم البيان).
- منظومة في الصرف (صرف).
- جمل النواهي (شرح أحاديث).
- توضيح البيان في تسهيل الأوزان (رياضيات).

- رسالة في آداب يوم الجمعة (فقه وأخلاق).
- فضائل وآداب الأعياد الشرعية (فقه وأخلاق).
- شرح القصيدة الخمسة.
- شرح قصيدة الفرزدق.
- شرح المناجاة الخمسة عشر.
- فضيحة اللئام.
- الفهرست.
- فهرست الأمثال.
- قبس المقتبس (شرح أحاديث).
- لب النظر (منطق).
- المقالات المخزونة.
- منتخب الأمثال (أمثال).
- منتخب قواميس الدرر.
- أسرار الأنبياء (أحاديث).
- الأسرار الحسينية.
- اصطلاحات الصوفية.
- خواص الأسماء (شرح أسماء).
- ديوان الأشعار.
- رباعيات.
- رسالة في معنى الصلاة على محمد.
- رسالة في علم المناظرة (مناظرة).
- رياض الحكايات (قصص).

في ذمة الخلود

بعد عمر ناهز الثمانين سنة قضاها في طلب العلم والتحقيق والتأليف لبى دعوة الحق في جمادى الثانية سنة (١٣٤٠ هـ) ودفن جثمانه الطاهر في مزار «دشت افروز» في كاشان وأصبح ضريحه مزاراً للمؤمنين.

له خمسة بنين وسبع بنات وهم:

١ - حجة الاسلام حسين شريف (توفي سنة ١٣٧٨ هـ).

٢ - حجة الاسلام مهدي شريف (توفي سنة ١٣٧٥ هـ).

٣ - حجة الاسلام أحمد شريف (توفي سنة ١٤٠٠ هـ).

٤ - علي شريف المعروف بآية الله زادة (توفي سنة ١٣٦٣ هـ ش).

٥ - حجة الاسلام محمد شريف الكاشاني وما يزال حيّاً.

محمد مهدي الخالصي / المتوفى سنة ١٣٤٣ هـ

ولد آية الله الخالصي في الكرخ[١] والده الشيخ حسين وجده الشيخ عـزيز وكلاهما من العلماء[٢].

يعد آية الله العظمى الشيخ محمد مهدي الخالصي[٣] واحداً من أبرز الشخصيات في عصره. كان له مشروعه الاصلاحي وعرف بتحركه السياسي[٤].

درس في مدينة النجف الأشرف والكاظمية وتتلمذ على أيدي أبرز أساتذة الحوزات العلمية في المدينتين المقدستين[٥].

وفي طليعة أساتذته الميرزا حبيب الله الرشتي، الآخوند الخراساني والميرزا الشيرازي[٦].

الدين والسياسة

ينظر آية الله الخالصي الى السياسة باعتبارها جزءاً من الدين، ولهذا كان يتابع ما يجري في بلده العراق ولهذا أمضىٰ سنوات طويلة من عمره في جهاد

---

(١) معارف الرجال، محمد حرز الدين ٢ / ١٤٧.

(٢) أعيان الشيعة ١٠ / ١٥٧.

(٣) تقع مدينة خالص شرق بغداد على شاطئ النهر «مراصد الاطلاع، منتهى الارب، ماده خالص»..

(٤) انطلاقاً من أن «السياسة وهو القيام على الشيء بما يصلحه» مجمع البحرين ٢ / ٤٦٨.

(٥) معارف الرجال، ١٤٧ - ١٤٩.

(٦) المصدر نفسه.

المستعمرين وبخاصة القدرة الاستعمارية الأكبر يومذاك وهي بريطانيا ولكن هذا لم يكن يصرفه عن جهوده العلمية.

آثاره العلمية

ترك آية الله الخالصي وراءه تراثاً علمياً نشير الى أبرز مؤلفاته:

– بيان تصحيف المنحة الالهية عن النقثة الشيطانية[١].

– حاشية الألفية[٢].

– حاشية على «الرسالة في تداخل الأغسال» أثر المحقق الأول[٣].

– الشريعة السمحاء في أحكام سيد الأنبياء: «وهو الرسالة العملية للخالصي»[٤].

– تلخيص الرسائل[٥].

– حاشية كفاية الأصول[٦].

– الدراري اللامعات في شرح النظرات والشذرات[٧].

– الحسام البتار في جهاد الكفار: وهو مجموع مقالاته في وجود جهاد المحتلين الانجليز في الحرب العالمية الأولى وقد نشرت في جريدة «صدى الاسلام»[٨].

---

(١) الذريعة ٣ / ١٧٧.

(٢) أحسن الوديعة، ١٢٥.

(٣) الذريعة ٢٤ / ١٧.

(٤) المصدر السابق ١٤ / ١٨٦.

(٥) أعيان الشيعة ٣ / ١٥٧.

(٦) فهرست الكتب العربية المطبوعة، ٢٩٣.

(٧) الذريعة ٨ / ٥٢.

(٨) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، علي الوردي ٤ / ١٣٠.

- الوجيز في المواريث[١].
- عناوين الأصول.
- مختصر الرسائل العلمية والأصول الدينية[٢].
- القواعد الفقهية.
- ردّه على الشيخ محمد حسن في مسائل التقليد[٣].
- أشعاره وهي تربو على ألف بيت في علوم العربية.

حياته السياسية

- كان للشيخ محمد مهدي الخالصي دوراً فعالاً في الحوادث السياسية من قبيل حركة المشروطة (الحركة الدستورية) وتأسيس الحياة النيابية في ايران واسطنبول[٤].

وقد برز دوره في الحرب العالمية الأولى[٥] واحتلال العراق والحوادث التي أدت فيما بعد الى تنصيب فيصل الأول ملكاً على العراق.

وكان الخالصي معروفاً بمواقفه المناهضة للاحتلال البريطاني في العراق شأنه شأن سائر علماء الدين الشيعة وقد نشر سلسلة مقالات في جريدة «صدى الاسلام»[٦] تحث الناس على النهوض ضد الاحتلال، وكان يسعىٰ من خلال ترتيب لقاءات بين علمّاء الدين في الكاظمية من أجل الخروج بنظرية مشتركة واعلان الفتوى الجهادية ضد العدو ولكن لم يصل الى نتيجة فاضطر الى أن يضع

---

(١) الذريعة ٢٥ / ٥٢.
(٢) أعيان الشيعة، ١٥٧.
(٣) معارف الرجال، ١٥٠.
(٤) موسوعة العتبات المقدسة ٩ / ١٣٩.
(٥) بدأت الحرب الأولى من ١٩١٤ م وحتى سنة ١٩١٨ م.
(٦) لمحات اجتماعية ٤ / ١٣٠.

استراتيجية مع مؤيديه للمواجهة المسلحة بل انه قاد بعض نقاط المواجهة في جبهات الحرب[١].

عمت المقاومة الشعبية بقيادة العلماء كل أنحاء العراق واستطاع الشعب العراقي أن ينزل ضربات قوية بالاحتلال فقد تمكنت العشائر العراقية بقيادة علماء الدين أن تقاوم التقدم البريطاني في الكوت مدّة ثمانية عشر شهراً ولكن هزيمة الجيوش العثمانية وتراجعها في معظم الجهات وهزيمة المانيا أدى الى سقوط العراق تحت نير الاحتلال البريطاني[٢].

العراق بعد الاحتلال

أصبح العراق بعد الاحتلال وانتهاء الحرب العالمية الأولى سنة (١٩١٨ م) جزءاً من المستعمرات البريطانية وكان السير بيرسي كوكس الحاكم السياسي للعراق وهو من الشخصيات البريطانية المعروفة حيث منح صلاحيات مطلقة في التشريع والتنفيذ[٣].

في أواخر (١٩١٨ م) اختير السير برسي كوكس وزيراً مفوضاً وبعث الى ايران لتمرير اتفاقية (١٩١٨ م) بين حكومة وثوق الدولة في ايران وبريطانيا ولهذا عيّن «أربنولد ويلسون» حاكماً سياسياً على العراق، وقد بذل جهوداً كبيرة من أجل ارساء مؤسسات تنسجم والمصالح البريطانية في العراق، ولكن الحظ لم يحالفه لهذا فكرت بريطانيا اعادة السير برسي كوكس ولكن الأخير كان ما يزال يعالج اتفاقية (١٩١٩ م) ومحاولة تمريرها في ايران فتأخر موعد عودته[٤].

---

(١) مجلة آفاق عربية، ٣٣ بالاستناد الى «نظرة الى تاريخ الثورة ١٩٢٠ في العراق، ٦.

(٢) المصدر السابق، ١٣ – ١٦.

(٣) المصدر السابق، ٢٢.

(٤) المصدر السابق، ٢٤.

تشكيل حكومة التبعية

في ٣٠ تشرين اكتوبر سنة (١٩١٨) أبرقت الحكومة البريطانية الى «ويلسن» تطلب منه أن يسأل الشعب العراقي ثلاثة أسئلة:

١ - موقف الشعب العراقي من تشكيل حكومة عربية يشرف عليها الانجليز.

٢ - عقيدتهم بأن يكون رئيس هذه الحكومة أحد أعضاء أسرة الشريف.

٣ - وفي حالة وجود موافقة على السؤال الثاني من هو الشخص المطلوب.

ان هذه الاقتراحات الثلاثة ملزمة لويلسن الذي راح يعمل على معرفة ذلك.

ولهذا أوعز ويلسن الى حكام الألوية (المحافظات) الى عقد جلسات سرّية محلّية لمعرفة آراء الناس والعمل أن يكون ذلك منسجماً مع ما تريده لندن.

ارهاصات ثورة العشرين

وبالرغم من ان المسؤولين الانجليز والشخصيات المحلية كانوا يهدفون الى فرض ارادة بريطانيا على الشعب العراقي الاّ ان اعتراضات شديدة برزت في المدن الهامّة في العراق وفي طليعتها النجف، كربلاء، الكاظمية وبغداد وقد رافق تلك الاعتراضات وقوع أعمال عنف وجاءت نتائج الاستفتاء في مصلحة الانجليز وقد أدّت هذه الاجراءات الى بذر روح الثورة في الشعب العراقي والتي انفجرت سنة (١٩٢٠ م).

النواة المركزية للثورة

توفي المرجع الشيعي آية الله اليزدي عام (١٩١٩ م) ليخلفه على المرجعية

الدينية آية الله محمد تقي الشيرازي وكان يسكن مدينة سامراء يومئذ(١).

وبعد ذلك سافر الشيرازي الى كربلاء وقام باستدعاء آية الله الخالصي في سنة (١٣٣٧ هـ) للتشاور معه في الشؤون الدينية والسياسية وسيبقىٰ هناك حتى حزيران سنة (١٣٣٨ هـ) ليعود بعدها الى الكاظمية(٢).

وكان آية الله الشيرازي قد جمع حوله مجموعة من الشخصيات للتشاور معها في الشؤون السياسية وهم كل من آية الله السيد أبو القاسم الكاشاني والسيد محمد علي الشهرستاني والميرزا أحمد الخراساني اضافة الى نجله المدعو محمد رضا لقد كان هؤلاء بمثابة الساعد الأيمن للميرزا محمد تقي الشيرازي في كل المنعطفات والأزمان التي مرّ بها آنذاك(٣).

أسباب الثورة ونتائجها

كان ويلس يعتقد ان سياسة استخدام القوّة في اجراء الاستفتاء سوف يخدم أسياده لكن ذلك أدى اشعال لهيب الثورة التي اندلعت سنة ١٩٢٠ م والتي عمت العراق من أقصاه الى أقصاه(٤).

وجاءت الثورة في وقت كان الانجليز قد انشبوا مخالبهم في الشرق الأوسط كقوّة استعمارية ونهب خيرات البلدان المستعمرة.

وقد ثار الشعب العراقي ليواجه أعتى قوة عسكرية يومذاك ولم يكن يملك سوىٰ أسلحة قديمة جداً.

---

(١) لمحات اجتماعية القسم الأول ٥ / ٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ٦٣.

(٣) الحقائق الناصعة، فريق مزهر آل فرعون وبعد هذا الكتاب في طليعة ما ألف عن ثورة العشرين والمؤلف اشترك في الثورة وظل مدّة عشرين سنة يبحث عن وثائقها ١ / ٩٥.

(٤) نظرة في تاريخ ثورة ١٩٢٠ في العراق، ٣٨.

وبالرغم من ان المجاهدين لم يحققوا النصر التام في الثورة الاّ ان ذلك أدّىٰ الى أن يغيّر الانجليز سياستهم المتغطرسة وهذا ما انعكس واضحاً بعد عودة السير برسي كوكس الذي صرح بأنه عاد ليؤسس دولة عربية مستقلة في العراق وأنه لا ينتظر سوى انطفاء نار الحرب. كما اضطرت بريطانيا أن توافق ولو في الظاهر على أن تعترف بالعراق كدولة مستقلة والموافقة على تشكيل حكومة وطنية[١].

تشكيل الحكومة

كانت أول خطوة على تأسيس الحكومة وهو تشكيل وزارة مؤقتة برئاسة نقيب الأشراف في العراق عبد الرحمن الجيلاني[٢] والذي قام بانتخاب وزراء من بين العراقيين ليكون مع كل وزير مستشار انجليزى ولكن الحقيقة ان الوزير الفعلي هو المستشار ولم يكن الوزير العراقي الاّ واجهة فقط[٣].

لقد استطاع كوكس تشكيل حكومة تبعية موالية لبريطانيا بل هي في الحقيقة تابعة لها تماماً وقد حاول أن يزجّ داخلها بعض الشخصيات الشيعية ولكن الخالصي أصدر فتواه بتحريم المشاركة في الحكومة واعتبار ذلك تعاوناً مع الكافر واثر ذلك أعرض الكثير من الشيعة عن تسنم مناصب حكومية في الدولة العراقية[٤].

وبعد تشكيل الوزارة العراقية قرر كوكس تنصيب شخص معتدل ليكون ملكاً على العراق وانتخب فيصل حيث حاولت الدعاية الانجليزية تقديمه

---

(١)
(٢) لمحات اجتماعية، ٦ القسم الأول، ٢٠ - ٢١.
(٣) المصدر السابق ١٠١ - ١١٠.
(٤) المصدر السابق، ٨٧.

كشخصية وطنية.

ولدىٰ وصول فيصل الى مدينة البصرة أقسم بالنبي وآله انه سيعمل لرضا الله ولمصلحة البلاد[١] وهكذا فعل في المدن التي مرّ بها أثناء رحلته كالنجف وبغداد وهكذا تمكن من كسب تعاطف شعبي ولم يكن هناك من مشكلة تواجه سوىٰ وجود آية الله الخالصي.

مشكلة فيصل الكبرىٰ

كان آية الله الخالصي يعرف فيصل والملك حسين وعبد الله ويعرف مدىٰ خدمات هذه الأسرة للانجليز، وكان فيصل هو الآخر يعرف ان كسب الخالصي الى جانبه سيكون ورقة رابحة ولهذا راح يسعىٰ الى ارساء علاقة وثيقة مع الخالصي، وفي النهاية قرر الخالصي عدم مواجهة الملك فيصل آخذاً بنظر الاعتبار بعض المصالح ويذكر ابنه الشيخ محمد الخالصي ان فيصل يدرك ان عدم تبعية الخالصي له ستسبب له العديد من المشاكل، لأن فيصل لم يكن فزاعة لخداع الشعب العراقي، كان فيصل يدّعي انه يعمل لتحرير بلاد المسلمين وكان لا ينفك يزور الخالصي مدرسة الكاظمية وقد ذكر مرّة انه لم يأت الى العراق الّا من أجل تحريره من التسلط الانجليزي وأن هذا الأمر لا يتم الّا ببيعتك لي فأجاب الخالصي أبايعك على أن لا يكون هناك ضرر على استقلال العراق والّا فخلّ بين الشعب العراقي وبين الانجليز ليأخذ حقوقه من المعتدين. فقال فيصل على الفور: نعم وحينئذ وضع الخالصي يده بيد الملك ولكي يكون الاتفاق رسمياً أقسم بالقرآن على ذلك وأن اذا أحدث خللاً بالعهد فانه يترك العراق بأقل إشارة من

---

(١) المصدر السابق، ٤٣ – ٤٤.

الخالصي، وبعد أن غادر الملك المدرسة جاء الابن ليقول الى والده: ان هذا الرجل أول من فرّق وحدة المسلمين وساعد أعداءهم فكيف تقبل قوله وتبايعه حتى لو أقسم ألف مرّة فانه لن يفي بوعده وعهده. فقرأ الأب قوله تعالى: **﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّاً وحزنا﴾**[١] ربما انتخب الانجليز أسرة الشريف من أجل مصالحهم ولكن الله سيجعل منه نصيراً للمسلمين وعدواً للانجليز.. وعندما انفض الناس استدعى ابنه ليقول له: ان فيصل أحطّ مما قلت أتظن أنك تعرف أكثر مما أعرف؟! لكني خشيت أن يوقع الناس سند عبوديتهم وتضيع حقوقهم فرأيت أن أعلمهم كيف يبايعون وحتى يبقى حقهم محفوظاً[٢].

فيصل ملكاً على العراق

بعد مبايعة الخالصي فيصل ملكاً على العراق، قام السير برس كوكس باعداد بروتوكول وطلب من الحكومة عرضه على الرأي العام يذكر مؤلف كتاب «العراق دراسة في التطور السياسي: كان البروتوكول في ظاهره صياغة حكومية ولم يحز قبول الشيعة في بغداد وكان ذلك بسبب بروتوكول الشيخ مهدي الخالصي - أحد كبار علماء الشيعة[٣].

---

(١)

(٢) المصدر السابق بتصرف، ١٠٧ - ١٠٩.

(٣) جدير ذكره ان الشيخ مهدي الخالصي بعد بيعته الملك فيصل في مدرسة الكاظمية حرّر وبأمر فيصل نص ذلك ونشر في الجرائد: بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي، الحمد لله الذي نشر لواء الحق على رؤوس الخلق فأيدهم بالنصر برئاسة من حاز الشرف والفخر، الملك المطاع الواجب له علينا الاتباع الملك المبجل عظمته مليكنا فيصل الأول - دامت شوكته - نجل جلالة الملك حسين الأول - دامت دولته - فاحكموا بيعته وابرموا طاعته وامتحنوا باسمه مذعنين لحكمه. ونحن ممن اقتفىٰ هذا الأثر وبايعه في السرّ والجهر على أن يكون ملكاً على العراق مقيداً بمجلس نيابي منقطعاً عن سلطنة الغير مستقلاً عن بالأمر ←

وقد شدّد الخالصي في بيانه على ابتعاد الملك عن هيمنة وسلطة الغير وطلب تشكيل مجلس نيابي يقيد صلاحيات الملك وقد نشر البيان في الصحافة البغدادية في ٢٨ تموز من سنة (١٣٣٩ ﻫ) وفي ٢٩ تموز وعندما عرض البيان الجديد على مجلس النواب وافق ٦٦ عضو على الاتفاق من أصل ٦٦ عضو باشتراط شرطين: أولاً العراق دولة مستقلة وبعيدة عن نفوذ وسلطة الأجانب. الثاني تشكيل مجلس تشريعي بعد توقيع البيان بثلاثة أشهر[١]. وهكذا حاز فيصل ٩٦ ٪ من مجموع الآراء ليتربع على عرش المملكة العراقية في نفس العام (١٣٣٩ ﻫ) وتوّج ملكاً على العراق وقد ألقىٰ خطاباً بهذه المناسبة أظهر فيه تبعيته لبريطانيا[٢].

بدء الخيانة[٣]

بعد أيام من حفل التتويج طلب فيصل الأول ايجاد علاقات رسمية بين العراق وبريطانيا ضمن معاهدة لا يرد فيها ذكر لقيمومة الانجليز على بلاده وبالرغم من موافقة المسؤولين البريطانيين على الاقتراح ولكنهم أعدوا مسودّة معاهدة تضمنت بشكل غير مباشر نوعاً من الاشراف البريطاني على شؤون العراق وقد أثار ذلك معارضة شعبية شديدة، وقد صادق الوزراة العراقية على النص النهائي للمعاهدة في ٢٥ حزيران سنة (١٣٣٩ ﻫ).

وفي ٢٦ حزيران زار العديد من رؤساء العشائر العراقية وعلماء الكاظمية

← والنهي ولله الأمر ٧ ذو القعدة (١٣٣٩ ﻫ) الراجي عفو ربه محمد مهدي الكاظمي عفي عنه. المصدر نفسه / ١٠٦ - ١١٠ وقد أورد حسن العلوي قضية بيعة آية الله الخالصي لفيصل على نحو آخر. انظر الشيعة والدولة القومية / ٣٣٩ - ٣٤٠.

(١) موسوعة العتبات المقدسة ٩ / القسم ١ / ٢٩١.

(٢) للمزيد انظر لمحات اجتماعية ٦ / القسم الأول / ١١٩.

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر: المصدر السابق، ١٦٢ وما بعدها.

آية الله الخالصي وتحدثوا حول المعاهدة المذكورة والتي تعني رهن استقلال العراق لبريطانيا. وقال الخالصي في خطابه ان هذا يعني إخلالاً واضحاً في شروط البيعة لفيصل وبالتالي تعد البيعة ملغاة. وفي ٢٧ حزيران تصاعدت المعارضة الشعبية في الكاظمية وبغداد لفيصل والانجليز وقد وصل تقرير الى كوكس يفيد ان العشائر تستعد للثورة من خلال تنظيم مظاهرات كبرىٰ، وقد أدت المظاهرات الشعبية بالنهاية الى سقوط وزارة النقيب[١].

في (١٣٤٠ هـ) كانت ذكرى تتويج الملك فيصل خرجت الى الشوارع تظاهرات وقف وراءها الحزب الوطني والنهضة وكانت تطالب فيصل بالغاء الاشراف الانجليزي على العراق ومواجهة الاستعمار.

وقد طلب كوكس من فيصل ان يتخذ موقفاً شديداً من المتظاهرين[٢]، وامتنع فيصل الأمر الذي دفع بكوكس أن يتدخل فأصدر بياناً أعلن فيه توقف نشاط الحزب الوطني والنهضة ونفي زعماء الحزبين وحلق سرب من الطائرات الحربية فوق المناطق العشائرية في محاولة لارهابها وتحذيرها من القيام بأي عمل ضد الحكومة[٣].

وفي ٢٨ آب أرسل كوكس ممثلاً عنه الى آية الله الخالصي والسيد حسن الصدر يطلب منهما ابلاغ ولديهما الشيخ محمد والسيد محمود بضرورة مغادرة العراق خلال ٢٤ ساعة[٤].

وفي عام (١٣٤٠) تشكلت وزارة جديدة برئاسة عبد الرحمن النقيب وقد

---

(١) انظر المصدر السابق، ١٧٩ - ١٨٤.
(٢) المصدر نفسه، ١٨٧ - ١٩٠.
(٣) المصدر نفسه، ١٩٤.
(٤) المصدر السابق، ١٩٥.

وقع فيصل المعاهدة التي أعدّها الانجليز وأثنىٰ عليها قائلاً انها تأتي من أجل تأمين مصالح بريطانيا والعراق وتؤمن للعراق الاستقلال والتقدم الاقتصادي والعمراني للملكة العراقية.

مواجهة المجلس النيابي

واثر تشكيل الوزارة الجديدة بدأ الاعداد لمجلس نيابي جديد من أجل المصادقة على المعاهدة لتأخذ وضعها القانوني والرسمي.

وكان فيصل والانجليز يعتقدون انهم سوف لن يواجهوا مشاكل في الانتخابات ولكن ظهر لهم خطأ ما كانوا يعتقدون، فقد أفتى علماء الكاظمية بحرمة الانتخابات فيما قام الخالصي باصدار فتوى شديدة اللهجة تضمنت حرمة الانتخابات كما قام بالقاء الكلمات في المحافل العامة بيّن فيها انتهاك فيصل للشروط في بيعته، كما أعلن في مدرسة الكاظمية انه بايع فيصل بشروط ولأنه نقض الشروط فليس له في أعناقنا وأعناق العراقيين بيعة[١].

سقوط الوزارة الثانية وتشكيل وزارة ثالثة

وبسبب معارضة العلماء الشديدة للأطماع الانجليزية وفيصل وعجز حكومة النقيب عن تهدئة الوضع واستمرار الصحف بنقد الحكومة سقطت الوزارة[٢] وحينئذ كلّف عبد المحسن السعدون بتشكيل الوزارة الثالثة وعبد المحسن معروف بعمالته للانجليز. وكانت مهمة الوزارة الجديدة اجتياز الأزمة الخائفة بسبب المعارضة الشديدة للعلماء وتحريمهم المشاركة في الانتخابات ولكي

---

(١) انظر المصدر السابق، ٢٠٤.

(٢) المصدر نفسه.

يضمن السعدون اشرافاً مباشراً على الانتخابات النيابية احتفظ لنفسه بحقيبة وزارة الداخلية أيضاً وحتى يضمن لنفسه الفور فقط طلب من كل الدوائر الحكومية التعاون مع الداخلية[١].

كانت عمليات التحضير للانتخابات متوقفة في كل البلاد كما ان الزعماء الذين أبعدوا الى جزيرة هنجام - على بعد كيلومترين من جزيرة قشم - قد سمح لهم بالعودة الى الوطن، وكان ذلك بسبب التهديد التركي لحدود العراق الشمالية واستقالة حكومة لويد جورج في ٢٣ تشرين الثاني (١٩٢٢م) وامتناع الحكومة الجديدة في لندن من توقيع المعاهدة المذكورة مع العراق[٢].

وكانت تركيا تحاول السيطرة على الموصل وضمها الى تركيا، وما زاد الأوضاع وخاصة صدور فتاوىٰ من الخالصي والسيد أبو الحسن الاصفهاني والنائيني بحرمة الدفاع عن العراق أمام التهديدات التركية[٣].

تطورات جديدة

في عام (١٣٤١هـ) وبعد انتهاء التهديد التركي قام السير برسي كوكس باضافة بروتوكول الى المعاهدة وقد وافق فيصل وحكومته وتم التوقيع عليها والبروتوكول قلص مدّة المعاهدة من عشرين سنة الى خمس سنوات.

واثر هذا النجاح اتصل فيصل بزعماء الفرات الأوسط وهي مناطق تعتبر من الناحية الاستراتيجية مصدر تهديد للانجليز - من أجل استئناف العملية الانتخابية وتفاوض معهم حول الموضوع حيث استطاع كسب موافقتهم باستثناء محسن أبو

---

(١) رؤساء العراق، سليم الحسيني، ٣٦ - ٣٧.

(٢) لمحات اجتماعية، ٢١٠ - ٢١١.

(٣) المصدر السابق، ٢١٣ - ٢١٤.

طبيخ، ومبرر أبو طبيخ في امتناعه هو معارضة العلماء وقد ذكر الملك فيصل بأن مسعاه في امتناع العلماء سيكون فاعلاً.

وبعد اتمام المفاوضات أرسل الملك فيصل اثنين من زعماء الفرات الأوسط الى الشيخ الخالصي لسحب فتواه ولكن الزعيمين أخفقا في اقناع الشيخ، الذي جدّد اصدار فتواه السابقة حول تحريم الانتخابات وعندما تم الاستفتاء من المراجع أجابوا ان فتاواهم السابقة ما تزال على قوتها[١] وقد خشيٰ الملك فيصل من موقف محسن أبو طبيخ من مسألة الانتخابات ولذا طلب منه مغادرة العراق لحين عودة الأوضاع الى حالتها العادية ولذا تقرر أن يغادر العراق في ١٤ حزيران (١٣٤١ هـ) نحو سوريا.

قرر الخالصي أن يحول توديع «محسن أبو طبيخ الى تظاهرة في الكاظمية وتهديد فيصل وحكومته بالثورة».

في صباح ١٤ حزيران تدفقت حشود الجماهير الى الصحن الكاظمي في الحرم المقدس حيث حضر الخالصي ومعه جمع كبير من زعماء العشائر وزعماء الثورة وانطلقت شعارات ضد الحكومة وحدثت اشتباكات مع الشرطة.

ومع ان ابعاد محسن ابو طبيخ قد نفذ وعادت الحياة الى طبيعتها العادية الّا ان الحكومة استشعرت خطراً من هذه الحادثة ولذا قررت ابعاد بعض أنصار الخالصي وأولاده لتضع حدّاً لهذا التهديد. وقد كانت القائمة المطلوبة لدىٰ الشرطة مؤلفة من علي نقي الخالصي حفيد شقيق الخالصي وحسن وعلي نجلا الخالصي وسلمان القطيفي وهو من المقربين للشيخ الخالصي[٢].

---

(١) لمحات اجتماعية، ٢١٦ - ٢١٧.

(٢) المصدر السابق، ٢٢٠ - ٢٢١.

اعتقال آية الله الخالصي

لاحظت الحكومة عدم حدوث ردود فعل حول اعتقال أولاد وأنصار الشيخ الخالصي لهذا قرر السعدون اعتقال شخص آية الله الخالصي نفسه فاتصل بالملك فيصل وأخبره بأن الخالصي هو وراء كل تلك الحوادث، فقد كان يحرض علناً في الكاظمية وبغداد على الثورة ضد الحكومة وان الحكومة لن تقف مكتوفة الأيدي ازاءه ولذا من الضروري الاسراع في نفيه مع أولاده مع القطيفي.

وبعد موافقة فيصل اعتقل آية الله الخالصي في ليلة ٢٦ حزيران (١٣٤١ هـ).

حوصر منزل الشيخ الخالصي وكان بامكانه الاستغاثة بالناس لكنه لم يرد اراقة الدماء فسلّم نفسه الى رجال الشرطة. وبعد اعتقال الشيخ الخالصي قامت الشرطة بنقله مع أولاده والشيخ سلمان القطيفي الى قطار البصرة.

ردود الفعل

بعد انتشار نبأ اعتقال آية الله الخالصي أغلقت المحال التجارية أبوابها وتجمعت حشود الجماهير في الصحن الكاظمي وقد قامت الشرطة بارهاب الناس وتفريقهم وأرغمت أصحاب المحال التجارية على فتح محلّاتهم كما برز اختلاف بين العلماء حول الطريقة التي يجب التعامل فيها مع الحكومة وهكذا لم تثمر هذه الحركة شيئاً.

أما ردود الفعل في بغداد فقد كانت كما هي عليه الكاظمية، وفي النجف تعطلت الأسواق وأعلنت الجماهير تضامنها مع آية الله الخالصي كما أعلن العلماء والمجتهدين وقوفهم الى جانبه وان ابعاده عن الوطن هو اهانة لكل المسلمين

ولهذا قرر أبو الحسن الاصفهاني والنائيني عزمهم على مغادرة العراق الى ايران[١] احتجاجاً على اقدام الحكومة بابعاد الخالصي، وبعد وصولهم كرمنشاه انطلقوا الى مدينة قم المقدسة، وكان العلماء المحتجون يقابلون باستقبال شعبي في كل مدينة يصلون اليها أو يمرّون بها وكان بعضهم يلقون بأنفسهم أمام السيارات التي تقلّهم تعبيراً عن استعدادهم للفداء والتضحية.

وفي مدينة الحلّة قاد الشيخ محمد سماكة عالم المدينة ووكيل أحد المجتهدين فيها بقيادة الاحتجاجات اعتراضاً على خطوة السعدون في ابعاد آية الله الخالصي ولكن الاحتجاجات الشعبية خمدت مع اعتقال الشيخ سماكة[٢].

فيصل وزعماء الفرات الأوسط

اثر ابعاد آية الله الخالصي عقد الملك فيصل اجتماعاً في قصره ببغداد ودعا زعماء الفرات الأوسط وهم في طليعة المعترضين والمناهضين للحكومة دعاهم الى العمل، وخلال الاجتماع أقسم الزعماء على طاعة الملك وأيدوا خطوته في ابعاد آية الله الخالصي كما ندّدوا بالمعارضين للحكومة كما أعلنوا انه سيكونون سيوف الملك البتّارة في تأييد سياسته، وظهرت بعض الصحف تسخر من آية الله الخالصي وتندد بالعلماء المعارضين[٣].

---

(١) وقد رافقهما علماء آخرون من بينهم جواد الجواهري، علي الشهرستاني، عبد الحسين شيوا، أحمد الخراساني، حسن الطباطبائي، عبد الحسين الطباطبائي و ٢٥ آخرون. انظر المصدر السابق، ٢٢٩.

(٢) المصدر السابق، ٢٣١ - ٢٣٣.

(٣) المصدر السابق / ٢٣٣ - ٢٣٥.

من البصرة الى مكة

كان قصر السيد جعفر السكن المؤقت لآية الله الخالصي ورفاقه بعد وصوله البصرة وقد برّر المسؤولون الحكوميون اسكانه في هـذا المكـان بسـبب تـوفر الامكانات اللازمة لاقامته ولقد كان ذلك عملاً دعائياً ذلك انهم أُسكـنوا داخـل سرداب القصر ولم يكن مفروشاً فيما كانت درجة الحرارة عالية في ذلك القـيظ اللاهب، كما لم يزودوا لا بالغذاء ولا بالماء وكان المكان مليئاً بالبعوض اضافة الى رائحته النتنة ووجود حراس غلاظ وعنيفين وهذا ما دفع بآية الله الخـالصي ورفاقه الى الاضراب عن الطعام مدّة ثلاثة أيام، وبعدها بدأ التخفيف عنهم قليلاً.

وبعد مدّة نقل آية الله الخالصي ورفاقه الى مدينة جدّة وفي أثـناء الطـريق وصلت مخابرة من قبل الحكومة الايرانية تتضمن دعوته ومـن مـعه الى البـلاد ولكن الشيخ الخالصي اعتذر عن قبول الدعوة بسبب قرب مـوسم الحـج ومـن الواجب أن يزور بيت الله الحرام ثم يقرر في مسألة الدعوة بعد ذلك.

وفي مكة لم يقم آية الله الخالصي بزيارة الملك حسين خلافاً للعادة معتقداً ان العلماء لا ينبغي لهم الوقوف على أبواب الملوك بل الواجب على الملوك زيارة العلماء(١).

محاولة اغتيال

بعد أداء مراسم الحج شدّ الشيخ الخالصي الرحال الى ايران وقد استقبل في بوشهر استقبالاً كبيراً، وأثناء مراسم الاستقبال الجماهيري قام شخص انـجليزي يعمل في شركة نفط ابادان بشق صفوف الناس ليصل الى السيارة التي تنقل آية الله

---

(١) المصدر السابق، ٢٣٩ – ٢٤٣.

الخالصي ثم يشهر مسدسه نحوه ويطلق الرصاص ولحسن الحظ لم يصب الشيخ الخالصي بأية جروح[١]، واثر انتشار خبر محاولة الاغتيال الفاشلة انفجر الغضب الشيعي في تظاهرات عارمة فرقتها قوات الشرطة.

في مدينة قم

بعد اقامته لأيام غادر الخالصي بوشهر الى شيراز ومنها الى اصفهان ثم الى قم المقدسة ملتحقاً بالعلماء الذين غادروا العراق احتجاجاً. ولكن الشيخ الخالصي لم يكن يتفق معهم حول الطريقة التي يجب التعامل بها مع حكومة العراق ولهذا غادر قم الى خراسان.

في مدينة مشهد

وصل الشيخ الخالصي مدينة مشهد في مطلع عام (١٣٤٢ هـ) وبعد زيارته المرقد الطاهر لثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام تفأل بالقرآن الكريم فظهرت له هذه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿بلدة طيبة ورب غفور﴾ فقرر الاقامة في مشهد الى أجل غير مسمّىٰ.

مصلح القرن الرابع عشر

كانت أول خطوة اتخذها الشيخ الخالصي في مشهد تأسيسه «جمعية استخلاص الحرمين الشريفين وبين النهرين» وقد أصدر بياناً بعد التأسيس باللغة العربية دعا فيه المسلمين في الدول الاسلامية الى الالتحاق بهذه الجمعية

---

(١) المصدر السابق، ٢٤٥ - ٢٤٦.

لاستخلاص الأماكن المقدسة في الحجاز والعراق.

ومن أجل تعزيز البنية الاقتصادية والعسكرية لايران وتنمية البلاد ودفعها الى مقاومة القوة الكبرىٰ المتمثلة ببريطانيا أصدر فتوان في شيراز عندما عزم على مغادرتها متوجهاً الى قم وهي أن بامكان الحكومة الايرانية الاستفادة من الخمس والزكاة لتعزيز الانفاق العسكري والتسليح ذلك ان الجيش هو المسؤول عن الدفاع وحماية حدود البلاد وفي مشهد أصدر فتواه الثانية في ان بامكان الحكومة الايرانية ومن أجل سدّ العجز المالي لديها الاستفادة من أوقاف الامام الرضاعليه السلام وقد واجه الشيخ الخالصي بعد فتاواه معارضة شديدة من قبل رجال الدين وقد بلغت ذروتها عندما قدم له استفتاء بهذا المضمون هل يجوز الاحتفال بعيد النوروز هذا العام حيث أن ترزح مدن الاسلام المقدسة مثل مكة والمدينة والنجف وكربلاء والكاظمية وسامراء تحت نير أعداء الاسلام وقد دنس ترابها بحوافر خيل الغرباء؟

وجاء الجواب من قبل آية الله الخالصي بعدم جواز اقامة الاحتفالات بعيد النوروز واستغلت هذه الفتوى في نشر اشاعة ضده باعتباره بهائياً ذلك ان عيد النورزو في ذلك العام صادف وفاة «عباس افندي» زعيم البهائية.

وقد نظم المعارضون للخالصي تظاهرات دفاعاً عن عيد النوروز مندين بالبهائية واتجه المتظاهرون نحو منزل آية الله الخالصي بهذه الشعارات وفي اليوم التالي خرجت تظاهرة مؤيدة للشيخ الخالصي استنكر فيها المتظاهرون البهائية منددين بالجمهورية التي نادىٰ بها يومذاك جمع من الايرانيين واعتبرها الخالصي خديعة ومؤامرة للقضاء على الاسلام.

وقد ناصب جمع من العلماء في مشهد آية الله الخالصي العداء كما تعرض لاهانات من قبل العوام ما جعل الخالصي يشعر بالمرارة فقرر مغادرة مشهد الى

طهران معتقداً انه قد تعرض للاهانة فيها أكثر مما لحقه من مرتزقة الانجليز.

وبعد انتشار النبأ تدفق حشد كبير من الجماهير وأهل المدينة وقدموا اعتذارهم عما لحق بالخالصي من اهانة طالبين منه البقاء بين ظهرانيهم وقد استجاب الخالصي لطلباتهم ليحفظه من بينهم الموت.

غروب الشمس

وأخيراً رحل العالم والمصلح الكبير والمدافع عن دين النبي ﷺ وكانت الابتسامة ما تزال ترتسم على وجهه، هذه الابتسامة التي لا تكاد تفارق وجهه البشوش. لقد كان ينظر الى الدنيا نظرة زاهدة، نظرة عابر سبيل..

أجل لقد أغمض آية الله الخالصي عينيه في الحادي عشر من رمضان المبارك سنة (١٣٤٣ هـ) وسجل بسبب الوفاة، السكتة القلبية.. لقد توقف القلب الكبير ورحل صاحبه الى لقاء المحبوب.

تجربتان

الشهيد محمد باقر الصدر / المستشهد سنة ١٤٠٠هـ

في البدء

إلتقيتك مرّتين؛ مرّة قبل «صفر» (انتفاضة صفر الشَّعبية عام ١٩٧٧م)، والأخرى بعده... وكنتُ يومها في العشرين، وها أنا قد ذرّفت على الأربعين.

ودار الزَّمن وطوّحت بي الأيّام، وقد زُلزلت الأرضُ زلزلها. والعراق الذي كان أرض الخصب والأمل والحياة ومرفأاً الأئمّة الأطهار، أضحى أرض الجمر. كلُّ شيء فيه يحترق. وبدت الأشياء عارية ومقرفة، وقد ذرّ الشيطان قرنية يعربد ويدمّر، ويحيل الأشياء الخضراء رماداً تذروه الرِّياح. الآمال... الأماني... الحياة المطمئنَّة الآمنة.. كلُّ شيء أضحى هباءً منثوراً.

لن أكون قاسياَ أو مجانباً للحقيقة، لو قلت: إنّ الأمّة في العراق قد ركعت للنمرود وان كل المذابح التي حدثت فى العراق لا تمثل ارادة أمة، وحالة شعب، وإنَّ الدَّماء التي لوّنت أرض الرافدين ما هي إلّا صرخة الضَّمير المثقل. ولو كانت الحقيقة غير ذلك ما بقيتَ وحيداً يا سيّدي؛ لم يبقَ إلى جانبك أحد حتّى من أهل بيتك إلاّ «آمنة»، وقد تشرّبت «زينبَ»، بعد ما رأت فيك ملامح الحسين. ولكن الأوغاد الّذين عضّوا أنامل النّدم لأنّهم لم يقتلوا «زينب» يوم عاشوراء قتلوا «آمنة» من أجل أنت تبقى ثورتك من دون صوت.

أجل يا سيّدي. التقيتك مرّتين؛ مرّة قبل «صفر»، ولا أزال حتّى اليوم أحسّ دفء نظراتك الحانية بريق عينيك يتألّق فيه الحسين، وكان هذا مصدر عظمتك.

فالذين كانوا يحجّون إليك لم يقرأوا «فلسفتنا» أو «اقتصادنا». لقد غرقوا في شواطئ روحك العظيمة وقلبك الكبير.

أجل يا سيّدي. التقيتك مرّتين؛ مرّة بعد «صفر»، ولا أزال أتذكّر دفء الكلمات وعمق الحروف، وأنت تحتلّ زاوية صغيرة في مكتبتك؛ والذين جلسوا في حضرتك لم يدركوا بعد أنَّك ستحتلّ التَّاريخ.

ما زلت أتذكّر ذلك المشهد المحفور في ذاكرتي، ولا يزال وجهك المضيء ماثلاً أمامي رغم ضباب الأيَّام وغبار السِّنين.

ما زلت أتذكّر سيل الأسئلة التي أعدّها طالب جامعي.. وكانت أسئلة مصيريّة حسّاسة يتهيّب الكثير الإصغاء إليها خوفاً وعجزاً، وكنت وحدَك الذي يصغي ويجيب من دون عجز أو وجل...

سأل الطَّالب عن أوراق اليانصيب، وأنّ لها غايات سامية، فلم تحرّمها؟! فقلت: إنَّ الغايات السَّامية تلزمها وسائل سامية.

وسأل الطَّالب عن اللُّحوم المستوردة، فأجبت بحرمتها رغم «العيون الزُّجاجيَّة».

وسأل الطَّالب مرّة أخرى عن مجتمع الجامعة، فقال: نحن، يا سيّدي، طلّاب وطالبات في الجامعة، ونحن ملتزمون بالدين، فانبثق تعريف للمجتمع الإسلامي بأنَّه مجتمع مختلط، ولكنّه ملتزم، فما هو رأيكم؟

وسكتَّ هنيهة، يا سيّدي، ثمَّ انسابت كلماتك هادئة. ما زلتُ أتذكّرها بعد عشرين سنة.

فقلت، يا سيّدي، ما لا أنساه: إنّ الإسلام لا يقف موقفاً حدياً من مسألة الاختلاط، ولكنَّه يأخذ بنظر الاعتبار عدم الاختلاط ما أمكن. إنّني أسجّل هذه للذكرى فقط، لأنّي وعندما ودّعتك يا سيّدي، تخطّفتني الذئاب. اقتادوني إلى

أقبية التَّعذيب في بغداد. سألوني عنك. إنّهم يخشونك... يخشون بريق نظراتك لأنّها ترنو إلى المستقبل. يخشون قلبك لأنّه قنبلة موقوتة ربَّما تنفجر في أيَّة لحظة فتحيل قصورهم وعروشهم هباءً منثوراً.

عذبوني يا سيدي لأني التقيتك مرّتين. سألوني من أقلّد فقلت غيرك ولو قلت اقلّد الصدر لقتلوني.

العالَم، يا سيّدي، لن يصدَق محنتك.. لن يصدّق الأهوال التي مرّت على عينيك، ولهذ ستبقي مجهولاً، فالجيل الذي سيدرك سرّك لا يزال في رحم الأيّام. عذراً يا سيّدي، أنا لا أريد أن أؤرِّخ لك.. أنا أوْرِّخ لنفسسي، فالتاريخ يخصّ الموتى، أمّا أنت فقد التحقت بالقافلة... قافلة الحسين؛ والذين انطلقوا مع الحسين لن يموتوا... لقد حطّموا قضبان الزَّمن الصَّدئة، واكتشفوا سرّ الخلود.

الجذور

غصن في شجرة معطاء، أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها.

جدّه الحسين، والدِّماء القانية التي لونت الأرض في لحظة عاشوراء تجري في عروقة. وللحسين سرّ في أعماق الصَّدر غير فصيلة الدَّم، ولكنَّها الثَّورة الكامنة فيه، وفي ذلك التصميم الملحمي على الشهادة.. على الموت من أجل الحياة... من أجل الخلود.

هو غصن من شجرة سماويّة، والذين دقّقوا في حنايا التّاريخ.. في زواياه المظلمة لا بدّ من أن تستوقفهم شمعة تتوهَّج؛ فعلى شواطيء المتوسِّط من أرض تركيا، وفي سنة ٩٦٥ هـ سقط أحد أجداده صريعاً مضمَّخاً بالدِّماء، فقد اغتالته اليد

السوداء على نحو مؤسف[١] من دون ذنب سوى الرَّأي والفكر والعقيدة.

هذه جذور الصَّدر.. بعيدة الغور.. شجرة معمّرة تقاوم عواصف التَّاريخ ورياح الزَّمن.

الميلاد

في الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة، عام ١٣٥٣ هـ أطلّ الوليد المبارك على الدُّنيا، في «الكاظمين»، على شواطئ دجلة، عندما يخترق النَّهر بغداد.

ويمرّ عامان ونصف فيسدّدّ القدر أولى ضرباته القاسية.

كانت سنة ١٣٥٦ هـ علامة محفورة في ذاكرة الصَّبي، فد ابتسم لأنّه رأى إلى جانبه أختاً سترافقه الدّرب حتَّى النِّهاية.

أجل مرّ عامان ونصف، فابتسم الصَّبي لحظة، ليحزن الدّهر كلّه.

فجأة يختطف الموت أباه العظيم غابت الشَّمس، فالدُنيا برد وصقيع... لقد انهدّ العمود فتهاوت الخيمة خاويةً على عروشها.

وأصعب ليلة في الدَّهر ليلة يتيم ينتظر عودة أبيه فلا يعود.ها هي الأسرة الصَّغيرة تمضي اللّيل من دون طعام، من دون عشاء. وتعلّم الصَّبي أوّل دروس الحياة... فالحياة مدرسة تعلّم المرء كلَّ شيء. يكفي أن تفتح عينيك.. أن ترهف سمعك، لترى الأشياء على حقيقتها.

تعلّم الصَّبي الطُهر أوّل ما تعلَّم من دروس الحياة... تعلَّم أن يكون نظيفاً طاهراً كقطرة النَّدى تتألّق في ضوء الشَّمس. وأصعب شيء على الفقير أن يبقى نظيفاً،

(١) الشهيد الثاني، زين الدين الجبعي العاملي، استُدعي الى اسطنبول في عهد سليمان القانوني، وتمّت تصفيته على شواطىء البحر قريباً من العاصمة على نحو مأساوي يدعو للتساؤل حول الأسباب التي دفعت العثمانيين للتخلّص منه.

كأنّي به يقول: إذا كان ثوبك وحيداً فلا ينبغي أن يكون قذراً... مإنّ نظافة الثّوب الوحيد من أنبل جهاد الفقراء. فإذا كُتب عليك أن تكون فقيراً فحاول أن تكون شريفاً.

وتعلَّم الصَّبي الصَّبر حتّى تعوّد مذاق الحنظل. تعلّم الطُهر والصَّبر وعلّمها.. علّم «آمنة» درسين من دورس الحياة.. وكانت أخته رمزاً للطُهر ومثالاً في الصَّبر.. كانت «زينبَ» هذا العصر المتوحِّش.

الخطوات الأولى

وتمرّ الأيَّام ويتدفّق نهر الزَّمن؛ تتدافع أمواجه غير آبهةٍ بهذا أو بذلك. وباقر الصَّدر الآن في الصفّ الثَّالث الابتدائي في مدرسة «منتدى النّشر» ينطلق كلّ يوم إلى مدرسته ينهل العلم والمعرفة ويتشرّب ثقافة عصره... والتَّاريخ في غفلةٍ عن تلك اللحظات عن تلك الحقبة الحافلة التي صقلت عبقرية كامنة في الأعماق حتى إذا دوّت عبقريّته عاد التَّاريخ القهوقرى يبحث هنا وهناك عن البدايات.. عن البذرة والموسم والحصاد... يضيء شمعةً هنا ويسرج قنديلاً هناك.

والتاريخ ذاكرة الجنس البشري.. ذاكرة شيخ غارق في السنين والحوادث، وأنّىٰ له الالتفات الى صبي صغير في سيمائه ملامح النّبوات وعنفوان الرّسالات.

باقر الصدر في الصف الثالث، ينطلق كلّ يوم الى مدسته «منتدى النشر» ليكون أوّل الدّاخلين. يلج الصف كأنّه يلج معبداً.. وينظر الى معلّمه بخشوع المريدين.

كان مثالاً في أدبه وفطنته وذكائه.. بذرة تنطوي على سرّ شجرة معطاء وعقل يكتنف سّر عبقريّة سيكون لها شأن، وأيّ شأن.

وهاهو التاريخ يعود القهقرى.. الى الوراء، ربّما اربعين سنة أو تزيد. لنرى

كيف يضغط على جبينه.. يعتصر ذاكرته ليضيء شمعة تلقي ولو بصيصاً من الضوء على طفولة تحمل جذوة من أسرار الرسالات.

أرهِف سمعك الى زميله في المدرسه، محمد على الخليلي، وهو يلملم خيوط زمن بعيد علّه يفلح فيي نسج مشهد من تلك الطفولة المشرقة:

«جمعتني وإياه مدرسة واحدة.. كان حينها في الصف الثالث الابتدائي.. أما أنا فكنت في السنة النهائية من هذه المرحلة الدارسية.

وطبيعي أن لا يكون بيننا اتصال مباشر.. ومع كلّ ذلك، فقد لفت انتباه الجميع، وكان محط انظار التلاميذ صغاراً وكباراً، كما كان موضع احترام معلّميه.كانت له شخصيّة تفرض وجودها، وسلوك يحمل المرء على احترامه.

كنّا نعرف عنه أنه مفرط في الذكاء، متقدّم في دروسه تقدّماً ندر نظيره.. يبزّ فيه زملاءه كثيراً. وما طرق أسماعنا أنّ هناك تلميذاً في المدارس الأخرى يبلغ بعض ما يبلغه من فطنة وذكاء، لهذا اتّخذه معلّموه انموذجاً للطالب المجدّ والمؤدب والمطيع.

وكان بعض التلاميذ يتأثرون به الى الحدّ الذي يجعلهم يقلّدونه في المشي والحديث والجلوس في الصفّ، علّهم يظفرون ولو بجزء يسير من الاعجاب والاحترام. وله في تواضعه الجمّ هيبة في النفوس. فلم يكن أحدٍ ليبدأه الحديث إلّا إذا شعر المتحدّث برغبته في الحديث أو يكون هو البادئ.

إنّ في أعماق هذا الصبي قبساً من روح النبوّات في ذلك التواضع الإنساني الذي يزيد المرء هيبة في النفوس ومنزلة في القلوب.

كان عطوفاً على من هو أصغر منه، ومؤدّباً أمام من يكبره سنّاً، وكانت له في المدرسة زاوية ينفرد بها حتى أضحت مكاناً لا يجسر أحد على الاقتراب منها... فإذا انفرد تحلّق حوله زملاؤه، ويتحوّل التلميذ الصغير الى معلّم كبير... معلّم له

سحره في النفوس و تأثيره في الأرواح...

فلو اقتربت من تلك الحلقة العجيبة، لوجدت ذلك الصغير الكبير يتحدّث عن أشياء عجيبة لا يطرقها الاّ الكبار.. وها هو ابن التاسعة يتحدّث عن الماركسية، والأمبريالية والديالكتيك.. ويتطرق في حديثه الى عباقرة غابرين «فكتور هيغو» أو «غوته» وغيرهما من عمالقه التاريخ الإنساني، ولم يخطر على بال الذين كانوا يصغون إليه، ولعلّه هو أيضاً، لم يفكّر أنه سيكون قمّة شامخة أين منها «هيغو» و«غوته» وكلّ عمالقة العصر الحديث!

ها هوالتاريخ يجود، فيشعل شمعة يعتصر ذاكرته فلا تسعفه إلّا بومضات أشبه ببروق سماوية تشتعل وتنطفئ، أمام عبقرية مبكرة وإرادة ستغيِّر مسار التاريخ، ليكون هو بداية لمنعطف حادّ في المسار الخالد.

أرهِف سمعك، مرّة ُخرى، واصغِ الى ما يقوله معلّم له شهد تفتّح تلك الشخصية على الحياة والفكر والدّنيا:

«كان طفلاً يحمل أحلام الرجال، ويتحلّى بوقار الشيوخ، وجدت فيه نبوغاً عجيباً وذكاءً مفرطاً، وكان كلّ ما يدَرّس في هذه المدرسة من كافّة العلوم دون مستواه العقلي والفكري.

شغوفاً بالقراءة كان... لا تقع عيناه على كتاب إلّا وقرأه وفقِه محتواه، وما طرق سمعه اسم كتاب في أدب أو علم أو اقتصاد أو تاريخ إلّا وسعى الى طلبه».

جاء يوماً الى أحد معلّميه، وقد اجتاحته رغبة عارمة في سبر غور الماركسية يقرأ نظرياتها ونظرتها الى الانسان والطبيعة والكون. ويتردّد المعلّم، يخشى على هذا الصبي من مزالقها أن تهوي به الى الحضيض والقرار، وبعد إلحاح وإصرار وجد المعلّم نفسه أمام إرادة عجيبة، فراح يهيّئ له كتباً ومجلّات كانت في تلك الحقبة مثل الكبريت الأحمر.

وراح الصبي يغوص في اللجج العميقة ويطلب المزيد، وظن المعلم بعد أن جلب له أمّهات الكتب التي تشرح نظرياتها أنّ هذا الصبي سوف يقف أمامها حائراً لا يفقه منها شيئاً، فهو نفسه وقف عاجزاً عن فهم دقائقها. وإذا بالصبي يعيد له الكتب بعد اسبوع، ولعلّ المعلم قد ظنّ للوهلة الأولى أن الصبي قد اصطدم بجدار صخريّ أصم، فأعاد الكتب فإذا به قد أحاط به علماً، وراح يشرح ما خفي على معلّمه منها. ووقف المعلّم ـ ربمّا لأوّل مرّة ـ أمامه مذهولاً يتأمّل المعجزة مبهوراً.

كان معلِّموه يتوجّسون خشية أن يقتله الذكاء المفرط.

وكان يؤمّ التلاميذ في الصلاة خاشعاً لله خشوع الزاهدين الذين عافوا الحياة ونبذوا الدنيا، وربّما اعتلى المنصة خطيباً تنساب كلماته مؤثرة في فصاحة ورصانة.

قال له معلّمه يوماً، وقد بهرته عبقرية مبكرة: سيأتي اليوم الذي ننهل فيه من علمك ونهتدي بأفكارك وآرائك.

فأجاب الصبي العظيم، وقد اصطبغت وجنتاه بحمرة تنمّ عن أدب وحياء عظيمين: عفواً استاذ، فأنا لا أزال، وسأبقىٰ تلميذكم وتلميذ كلّ من أدّبني وعلّمني في هذه المدرسة، وسأبقىٰ تلميذكم المدين إليكم بتعليمي وتثقيفي.

وكان الى جانب دراسته في المدارس العصرية، قد طوى شوطاً مهماً في دراسة العلوم الدينية في مناهجها السائدة يومذاك، وربما تغّيب عن الحضور في مدرسته في بعض الأيام لانشغاله في تحصيل العلم والمعرفة.

وكان أستاذه الأوّل أخوه إسماعيل الصدر الذي شهد تفتّح نبوغه وبداية انطلاقته.

فقد درس، وهو في الحادية عشرة من عمره، علم المنطق وسبرغوره، حتى ألّف رسالة سجّل فيها بعض اعتراضاته في مسائل منطقية. ودرس في الثانية

عشرة من عمره علم الأصول لدى أخيه، وكان يعترض على بعض ما يرد في كتاب «معالم الأصول» وهي اعتراضات لم يكن يكتشفها سوى علماء لهم وزنهم وعمقهم.

الهجرة

تبقى الهجرة في التاريخ الإنساني واحدة من أهم الظواهر التي ارتبطت بالانسان منذ ظهوره، وهي العامل الأساس والمؤثر في انتشار الجنس البشري، بل وفي قيام حضارات ودول، كما هو الحال في انطلاق حضارة الإسلام على أثر هجرة النبيّ من مكّة الى يثرب؛ حيث بدأ التاريخ الإسلامي الذي اتّسم بميسم الهجرة.

تبقى البواعث الاقتصادية والقهر السياسي والاجتماعي وراء أغلب الهجرات في التاريخ، اضافة الى الهجرات القسرية، وهي في الحقيقة لا تمتلك مقوّمات الهجرة بل هي في واقع الحال لصوصية على نطاق واسع. ولعلّ مصداقها الوحيد ما قام به الغرب من عمليات الخطف في أفريقيا لملايين البشر في واحدة من أبشع الحوادث في التاريخ البشري.

وهناك، في تاريخ الشيعة، ظاهرة تستحق التأمّل، منذ سقوط بغداد في أيدي السلاجقة ونشوء المدن العلمية على أثر هجرة فردية أو جماعية.

ومنذ ذلك الوقت، وحتى اليوم، نشاهد بوضوح أنّ الهجرة لطلب العلم هي وراء تمدّد تلك المدن وتجذّر الحالة العلمية فيها، هي أيضاً وراء نبوغ معظم عباقرة الفكر الشيعي. ولقد كانت هجرتهم خالصة لله ولدينه متحمّلين مشاق الغربة وشظف العيش، لا لشيء إلا استجابة لنداء يضجّ في الأعماق.

في عام ١٣٦٥ هـ ، غادر محمّد باقر الصدر مدينة «الكاظمية» الى «النجف

الأشرف» وتتلمذ لدى علَمين من علمائها، وهما:

ـ السيّد أبو القاسم الخوئي.

ـ الشيخ محمد رضا آل ياسين.

امتدّت مدّة دراسته في النجف أربع عشرة سنة، وهذه المدنة تبدو قصيرة نسبياً، ولكن المهاجر الذي يتوقّد ذكاءً وعبقرية كان يستثمر من يومه ستّ عشرة ساعة في الدراسة والبحث والتحقيق.

وإذا كان التقليد للأعلم هو قدر كلّ المنتسبين للمذهب الإمامي، سواء العلماء منهم أم البسطاء، فإنّ محمد باقر الصدر هو الاستثناء الوحيد، فهو لم يقلّد أحداً من العالمين، وإذا كان قد قلّد آل ياسين فقد كان ذلك في صباه إذ لم يصل سنّ البلوغ بعد.

ورحلته العلمية لم تكن اجتراراً للعلوم، ولا تراكماً للمعرفة والثقافة بقدر ما كانت تفاعلاً كيميائياً موظفاً العناصر الخام لميلاد شيء جديد لا ينتمي الى ما سبقه إلا في الجذور فقط.

كانت رحلته مع العلم إبداعاً واكتشافاً، وكان يفجّر ينابيع المعرفة تفجيراً فتسيل أودية بقدر.

سنوات العطاء

كان كتاب «فدك في التاريخ» باكورة أعماله التي فاجأ بها عصره، وكان عمره يومذاك سبعة عشر عاماً. على أن المقدمة تشير الى أقلّ من هذا العمر بكثير. وقد يتساءل المرء لماذا فدك؟ وهي مشكلة تاريخية حول قرية صغيرة في الحجاز؟

ولكن من يتأمل في حيثيات هذه القضية وملفّاتها التاريخية المعقدة، لابدّ من أن ينظر بإجلال الى هذا الكتُيب، المحدود في أوراقه والواسع بأفكاره ومنهجه في

دراسة واحدة من أكثر معضلات التاريخ تعقيداً، إذ إنّها كانت ولا تزال تثير اسئلة عديدة.

ففدك لم تعد تلك القرية الصغيرة في قلب الحجاز.. لقد أضحت رمزاً لكلّ الأرض الاسلامية. فهي لدى «الصدر» تمتدّ كما عبّر عن ذلك جدّه «الكاظم» من عدن الى سمرقند.. الى إفريقيا.. الى سيف البحر، ممّا يلي الجزر وأرمينيا. ومشكلة فدك في التاريخ التي حدثت فيغمرة التحولات الهائلة التي أعقبت رحيل الرسول الأكرمﷺ لا تزال الى اليوم مشكله تواجه المنهج التسويغي لتاريخ صدر الإسلام بأسئلة محيرّة.

والجدير ذكره، هنا، أن المؤلف، وبالرغم من كتابته للموضوع وهو في فورة الشباب، إلّا أنه كان يجسّد أسمى صيغ التعامل الرفيع مع رجالات العصر النبوي، وهو أدب ظلّ يطبع جميع فصول حياته القصيرة حتى استشهاده.

وإذا علمت أنّ هذا السفر لم يستغرق من الوقت سوى مدّة العطلة الدراسية أدركت أية عبقرية مخزونة في أعماق هذا الإنسان.

ومن «فدك في التاريخ» الى «فلسفتنا» الذي أحدث دويّاً كبيراً في الأوساط الفكريّة، حتى يمكن القول إنه قَلبَ موازين القوى ـ إن جاز التعبير ـ لصالح الإسلاميين الذين بدأوا مرحلة الهجوم بعد أن ظلّوا في مواقع الدفاع سنين طويلة.

والذين عاشوا حقبة الصراع الفكري المريرة في العراق يدركون ماذا فعل «فلسفتنا» و «اقتصادنا» في معادلات الصراع آنذاك.

إنّ المرء ليحس حرارة إيمان هذا الأنسان من انتخاب اسم الكتاب. إنّه اعتداد بالنفّس وبالشخصيّة التي تستمد من الإسلام مقوّماتها وبناءها، وكان الشّهيد العظيم بصدد إصدار كتاب آخر هو «مجتمعنا» ولكن القدر لم يمهله.

ومع كلّ هذا الدوي الذي أحدثه الكتاب، فإننا نصغي إلى كلمات تنمّ عن روح

عجيبة هي قبس من روح الأنبياء:

«حينما طبعت هذا الكتاب، لم أكن أعرف أنّه سيكون له هذا الصّيت العظيم في العالم والدّوي الكبير في المجتمعات البشريّة، ممّا يؤدي إلى اشتهار من ينسب إليه الكتاب؛ وأنا الآن أفكّر أحياناً أنّي لو كنت مطّلعاً على ذلك، وعلى مدى تأثيره في إعلاء شأن مؤلّفه لدى النّاس، فهل كنت مستعدّاً لطبعه باسم «جماعة العلماء» وليس باسمي كما كنت مستعدّاً لذلك أوّلاً؟ وأكاد أبكي خشية أنّي لو كنت مطّلعاً على ذلك لم أكن أستعدّ لطبعه بغير اسمي»[١]

ثمّ يأتي كتاب «اقتصادنا» ليكون مفاجأة أخرى، فيجد المسلم الرّسالي الذي ينافح عن دينه ملامح أوّل نظريّة للاقتصاد الإسلامي، ولا يقف الكتاب عند البناء الاقتصادي للإسلام، بل يتعدّاه إلى نسف المذهبين السّائدين في النظم الاقتصادية وتقويضهما؛ وهما النّظامان: الرأسمالي والاشتراكي.

وبالرّغم من أنّ الكتاب قد يبدو معالجة لمسائل اقتصاديّة بحتة، إلّا أنّ القارئ سوف يعثر على أفكار تدعو إلى التّأمّل وحتّى يمكن القول إنّها إذا صيغت ضمن إطار خاص، فإنّها ستكون أساساً لنظريّة رائعة في الحضارة الإسلاميّة. فالصّدر، وهو يكتب، إنّما يعالج مشكلة كبرى هي مشكلة المسلم المعاصر التي تتمثّل في استلهام تجربته الرّائعة قبل مئات السّنين، ثمّ بعث حضارته الكبرى من جديد...

لنصغِ إلى ما يقوله هذا المفكّر العظيم في «اقتصادنا»:

---

(١) وقدجاء حديثه بعد طبع الكتاب، وكان قد عرضه أوّلاً على جماعة العلماء ليطبع باسمها، غير أنها اشترطت إجراء بعض التعديلات في الكتاب، وكانت غير صحيحة في رأيه، ما اضطرّه الى طبع الكتاب باسمه.

ـ التّوجيهات الإسلاميّة هي قوانين علميّة تؤتي ثمارها متى توافرت الشروط التي تقتضيها هذا القوانين[١].

ـ بالرّغم من ابتعاد المسلمين عن روح تلك التجربة والقيادة بعداً زمنياً امتدّ قروناً عديدة، وبعداً روحيّاً يقدّر بانخفاض مستوياتهم الفكريّة والنّفسيّة واعتيادهم على ألوان أخرى للحياة الاجتماعيّة والسّياسيّة بالرّغم من ذلك كلّه، فقد كان للتّحديد الذّاتي الذي وضع الإسلام نواته في تجربته الكاملة للحياة دوره الإيجابي الفعّال في ضمان أعمال البرّ والخير[٢].

ـ استطاعت «الرّسالة الإسلاميّة» أن تحدث هزّة روحيّة كبيرة في/الإنسان العربي/ وتفجّر في أعماقه الاحساس بالمسؤليّة.

ـ العلم لا يستطيع حلّ المشكلة الاجتماعيّة إنّما ينبّه لها.

العلم يكشف الحقيقة بدرجة ما.. وليس هو الذي يطوّرها[٣].

ـ الدّين هو صاحب الدّور الأساس في حلّ المشكلة الاجتماعيّة عن طريق تجنيد الدّافع الذاتي لحساب المصلحة العامّة[٤].

ثم انظر كيف يفلسف قيام الحضارة الإسلاميّة:

ـ إنّ الإنسان هو القوّة المحرّكة للتّاريخ[٥].

ـ ولم يكن هذا الواقع الانقلابي الذي خلق أمّة وأقام حضارة وعدّل من سير

(١) اقتصادنا، ص ٣١١.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠٠.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٢٣.
(٤) المصدر نفسه، ص ٣٢٦.
(٥) المصدر نفسه، ص ٣٣٨.

التّاريخ وليد أسلوبٍ جديد في الإنتاج أو تغيّر في أشكاله وقواه[١].

ـ الدّين هو الإطار العام لاقتصادنا[٢].

واصغ إلى ما يقوله عن الآلة:

ـ الآلة التي تنتج النّسيج يوميّاً ليست ثروة طبيعيّة خالصة، وإنّما هي مادّة طبيعيّة كيّفها العمل الإنساني خلال عمليّة إنتاج سابقة[٣].

لا تلعن الظّلام؛ أشعل شمعة

لم يكتف الصّدر بوضع اليد على الجراح النّازفة، ويشير إلى مواطن المرض، لأنّ اكتشاف المرض لا يعني بداهة معرفة الدّواء.

فهذا الفتى الذي وصل «النّجف» على قدر، أدرك كلّ آلام أُمّته بعمقها التّاريخي النّازف، وبحاضرها المريض، فراح يفجّر ينابيع الخير لتسيل أودية بقدر.

لقد عاش المفكّر الصّدر في حقبة تاريخيّة بالغة الخطورة، وكان الفكر الإسلامي يعيش حالة من الجمود، في زمن كانت الأفكار المستوردة تجد لها أنصاراً متحمّسين، وكان الدّين في مهبّ إعصار فيه نار، وكانت الحصون مهدّدة من داخلها، وفي هذا الظرف ولد محمّد باقر الصّدر قائداً ومفكّراً وأباً رحيماً لأمّة منكوبة.

يعدّ عام ١٩٥٨ م ـ ١٣٧٨ هـ بداية التّغيّرات الهائلة فكرياً وسياسيّاً، حيث

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٤١.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٢٧.

(٣) الإسلام يقود الحياة ص١٦٨.

كانت الجبهة الإسلاميّة تهتزّ بعنف. ففي غمرة الصّراع بين التّيار الماركسي المدعوم حكوميّاً والتيار القومي، ولدت الحاجة لموقف إسلامي واضح، فكانت «جماعة العلماء» التي يمكن أن نقول بحقّ إنّ وجودها يرتبط بشكل رئيسي بعقليّة السيّد الشّهيد الصّدر[١].

«ورغم أن السّيّد الشّهيد، رضوان الله عليه، لم يكن أحد أعضاء «جماعة العلماء» لصغر عمره!! إلاّ أنّه كان له دور رئيسي في تحريكها وتوجيهها»[٢].

وشقّت «جماعة العلماء» طريقها في غمرة تلك الأفكار، فكانت «الأضواء» البداية المشرقة لإطلالة الموقف الإسلامي فكريّاً وسياسيّاً، وكان للمفكّر الصّدر عمود «رسالتنا» الذي بدأ يحرّك الأصدقاء ويغيظ الأعداء.

الكثيرون، بل والكثرة الغالبة لا تفهم لعبة الصّراع الفكري؛ حيث يرصد الاستعمار الأفكار الخطيرة، ثمّ يبدأ تطويقها وقتلها بخفاء، وهكذا وضع الصدر في قائمة الخطرين منذ ذلك التّاريخ، وبدأت الملاحقة لأفكاره.

ومن نافلة القول إنّ الصّدر كان بمستوى الرجل الذي أدرك أساليب العدوّ جميعها، فكان يتصرّف بهدوء ويفوّت الفرص التي يحاول الاستعمار التّسلّل منها.

كتب مرّة، وكان ذلك عام ١٣٨٠ هـ إلى أحد تلامذته يبثّه همومه: «... لقد كان بعدك أنباء وهنبثة، وكلام وضجيج وحملات متعدّدة جنّدت كلّها ضدّ صاحبك وبغية تحطيمه».

وتأمّل هاتين الكلمتين: «أنباء وهنبثة»، لتستشفّ من ورائهما عمق المعاناة،

---

(١) مجلة الجهاد، العدد ١٤، جمادى الثنية ١٤٠١ هـ.

(٢) المصدر نفسه.

وبخاصّة إذا علمنا أنّهما وردتا ربّما مرّة واحدة في التّاريخ وعلى لسان فاطمة الزهراء(عليها السلام) في حادثة اغتصاب الميراث المؤسفة.

لقد كانت الزّهراء (عليها السلام) تعيش أوّل محنة في الإسلام، عندما خاطبت أباها الرّاحل بكلمات تقطر حزناً ولوعة:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

أبدت رجال لنا نجوى صدورهم لمّا مضيت وحالت دونك التّرب

والله وحده الذي يراقب الأعماق، ويحيط بكلّ شيء. وربّما يأتي اليوم الذي ينكشف فيه كثير من الأسرار والخفايا، ويسجّل التّاريخ تفاصيل المحنة التي مرّت بهذا الرجل العظيم، والخناجر المسمومة التي كانت تسدّد إليه في قلب الليل.

ومخطئ من يتصور أن الحرب التي شنّت ضده كانت محلية تواجه كل انسان يحاول القاء حجر في البحيرة الساكنة وكسر حالة الجمود، وأنّها نابعة من بعض ذوي النّفوس المريضة والمتخلّفة.

إنّ محمّد باقر الصّدر كان ظاهرة تهدّد الوجود الاستعماري. وإذا شئت فقل: «القابليّة للاستعمار»، وإنّ أطرافاً دوليّة يهمّها مستقبل العراق هي التي كانت تدبر لعبة الصّراع فكريّاً ومن وراء حجاب، وإنّ تلك الأطراف استفادت من الواقع الفكري والنّفسي في تجنيد أعداء محلّيّين، كانوا يضربون بقسوة. وكان الصّدر يتأوّه وحيداً ويسكت على مضض، فالصّبر كان سلاحه الوحيد؛ والصّبر سلاح الأنبياء.

يقول الشّاهد الشّهيد:

«ابتدأت تلك الحملات في أوساط «الجماعة» التّوجيهيّة المشرفة على

«الأضواء»؛ أو بالأحرى لدى بعضهم ومن يدور في فلكهم».

وفي رسالة أخرى يقول: «لا أستطيع أن أذكر تفصيلات الأسماء في مسأله (جماعة العلماء) وحملتها على (الأضواء)!... ولكن أكتفي بالقول، بأنّ بعض الجماعة كان نشيطاً في زياده أعضاء (جماعة العلماء)، لإثارتهم على «الأضواء» وعلى «رسالتنا».

ويمكن القول ان الصراع المرير الذي خاضعه الصدر قد وصل الى تعادل في الأهداف فقد وفق الصدر بعبور الأزمة، فمرّت بسلام واستمرت «الأضواء» بالصدور كما توقع لها:

«حدسي أنّ (الأضواء) سوف تستمرّ إن شاء الله تعالى؛ لأنّها تتمتّع الآن برصيد قويّ من الدّاخل والخارج»[1].

أمّا خصومه فقد نجحوا في إيقاف القلم الذي كان يمدّ «رسالتنا» بالأفكار المقاتلة.

الحسين يولد من جديد

هل يعيد التّاريخ نفسه حقّاً، فتعود سنوات القهر سنوات عجاف؛ تنسلخ الأمّة فيها عن نفسها.. عن هويّها.. وعن ذاتها، فتغدو هياكل ميّتة أو تكاد.

في غفلة من التّاريخ؛ حيث المنعطفات الحادّة المظلمة يسطو أبناء اللّيل والظّلام ليسرقوا وطناً ومجداً، فلا تجد من يرفع رأسه أو صوته. فالنّاس نيام أو عاكفون على عجل له خوار. وحده الصّدر كان يقاتل.. تسكن في أعماقه ثورة،

(١) المصدر نفسه.

وتبرق في عينيه رؤى كربلاء.. يوم كان «الحسين» يقاتل وحيداً وكـانت الأمـة تمجّد اسمه «يزيد» وكان على الحسين أن يذبح ليوقظ بدمائه التّاريخ والحضارة والإنسانيّة.

لا ينكر أحد أنّ العراق، وربّما هو البلد الوحيد الذي يقدّس التّضحية، كـان يقف مفتوناً أمام البطل وهو يقتحم الموت اقتحاماً، وهو يكاد لهذا المشهد يـفقد وعيه تماماً.

ولعلّها ظاهرة تاريخيّة أن تنتاب هذا البلد، وهو يبحث في كلّ عصر عن بطل ينوب عنه فى التّعبير عن عذاباته وآلامه وطموحاته.. يبحث عن فرد ينوب عن المجتمع العاجز عن التّغيير ليقدّم أحد أبنائه إلى المذبح؛ من أجل أن ينوح عليه.. إنّه لا يريد أن يدفع ثمناً ما، وهو الموت، فيبحث عمّن ينوب عنه في هذه المهمّة.. حتّى أمست البطولة في رأية لا تعني شيئاً سوى الموت.

ومن المفارقات أنّنا نجد المجتمع، وهو يبكي «الحسين»، يشعر بالسّعادة وهو يبكي من أجله، بعد أن تبلغ التّضحية أوجها بذبح «الحسين» في مشـهد درامـي فريد..

لهذا كان على أبطال الأمّة إذا ما أرادوا التّغيير أن لا يفكّروا بطريق آخر غير الموت، وكلّما كان المشهد قريباً من صورة كربلاء كانت الصّدمة أكبر وسعادة الامّة بالبكاء أكثر...

أليس عجيباً أن يقول الصّدر: «ليس كلّ النّاس يحركهم الفكر بل هناك من لا يحرّكه إلاّ الدّم»؟!

ولقد شاء القدر أن يهب الصّدر هذه البطولة بأروع صورها حتّى إنّنا نجد إلى

جنبه شقيقته «آمنة» لتستلهم موقفاً زينبيّاً يوفّر للبطولة قدراً أكبر من التّأثير.

إنّنا لا نستطيع مواكبة كلّ المسيرة الجديدة للاستشهاد، ولكن التأمّل في بعض محطّاتها سوف يمنحنا رؤية لحقبة تاريخيّة شاء القدر أن يكون الصّدر بطلها الوحيد.

إنّ جميع المؤشّرات تشير إلى أنّ الصّدر لم يكن متفائلاً إزاء مستقبل العراق، بل كان يدرك أنّ الشّعب العراقي يعيش حالة تشبه إلى حدّ كبير الحقبة التي سبقت سنة ٦١ هـ؛ حيث الحقّ مغلوب على أمره. وكان إعدام «عارف البصري» ورفاقه، بعد محاكمة صوريّة، يدلّ على أن البعث العراقي اختار البطش والقسوة مع التيّار الإسلامي الذي يمثّل الوعي العميق لامّة مسلوبة الإرادة.

كان الصّدر في مكتبته عندما وصله نبأ إعدام الشّيخ «عارف البصري»[1] ورفاقه لمجرّد الرّأي، وربّما يكون هذا الحادث، وبالرّغم من خطورته، أوّل اختبار يجريه النّظام لإرادة الأمّة التي سجّلت فيه أدنى درجات الوعي وانعدام الإرادة.

كان الصّدر يبكي بحرقة، فقال له تلميذه، وهو يحاوره:

ـ إذا أنت تصنع هكذا، فماذا نفعل نحن؟

أجاب الصّدر، وهو يكفكف دموعه:

ـ يابني والله لو أنّ البعثيين خيّروني بن إعدام خمسة من أولادي وبين إعدام هؤلاء لاخترت إعدام أولادي.

---

(١) استشهد مظلوماً مع صحبه، ومرّ الحادث بسلام ما عدا تجمّع طلابي أمام «الطب العدلي» ما لبث أن تفرّق مذعوراً.

كان البعث العراقي قد بدا قدراً صارماً لا تمكن مواجهته، فكانت خططه التّدميريّة تنفّذ بقوّة ونجاح، وكانت الأمّة تنسلخ من تاريخها وحاضرها ومستقبلها لتصبح ألعوبة بأيدي أوغاد قذرين.

كانت عجلة البعث العراقي تسير بقوّة، تسحق كلّ من يقف في طريقها.. حتّى أنّ الشّعارات المرفوعة بدت فيها روح الاستفزاز واضحةً، بل وكانت تبعث على القيء من قبيل: «جئنا لنبقى».

وكان من المتوقّع أن تسير الامور على هذه الوتيرة، لولا حادث كبير وقع فأيفظ الجميع.. الأعداء والأصدقاء..

لقد انفجرت ثورة الإسلام، وجاء رجل يحمل ملامح الأنبياء ليطيح بعروش الجبابرة. ويوم أعلنت طهران أنّها صوت الثّورة الإسلاميّة في إيران، بدأ تاريخ جديد، واتّخذ الصّراع في العراق منحىً آخر اتّسم بتسارع الأحداث نحو مشهد لا يقلّ بريقاً عن مشهد عاشوراء «الحسين»عليه السلام.

اشتعالات قبيل الغروب

جاءت انتفاضة الأربعين من «صفر»، عام ١٣٩٧هـ١٩٧٧م، أوّل صِدام عنيف بن الشّعب والنظام. وفي غمرة تلك الحوادث الدّامية بات واضحاً لدى الطّرفين أنّ «الحسين»عليه السلام لا يزال يقاتل في كربلاء، وأنّ دمه الطّاهر يهب الأحرار حماساً فريداً في الإقدام والتّضحية والفداء. وكان للسّيّد الصّدر في تلك الحادثة موقفه الرّائع في دعم الانتفاضة وتغذيتها بالّروح، كأنّ روح «الحسين»عليه السلام تسكن في أعماقه، وكان من رأيه دعم المواكب الحسينيّة التي تتدفّق صوب كربلاء في

موسوم عاشوراء لأنّها الطّريق الأمثل في بعث الرّوح الإسلاميّة وانبعاث الضّمير المسلم من جديد، وكان يقول: «إنّ هذه المواكب شوكة في عيون حكّام الحور، وإنّه يجب أن تبقى».

إنّ الفكر وحده، مهما كان عميقاً، لا يخرج عن دائرة العقل، وإنّ التّغيير المنشود يحتاج إلى العاطفة المتأجّجة.. العاطفة التي يمكن أن تشعل لهيب الثّورات في العالم، من أجل هذا كان الصّدر يتطلّع إلى جدّه «الحسين»عليه السلام، يستلهم ذكراه ويحاول السّير في خطاه؛ فالضّمير المثقل بالخوف والإرهاب يحتاج إلى عمل بطولي يحطّم حاجز الّرعب، وقد قال الصّدر من قبل: «لقد وضع البعثيون طوقاً من الخوف على رقاب الشّعب العراقي وسأعمل على تحطيم هذا الطّوق».

وبالرّغم من عدم وجود الصّدر في الواجهة إبّان الانتفاضة، ولكن كان هناك ما يشير إلى القلب النّابض فيها كما تشير البوصلة إلى القطب دائماً.

وإذا كان «ابن سعد» قد ظهر، سنة ٦١ هـ بوصفة بيدقاً أمويّاً، لتنفيذ أبشع مذبحة في التّاريخ، فإنّ عام ١٣٩٧ هـ شهد كلباً دنيئاً هو «أبو سعد» ليتولّى اعتقال السّيد الصّدر واقتياده مخفوراً إلى بغداد.

وفي بغداد، تعرّض الصّدر إلى تعذيب نغول بغداد، وكان قرار الإعدام جاهزاً، فقد بات الصّدر نقيضاً للبعث الحاكم في العراق؛ حيث وجود أحدهما يعني فناء الآخر.

وقد كشّر النّظام القذر عن أنياب تنزّ صديداً، وخاطب الصّدر بلهجة مليئة بالتّهديد والوعيد:

ـ إنّنا نعلم أنّك وراء هذه الأعمال العدوانيّة، ونعلم أنّك قدّمت لهم الأموال، لكنّنا نعرف كيف ننتقم منك في الوقت المناسب ولولا انشغالنا بالقضاء على هؤلاء (المشاغبين) لنفّذنا الإعدام الآن! ولكن سترى بعد حين مصيرك.

لقد وقع الحادث قبل انتصار الثّورة الإسلاميّة في إيران بعامين تقريباً، ولمّا حدث الزلزال الإيراني، برز الصّدر متقلّداً سيف جدّه «الحسين»عليه السلام؛ برز لوحده يقاتل نظاماً دمويّاً مجهّزاً بجميع وسائل القمع والموت والدّمار. ونظام البعث العراقي يمثّل ذروة الوحشيّة.. نظام لا يتورّع «الشّرطي الأولّ» فيه حتّى عن أكل رؤوس الأطفال.

وهكذا انتخب الصّدر طريقه العجيب.

ولعلّ الأمّة في العراق كانت تحلم بالبطل الجديد.. البطل الذي سيقدّم ثمن البطولة، وهو الموت.

لحظات الغروب

لقد سجّل التاريخ عام ٦١ هـ على شواطئ النهر بكربلاء قصة أولئك النفر من جيش «يزيد» كيف كانوا يبكون وحدة «الحسين عليه السلام»، وكانوا يتضرّعون الى الله أن ينصره!.. إنّها قصة الضمير المسلوب الإرادة.

هكذا كانت النجف، وهي ليست عن كربلاء ببعيدة...، حالة مدمرة من الترقّب وانتظار المعجزة.

بدت المدينة الصغيرة ذلك المساء، من يوم الاثنين السادس عشر من «رجب» ١٣٩٩ هـ؛ حيث التاريخ الهجري على اعتاب قرن جديد.. بدت موحشة.

ذئاب الليل تنتشر هنا وهناك واستعدّ الصدر للبلاء، وكانت الى جانبه شقيقته امرأة تحمل ملامح «زينب عليها السلام» في كلّ شيء.

العيون الزجاجية مفتوحة ترقب منزلاً صغيراً أوى صاحبه الى النوم آمناً مطمئناً، والعالم من حوله يموج بالغدر.

انطوى الليل، واستيقظ الفجر كئيباً رماديّ اللون، وجاء زوّار الفجر.

قال رجل الأمن، وهو يلوك الكلمات بصفاقة:

ـ السادة المسؤولون في بغداد يريدون الاجتماع بكم في بغداد.

أجاب الإمام بانفعال:

ـ إذا كنت تحمل أمراً باعتقالي فنعم اذهب، وإن كانت زيارة فلا.

وأضاف بألم:

ـ إنّكم كممتم الأفواه وصادرتم الحريات، وخنقتم الشعب، تريدون شعباً ميتاً، يعيش بلا إرادة ولا كرامة، وحين يعبّر شعبنا عن رأيه أو يتّخذ موقفاً من قضية ما، حين تأتي الألوف لتعبر عن ولائها للمرجعية وللإسلام، لا تحترمون شعباً ولا ديناً، ولا قيماً، بل تلجأون الى القوّة، لتكمّوا الأفواه وتصادروا الحريات وتسحقوا كرامة الشعب.. أين الحرية التي تدّعونها؟!

لاذ رجل الأمن بالصمت.. الصمت الذي يعبّر عن لا شيء وعن كلّ شيء.

هل فوجئ رجل الأمن بموقف لم يتوقّعه.. لقد رأىٰ أُمّة بأسرها تركع، وها هو يشهد تمرّد فرد واحد يعبّر عن كرامة شعب سحقت تحت الأقدام؟

وغادر موكب عجيب البيت المتواضع الذي بدا في ذلك الفجر الرمادي شيخاً ينتحب بصمت.

كلمات منقوعة بالنار

الطريق المؤدي الى شارع «زين العابدين» هو مجرد خطى معدودة في حساب الجغرافيا. أما التاريخ فله حساباته التي لا تختلف عن الجغرافيا فحسب، بل وقد تتناقض معها في بعض الأحيان.

أصحاب العيون الزجاجية (الغرباء) منبثّون في الزوايا هنا وهناك، وفي أيديهم رشاشات «الكلاشنكوف»، يريدون أن يوقفوا عجلة التاريخ.

فبدت، ذلك الفجر، حيات وأفاع تنظر من خلال فوّهات مدهوشة الى رجل يحمل فيَ وجهه ملامح «موسى بن عمرانعليه السلام» وفي عينيه بريق «الحسينعليه السلام».

كانت «آمنة» تستلهم «زينب».. تستلهم صبرها وشجاعتها، وهي تخطو الى حيث احتشد الذئاب.

ووقفت «آمنه» في مواجهة نظام مدجّج بالسلاح، ووقف التاريخ يصغي الى كلمات منقوعة بالنار، مضمّخة بصهيل كربلاء:

ـ انظروا! أخي وحده بلا سلاح.. بلا مدافع ورشّاشات.. أما أنتم بالمئات.. وهتفت، وهي تشير الى عشرات «الغرباء».

ـ انظروا.. أنتم بالمئات.. هل سألتم انفسكم لِمَ هذا العدد الكبير وكلّ هذه الأسلحة؟ لأنكم تخافون، ووالله لولا ذلك لما جئتم لاعتقال أخي في هذه الساعة من الفجر.

وأطلقت صرخة مدويّة:

ـ لماذا لا تجيئون إلا والنّاس نيام؟.. لماذ تختارون هذا الوقت، هل سألتم أنفسكم؟

هناك لحظات يتحوّل فيها الصمت الى حديث هو أبلغ من جميع الأحاديث.. لغة عجيبة.

كان الصمت يغمر المكان تماماً، وكانت العيون الزجاجية ترقب أمرأة عجيبة كأنها ليست من بنات «حوّاء».. سيدة من سيّدات التاريخ، مازال التاريخ يردّد كلماتها، وهي تخاطب أخاها في قبضة الجلّادين:

ـ اذهب يا أخي.. الله معك، فهذا هو طريقنا، وهذا هو طريق أجدادك الطاهرين.

عادت «آمنة» الى المنزل.. كأنها تعود الى قلعة مهجورة، فيما رحل الرّجل الذي اختار طريق الحسين‌عليه‌السلام ..

قال رجل يخشى الموت ويشفق منه على «آمنة»:

ـ أما كان من الأفضل أن تتريّثي؟ كلماتك الثائرة تبشّر بالخطر، سوف يفتحون لك صفحة جديدة في سجلاتهم.

أجابت «زينب هذا العصر»:

ـ إن ديني يدفعني لاتخاذ هذا الموقف.. لقد انتهى زمن السكوت.. ولابدّ لنا من أن نفتح صفحة جديدة من الجهاد.. لقد سكتنا طويلاً.. وكلّما طال سكوتنا، كبرت محنتنا. لماذا أسكت وأنا أرى مرجعاً مظلوماً في قبضة هؤلاء المجرمين؟

قال الذي أشفق من الموت: ولكنهم قد يعدمونك، فهم مجرمون.

قالت «آمنة»، وفي قلبها دويّ من كربلاء:

ـ والله! إنّي أتمنّى الشهادة في سبيل الله.. منذ يوم «الوفود» وأنا أتمنّى ذلك، أنا أعرف هذه السلطة وأعرف وحشية هؤلاء وقسوتهم.. الرجل عندهم والمرأة

سواء.. أما أنا فسيّان عندي أن أعيش أو أموت مادمت واثقة من أن موقفي كان لله ومن أجله.

«آمنة» تتحدثّ بلغة عجيبة.. لغة لا يفهما إلّا قليل من العالمين. من أجل هذا بقيت وحيدة إلّا من بعض المشفقين.

وكان على «آمنة» أن تفعل شيئاً.. لقد ولدت «زينب».

أشرقت الشمس.. شمس يوم الثلاثاء.. حزينة كعين تنتحب، أوجمرة متوقدّة تبشّر بالثورة.

حثّت «آمنة» الخطى نحو مرقد جدها العظيم.. «علي».. «علي» الذي قال مرّة، وهو على شاطئ الفرات بصفّين:

ـ الموت في حياتكم مقهورين.. والحياة في موتكم قاهرين.

كل شيء كان هادئاً داخل الضريح، حيث يرقد بطل الإسلام الخالد «علي بن أبي طالب عليه السلام» كأنه عاد توّاً من صفين أو النهروان.. كلّ شيء كان هادئاً سوى تمتمات الدّعاء من شفاه المؤمنين... أو تأوّهات المظلومين..

وجاءت «آمنة» تتوشّح عزم «زينب عليها السلام».

ـ يا جدّاه! لقد اعتقلوا ابنك الصدر.. فإلى الله المشتكى!

والتفت الى ثلّة من أمّة نائمة.. علّها تستيقظ.. تهبّ من نومها فتتذكّر بيعة قديمة للحسين عليه السلام.

كلما ادلهمّت الخطوب، أو قسا الزمان.. وكلّما ظهر «يزيد» يعيث في الأرض فساداً، تطلّعت القلوب الى رجل يدعى «الحسين عليه السلام»، والى حفيده الذي يأتي في آخر الزمان.. يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وهكذا شهد «الحرم الطاهر» أوّل تجمّع يستنجد «بالمهدي الموعود»، فـلقد امتلأت الأرض ظلماً وجوراً وفساداً.

كثيرون هم الذين يتصوّرون أن «المهدي» من اختراع «الشيعة»، فهذه الطائفة من البشر مظلومة عبر التاريخ، فأبناؤها لم يعيشوا بسلام أبداً، مـقهورون أيـنما حلّوا. لهذا ركنوا الى من سيخلّصهم.. الى من يمنحهم الأمن والطمأنينة والسلام. و«المهدي» منحهم ذلك الشعور، فناموا على القهر. كلا.. «المهدي» ليس أسطورة وإن حيكت حوله الأساطير. «المهدي» رجل من ولد «الحسين عليه السلام» علويّ ثائر.. مطلوب من جميع حكومات الدنيا.. من جميع طغاة التاريخ، ينتظره المعذّبون.. في كل زمان ومكان. إنّه الأمل، والأمل أعظم شيء يملكه الإنسان.

من أجل هذا اجتمع المؤمنون في حرم الإمام «علي عليه السلام» يهتفون باسم المنقذ المنتظر.

من أجل هذا ينهضون كلما ذكر «المهدي عليه السلام»، حركة أشبه بالرمز تعبّر عـن الإرادة والاستعداد للثورة تحت لوائه عليه السلام... يضعون أكفهم فوق رؤوسـهم تـحية مباركة طيبة للفارس الأخضر.

يوم الثلاثاء.. يوم طويل.. من أيام الله.. لقد استيقظ الضمير المثقل بالخدر.. أيقظته صرخة لها صدىً زينبي؛ وكانت انتفاضة «رجب» بكـلّ زخـمها الشـعبي صدىً لصرخة هذه السيّدة العظيمة.

خرجت تظاهرة في النجف.. تندّد.. تهتف باسم الصدر.. بحسين العصر.

وخرجت تظاهرة في الكاظمية (مدينة الميلاد)، ومثلها في «الخالص» مـن أرض ديالى، وتظاهرة في مدينة «الثورة» بغداد عاصمة «السفّاح».

كان «الصّدر» أسيراً في قبضة «المغول» من نغول بغداد. العيون الزجاجية تبرق حقداً وشتائم بذيئة كلعاب الأفاعي تنفلت من الأفواه الكريهة.

وجاء «البرّاك» يحمل سيف الشمر، وكان كلّ شيء ماثلاً.. والجريمة وشيكة. الجميع ينتظرون لحظة الذبح. حتى الإمام الصدر كان هو الآخر ينتظر ميلاده الجديد.. ميلاده شهيداً. سوف تتدفّق دماؤه حمراء.. حمراء.. تمتزج بمياه الرافدين.. وعندها سيهبّ النائمون وتحدث المعجزة. هكذا علّمه «الحسين عليه السلام».

كان سيف الشمر على وشك الانقضاض عندما جاء رجل من أقصى المدينة يسعى.

قرأ «البرّاك» ورقة صغيرة. تراجع الذئب المتحفز في الأعماق، اختبأ وراء قناع لحمل وديع.

أخفت الأفاعي أنيابها.. ألسنتها المشقوقة، وحاولت أن تبتسم لرجل أسير في يده عصا «موسى» وفأس «إبراهيم عليه السلام».

وفكّر الصدر لحظة: ربمّا حدثت المعجزة واستيقظ الشعب. هاهو يصغي الى صهيل فرس غاضبة تقاتل في كربلاء تدفع عن فارسها غائلة السيوف الغادرة.. تمرّغ ناصيتها بالجراح النازفة.

وعاد الصدر الى النجف، وهو أكثر تصميماً وعزماً على المضي في طريق «الحسين عليه السلام»، طريق قلّ سالكوه.. طريق مصبوغ بدماء الأنبياء، وتنتصب على جانبيه أعواد المشانق.

هاجس عاشوراء

لعلّ شيعة العراق وحدهم هم الذين يدركون هواجس الإمام الصدر، وهو يتحدّث عن لغة الجراح وموت الشهادة، فهذا الرجل أدرك نفسه ودوره، وأدرك الظروف التي تحيط به، وشمّ في الأفق رائحة «الحسين عليه السلام» وأصغى الى صهيل جواده، والى صوته وهو يشحذ سيفه عشيّة عاشوراء.

ولقد سمعه العديدون، وهم يتمتم قائلاً: «العراق بحاجة الى دم كدمي».

وإذا كان قرار النظام العراقي هو إعدام الصدر أو اغتياله، فإنّ ذلك يعود الى تصميم الإمام نفسه على الشهادة.. فالشهادة لدى الشيعة انتصار، والموت الأحمر في نظرهم خلود أخضر.

لا أحد يدري متى ولد «الحسين عليه السلام» في أعماق الصدر، ومتى أضحت كربلاء هاجسه الوحيد.. ولكن من المؤكد أن شقيقته «آمنة» هي الإنسان الوحيد الذي أدرك ما يعتمل في ذلك القلب الكبير، وأدركت أنه يحتاج الى «زينب».. لهذا تشرّبت «آمنة» «زينب» ومضت معه في الطريق العجيب الذي انتخبه أخوها العظيم.

في آونة مبكّرة كان الإمام الصدر يعيش هاجس كربلاء، وكان يردّد أمام بعض تلامذته ذلك قائلاً: «إن الأمة مبتلاة اليوم بذات المرض الذي ابتليت به في زمن «الحسين» وهو فقدان الإرادة، فالأمة تعرف حزب البعث، ولا تشك في طبيعة الحاكمين في العراق.. لا تشك في فسقهم وفجورهم وفي طغيانهم وظلمهم.. ولكنها فقدت إرادتها..

إن علينا أن نعالج هذا المرض بذات الخطوة التي قام بها «الحسين عليه السلام»، وهي

التضحية الكبرى التي هزّ بها المشاعر، وأعاد دماء الحياة الى عروق الأمة من جديد.

ويبدو أن الفكرة قد اشتعلت في ذات الإمام الصدر حتى لم تعد إلا خطوات يقطعها الى مسرح كان قد عيّنه من قبل، وهو الصحن الطاهر لبطل الإسلام «علي بن أبي طالب عليه السلام».

عندما نفتّش في زوايا التاريخ؛ نقلّب صفحاته السوداء والبيضاء والصفراء، فإننا نجد في هذه البقعة أو تلك من دنيا الله.. في هذا العصر أو ذاك من نهر الزمن المتدفّق ثلّة تجتمع تحت جنح الظلام على ضوء القناديل أو الشموع أو المصابيح الخافتة؛ تتهامس لقلب نظام حكم ما، أو الاطاحة بعرش أو دولة.. تخطط للهجوم.. للثورة والانتصار، وهي في كلّ ذلك تتمنّى النصر والغلبة والسيطرة.

أما أن يجلس إنسان أعزل وحيد يخطّط لذبحه، ليتدفّق دمه في مكان ما أعدّ له من قبل، فهذا لم يحدّث به التاريخ أبداً، إلا أن نقول إنّ «الحسين عليه السلام» قد اختار كربلاء ليذبح وينتصر، وإذا كان ذلك كذلك فإنّ الصدر سيكون ابن «الحسين عليه السلام»، وتلميذه الأوحد عبر التاريخ.

وهكذا تكلّم الصدر.. بلغة الجرح.. لغة عجيبة تستمد أبجديتها من شاطئ الفرات بكربلاء.. فيها دماء قانية.. وصهيل.. وفيها إباء، وفيها ما يشبه الجنون، وبخاصّة لدى «العقّال» من العالمين!

ولكن ما الذي منع الصدر من تنفيذ فكرته؟ مَن الذي حال دون إتمام وعده؟

لقد عاش الصدر في زمن عجيب له مقاييسه «المأسلمة».. مقاييس ليست من الدين في شيء! حيكت لتكون ثوباً يستر «العورة».

أرسل الصدر من يجسّ له «الضّغط» والحرارة، في المدينة، فألفاها الرسول «ترتجف» لمجرد «التسفير» وعاد بخفي حنين.

يمّم الصدر صوب «الخميني» الرجل الوحيد الذي يفهم لغة الصدر.

أصغى الإمام لحديث عجيب، وهزّته الكلمات الثائرة تنساب مع الجراح.

يا لهول المشهد. الصدر يخطب في أمّة من الناس. يقاوم ويهاجم، ثم يسقط شهيداً تتدفق دماؤه طاهرة تلون الأرض بلون الشفق.

سكت الصدر وظلّ «الخميني» مطرقاً برأسه ترى ماذا سيقول.. وبعد صمت مدوٍّ تمتم الإمام:

ـ لا أدري!!

إنّ المرء لن يتوقع جواباً أبلغ من هذا، فيه حزن الأنبياء.. إنّه يدري ويقول: لا أدري.

ونهض الصدر ينوء بثقل الرسالة.

لاءات في زمن الذلّ

لم يقل فرعون: «أنا ربّكم الأعلىٰ» إلّا بعد أن وجد من يسجد له ويمجّد اسمه، ولم يوجد الاستعمار إلّا بعد أن سبقته قابلية للاستعمار، ولم تظهر النظم الدكتاتورية إلّا في المجتمعات الخائفة المهزوزة من الأعماق.

إنّ البطش الصدّامي، في العراق، لم يولد من العدم. لم يظهر من الفراغ لولا وجود أرضية تضجّ بالخنوع والذل والعبودية.

ولم يكن «صدام» سوى انعكاس لمجتمع مثقل بالضعة، وخلاصة لعصر

الانحطاط.

ومن هنا يبرز موقف الإمام الصدر في بطولة نادرة المثال إذا ما وضعت في ظروفها المريرة التي لا يمكن تصوير أهوالها.

وعندما تركع أمة بأسرها، فإنّ تمرّد فرد واحد سوف ينتزع الإعجاب إعجاب الأصدقاء والأعداء معاً.

ومن أجل هذا تكلّم رأس «يحيى عليه السلام»، وتحدّث رأس «الحسين عليه السلام».. ومن أجل هذا لا يزال الصدر في ذروة الحضور رغم غيابه.

في الظهيرة، وقبل اسبوع من الكارثة، جاء رجلان «خاقاني» و«تكريتي».. جاءا من عند «النمرود» الذي يقول:

أنا أُحيي وأُميت!

جاءا يخوّفان رجلاً لا يعرف ماهو الخوف. جاءا يخوّفانه بالموت؛ والموت لم يعد لديه منية بل أمنية.

جاءا يمنّيانه بالحياة.. وما أتفهها في زمن الذل!

قال «الخاقاني» بعد حديث طويل:

ـ لقد جئتك من عند «صدّام» أحمل معي خمسة شروط هي خمسة طرق للحياة، وسادسها الموت، فاختر لنفسك أحدها:

ـ أن تتخلّى عن تأييد الثورة في إيران وعن «الخميني».

ـ أن تصدر بياناً تؤيد فيه بعض مواقف الحكومة حتى لو كان ذلك حلّ المسألة الكردية أو تأميم النفط.

ـ إصدار فتوى بتحريم الانتماء الى حزب الدعوة.

ـ إلغاء فتوى حرمة الانتماء الى حزب البعث.

ـ إجراء مقابلة مع مراسل صحيفة أجنبية، أوعراقية، والاجابة عن مسائل فقهية عادية.

قال الصدر، وقد تأهبّ للرحيل:

ـ فإذا لم استجب؟

ـ كما قلت لك، يا سيدنا، والله لقد سمعت «صدّاماً» يقول: سوف أعدمه.

قال الصدر:

ـ إذن كلّ ما كنت أطمح إليه في الحياة هو أن تقوم حكومة للإسلام في الأرض، ولقد تحقّق ذلك. والآن فإن الموت والحياة عندي سواء.

أما التأييد لبعض المواقف فلا.

وأما حزب الدعوة فلا أحرّم الانتماء اليه.

وأما حزب البعث فلا أُجيز الانتماء اليه.

وأما المقابلة فلا.

والتفت الصدر الى رجل تكريتي أذهلته لاءات عجيبة.

ـ أخبر صداماً أنه في أي يريد اعدامي فليفعل.

العراقيون وبعض سكّان شرق المتوسط يعرفون ماذا يعني «رجل الأمن». إنّه ذئب في إهاب إنسان، وحش بشري له عيون زجاجية وقلب منحوت من ثلوج سيبيريا. في أعماق هذا المخلوق المخيف يوجد إنسان مغيّب في ظلمات، قيّد بالسلاسل والأغلال. ترى كيف تمكّن الصدر، وفي لحظة، أن يحطّم أنياب الذئب، وأن يحرّر الإنسان في الأعماق المظلمة لتدمع العينان الزجاجيتان.

لو كانت هناك أجهزة يمكنها رصد ما يجري في أعماق النفوس لسجّلت انهيارات مدويّة، ولسمعت أصداء الأنقاض وهي تتراكم بعضها فوق بعض.

هتف التكريتي، وهو يبكي:

ـ حيف والله حيف.

ونهض ليقبّل يداً تشير الى طريق لا يسلكه أحد من العالمين.

رؤيا

عندما يغمض المرء عينيه عن الدنيا، فإنّهما تنفتحان على عالم آخر.. عالم لا يمت الى هذا العالم بصله، وتشتدّ درجة الرؤية، حتى لتصل احياناً مرحله الشهود الكامل وكشف الغطاء، فإذا البصر حديد.

لقد أزفت ساعة الرحيل، وهذه إشارة من العالم الآخر. وقال الصدر:

رأيت «إسماعيل» و «آل ياسين» جالسَين وبينهما كرسي خال هو لي، كان هناك ملايين الناس ينتظرون.

وتمتم الإمام، وهو يروي رؤياه:

ـ وأنا أبشر نفسي بالشهادة.

جريمة في بغداد

اهتزّ العراق من أقصاه الى أقصاه على أثر سقوط أعتى عروش الشرق الأوسط ونجاح الثورة الإسلامية، وبدا الشعب العراقي يهتزّ طرباً على أناشيد حماسية.. هنا طهران، صوت الثورة الإسلامية.

ومنذ ذلك التاريخ، شهد العراق تغيرات كبرى.. جاءت سريعة ومثيرة..

فقد تمّت تنحية «البكر» عن «الرئاسة».. وظهر «صدام» الحاكم المطلق... ولم تكد تمضي أسابيع حتى استيقظ الشعب العراقي على مسلسل الإعدامات الجماعية التي بدأت بشخصيات حزب البعث ممن تشمّ منهم رائحة الاستقلال.. إنها إرادة «النمرود» الذى يزعم أنه يُحيي ويُميت. وفي «آب» تساقطت رؤوس واحد وعشرين بعثياً.. وظهر «صدّام» وحشاً مصّاصاً للدماء، وسُمِعَ يقول: والله لو وقفت زوجتي وأبنائي في طريقي لأذبتهم بالتيزاب!

وبدأ عصر الرّعب، وانتشرت رائحة الدم، وسادت ظاهرة ارتداء ثياب الحداد؛ والشباب المسلم يساق الى أعواد المشانق زرافات زرافات.

وإذا كان «معاوية» يدّس السمّ في العسل ويقتل معارضيه، فإنّ جلّاد بغداد بدأ يضع سمّ الفئران في اللبن، وكان الذين يطلق سراحهم من السجن يموتون بين أبنائهم وأهليهم، بعد أن ضجّ الجلّادون من حدّة الإعدامات.

وفي هذا الزمن قال الصدر: لا.

لقد تضاربت الروايات حول الطريقة التي تمت فيها تصفية الإمام، لكن هناك ما يشبه الحقيقة.. وهي أنّ «صداماً» لم يكن يتصور أن يقف في طريقه أحد؛ لهذا أراد أن يتأكّد بنفسه، فاستدعى الإمام الى القصر الرئاسي، وكان هناك طريقان.. إدانة الثورة في إيران أو الموت، ولم يتردّد الإمام الصدر في الاختيار.

سأل الوحش: أي نوع من الموت تختار؟

قال الإمام:

ـ أن أُذبح كما ذُبح «الحسين عليه السلام».

ولكن «صدّاماً» كان يجهل مهنة جدّه «الشمر»، فأمر بقتل الإمام رمياً بالرصاص.

وخلع الإمام عمامته لمجابهة رصاص الجلّادين، وقام «النمرود» بإطلاق الرصاص، وقتل الإمام.

الذين يعرفون ساديّة «صدَّام» يدركون الأهوال التي تعرّض لها الصدر قبل أن يستشهد. لقد أراد «يزيد» الجديد أن يقهر «الحسين عليه السلام» الكامن في الأعماق، فاستخدم ألوان التعذيب. ولكن الروح العظيمة كانت تشتدّ صلابةً وعنفواناً. ولقد حانت لحظة الخلاص.. الخلاص من ويلات الأرض، وولوج العالم الآخر.

إنّ أحداً لن يحيط أو حتى يدرك سرّ الإنسان وهو يتأهّب لدخول ملكوت السماء؛ وهؤلاء الذين شهدوا اللحظات الأخيرة قبل مصرع الإمام وقد اعترتهم الرجفة ـ رغم ولوغهم في الدماء ـ قد رأوا شيئاً جعلهم يعجزون عن تنفيذ الجريمة فنفّذها «صدام».

«وكان قتل الإمام الصدر يعني أنه لم يعد هناك حياء، ولم تعد هناك حدود، ولم يعد هناك معقول ولا معقول، ولم يعد هناك ما تتوقّعه وما لا تتوقعه.. كل حرمات الشعب العراقي مستباحة ومهتوكة تحت سنابك حصان الغازي صدام»[1].

أرايت كيف يعيد التاريخ نفسه؟ إصغ الى «السبط» وهو يسبر الآفاق في عاشوراء:

ـ يا أمة السوء، بئس ما خلّفتم «محمّداً» في عترته. أما إنّكم لا تقتلون رجلاً

(١) يوميّات بغداد، صافي ناز كاظم.

بعدي فتهابون قتله بل يهون عليكم ذلك بعد قتلكم إيّاي.

ولقد صدقت نبوءة ابن النبي، فاجتاحت جيوش «يزيد» المدينة قتل صحابة كانوا حول الرسول ﷺ وانتهكت ألف عذراء.

وبعد مذبحة الحرة حوصرت مكة، وقصفت الكعبة بالمجانيق وأُحرقت، فلم يعد هناك حياء.

واعقب مصرع الصدر خوفاً ورعباً، ونُفّذت إعدامات جماعية، وباتت جميع الأسر العراقية خائفة تترقب.

وإذا كان «يزيد» قد اجتاح المدينة، وأهلك الحرب والنسل، وحاصر مكة، وأحرق بيت الله الحرام، فإن «صداماً» بدأ عدوانه الشامل ضدّ إيران.. إيران «الخميني» التي أعلنت نفسها دولة من دول المواجهة مع إسرائيل.وكان الغزو البعثي العراقي بداية لسلسة من المآسي لا تزال مستمرة حتى اليوم.

إنّ اللحظة التي اعتلى فيها «الشمر» صدر «الحسين عليه السلام» هي لحظة رهيبة تزلزلت لها الأرض، وأمطرت لها السماء دماً عبيطاً.

الإنسان هو جزء من الكون إذا لم يكن خلاصته كلّه، وإنّ كل ما يجري في التاريخ الإنساني الطويل لابدّ من أن تكون له آثاره الكونية سلبياً أو إيجابياً.

إنني اسجل هذه السطور لمن يصدّق أولا يصدّق، لأني لا أُريد أن أقرّر ظاهرة علمية بقدر ما أسجّل واحدة من مشاهداتي التي ظلّت محفورة في ذاكرتي الى اليوم.

كنت حينها في ضواحي «كركوك» شمال العراق، وكان الوقت عصراً وقد بدا الجو مشحوناً.. متوتراً.. وشيئاً فشيئاً سادت صفرة كثيفة، اشتدّت لتتحول الى

حمرة مخيفة، والغبار يغمر الأرض من دون رياح حتى تعذّرت الرؤية لأبعد من أربعة أمتار، وساد الوجوم والخوف الوجوه، وأدّى بعضهم صلاة الآيات، وتساءل رجل بصوت يشوبه الحزن: أتراهم قتلوا سيّداً؟!

ولقد ظلّ هذا التساؤل أياماً حتى ظهرت الحقيقه.

نعم لقد قتلوا سيّداً.

لقد بايع سكان المدينة بعد الاجتياح على أنهم عبيد ليزيد، وكان ذلك نتيجة لمصرع «الحسين عليه السلام» الذي كان يمثل كرامة الإسلام والإنسان.

واستسلم العراقيون إلا قليلاً لإرادة «صدّام»، وقد حدث ذلك بعد مصرع الصدر، وقد كان يمثل كرامة الشعب العراقي بأسره.

سوف تمرّ الأيام؛ ويجري نهر الزمن. لقد غاب الصدر وسوف يموت جلاّده، وستنطوي صفحات التاريخ، الواحدة تلو الأخرى، وسيأتي من يقرأ عن رجل قال: لا، في زمن الذل، فدفع حياته ثمناً لذلك.

ستكتب قصة فريدة من قصص التمرد لرجل نهض وحده يقاتل نظاماً مدجّجاً بأسلحة الدمار والموت، ولم ينهض معه سوى امرأة اسمها «آمنة».

الإمام روح الله الموسوي الخميني / المتوفى سنة ١٤٠٨ هـ

الظَّاهرة، ومنطقة البحث عنها

الإمام الخميني ظاهرة هزَّت كلّ شيء.. التَّاريخ والوجدان، والخميني دخل فجأة ليصوغ العالم من جديد، ويعيد تركيب المفاهيم في مجالات الحياة جميعها...

ولهذا كان مدوِّياً في ظهوره، وكان مدوِّياً في غيابه.. فهو الغائب الحاضر، والشَّاهد الشَّهيد والإنسان الإلهي... الإنسان الذي صاغه الإسلام وقدَّمه إلى العالم.

ففي زمن يلفُّه الضَّباب.. في زمن يعربد فيه الشيطان.. وفي زمن تولول فيه رياح الزمهرير وهي تجوس المدن الخائفة.. وبدا الإنسان مستسلماً.. إذا بالأرض تهتز وتربو وتنجب «روح الله».. وإذا بالعالم يرنو إلى وجه مشرق، يحمل شارات الأنبياء.. فجاءنا سيفاً قرآناً.. صهيلاً مخزوناً من كربلاء.. من يوم عاشوراء..

وعندما أشرق بدأ عصر الزَّوابع.. لأن الخميني بدا كأنه قادم من أعماق التاريخ.. تاريخ الرِّسالات الإلهية..

كان بشارة هذا العصر..

أجل بدأ زمن الزَّوابع، والغيوم المخزونة بآلاف البروق والرعود.. كأنه

الحسين قادم من أرض كربلاء... جواداً ينبعث من أعماق رمال الصَّحراء..

في صوته أنغام الزَّبور.. تراتيل التَّوراة.. بشارة الإنجيل وآيات القرآن الكريم..

فأية روح ينطوي عليها روح الله الخميني؟! وأي قلب يضم صدره؟! وما الذي يحمله من سلاح لكي يهزم نظاماً مدجَّجاً بأسلحة الدمار جميعها؟ بل كيف تأتّى له أن يهزم الشيطان الأكبر؟ هل كان يحمل عصا موسى أو فأس إبراهيم أو روح الحسين؟ أجل أية روح هي روحك الكبيرة؟ حتّى يرفض قبرك صمت المقابر.. وحتّى يدوِّي صمتك الآن بلغة مدهشة هي أبلغ من أبجديات الدنيا جميعها.

ألأنك التحقت بالحسين.. والذين التحقوا بالحسين لن يموتوا... ألأنك اكتشفت نبع الخلود؟

ليعذرني القارئ على هذه السُّطور الملتهبة لأنني لا أستطيع أن أتحدَّث عن الخميني..

ولأنه لا يمكن سبر المخزون الرُّوحي للإمام الراحل.. لأننا بطبيعة الحال لا نملك الأدوات التي تعيننا في الكشف عن هذا المضمون العميق الغور والذي يرتبط بالسماوات البعيدة.

فالرجل، وبلا جدل، كان إلهياً.. وكان إنساناً موفَّقاً في اكتشاف الطَّريق إلى السماء بحيث تستحيل حركاته وسكناته إلى نظام دقيق يشبه نظام الكواكب والنجوم.

وإذا ما أردنا أن نفهم هذا الإنسان يتعيَّن علينا أن نكتشف خطوة الحسين التي

هي ذروة الفناء الكامل من أجل الإنسانية... لقد كانت الخطوة الحسينية آخر الخطى في طريق الحبّ الإلهي..

أجل يتعيَّن علينا أن نفهم كلمات الحسين في تلك البقعة من دنيا الله، وهو يهتف:

تركت الخلق طرّاً في هواكا

وأيتمت العيال لكي أراكا

فلو قطَّعتني بالحب إربا

لما مال الفؤاد إلى سواكا

ولذا يتعيَّن على المرء إذا ما أراد اكتشاف الإمام الخميني، أن يسبر أغوار النفس الإنسانية ليس في ضوء معطيات علم النفس الحديث فقط... وإنما توظيف الأطر الإسلامية، واستخدامها، في أية دراسة جادَّة يمكن أن تكون لها نتائج تتجاوز، بل وتحطِّم السقف الحضاري الذي وضعته الثقافة المادية والنمط الغربي في التفكير.

وفي مثل هكذا دراسة يتوجَّب أن نتوغَّل في ميدانين مهمَّين هما: «التصوُّف» و«العرفان» بالرغم من التداخل الشديد بينهما.. ثمّ بسبب التناقض الحاد في النتائج، أعني في المواقف النهائية إزاء مسألة الوجود والحياة ودور الإنسان.

ومع هذا، فإن الدرّاسة يجب ألَّا تغفل مفردات مثل الحبّ الإلهي والتجارب الروحية لأئمّة أهل البيت عليهم السلام.

وفيما يخص الظَّاهرة الصُّوفية يمكننا أن نتصور هذا المشهد مثلاً:

«واقفاً كان على شاطىء دجلة، الأمواج تتدافع بين يديه.. ذاهلاً عن منظر

النخيل الباسق وهو ينهض على امتداد جبهة النهر، وقد بدت ذرى المآذن وقباب المساجد من خلال سعف النَّخيل.. أسماله وشعره المسترسل مع الريح يصرخان بهويَّته.. درويش عابر سبيل..

ويقترب أحدهم منه، ويدور هذا الحوار:

ـ أتريد أن أوصلك إلى الضِّفة الأُخرى؟

ـ لا.

ـ أتريد أن تغرق؟

ـ لا.

ـ ما تريد إذن؟!

تمتم الدرويش بذهول:

ـ أريد الذي يريد!»

وهذا مشهد معبِّر له دلالات تحكي انسحاق إرادة الإنسان في مساره وتجربته الحياتية.

إننا إذا ما أردنا أن نفهم الظَّاهرة الصُّوفية، ونتعرَّف إلى البواعث في الجنوح إلى التصوُّف.. هذا العالم الذي يعج بالتصورات والأوهام وقدر من الحقائق.. وما تفرزه النفس البشرية بجميع امتداداتها المترامية وعمقها السحيق..

وهناك نقطة حياتية في دراسة هذه الظاهرة الروحية والنفسية، وهي عدم الاقتصار على تجربة معينة أو مقطع زماني محدد، من دون التوسُّع في الإلمام بالتجارب المتنوعة في هذا العالم الغامض والامتداد مع التاريخ الحضاري للإسلام والتوقف في هذه الصومعة أو الدخول في ذلك «الخانقاه».

على أن دراسة ظاهرة التصوف ستقودنا إلى دراسة ظاهرة أُخرى، تلك هي ظاهرة العرفان، التي قد نجد كثيراً من أوجه الشبه بينهما مع انفصالهما في محاور جوهرية، وبخاصَّة في البعدين الفردي والاجتماعي.

وفي دراسة مثل هذه الظاهرة المعقدة.. يجد المرء نفسه غائصاً في عالم النفس الإنسانية، يحاول أن يتعرف طبيعة مكنوناتها والقوى التي تتجاذب فيها قيادة الإنسان لتسيطر على مساره وتجربته في الحياة.

فهناك مساحات شاسعة تزخر بالأوهام والخيال الوثَّاب، وهناك ميدان تموج فيه الغرائز والميول البشريَّة.. وهناك إلى جانب ذلك كلّه آفاق ممتدة تتألق فيها الحقائق التي أودعها الله سبحانه لتكون مصابيح تضيء الطريق أمام عباده.

ولعلّ هذا ما ترمز إليه آيات القرآن الكريم، وهي تتحدَّث عن:

«النَّفس اللوَّامة».

«النَّفس الأمَّارة بالسوء».

و«النَّفس المطمئنَّة».

ومن هنا فإن أية دراسة، في هذا المضمار، يمكنها أن تسوفي شروط البحث الموضوعي، ينبغي أن تتحرَّك في إطار نفسي يتألَّف من ستة أبعاد لها دورها في رسم الحياة الإنسانية، فهناك:

ـ الفطرة: التي هي مستودع السرّ الإلهي في حياة بني آدم بما يجسِّد بشريَّتهم وإنسانيتهم.

ـ العقل: الذي يمثِّل دائرة التمييز والتأمُّل بما يمتلكه من مسلَّمات منطقيَّة.

ثمّ تأتي:

ـ الإرادة: التي تجسِّد حرية الإنسان واستقلاله.

ـ الضمير الإنساني: الذي يمثل القانون الأخلاقي في أعماق البشر.

كما يأتي:

ـ القلب: بوصفه مركزاً للعاطفة الإنسانية والجزء النابض الذي يتلقّى الإشراق والوعي[1].

أمَّا البعد السادس والمهمّ فهو:

ـ مجموع الأهواء النفسية، حيث تحتدم الغرائز البشرية الظامئة دوماً والتي تنشد الإشباع[2].

ومن هنا، فإن الشخصيه الإنسانية إنما هي حصيلة التجارب البشرية الحياتية، وما يسفر عن الصراع المستمر والدائم في الأعماق، ونتائج الحرب الداخلية، ودور المؤثرات البيئية بجميع أبعادها السياسية والفكرية والاجتماعية وحتّى الجغرافية في حسم الصراع لصالح اتجاه ما داخل النفس الإنسانية.

وعندما نتحدَّث عن الأهواء النفسية يجب ألَّا تتداعى في أذهاننا الصُّور السلبية عنها.

ذلك أن الأهواء إنَّما تمثل جزءاً من الطبيعة والطاقة الإنسانية الخاضعة للتوجيه والترشيد سلباً والايجاباً، ويمكن أن نسوق من عالم الفيزياء معادلة الطاقة الذرية مثلاً، فهي تبيِّن مقدار الطاقة الكامنة في الكتلة بعيداً عن طريقة استخدامها في مفاعل نووي لإنتاج الكهرباء أو لصنع قنبله ذرية لا تبقي ولا تذر!

---

(١) ولعلّ هذا ما ترمز إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿افمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾. وقول النبي ﷺ في تفسيرها: «إن النور إذا وقع في القلب انفسح له وانشرح» البحار: ١٢٢/٧٣.

(٢) الشيخ محمّد مهدي الآصفي ـ الهوى، ١٦.

فالأهواء النَّفسية البشرية طاقة خاضعة للاستخدام السلبي والإيجابي انطلاقاً من معادلة أخلاقيَّة معيَّنة.

ومن هنا ينبغي أن ندرك أنَّ الأهواء يجب أن تبقى ضمن إطارها طاقةً محرِّكة ومنعها من تسلُّم زمام القيادة في الحياة الإنسانية فرداً وجماعة.. لأن ذلك يعني هزيمة الإرادة ومركز القرار وإقصاء العقل، أو تحجيم دوره، وإعراضه عن القانون الأخلاقي الذي يمثله الضمير والوجدان الإنسانيَّان.

فالأهواء التي يستنكرها القرآن الكريم بشدَّة، ويهاجمها، هي الأهواء التي احتلَّت موقع القيادة في حياة البشر، كما نرى ذلك واضحاً في قوله تعالى:

﴿أفرأيت من اتَّخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه...﴾[١].

﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم إنما يتبعون أهواءهم﴾[٢].

﴿فلا تتّبعوا الهوى﴾[٣].

﴿ولا تتبع أهواءهم﴾[٤].

ولعلّ هذه الأهواء المتسلِّلة إلى مركز القيادة والتي اغتصبت دور العقل هي التي يواجهها ردّ الفعل في الجنوح إلى التصوُّف.. فالتصوُّف يحارب الأهواء ليقضي عليها لا ليطردها من مركز القيادة فقط، ويتركها تمارس دورها بوصفها طاقةً محرِّكة.

وفي هذه المنطقة نجد التأرجح في فهم «الزهد».. فهناك ابتعاد عن الحياة

---

(١) الجاثية / ٣.

(٢) القصص / ٥٠.

(٣) النساء / ١٣٥.

(٤) المائدة / ٤٩.

وجنوح إلى الانزواء.. وهناك في الطرف المقابل امتلاك للحياة وتحرُّر من العبودية للمادة والدنيا، وفي هذه المنطقة ينبغي أن نبحث عن الإمام الخميني.

يقول الإمام الشَّهيد محمّد باقر الصَّدر: «المسلمون الذي يمارسون إعمار الأرض بوصفها جزءاً من السماء، يتطلَّعون إليها ويسهمون في تنمية الثروة باعتبارهم خلفاء عليها، أبعد ما يكونون عن الزُّهد السلبي الذي يقعد الإنسان عن دوره في الخلافة، وأقرب ما يكونون إلى الزهد الإيجابي الذي يجعل منهم سادة للدنيا لا عبيداً، ويحضُّهم ضد التحول إلى طواغيت لاستغلال الآخرين»(١).

أجل يجب أن نفتِّش عنه في محراب جامع الكوفة.. وننصت إلى مناجاة علي بن أبي طالب في المحراب، أو بين باسقات النخيل في قلب الليل:

«مولاي يا مولاي أنت المولى، وأنا العبد، وهل يرحم العبد إلَّا المولى؟! مولاي يا مولاي أنت الدائم وأنا الزائل، وهل يرحم الزَّائل إلّا الدائم؟ مولاي يا مولاي أنت الدليل وأنا المتحيِّر، وهل يرحم المتحيِّر إلَّا الدَّليل؟!».

وهذه كلمات منقوعة بالحبّ الإلهي لإنسان عاش في قلب الأحداث، حمل السلاح وهو في العشرين ورافق الرسول الأكرم ﷺ حتّى النهاية، بل وسار على خطاه إلى أن هوى شهيداً في المحراب فيما كان يستعدّ لخوض حرب مصيرية من أجل تصحيح المسار الحضاري الإسلامي.

اجل يجب أن نبحث عن الإمام الخميني في مسجد النبي الأكرم ﷺ في المدينة المنورة وننصت إلى مناجاة زين العابدين:

«يا من أنوار قدسه لأبصار محبيه رائقة، وسمات وجهه لقلوب عارفيه شائقة..

(١) محمّد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة.

يا منى قلوب المشتاقين..

ويا غاية آمال المحبِّين..

أسألك حبَّك، وحبَّ من يحبك، وحبَّ كلّ عمل يوصلني إلى قربك..»[١].

ينبغي أن نفتش عنه في أرض كربلاء.. لأنه يصرِّح قائلاً: «كلّ ما عندنا هو من عاشوراء».

وإذا ما دقَّقنا النظر جيداً سنراه يمسك في يمينه قرآناً وفي شماله الولاء لأهل البيت عليهم السلام.. وهما معاً يؤلفان الثقلين، ميراث الرسول صلى الله عليه وآله الخالد.

ولا نغفل أيضاً، ونحن نبحث عنه، أن نتأمل بين تلافيف العقل الفذ لصدر المتألهين وفلسفته وأسفاره الروحية الكبرى. وقد نستعين ببعض الإشارات التي يرصدها أصدقاؤه أو الشعراء الذين انبهروا بشخصيته، بل وحتّى الذين يمكن تصنيفهم في خانة الأعداء والخصوم.

الإمام في ضمير الشعر العربي

يقول الشاعر العربي مشدوهاً ومتسائلاً:

بربك قل ما السر فيك لوثبة ... هزرت بها الأعماق في عالم الجحد

وما السر في قلب لديك؟ أخاله ... يهد بلا حرب ويرمي بلا جند

وقفت كبحر في الأعاصير واسع ... وفي زحمة التيار كالجبل الصلد[٢]

ويقول الشاعر الكويتي خالد مسعود:

كلحظة الأنفاس في خطوه ... لتستقي من روحه النفحتين

من جده حيناً ومن جده ... يا للعطاء الثر منك اليدين

---

(١) الصحيفة السجادية، المناجاة التاسعة.

(٢) إلى الإمام الخميني، منشورات للمستضعفين.

ظـنوا قـطاف المجد مـن بـعده وبـعده كـالقرب فـي المـرتين
مسـافة قـد قـاسها كـيس كـلمحة الطَّـرف لذي مـقلتين[(١)]

ويقول الشاعر الجزائري مصطفى الغماري:

ورأيت فـي عـينيك رمـزاً ثـائراً يـنهل مـن شـفة الضـياء ويـزهر
يـمتد قـرآن الخـلود جـبينه وجـراحـه بـدمى التآمـر تسـخر
يـمتد فـي نـار الحـضور حـضوره إن ضجّ كسـرى أو تـململ قـيصر
أبـداً يـريد القـرب، شـل عـبيره «تحجيم» ثـورته التـي لا تـقهر[(٢)]

ويقول الشاعر العراقي جواد جميل:

يا ثاقب النـظرات المسـتفيض بـها حباً إذا مـا غـفا مـن غـيره النـظر
في حاجبيك من الإصـرار مـلحمة مـن التـواضـع إلّا أنـه كـبر
تـمدُّ كـفَّاً إلى التـاريخ تـنبئه بأن جرحك رغم السيف مـنتصر[(٣)]

ويقول الشاعر اليمني محمود مفلح:

هـم يـمدحونك كـلّ شـيء إنـما يـتجاهلون بسـيفك الإسـلاما
لو شـع نـور الحـقّ فـي حـدقاتهم عرفوا العـقيدة مـنهجاً وحسـاما[(٤)]

ويقول الشاعر السوري صالح عظيمة:

أهدى الحسين إليك السيف وابتسما فسـر وحـقك لن تـرتدَّ مـنهزما
عـليك مـنه صـفات ليس يـعرفها إلّا الوفيّان من ضحّى ومن عزما[(٥)]

ويقول الشاعر اللبناني أحمد مغنية:

---

(١) عودة البطل، صحيفة القبس الكويتية العدد ٥٤٧٣ ـ سنة ١٩٧٩.

(٢) ديوان خضراء تشرق من طهران.

(٣) صدى الرفض والمشنقة.

(٤) مجلة الإرشاد العدد ١ محرم ١٤٠٠، جريدة الجهاد ١٩٨٣.

(٥) مجلة صوت الأمة العدد ٢ جمادي الثانية ١٤٠٠.

ماذا تريد مـن القـلوب وتـطلب؟ وهـواه أنت تـجود فـيه وتـخصب
إنـي قـرأت عـلى جـبينك آيـة تـحصي خـلالك للكـرام وتـنسب
فـرد يـقوم بـما تـقوم جـحافل أو فوق مـا يـرجـى ومـا يـترقَّب

وهذه قطرات من بحور الشعر العربي الذي تغنى بـالخميني إنسـاناً وثـورة وملهماً للأحرار[١].

الإمام في رؤى أصدقائه

وعندما نحاول أن نكتشف الإمام لدى أصدقائه[٢] والذين رافقوه في جهاده الطويل والمرير سنجد أحدهم يقول:

«خمسون عاماً لم يترك الإمام صلاة اللَّيل»[٣].

وصلاة الليل صلاة تقام في الهزيع الأخير من اللَّيل.. هذه الصلاة أوجبها الله سبحانه على سيّدنا محمّد ﷺ لتعزيز قدرته الرسالية.

ويضيف أنصاري كرماني: «يقرأ القرآن بـصوته المـلائكي الشـجي مـرّات عديدة في اليوم» و«لقد سمعت صوت الإمام الملائكي مرات عديدة وهـو يـقرأ دعاء كميل».

«وخلال ١٥ سنة قضاها في مدينة النجف الأشرف، واظب الإمام على قراءة الزيارة الجامعة الكبيرة ليلياً، وهي تستغرق ساعة كاملة يقضيها إلى جوار مرقد الإمام علي بن أبي طالب».

---

(١) يمكن مراجعة كتاب: الخميني والثورة في الشعر العربي، جعفر حسين نزار الذي انتخبنا منه هذه الأبيات.

(٢) أخذت هذه الشهادات عن كتاب: الإمام قدوة، ترجمة عـلي العـلوي، مـنشورات لواء الصـدر، طـهران ١٩٨٣.

(٣) أنصاري كرماني.

وعندما أعلن بني صدر أن الأطباء الألمان وغيرهم صرَّحوا بأن الإمام يعاني تدهوراً في صحته ولا قدرة لقلبه على العمل الكثير، فإنه (الإمام) يتمشى يومياً ساعتين أو ثلاث ويستغرق في تسبيح الله أو قراءة زيارة عاشوراء «وعلاقة الإمام بأهل البيت لا يمكن وصفها لأنه كان عاشقاً لأهل البيت فما أن يسمع «يا حسين» حتّى تنساب دموعه بالرغم من معرفتنا بصبره وقدرته الفائقة على تحمل المصائب».

وفيما كانت مشكلة احتلال السفارة تأخذ أبعاداً خطيرة، في داخل إيران، بسبب الرهبة من رد الفعل الأمريكي، قال الإمام والطمأنينة تشع من عينيه: «إن أمريكا لا تستطيع أن ترتكب أية حماقة».

هذه الطمأنينة التي طبعت الإمام فيما كانت المتفجرات وT.N.T يدمر مؤسسات حساسة برمتها ويتساقط أصدقاؤه شهداء الواحد بعد الآخر.

هذه الطمأنينة التي رافقته ولم تفارقه فيما كانت الطائرات المغيرة تحاول قصف منزله والصواريخ البعيدة المدى تتساقط في العاصمة طهران.

وكان الأطباء يندهشون لانتظام دقات قلبه في أشدّ المنعطفات خطورة: «لأنَّ الذين ارتبطوا بالله لو أخذ منهم الوجود لما فتئوا يقولون: الخير في ما وقع»[1].

أمّا قصّة البحث عن بيت للإمام فتلك قصة طويله لم تنته إلّا عندما عثر على بيت مبني بالآجر والطين في حي شعبي شمال العاصمة.

ويقول آية الله ناصري:

«خلال محاضراته لم يغفل الإمام لحظة واحدة عن الأحداث السياسية وما

---

(١) أنصاري كرماني، الإمام قدوة.

يجري في إيران، كان يؤكِّد عليّ وباستمرار بضرورة إيصال الأخبار إليه ومراقبة الأحداث بدقة...».

وشاهدته مرّات عديدة وهو يستيقظ في منتصف الليل ويكتب بياناً أو منشوراً فيصور ويطبع سراً، ثمّ ننقله إلى الخارج ويفرح الإمام بوصوله إلى الخارج».

«وخلال السنتين اللتين قضيتهما في السجن لم أكن أتوقع من الإمام أن يفعل شيئاً من أجل إطلاق سراحي.. لأنه قال لنا وأمام جمع من الطلبة: إذا كان عملكم من أجلي وإذا سجنتم من أجلي، فأنا لا أملك لكم أجراً، ولا تفعلوا ذلك.. وإذا كان عملكم لله فهذا هو تكليفكم الشرعي فلا تتوقعوا مني أن أعمل لكم شيئاً».

«من المعروف أن درجة الحرارة في مدينة النجف الأشرف شديدة، وتجتاز في بعض الأحيان الـ ٥٠ م.. ذهبت يوماً إلى الإمام وبصحبة عدد من الأخوة.. قلنا له: الحرّ شديد، وأنت لا تتحمله لكبر سنك.. الناس يذهبون ليلاً إلى الكوفة.. والجو هناك ألطف. أجابنا: كيف تريدنني أن أذهب إلى الكوفة من أجل الجو اللطيف في الوقت الذي يقبع فيه أخوتي في سجون إيران؟»

«عندما يجلس ليشاهد ما يعرض على شاشة التلفاز من صور مؤلمة للفقر والحرمان.. كان يبكي»[1].

وفي وقت يصرِّح فيه ثائر فلسطيني: «لقد سقطت فلسطين من الذاكرة العربية» كان الإمام يعبِّىء الرأي العام الإيراني ضد إسرائيل، كأنه ينظر إلى المديات البعيدة، ويرى أن الحلّ القومي سوف يخفق في النهاية في حلّ مشكله فلسطين، وأن شرف القدس يأبى أن تتحرر إلّا على أيدي المؤمنين، كما عبر عن

(١) المصدر نفسه، ص ٥٩ ـ ٧٢.

ذلك الإمام المغيب موسى الصدر (فرَّج الله عنه).

ومنذ وقت مبكر والإمام يعلن أن إسرائيل كيان غير شرعي، وأنه يجب محو إسرائيل من الوجود.

وفي هجوم السافاك على المدرسة الفيضية وارتكاب مذبحة بحقّ الشعب، قال الإمام وسط الجراح النازفة: «لقد حفر ابن رضا خان قبره بيده»، ولم يمر سوى عقد ونصف من الزمن حتّى حفر الجلَّاد قبره إلى الأبد مع سقوطه.

أمّا الشيخ توسلي الذي رافق الإمام، وهو لا يزال صبياً لم يبلغ الحلم، فيتحدَّث عنه قائلاً:

«تعرَّفت على الإمام ولم أبلغ الحلم بعد، وما تزال كلماته محفورة في قلبي في أيام الصيف، وخلال عطلة الحوزة العلمية في قم، يذهب إلى مدينة «محلات» القريبة من «قم» وهناك يمضي العطلة، وذات عام صادفت العطلة شهر رمضان المبارك، فكان الإمام يلقي دروساً في الأخلاق في المسجد الجامع للمدينة قبيل غروب الشمس وكنت أحرص على حضورها لحبي الشديد لها.

جاء الإمام يوماً كعادته يلقي درسه، ففوجىء بوجود قطعة فراش وضعت خصيِّصاً له، فرفعها على الفور وجلس على السجادة المفروشة في المسجد كالآخرين».

وسئل نجله المرحوم السيّد أحمد الخميني عن موقف والده إزاء مشكلة الثقافة والثقافة الغربية، فقال:

ـ الإمام حسَّاس جداً إزاء الشرق والغرب، وهو يكرِّر دائماً: «إن حسناتهم سيئات»، وكان يقول: «لنعلم أنه لا شيء يعوزنا.. وعلينا أن نعتمد على أنفسنا ونقف على أرجلنا إلى أن نعتمد على قدراتنا.. وشيئاً فشيئاً يمكن أن نحوِّل ضعفنا إلى قوة، وحينها لا نكون بحاجة إلى شخص أو دولة أُخرى إن شاء الله».

أمَّا موقفه من «بني صدر» فقد عبَّرت عنه كلماته الموجزة عندما قال: «لقد انتهى بني صدر ولا أمل فيه». وكان ذلك بعد الفتنة التي اندلعت في جامعة طهران وسالت فيها الدماء.. ومع ذلك فإنَّه لم يتخذ موقفاً انفعالياً وظلّ يتعامل مع بني صدر بحكمة إلى أن هزم الأخير. أما كيف هزم فإن الإمام قد ألزمه بعهد أخلاقي ألزم جميع الخصوم وهو التوقف عن المهاترات.. والتزم خصوم بني صدر، أما هو فقد نقض العهد وكان الإمام يتوقع ذلك لأنه قال لي: «أردت أن يتعرف الناس وبشكل علني من هو الذي سينقض العهد»[1].

ويقول الشيخ القرهي، وهو يتحدَّث عن ذكرياته مع الإمام في النجف الأشرف في مطلع السبعينات: «عندما أخذت الحكومة العراقية تشدِّد من ضغطها على الناس، وبدأت حملة تسفير الإيرانيين، بلغ الضغط درجة أدخلت الرعب في قلوب الجميع حتّى المراجع الذين كانوا هناك، بالإضافة إلى عدد كبير من العلماء إن لم أقل كلّهم.. إلّا الإمام.

لقد كان في وقتها صدَّام الطاغية هذا نائباً لرئيس الجمهورية أحمد حسن البكر.

وفي ذلك الجوِّ المرعب ألقى الإمام ذات ليلة خطاباً في منزله، وبالرغم من وجود جهاز لتسجيل خطابه قال الإمام بكل شجاعة: «إن هذه الحكومة لا يمكن تسميتها حكومة».

وعندما أطلق سراحه بعد اعتقاله على أثر حوادث الفيضية قال: «والله لم أعرف الخوف طوال عمري حتّى في تلك الليلة التي أخذوني فيها، فقد كانوا هم خائفين».

---

(١) المصدر نفسه، ص ٨٧ ـ ٩٥.

هذه مجرد ملاحظات تسجيلية[١] رافقتها ولا شك مشاعر ممتزجة بالدهشة ممّا يفعله الإمام.. ولكن أيّاً من هؤلاء لم يسبر تلك الروح الكبيرة والنفس العميقة الغور وذلك المكنون المخزون ممّا تموج به شخصية الإمام التي ظهرت لنا أخّاذة ومتألّقة..

الإمام في رؤية كاتب أمريكي

والآن لنجرِّب محاولة تسجيلية وانطباعات أُخرى أكثر عمقاً.. وباختصار ما سجَّله الكاتب الأمريكي «روبن وودزورث كارلسف» لدى زيارته طهران سنة ١٩٨٠م.

ولم يكن هذا الرجل بخبرته الواسعة وثقافته وأسفاره العديدة عاديّاً.. فهو في ما يبدو قد جاء في مهمة لاكتشاف قوة الثورة من خلال شخصية قائد الثورة، وبما يمتلكه بطبيعة الحال من أدوات الحضارة الغربية في الرؤية والتحليل.. ولذا فإن إفاداته ستكون مهمَّة جداً..

فهو يصرح بشكل واضح قائلاً: «فقد تحين لي الفرصة أخيراً فأقيِّم قدر هذا الرجل بنفسي.. ستفحصه بدقة حساسيتي الروحية الناقدة»[٢].

ثمّ يؤكد نظراته المسبقة: «لا يمكنني في النهاية أن أقبل الفكرة القائلة: إن للخميني كياناً متحرِّراً روحياً».

«فبالرغم من أن معظم القديسين وأولياء الله المشهورين ظهروا عادة من جهاز عبادي رفيع التركيب ومنظَّم وتمتد جذوره إلى الماضي البعيد. بالإضافة إلى ممارستهم الطَّهارة والنَّقاوة.. فهم حين يصلون إلى قمة تقواهم وورعهم ينفصلون

(١) مجموعة من العلماء، الإمام قدوة، ترجمة علي العلوي، منشورات لواء الصدر، ط ١٩٨٣.
(٢) الطريق إلى جمران، ترجمة محسن أحمد عبدالحقّ، ص ١٤.

عن السياسة فلا تبقى لهم صلة وثيقة بمظاهر الحياة السطحية..».

وهو يعترف صراحة بأن الإمام الخميني، في نظر الغرب، «رمز لأعنف وأعند كبرياء».

والكاتب، وبطبيعة حصيلته وتصوُّراته عن القديسين، وحتّى الصوفيين بأنهم قد حقَّقوا قدراً من الوحدة بوعي محض.. فكانت حقيقة الحبّ المشرقة، فهناك في رأيه قدر من الدهشة في شخصية الإمام الخميني، التي يجب أن تتجه إلى السماء أكثر من الأرض بكلّ ما تعنيه الأرض من سياسة وأحداث وهموم.

والآن لنتابع انطباعاته وهو يدخل القاعة؛ حيث احتشدت الجماهير الملتفّة لرؤية الإمام: «وساد الوقار، وخيَّمت المهابة على سلوك جميع المترقِّبين لمقدم الإمام.. حين ألقيت بصري على المنصَّة.. على المكان الذي ألقى منه الخميني مئات الخطب والأحاديث.. شاهدت عيناي المكان في هدوء حقاً.. تشيع فيه الطهارة والصفاء والنقاوة.. بل تجمَّعت كلّها في كتلة من الطاقة.. أيكون الإمام إنساناً مؤيَّداً روحياً؟

انكشفت له الحجب؟ أهو صوفي حقيقي؟ ربّما كان أكثر من ذلك..»

«وحين ظهر الخميني لدى مدخل المنصة قفز الجميع ناهضين مهلِّلين: خميني! خميني! خميني! في صوت واحد ينبض بفرح..».

«كان فيضاً طبيعياً من التسبيح والحمد والابتهال أطلقته شخصية هذا الرجل الغامرة وفخامتها التي لا تقاوم..».

«أحسست بإعصار من الطاقة يتدفَّق خلال الباب..».

«شعرت وكأننا تضاءلنا جميعاً في حضرته.. وكأن لم يبق في القاعة شيء سواه.. لقد كان كتلة من النور دافقة نفذت إلى بصيرة كلّ حاضر ومشاعره».

ثمّ يعترف الكاتب الأمريكي بصراحة:

«لقد دمَّر كلّ المعايير التي ظننت أنها ستعينني على تقييمه وتحديد قدره..».

«لقد توقعت.. مهما كان مظهر هذا الرجل. أن أفحص قسمات وجهه بدقة.. وحوافزه.. بحثاً عن حقيقته.. غير أن قدرة الخميني ووقاره وسيطرته المطلقة.. دمرت جميع أساليب التقييم التي أتبعها..».

«لقد كان إعصاراً.. ولكن ما إن استقر بصرك لأدركت لتوك أن هناك مركز سكون مطلق داخل هذا الإعصار.. فبينا هو جاد.. حازم، مسيطر.. تجده أيضاً هادئاً ومنصتاً.. لقد كان بداخله شيء راسخ وثابت.. ذلك الشيء الثابت.. هو ذاك الشيء ذاته الذي حرك دولة إيران برمتها... أهذا إنسان عادي؟»[١].

«لقد كان الخميني مركز هذا الانفجار الإسلامي.. ولقد كان أيضاً منبع الطاقة الروحية التي تغلغلت في قلوب المسلمين بالشرق الأوسط..».

«لم يبتسم مرة.. لقد ثبتت قسمات وجهه في إصرار تمليه إرادته... وكأن الله حمله أمانة كلّ شيء.. لقد بذل حياته في خدمة الله.. فلم يكن هناك شيء يضحك..».

«لقد عقد العزم.. وقام على الطريق.. يعالج العقبات المترقبة.. ليعيد للإسلام عزه الذي بشرت به نشأته السماوية.. لقد عاش للإسلام وأصبح الداعي الفعَّال لإحياء الإسلام فليس له من غاية سوى تطبيق الإسلام.. لقد اندمجت ذاتيته في كلّ ما يحمل هدفه الأعلى من معان..».

«ما استشففت فيه ولو لمسة طفيفة من اختلال.. وما لمحت أي اهتزازة.. وما نالت منه خلجة واحدة لما تعج به البيئة حوله.. لا.. ما أحسست غير هالة الواجب الحتمي الذي وضعه تماماً في خدمة الخلق..»[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٣ ـ ٣٤.

«ومن المسلَّم به أن العلوم جميعها بما فيها علم النفس.. لتعجز كلّها عن إثبات الحقائق الكامنة في ملاحظاتي. وتلك المشـاهدات تـخرج عـن قـدرة الآلات والأجهزة لقياسها وتقنين مداها، أو لتشخيص الحـقائق التـي تكـمن وراء هـذه التجربة التي عشتها، ماذا أقول؟

ربّما تصدر عن قلب الخميني استنتاجات شاسعة مترابطة.. ليست كتلك التي تصدر عنا والتي لا زالت تتخبط في قبضة التضارب والتردد اللذين اعـتادتهما، فباتت تفتقد الأمان».

«لقد أشاع فينا إحساساً بأنه لم ينتصر على نفسه فصار سيّداً لها فحسب.. بل أنه أصبح الآن أعلى من ذلك بكثير.. لقد صار الآن خادماً لسيّد آخر.. ولنـا أن نفترض في هذا المجال أحد أمرين: إمّا أنَّه نذر نفسه وكرسها لجوءاً إلى الله.. أو أنه ارتقى فعلاً إلى مرتبة قداسة دائمة.. ذلك الموضوع الذي دارت حوله مناقشات وجدل بيني وبين كلّ من إبراهيم يزدي والأستاذ اللبناني..».

«إن أقل ما يمكنني قوله.. إنني رأيته كأنه أحد أنبياء العهد القـديم.. أو أنـه موسى الإسلام.. حضر ليدفع فرعون الكافر عن أرضه».

ولا يعني ذلك أن الخميني يقارن نفسه بالمسيح مطلقاً.. ولكنه يتألّق بـنفس النزاهة التي لا مساومة فيها، والتي لا تقبل أنصاف الحلول.. وله قصد لا يحيد عنه قيد أنملة..».

«وعجيب أن يحمل إنسان بين جنبيه الكثير من أسرار الكون ذاته..»[١].

«إن الخميني حقيقة.. وقد أدى وجوده البارز شخصياً كـان أم مـتجرداً إلى تقلُّص انطباعي عمّا عداه من القادة السياسيين الذين قابلتهم في حياتي..».

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٧.

«فهو لم يستمد الكثير من كيانه هنا من كلماته.. ولا من سلطته.. ولكن من واقع وجوده ومن كيفية رد فعل الكون لهالة شخصيته المنظمة..».

«لقد اقتحم الإمام الخميني على قلبي وعقلي بتيار من العاطفة التي يمكنني أن أصفها بيقين بأنها إيجابية قصوى.. وهذا ما أفضِّل أن أطلق عليه لفظ: الحب».

«فقد كان مشحوناً بحبٍّ بدا لي فعلاً أنه أصاب من القلب فطهَّره.. وملأه بنعيم ما تذوَّقت له من قبل حلاوة..».

«لقد شاءت الأقدار أن يكون الإمام الخميني هو تلك الحقيقة الوحيدة التي أخذت بآفاق أفكاري إلى مدارك أوسع، مشاعر أكثر رحابة، فكان الحقيقة التي طهَّرت قلبي وأنارت لي عقلي وتركت في أثره إحساساً من الرضا لا تخبو شدَّته.. وسيظل هذا الرضا ملازماً لي حيث أكون».

«إن الإمام روح الله الموسوي الخميني، رغم ذلك، دليل فائق وبيّنة سامية لقدرة الإنسان على إحراز الكرامة التامة والكمال..».

«ولما كان الخميني حقّاً من عباد الرحمن يحمل بين جنبيه حقيقة الإسلام.. واستحق أن ينال حبّاً يضاهي حبّ الشيعة للاستشهاد.. لزم علينا كمشاهدين أن نحاول فهم هذه الثورة.. وأن نقف على مدى حكمة الله في إيصال هذه الحقيقة إلينا.. والحقيقة التي وصفتها هنا هي الحقيقة ذاتها التي يتمركز عليها تماماً مستقبل الشرق الأوسط.. وإنني أعتقد أنه لن يدرك إنسان تبلور مصير الشرق الأوسط، واتجاهات القوى التي تشكل الآن أحداثه حتّى يتعرّف بصدق ما كتبت، وحتّى يميز هذه الحقيقة»[1].

«إن تصرفات مثل هذا الإنسان تسيطر عليها قوة علم خارقه ربّما تقوم

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤١.

بحساب أنشطة العالم الأكبر.. فلم تعد ذات هذا الإنسان المعتادة تحدد تصرفاته أو تتحكم فيها.. لقد صارت ذاته كونية.. ومن ثمّ فإن مكانة هذا الإنسان وقدرته العقلية، ومستوى انفعالاته تعكس بالضرورة الحقيقة الكونية التي تتضمنها أحاسيسه ومداركه.. أتراني أصف الإمام الخميني؟».

«وما كان تقدُّم آية الله الخميني نحو إدراكه لطبيعته غير المحدودة.. وطفرته إلى الأحاسيس النقية الطاهرة ولجوؤه إلى الله المطلق.. ما كان ذلك سعادة دون جهد.. وما تحققت بأسلوب تسام طبيعي بسيط؛ لا.. ما تحققت إلّا بعزيمة هائلة لا تقهر.. وتفان ملتزم لا ينحرف عن شريعة الإسلام وقوانينه..

وما من مشاهد للإمام الخميني إلّا وأحس وكأن الخميني عاش منذ مولده حياة محدَّدة الاتجاه تستهدف أسمى غرض من خلال أعظم التقاليد العالمية..».

«فهو منذ البداية كمشاهير الهند من القديسين مثلاً.. دأب على المعرفة.. زاهداً في متعة الشباب المعطَّلة.. وركز انتباهه على غاية الحياة كلّها.. والتعرف الكامل على ماهية النفس.. وما فتئت أن بقيت ذاته غير مطلقة بسبب طبيعتها القائمة على الشروط والاحتمالات.. ولكن ذاتيته الآن.. لجأت إلى المطلق.. فما عاد لها من قصد سوى العمل في خدمة ذلك المطلق.. وأقر أني ما رأيت من قبل تعبيراً للمطلق أكثر صلابة ممّا شهدت..».

«ويبدو أن الخميني على معرفة بمفهوم الله على أنه المطلق.. واستشهد مؤكداً ببعض العبارات من أربع محاضرات منفصلة[١]:

[وأسماء الله هي.. أعلام لذاته سبحانه، وما هي إلّا أسماؤه التي يعرفها الإنسان.أما ذاته سبحانه فلا يدركها إنسان.. وحتّى خاتم الأنبياء.. أكثر الناس

---

(١) قام الأستاذ عبدالحقّ بترجمة النصّ الإنجليزي وهو مترجم بدوره عن العربية أو الفارسية حيث مؤلفات الإمام الراحل باللغتين، ولعلّ النصّ مأخوذ من كتاب الإمام الهام «مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية».

علماً وأعظمهم نبلاً لم يحط علماً بذات الله.. إن الله لم يطلع العقول على تحديد صفته وذاته، ولكنه سبحانه لم يحرمها طريق معرفته..

فإن كان النور أو الوجود مطلقاً وليس كمثله شيء، فهو يتضمَّن بالضرورة الكمال كله.. ذلك لأنه إذا فقد نقطة واحدة من كماله.. أمكن تحديده وتمييزه.. فإذا كان في الذات الإلهية على سبيل الجدل نقطة نقص واحدة لكان معنى ذلك تغيُّب نقطة من الوجود.. ولما عاد الوجود بعد ذلك مطلقاً.. فيصبح بذلك غير كامل.. بل يصبح عرضاً.. ولا يعد ضرورياً.. إذ أن الوجود الضروري لابدّ من أن يكون مطلقاً في كماله وجماله.. وعلى ذلك فنحن نستعرض الأمر حتّى من خلال طريقة «البرهان المنطقي» غير الكاملة، فإننا نصل إلى أن الله تعالى هو «ذات الوجود المطلق» التي هي منبع الإيحاء كله.. وتتضمن هذه الذات الالهية الأسماء كلّها.. والصفات كلّها.. وهي الكمال المطلق.. الكمال الذي لا يمكن تحديده.. ذلك الهدف الذي من أجله جاء الأنبياء جميعهم، ليسودوا الإنسان قدماً في هذا العالم، فيخرجوه من الظلمات إلى رحاب النور المطلق. لقد أراد الأنبياء أن يغمروا الإنسان في هذا النور المطلق.. فتندمج القطرة بأحضان المحيط.. لقد أرسل النبيون جميعهم من أجل هذه الغاية..

إن المعرفة الحقيقية.. والحقيقة الموضوعية كلّها تنتمي لذلك النور.. فلا وجود لنا جميعاً.. ويعود أصلنا إلى ذلك النور المطلق.. محررين من غياهب الظلام وحجب النور.. وحتّى البعض وهم لا يزالون في عالمنا هذا سينجحون في الوصول إلى مرحلة تتجاوز مدارك خيالنا عن اللاوجودية وعن مواراتنا في ذات الله عزّوجلّ][١].

(١) المصدر نفسه، ص ٤٤ ـ ٤٥.

«وأنا أعرف أن الخميني يجابه كلّ قوى الشر في العالم.. وأن شيئاً من خلال الإسلام يحدث بما قد يغير للأمّة الاتجاه الذي اتبعه الغرب ولا يزال.. فالإمام الخميني هو نقطة التضاد للدنيويات الجشعة.. وهو نقطة التضاد للتساهل والتسامح في الانقياد وراء الملذات واستحواذ الأنانية على الفرد.. وكلّ هذه سمات سيطرت على الغرب».

«لقد تألق الإمام الخميني بالرحمة والحيوية.. بل وبالنعيم.. من تركيز قوي غمرني بطاقة مطهرة.. وشعور كان لهما أعمق إحساس للشكر..

وخلال الثلاثين دقيقة التي قضاها الإمام على المنصة، أحسست بخلايا عقلي وقلبي تفيض كلّها بحبّ شاف».

«وإن الله يدلنا على كلّ ما نريد، ويبين لنا عن وجوده وقصده الكامل من خلال مخلوق منا».

«حتّى حياتي كلّها.. أحسست بمعناها يتضح.. واستيقظت معرفتي بمصيري..».

«وبدا لي الخميني وكأنه القرآن.. وكأني بالله يرتل في استمرار وتلقائية ما في قلبه من كتاب وآيات بينات..».

«ربّما كانت المرة الأُولى منذ عهد رسول الله محمّد نفسه أن يحدث حكيم أو صوفي تغييراً سياسياً عنيفاً أدى إلى ثورة..».

«إن آية الله الخميني قاد ثورة مست حياة كلّ فرد.. ثورة راحت تصفع سياسة الواقع في العالم.. وتصفع الأُمم المتحدة، وتصفع مركز المخابرات الأمريكية وتصفع مناورات موسكو».

«الله وحده قادر على تبرئة هذه الثورة والدفاع عنها...».

«وستبقى إيران معقلاً لمذهب الإسلام الشيعي.. وستبقى الأمة كلّها مؤيدة

للقيم والمبادئ المستمدة من نظام دين عتيد.. متحدية بذلك استكبار أيديولوجية الإنسان الغربية ومناظرات الجدل المادية».

«لقد أدى العلم والتقدم إلى عدم التجاء الشعوب إلى الله في ما يختص بأحداث العالم.. ولعلّ الله شاء أن يذكرهم بذاته ووجوده.. فكانت هذه الانتفاضة الدينية المفاجئة والتي انبعثت عن شخص ومشاعر آية الله الخميني.. انتفاضة لا يمكن فهمها إلّا من مركز العاصفة الإسلامية وبهدوء كامل.. أما أحاسيس الخميني التي عبرت بوضوح وجلاء عن المطلق.. فقد انسابت في جهازه العصبي من دون عقبة أو مقاومة».

لقد كان من خلال الإسلام وبالإسلام وحده أن الله أحيا قوة إحدى رسالاته.. يقوض الافتراضات الدنيوية النامية في الغرب والشرق الداعية إلى إقصاء مفهوم قدرة الله عن مسرح الأحداث في العالم..».

«إن هذه الثورة تحت القيادة الرشيدة لآية الله روح الله الخميني أنقى نهضة للروح في عالمنا اليوم..»[١].

«وقد قامت الثورة الإسلامية نتيجة لتفوق الإمام الخميني وسموّه..».

«فليس هناك قائد معروف آخر لديانة أُخرى مشهورة حتّى البابا.. ليس هناك من يداني الإمام الخميني في شدة القداسة التي يتألق بها».

«ما من تجربة تساوي شيئاً ممّا حدث لي اليوم.. فإن تفتح قلبك بحقّ لتستقبل بركات آية الله الخميني، فإن ذلك يعني أنك رأيت انعكاس الله ذاته، إذ هو يتمثل فقط من خلال الجهاز العصبي للإنسان.. لقد حصلت على هذه البركة.. إن الله ذاته يعلمني ما لم أكن أعلم.. من خلال شيء مطلق ينساب من دون انقطاع في

---

(١) المصدر نفسه، ص ٧٢.

أحاسيس الإمام الخميني وشخصيَّته..».

«وخرج الخميني من باب منزله.. ومرة أُخرى هبت رياح الطاقة الإلهية واندلعت قوة الحبّ والمهابة التي سمت إلى مستوى الكونية..».

لقد استرسلت في نقل هذه الكلمات المعبرة لإنسان من المفترض أن يكون معادياً للإمام الخميني بسبب قوميته كأمريكي وديانته كمسيحي، وبسب الأزمة السياسية العاصفة في عملية احتجاز أعضاء السفارة الأمريكية.. ومع ذلك كلّه نجد الكاتب الأمريكي يتأثر بشدة بشخصية الإمام الإلهية حتّى أنني لم أستطع مقاومة الكشوفات المذهلة للكاتب وسحر كلماته المعبرة..

ربما يوجد من تأثر بالإمام لهذه الدرجة وأكثر، لكنه أخفق في التعبير كإنسان تموج في أعماقه مشاعر فياضة بالحبّ أمام عجز في التعبير عنها..

ثورة الحبّ الإلهي / قبسٌ من عاشوراء

إن هذه السطور التي تبدو كأنها تفتقد المنهج إنما تجسد عجزاً في إيصال فكرة أن الإمام الراحل، قد اكتسب قدرة الأنبياء في التغيير، وأن هناك قدراً من خليل الله إبراهيم ومن كليم الله موسى بن عمران ومن روح الله المسيح بن مريم ومن حبيب الله محمّد بن عبدالله.. يتبلور في أعماقه التي تضطرم بالحقيقة المطلقة.

أجل ذلك كلّه تجده متألِّقاً في روح الله الموسوي الخميني.. مع تأكيد ما يشغله الإمام الحسين من مساحة كبرى في شخصيته.

أجل هذه سطور مرتبكة وإني لأعترف بإخفاقي في التعبير عن الإمام الراحل.. بالرغم من أن اكتشافي له يعود إلى عام ١٩٧٧ م عندما وقع في يدي كتاب: «موقف الخميني تجاه إسرائيل».. وقد ألهب وجداني موقفه الحازم.. وتأييده المطلق للحقّ الإسلامي الفلسطيني في وقت صرّح فيه زعيم فلسطيني:

«لقد سقطت فلسطين من الذاكرة العربية».

ترى من الذي أعاد فلسطين ليس إلى الذاكرة العربية والأمة الإسلامية، بل إلى ذاكرة العالم كلّه كقضية إنسانية؟!

أليس هو الخميني؟

وعندما نقترب منه لنكتشف روحه سنجد في طواياها الحسين بملحمة عاشوراء الخالدة.. وسنكتشف أن الحسين يشغل مساحة هائلة في روحه الخضراء.

إننا نستطيع أن نسرج فانوسين يلقيان بعض الضوء على هذه المساحة الشاسعة.. الأوّل يقترن بلقائه مع المرجع الكبير المرحوم السيّد الحكيم أيام وصوله إلى النجف في منفاه الثاني بعد تركيا ونحن نقتطف منه ما يتعلق بصلب المسألة.

الإمام الخميني: «... وفي منفاي بتركيا زرت قرية لا أذكر اسمها الآن؛ وأخبرني الأهالي هناك أنه عندما كان أتاتورك منهمكاً في الحملة على الدين، اجتمع العلماء واتخذوا قرار المواجهة ضد أتاتورك الذي قام بحصار القرية وقتل أربعين من علماء تركيا، ولقد شعرت بالخجل، وفكرت في نفسي إذ كيف يقوم علماء السنّة وهم يرون الخطر محدقاً بدينهم ويقدمون دماءهم رخيصة، بينما يشهد علماء الشيعة أخطاراً عظيمة تهدد الدين فلا نصاب حتّى بالرعاف! أمر مخجل حقّاً..

السيّد الحكيم: ماذا ينبغي فعله؟ لنحتمل الأثر أوّلاً، وإلّا ما جدوى القتل؟

الإمام الخميني:.. لندع التاريخ يسجل أن الدين لمّا تعرّض للخطر فإن بعضاً من علماء الشيعة ثاروا وأن فريقاً منهم قتلوا.

السيّد الحكيم: ما جدوى التاريخ؟ نحن نبحث عن الأثر.

الإمام الخميني: كيف لا يكون للتاريخ فائدة؟! ألم تقدم ثورة الحسين خدمة للتاريخ؟ ألم يكن هناك جدوى من ثورته؟!

السيّد الحكيم: ما هو رأيك في موقف الحسن؟ إنه لم يقم بثورة؟

الإمام الخميني: لو كان للإمام الحسن أنصار مثلما لديك، لثار. ولقد نهض بالأمر في البداية، ولما رأى أنصاره يبيعون أنفسهم وضمائرهم لم ينتصر.. أما أنت فلك أنصار في كلّ البلاد الإسلامية.

السيّد الحكيم: ولكني لا أرى من يتبعني لو أقدمت.

الإمام الخميني: إذا قمت بالثورة فأنا أوّل من يتبعك.

السيّد الحكيم: ابتسامة وصمت»!![1].

وخلال اللقاء نشهد الاستخدام الواسع لمفردة الثورة في حديث الإمام بينما لم يستخدم محاوره هذه المفردة حتّى مرة واحدة!

وهذا اللقاء معروف في بداية وصول الإمام إلى النجف بعد قدومه من تركيا.

أما الإضاءة الثانية فتتعلق بلقاء الإمام الشهيد محمّد باقر الصدر للإمام الراحل قبيل غليان الثورة في إيران، وربّما في أواخر عام ١٩٧٧م، وهو عام حاسم أيضاً في تاريخ العراق، لأنه شهد انتفاضة شعبية كبرى في صفر وحاصرت الدبابات والدروع مدينتي النجف وكربلاء واعتقل الإمام الصدر حينها.

والإمام الصدر كان ينهض بمشروع ثوري كامل آمن به في أونة مبكرة جداً، وكان يزداد إيماناً كلّما ازداد حكم البعث العراقي ضراوة ووحشية[2].

وفكرة المشروع الصدري للتغيير أن يقوم بإلقاء خطاب يهاجم فيه زمرة البعث والعصابة الإجرامية المتسلّطة ويجرها إلى مواجهة دامية في مرقد الإمام

---

(١) كوثر، ج ١ / ١٩٩، كتاب توثيقي باللغة الفارسية حول مواقف الإمام الخميني.

(٢) وهذا المشروع معروف لكلّ من أرّخ أو شهد عن قرب شخصية الشهيد الراحل.

علي حيث يخطب، وعندما يسقط مضمخاً بالدماء عندها يتحطم طوق الخـوف الذي يكبل الشعب العراقي.

وواضح أن الفكرة هي استلهام عصري لخطوة الإمام الحسين فـي مـلحمة عاشوراء الخالدة:

«يمّم الصدر وجهه صوب الخميني الرجل الوحيد الذي يفهم لغة الصدر..

أصغى الإمام لحديث عجيب وهزته الكلمات الثائرة تنساب مع الجراح..

يا لهول المشهد.. الصدر يخطب في أمة من الناس.. يقاوم ويهاجم، ثمّ يسقط شهيداً.. تتدفق دماؤه طاهرة تلون الأرض بلون الشفق..

سكت الصدر، وظل الخميني مطرقاً برأسه..ترى ماذا سيقول؟ وبعد لحظات صمت مدوية تمتم الإمام:

ـ لا أدري!!

إن المرء لن يتوقع جواباً أبلغ من هذا.. فيه حزن الأنبياء.. إنه يدري، ويقول: لا أدري.

ونهض الصدر ينوء بثقل الرسالة..»[١].

والآن لنعد إلى موسم الحجّ في عام ٦٠ هـ، الإمام الحسين سبط النبي ﷺ على سفوح جبل عرفات يمد يده باتجاه الكعبة رمز التوحيد.. هناك تتألق فأس إبراهيم الذي هشّم وجوه الآلهة المزيفة.. ولو أنصتنا لسمعنا كلمات الحسين:

ـ «إلهي كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟!

متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك؟!

ومتى بعدت حتّى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟!

---

(١) الحسين يولد من جديد، ص ٨٨.

عميت عين لا تراك..».

وسنسمع أيضاً:

ـ «ماذا فقد من وجدك؟

وماذا وجد من فقدك؟!»[١].

ومن المؤكد أنَّ تأملات عميقة في يوم عاشوراء، وهو أطول يوم في تاريخ الإنسان، سيضيء مساحات من تلك الروح الكبيرة حتّى يمكن القول: إنَّ اكتشاف الإمام الراحل منوط باكتشاف سيّد الشهداء.

إن ثورة روح الله الخميني هي الزلزال الذي أعاد إلى مسار التاريخ الإنساني انتظامه على إثر القلق الرهيب الذي اعتراه بعد حربين مدمِّرتين، وانسلاخ الإنسان من هويته الإنسانية.. إنها ثورة الحبّ الالهي من أجل افتداء البشرية والذوبان في المطلق.

إنها قبس من عاشوراء..

* * *

(١) دعاء الإمام الحسين في عرفات، مفاتيح الجنان.

الفهرس



مؤسسة انصاريان
للطباعة و النشر
جمهورية ايران الاسلامية / قم
شارع الشهداء / فرع ٢٢ / ص ب : ١٨٧
فاكس : ٧٧٤٢٦٤٧ هاتف :٧٧٤١٧٤٤ -٢٥١ - ٠٠٩٨
البريد الإلكتروني : ansarian@noornet.net
www.ansariyan.net & www.ansariyan.org